

الأدلة الجامعة على علو الله بذاته على عرشه فوق السماء السابعة

ويتضمن:

• زجر العقلاء عن تأويل الاستواء والاستيلاء

• إبطال مقولة "إن الله في كل مكان"
من مشركين وجما

• مباحث في

معنى المعية ، وإثبات العرش والكرسي

تأليف: ماجد بن سليمان الرسي

جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنی وصفاته العُلا داخل في الإيمان به تعالى ، ولهذا اهتم القرآن العظيم بباب الإيمان بأسماء الله وصفاته اهتماما بالغا ، يتضح ذلك بما نراه من كثرة تكرار ختم آيات القرآن العزيز بذكر أسمائه وصفاته ، كالغفور الرحيم ، والعزیز الحكيم ، والعلی العظيم ، وهكذا.

والذي نحن بصدد تقريره في هذا البحث المبارك - إن شاء الله - تقرير صفة من صفات الرب عز وجل قد كثرت اضطراب الناس فيها بعد انقراض عصر الصحابة والتابعين ، ألا وهي صفة العلو للرب عز وجل فوق عرشه ، فوق السماء السابعة.

والذي دعاني وقوّى عزمي لاختيار هذا الموضوع أنه لا زال هناك كثير من الناس يقرؤون في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله ﷺ أن الله عز وجل عالٍ فوق سمائه ، مستو على عرشه ، فوق جميع خلقه ، ومع هذا تجدهم ينفون عن الله عز وجل صفة العلو التي وصف نفسه بها ، كقول بعضهم (إن الله في كل مكان) ، تعالى الله عن ذلك.

ومن المعلوم أن عدم الإيمان بعلو الرب تعالى منافٍ لما يقتضيه الإيمان بالله تعالى من الإيمان بجميع ما ورد في القرآن والسنة من صفات الرب عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تأويل ولا تعطيل.

ونفي صفة العلو قد يكون صادرا عن قلة تدبر لمعاني القرآن العزيز ، أو تقليد لما عليه أهل بلادهم ، وهو الأكثر ، بدون رجوع إلى القرآن والسنة وفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، الذين هم خيار الأمة وأفقها ، ولو نوقشوا وثبّن لهم الحق لرجعوا عن هذا الاعتقاد الباطل ، فلهذا جاءت فكرة هذا الكتاب .

وقبل الشروع في الكتاب أود أن أذكر نفسي ومن قرأه من المسلمين أن فهم صفات الله تعالى على الوجه الصحيح له أثر عظيم على عمل المرء وسلوكه ، وزيادة خشية الله في قلبه ، لأن الأمر كما قيل: (من كان بالله أعرف كان له أخوف)^١ ، ولهذا كان العلماء بأسماء الله وصفاته هم أخشى الناس لله تعالى ، كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ .

ألا ترى عظم خشية الله تعالى في قلوب الصحابة لما فهموا أسماء الله على مراد الله ، فعرفوه حق المعرفة ، وعبدوه كأنهم يرونه رأي عَيْنٍ .

وعلى النقيض من ذلك ، ترى جرأة اليهود على معاصي الله لما نفوا عنه بعض صفاته كصفة الغنى ، إذ قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

طريقة البحث

وقد سلكت في كتابي هذا لتقرير عقيدة علو الله عز وجل على خلقه مسلكاً علمياً إن شاء الله تعالى ، بتقسيم البحث إلى ثمانية مباحث:

^١ رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٨٦) عن أحمد بن عاصم الأنطاكي .

المبحث الأول: ذكر توطئة علمية بين يدي البحث تبين التحول الفكري الذي طرأ على بعض مجتمعات المسلمين بعد القرون الثلاثة المفضلة الأولى في باب فهم أسماء الله وصفاته ، وثبات العقيدة الإسلامية أمامه.

المبحث الثاني: ذكر تأصيلات علمية لفهم أسماء الله وصفاته على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وعلماء المذاهب الأربعة المعترين وغيرهم.

المبحث الثالث: ذكر أدلة علو الله على خلقه من القرآن العزيز والسنة الشريفة وتقريرات أقوال السلف الصالح في هذا الباب على مر القرون الثلاثة الأولى ، ثم ذكر بعض أقوال مشاهير العلماء في القرون التي تلت القرون المفضلة وحكاية الإجماع في هذا الباب.

المبحث الرابع: مبحث في بيان معنى معية الله تعالى لخلقه ، وقربه منهم.

المبحث الخامس: مبحث في العرش ، وذكر أصح ما ورد فيه من أخبار.

المبحث السادس: مبحث في الكرسي ، وذكر أصح ما ورد فيه من أخبار.

المبحث السابع: ذكر شبهات في العلو والجواب عنها بدلالة العقل والنقل ، وتتضمن الجواب عن شبهتين كبيرتين:

- تأويل صفة الاستواء بالاستيلاء ، وإبطالها من خمسة عشر وجها
- مقولة "إن الله في كل مكان" ، وإبطالها من عشرين وجها

المبحث الثامن: كلمات جامعة في عقيدة العلو من أقوال الأئمة: ابن تيمية ، الذهبي ، ابن القيم ، رحمهم الله جميعا.

شكر وتقدير

ثم إني أشكر - بعد شكر الله عز وجل - المشايخ والإخوان الذين ساعدوني لإخراج هذا الكتاب بما أفادوني به من مصادر علمية ، أو مراجعة للكتاب وابداء للملاحظات ، لاسيما الشيخ العلامة أبو عبد الرحمن ، مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله ، فقد راجع أصل الكتاب في مراحل الأولى ، ولم يكن إذ ذاك بهذا الحجم ، ووضع بعض التعليقات المفيدة رحمه الله.

هذا ، والله تعالى أسأل أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ، وقصدي صوابا ، وأجري دُخرا ، وأن يوفق المسلمين للإيمان بما دل عليه الكتاب والسنة من الغيبات على النهج الصحيح ، ونبذ ما خالفهما من الأقوال المحدثه ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلّم تسليما كثيرا.

وكان الانتهاء من إعداد هذا الكتاب في صباح الخميس ، ليلة التاسع والعشرين من شهر جنادى الآخرة ، سنة ١٤٣٤ هجرية ، نفع الله به كاتبه وقارءه وناشره ، والحمد لله أولا وآخرا.

وكتب ، أبو سليمان ماجد بن سليمان الرسي

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٦٨٨٠٥٧٥٣

المملكة العربية السعودية

www.saaaid.net/kutob ، majed.alrassi@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ .

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ .

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه بصفات الكمال ، ونعت نفسه بنعوت الجلال ، وتسمّى بأسماء حسنى كثيرة ، وقد علم المسلمون أسماءه وصفاته من طريقين لا ثالث لهما ، وهما الكتاب والسنة .

كما فهم الرعيل الأول ، وهم النبي ﷺ وصحابته ، معاني تلك الأسماء والصفات ، فأورثهم هذا خشية الله في قلوبهم ، وانقيادا لشريعته ، لأن من عرف الله حقاً خافه ، ومن خافه ائتمر بأوامره وانتهى عن نواهيه ، وليس إلى معرفة الله طريق إلا طريق فهم أسماءه وصفاته .

ولما فهم الصحابة رضي الله عنهم أسماء الله وصفاته ، وقاموا بموجب ذلك الفهم ، وهو عبادته وحده لا شريك له ؛ صاروا مضرب المثل في العلم والعمل ، وتحقق فيهم ما هو مذكور في الكتب السماوية السابقة واللاحقة – أي التوراة والإنجيل^١ والقرآن^٢ من الشهادة بالخيرية ، كما أخبر الله في القرآن أن الناس إن آمنوا بمثل ما آمن به الصحابة فقد اهتدوا ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾.

وأما الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في فضائل الصحابة فكثيرة جداً ، كثرة لا تكاد تحصى إلا بمشقة.

ثم جاء التابعون رحمهم الله ، وهم الجيل الذي يلي جيل الصحابة ، فتلقوا عن الصحابة العلم ورأوا منهم العمل ، فساروا على طريق الصحابة رضوان الله عليهم ، وحفظوا العلم في دواوينهم ، وتلقوا عنهم الاعتقاد الصحيح الصافي ، سواء فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته جل تعالى ، أو في غير ذلك من أصول الاعتقاد.

وهكذا فَعَلَّ من جاء بعد التابعين ، أي تابعو التابعين ، وهكذا ، ثلاثة قرون متعاقبة ، رحمهم الله أجمعين.

^١ قال الله تعالى في آخر سورة محمد ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾.

^٢ قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ ، وفي سورة الفتح ﴿والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾ ، فأخبر أنهم أحق بكلمة التقوى وأهلها ، وشهد لهم الله تعالى أنهم المؤمنون حقاً ، قال تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾.

وقد أوضح النبي ﷺ أن تلك القرون الثلاثة هي خير القرون ، فقال ﷺ: خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.¹

وقد حصل الأمر كما أخبر ﷺ ، فقد كانت تلك القرون هي خير القرون كما يشهد بذلك التاريخ الإسلامي ، فقد اتسعت الفتوحات ، وكثرت الخيرات ، وصارت الأمة الإسلامية في أوج عزها ومجدها بين الأمم الأخرى ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وصار من لم يدخل في دين الله يدفع الجزية للمسلمين مقابل حماية المسلمين له.

ولكن في بداية المئة الرابعة تبدلت الأمور عما كانت ، فقد أدخل أناس بأمورا في دين الله لم يعرفها النبي ﷺ ولا صحابته ، في باب الاعتقاد في الله تعالى وفي باب الشريعة أيضا ، وهي المعروفة بالبدع ، فصاح بهم علماء المسلمين وأنكروا عليهم ، بل وحذروا منهم ، حماية لجناب الشريعة الصافي من التلوث والتبديل والتغيير ، وخشية من أن يحصل لشريعة الإسلام ما حصل لشرائع الأمم السابقة ، فلما فعل علماء المسلمين ذلك رجع عن تلك البدع من رجع ، وسار على طريق الغواية من سار ، جعلنا الله ممن سار على طريق النبي ﷺ وصحابته ، آمين.

أسباب دخول البدع في مجتمعات المسلمين

ومن أهم أسباب دخول البدع في مجتمعات المسلمين أربعة أسباب:

الأول: ترجمة كتب الفلاسفة واليونان إلى اللغة العربية ، وقد حصل هذا في عهد المأمون العباسي في أول القرن الثالث.

¹ رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٢) ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والسبب الثاني: دخول كثير من العجم إلى الإسلام على مر القرون الثلاثة ، بما عندهم من موروثات عقديّة فاسدة لم يتخلصوا منها ، فانتشرت عن طريقهم بين المسلمين.

والسبب الثالث هو احتكاك الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى الكافرة ، الأمر الذي أدى إلى حدوث انتقالٍ عقائديٍّ بين الطرفين ، فكان سببا رئيسا لتأثر بعض المسلمين بتلك العقائد والأفكار وانتشارها بينهم ، كما حصل من التأثر بعقيدة الجهمية ، والتي سميت بذلك نسبة إلى ناشر هذه العقيدة ، وهو الجهم بن صفوان¹.

والسبب الرابع هو اندساس بعض المنافقين بين المسلمين ، وبثهم لعقائد باطلة ، لإفساد عقائد المسلمين ، كما حصل من ابن سبأ اليهودي وأتباعه ، لما غلوا في آل بيت النبي ﷺ وعبدوهم ، زعمًا منهم أن هذا من منطلق حبهم للنبي ﷺ ، ثم آل الأمر إلى إيجاد وتكوين فرقة جديدة بين المسلمين ، تحمل عقيدة تقابل عقيدة المسلمين وشريعتهم ، وهي فرقة الرافضة ، أو الشيعة الاثنا عشرية.

فصل في بيان أشهر الفرق التي ضلت في فهم أسماء الله وصفاته

وقد كان الناس في القرون الثلاثة يؤمنون بأسماء الله وصفاته ، ويفهمون معانيها كما فهمها النبي ﷺ وصحابته وأتباعهم ، بحسب ما دلت عليه اللغة العربية ، ويُمرّونها كما جاءت ، من غير تعرض لمعانيها الظاهرة بتحريف أو غيره ، ولكن لما تقادم الزمان ، وتداخل المسلمون مع الأمم الأخرى ؛ حصل تأثر ببعض الأفكار الخارجية المنحرفة في هذا الباب كما تقدم ، فتشعب الناس فرقا وطوائف ، وثبت من أراد الله عصمته على طريق النبي ﷺ وصحابته.

¹ سيأتي التعريف به.

ومن أشهر الفرق التي ضلت في باب أسماء الله تعالى وصفاته فرقة «الجهمية» ، نسبة إلى ناشرها الجهم بن صفوان ، ومنهج هذه الطائفة هو نفي أسماء الله تعالى وصفاته عنه ، أي أنه ذات مجردة عن الأسماء والصفات ، تعالى الله عن ذلك ، زاعمين أن إثباتها له يلزم منه أمران:

الأول: تعدد الآلهة ، وهذا شرك بزعمهم ، وقد رد عليهم أهل السنة بأن الواحد من بني آدم يوصف بعدة صفات ، يوصف بأنه كريم وغني وتاجر وطويل ، ومع هذا فلا أحد يقول إنه عدة أشخاص! هذه مكابرة للعقول.^١

والثاني: تشبيه الله بخلقه.

فنفا عن الله صفة السمع والبصر والكلام والاستواء وغيرها ، وقالوا هي من قبيل المجاز ، وأولوها إلى معانٍ أخرى غير مرادة ، وسيأتي الجواب عن هذه الشبهة في ثنايا هذا البحث بإذن الله.

وقد كان بزوغ هذه الطائفة على يد الجهم بن صفوان في أوائل المائة الثانية في عصر التابعين ، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى.^٢

قال الذهبي^٣ في «السير» (٢٦/٦) و «تاريخ الإسلام» (٣٨٩/٣): هو الجهم بن صفوان ، أبو محرز الراسبي ، السمرقندي ، أسُّ الضلالة ، ورأس الجهمية ، كان ينكر الصفات ، وينزه الباري عنها

^١ انظر كتاب «لمحة عن الفرق الضالة» للشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله عند الكلام عن الفرقة الرابعة: الجهمية.

^٢ انظر كتاب «العرش» للذهبي ص ٦٩ ، وبالنسبة للأعلام المذكورين أعلاه فسيأتي ذكر تراجمهم في ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

^٣ ستأتي ترجمته قريبا في الفصل القادم إن شاء الله.

— بزعمه - ، ويقول بخلق القرآن^١ ، وأن الله في الأمكنة كلها ، وأن الإيمان عقدٌ بالقلب وإن كفر بلسانه وعبد الصليب والأوثان ، فهو ولي الله من أهل الجنة. اهـ باختصار.^٢

وروى عبد الله بن أحمد في «السنة»^٣ عن يزيد بن هارون^٤ قال: لعن الله الجهم ومن قال بقوله ، كان كافرا جاحدا ، ترك الصلاة أربعين يوما ، يزعم أنه يرتاد دينا ، وذلك أنه شك في الإسلام. قال يزيد: قتله سلّم بن أحوز التميمي على هذا القول. اهـ.

قلت: سلّم بن أحوز هو أمير الشرطة في آخر دولة بني أمية ، ونائبهم على «مرو» بخراسان.^٥

وروى البخاري في «الرد على الجهمية» عن أبي نعيم البلخي^٦ قال: كان رجل من أهل «مرو» صديقا لجهم^٧ ، ثم قطعه وجفاه فقييل له: لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يُحتمل ؛ قرأت يوما آية كذا وكذا - نسيها يحيى - فقال: ما كان أظرف محمدا ، فاحتملُها.

^١ أي أنه ليس كلام الله ، وإنما شيء مخلوق كباقي المخلوقات.

^٢ انظر «السير» (٢٦/٦) و «تاريخ الإسلام» (٣٨٩/٣).

^٣ (برقم ١٩٧) ، وذكره الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (ترجمة يزيد بن هارون) عن السراج تعليقا قال: سمعت إبراهيم بن عبد الرحيم قال: سمعت إسماعيل بن عبيد وهو ابن أبي كريمة قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: القرآن كلام الله ، لعن الله جهما ومن يقول بقوله ، كان كافرا جاحدا.

^٤ هو الإمام القدوة الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو خالد السلمي ، مولاهم الواسطي ، له رواية للحديث النبوي ، قال الذهبي: (كان يزيد رأسا في السنة ، معاديا للجهمية ، منكرا تأويلهم في مسألة الاستواء) ، توفي سنة ٢٠٦ ، انظر ترجمته في «السير» (٣٥٨/٩).

^٥ انظر «البيداء والنهاية» ، أحداث سنة ١٢٨ هـ ، مقتل الجهم بن صفوان.

^٦ هو شجاع بن أبي نصر. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: (كان صدوقا مأمونا) ، وذكره ابن حبان في «الثقات». انظر ترجمته في «التهذيب».

^٧ أي جهم بن صفوان.

ثم قرأ سورة طه ، فلما قال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، قال: أما والله لو وجدت سبيلا إلى حكها لحككتها من المصحف ، فاحتملتها.

ثم قرأ سورة القصص ، فلما انتهى إلى ذكر موسى قال: (ما هذا؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها ، ثم ذكرها ها هنا فلم يُتمها) ، ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه ، فوثبت عليه.^١

فهذا كلام شيخ النافين لعلو الرب على عرشه ، ومباينته لخلقه^٢ ، نعوذ بالله من الخذلان. وللجهمية طوام غير ما ذكرنا ، ذكرها الشهرستاني رحمه الله في كتابه «الملل والنحل»^٣.

قال عبد العزيز بن الماجشون^٤ وقد نظر في شيء من كلام الجهم: هذا هدم بلا بناء ، وصفة بلا معنى.^٥

ثم خلف جهما في نشر عقيدته الضالة «بشر المرِّيسي»^٦ ، قال ابن أبي حاتم: سمعت هشام بن

^١ رواه البخاري في «خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل» (٥٥).

وكذا عبد الله بن أحمد في «السنن» (١٩٨) ، وابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» عن يحيى بن أيوب به ، ذكر ذلك عنه الذهبي في «العلو» ص ١٥٤ - ١٥٥ .

^٢ المباينة هي الانفصال ، وضدها الاتحاد والاختلاط والتمازج ، من بان بيون فهو بائن.

^٣ قد أفرد الشهرستاني للجهمية بابا في بيان معتقدهم ، انظر (١٣٥/١) ، الناشر: أضواء السلف - الرياض.

^٤ هو الفقيه الإمام المفتي الحجة ، عالم المدينة ، من أقران مالك ، قال ابن وهب: حججت سنة ثمان وأربعين ومئة ، وصائح يصيح: لا يُفتي الناس إلا مالك ، وعبد العزيز بن الماجشون.

توفي رحمه الله سنة ١٦٤ ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤/٤٤٠).

^٥ انظر المرجع السابق.

^٦ هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي ، مولاهم البغدادي المرِّيسي ، كان من كبار الفقهاء ، ثم نظر في علم الكلام والفلسفة فغلب عليه - وعلم الكلام هو العلم الذي يبحث في ذات الله وصفاته على طريقة الفلاسفة ومنتجات عقول البشر ، وليس من منطلق فهم السلف الصالح ، الذي قاعدته التسليم للكتاب والسنة ، وفهم النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته - ، فانسلخ بشر من العلم والتقوى ، وخلف جهما في عقيدته ، مع أنه لم يدركه ، بل تلقف مقالته عن أتباعه ، فصار عين الجهمية ، فمقتته أهل

عبيد الله^١ يقول: المريسي عندنا خليفة جهم بن صفوان الضال ، وهو ولي عهده ، ومثله عندنا مثل بلعم بن باعورا الذي قال الله فيه: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾^٢. ثم وصل الأمر إلى أحمد بن أبي دؤاد^٣ ، في أوائل القرن الثالث ، وهو من ألد أعداء أهل السنة والجماعة ، وكان شديد العداوة للإمام أحمد بن حنبل ، وهو الذي أوقع به عند الخليفة المأمون^٤ ، فسجنه وضربه ، وحصل بسببه بلاء كثير على المسلمين ، قال ابن الأعرابي^٥ العالم اللغوي المشهور: أرادي ابن أبي دؤاد أن أطلب في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بمعنى

العلم ، وأنكروا عليه ، ومنهم الشافعي رحمه الله ، وأبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة ، وأفتى بقتله العديد منهم بناء على كفره بتلك المقالة. هلك غير مأسوف عليه سنة ٢١٨ . انظر ترجمته في «السير» (١٠/١٩٩) و «تاريخ الإسلام» (٥/٢٨٣) ، و «تاريخ بغداد» (٧/٥٣١).

^١ هو هشام بن عبيد الله الرازي ، السني الفقيه ، أحد أئمة السنة ، كان من بحور العلم ، من رواة الحديث النبوي ، مات سنة ٢٢١ ، انظر ترجمته في «السير» (١٠/٤٤٦).

^٢ أورده اللالكائي بلاغا في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (برقم ٦٤٤).

^٣ ولي القضاء للمعتصم وللواثق بالله ، وكان مصرحا بمذهب الجهمية ، داعية للقول بخلق القرآن ، زَيَّن للخليفة المأمون مقولة الجهمية: (إن القرآن مخلوق وليس كلام الله) ، فوافقه على هذه المقالة ، وامتنح الناس عليها ، بما فيهم العلماء ، فصارت محنة في المسلمين عظيمة ، ثم لما تولى المتوكل عزله ، وأخذ منه ستة عشر ألف ألف درهم ، توفي سنة ٢٣٩ . انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٥/٧٥٨) و «السير» (١١/١٦٩).

^٤ هو الخليفة المأمون ، عبد الله بن هارون الرشيد ، قرأ الأدب وعلوم الفلاسفة واليونان ، وأمر بتعريب كتبهم ، ومن هنا دخل البلاء على المسلمين ، لأنها كتبت تحوي أمورا في العقائد ، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن ، وكان يُجَلُّ أهل الكلام ، وله في امتحان علماء السنة عند هذه المسألة قصص يطول ذكرها. توفي سنة ٢١٨ . انظر ترجمته في «السير» (١٠/٢٧٢) و «تاريخ الإسلام» (٥/٣٦٠) و «تاريخ بغداد» (١١/٤٣٠).

^٥ هو إمام اللغة ، أبو عبد الله ، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي ، مولاهم ، النسابة. قال ثعلب: انتهى إليه علم اللغة. توفي رحمه الله سنة ٢٣١ ، انظر ترجمته في «السير» (١٠/٦٨٧).

وأما كلامه في إنكار تأويل صفة الاستواء فمذكور في «العلو» ، ص ١٨٠ .

استولى ، فقلت: والله ما يكون هذا ولا أصيبه.^١

قلت: وقد وصل الحد بالضلال عند ابن أبي دؤاد أن جعل الأنبياء موسى وعيسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام مشبهة ، لأنهم أثبتوا صفات الله تعالى ، قال قبحه الله: ثلاثة من الأنبياء مشبهة: عيسى ابن مريم عليه السلام حيث يقول ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ ، وموسى عليه السلام حيث يقول ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ ، ومحمد ﷺ حيث قال: إنكم ترون ربكم.^٢

والجهمية يُسمون أيضا بالمعطلة ، لأن التعطيل هو الإفراغ والتخلية ، كما في القرآن ﴿وبئر معطلة﴾ ، وهم قد عطلوا الرب عن صفاته ، أي أخلّوه عنها ، وذلك لما قالوا: إن الله ليس بعالٍ على عرشه ، ولا يتكلم ، ولا يسمع ولا يبصر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فصل في بيان حال رؤوس مدرسة تعطيل صفات الرب التي تلقى عنها الجهم بن صفوان بدعته الكلامية

ذكر ابن تيمية رحمه الله^٣ في كتابه «الفتوى الحموية» أن أصل داء تعطيل صفات الرب عن معانيها

^١ رواه ابن بطة بلاغا ، انظر «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٦٦/٣-١٦٧).

^٢ رواه ابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» ، كما في «العلو» للذهبي ، ص ١٩١ .

وقد سألت أحد المتخصصين عن «كتاب الرد على الجهمية» لابن أبي حاتم فأفاد بأنه لا يعلمه مطبوعا ولا مخطوطا ، أي أنه في حكم المفقود.

^٣ هو الإمام العلامة الفقيه ، شيخ الإسلام حقا ، أبو العباس ، تقى الدين ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني ثم الدمشقي ، الملقب بابن تيمية ، جدد دين الإسلام بعدما استحكمت غرته ، وأظلمت الدنيا بالبدع الكلامية وخرافات

كان منتشرا في الفلاسفة ، ثم سرى ذلك الداء إلى الصابئة^١ ، فلما استوطن الجعد بن درهم^٢ حرّان بالعراق^٣ ، وهي بلاد الصابئة ؛ نشرها بين المسلمين ، قبحه الله ، فأنكر صفات الرب جل وعلا ، وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، فقتله والي العراق آنذاك وهو خالد بن عبد الله القسري^٤ يوم عيد الأضحى حين خطب الناس فقال: (أيها الناس ، ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ، فإنه زعم أن الله عز وجل لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا ، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم) ، ثم نزل إليه فذبحه^٥ . وبعد الجعد ، تلقف الجهم مقالته منه ، وكان ذلك في آخر القرن الثاني ، وصدق القائل: لكل قوم وارث.

الصوفية وشركيات القبورية والحاد الفلاسفة والرافضة ، فجدد الدعوة للإسلام الصافي على منهاج الكتاب والسنة ، وجهر بالحق ، وناظر أهل الباطل ، وتحمل السحن في سبيل ذلك ، فكتب الله لعلمه القبول ، وسارت بمصنفاته الركبان ، وصار من بعدة من علماء السنة عيالا عليه ، أما تلاميذه فصار بعضهم من أئمة الإسلام ، كابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي وغيرهم ، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ ، وقد جمع بعض المحققين أقوال من ترجم له في جامع نفيس ، ووسموه بـ«الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» ، بإشراف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، ونشرته دار عالم الفوائد - الرياض ، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

^١ الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهبط الجنوب ، يزعمون أنهم على دين نوح ، وهم كاذبون في ذلك. انظر «لسان العرب» مادة: صبا.

^٢ انظر ترجمته في «السير» (٤٣٣/٥) و «تاريخ الإسلام» (٢١٨/٣). توفي ما بين ١١١ إلى ١٢٠ هجري.

^٣ هي الآن بلدة في شمال سوريا على الحدود مع تركيا.

^٤ هو الأمير الكبير الجواد ، خالد بن عبد الله القسري ، الدمشقي ، أمير العراقيين هشام بن عبد الملك ، له رواية قليلة للحديث النبوي ، توفي سنة ١٢٠ . انظر ترجمته في «السير» (٤٢٥/٥) ، و «تاريخ الإسلام» (٤٠٠/٣).

^٥ روى القصة بإسناده الخلال في «السنة» برقم (١٦٩٠) ، والذهبي في «العلو» ص ١٣١ هـ.

وللفائدة فللعامة عبد الرحمن المعلمي رحمه الله تعالى كلام نفيس يتعلق بخالد القسري رحمه الله وقصة ذبحه للجعد ، أودعه كتابه «التنكيل».

قال ابن تيمية رحمه الله: وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وقد كان أخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم ، اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ^١.

وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حرّان ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ، بقايا أهل دين نمروذ والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم ، فكانت الصابئة إلا قليلا منهم إذ ذاك على الشرك ، وعلمائهم هم الفلاسفة ، وكانوا يعبدون الكواكب ويننون لها الهياكل ، وهؤلاء الصابئة هم الذين بُعث إليهم إبراهيم الخليل ﷺ ، فيكون الجعد قد أخذ مقالته عن الصابئة الفلاسفة.

فإذا كان أصل هذه المقالة - أي مقالة التعطيل والتأويل - مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن - بل نفس عاقل - أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟^٢

وقد تطورت بدعة الجهمية إلى جحد جميع صفات الرب عز وجل ، ولكن أهل السنة كانوا لهم بالمرصاد ، فردوا عليهم بردود كثيرة ، وذبوا عن حياض العقيدة ، وألّف الأئمة كُتُبًا عدة باسم «الرد على الجهمية» ، ومن أشهر ما ألّف «كتاب نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ، فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد» ، وقد رد فيه على الجهمية برد شافٍ كافٍ ، والحمد لله على ظهور الحجة ، وبيان المحجة.

^١ انظر قصة سحر النبي ﷺ في كتاب الطب من صحيح البخاري.

^٢ «الفتوى الحموية الكبرى» ، وهي مطبوعة مستقلة ، وتقع بطولها في أول المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى» ، والكلام مقتبس من الصفحات ٢٠ - ٢٥ ، باختصار.

فصل في كفر الجهمية

ولما كان مذهب الجهمية في الصفات يقتضي تجريد الرب عز وجل عن صفاته ، بنفيها وتعطيلها ، وتنقص الله عز وجل ، ويقتضي أيضا تكذيب القرآن ، والظعن في بيانه وبلاغته ؛ كَقَرَّ أئمة السلف الجهمية ، بل كفرهم خمسمائة عالم من علماء السلف ، كما قال ابن القيم رحمه الله^١ في «نونيته»^٢ :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي^٣ الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني^٤

وسياتي في ثنايا البحث ذكر فتاوى لمشاهير علماء السلف من التابعين في كفر الجهمية. وما زال بعض الناس يتلقفون مقالة الجهمية قرنا بعد قرن ، عافانا الله من ذلك ، ولكن أهل السنة لهم بالمرصاد ، يردون عليهم بأبطلهم ، ويبينون عوارهم ، وينفون عن الله تأويل المتأولين ، وتحريف المبطلين ، وغلو الغالين ، والمعصوم من عصمه الله تبارك وتعالى. ونختتم هذا الفصل بكلمة لشمس الدين الذهبي رحمه الله:

فكان الناس في عافية وسلامة فطرة حتى نبغ جهم ، فتكلم في الباري تعالى وفي صفاته بخلاف ما

^١ ستأتي ترجمته إن شاء الله.

^٢ الأبيات ٦٣٣ - ٦٣٤ ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

^٣ ستأتي ترجمته إن شاء الله.

^٤ هو الإمام الحافظ المحدث أبو القاسم ، سليمان بن أحمد بن أيوب الهذلي ، صاحب المعاجم الثلاثة المعروفة وغيرها ، انظر ترجمته في «السير» (١٩٥/٥).

أتت به الرسل وأنزلت به الكتب ، نسأل الله السلامة في الدين.^١

^١ «تاريخ الإسلام» (٣/٣٩٢) ، في حاشية ترجمة الجهم بن صفوان.

مبحث في طريقة أهل الإسلام في فهم أسماء الله الحسنى وصفاته العلى

مدخل

الإيمان بأسماء الله وصفاته له مكانة عظيمة في العقيدة الإسلامية ، فقد تمجد الله كثيرا في كتابه العزيز بأسمائه وصفاته ، كقوله تعالى ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ ، وقوله ﴿وكان الله غفورا رحيمًا﴾ ، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

كما أثنى النبي ﷺ على ربه في مواضع كثيرة من السنة الشريفة ، ونعته فيها بنعوت الجلال وصفات الكمال.

والإيمان بأسماء الله وصفاته يوجب للعبد خشيته ، ومن ثمَّ عبادته على الوجه الذي يُرضي الله تعالى ، فإن الأمر كما قيل: (من كان بالله أعرف كان له أخوف)¹ ، ولهذا كان العلماء بأسماء الله وصفاته هم أخشى الناس لله تعالى ، كما قال تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

ولما كان الإيمان بأسماء الله وصفاته بهذه الأهمية ؛ وجب على المؤمن الإيمان بها على الوجه المطلوب شرعا ، وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكليف ولا تمثيل ، ودليل وجوب إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى قوله ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾² ، ودليل وجوب إثبات صفات الكمال له

¹ رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (786) عن أحمد بن عاصم الأنطاكي.

² سورة الأعراف: 180 .

قوله تعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾¹ ، أي الوصف الكامل ، وقوله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾².

والإيمان الصحيح بأسماء الله وصفاته يقتضي أمرين ؛ الأول: فهمها كما جاءت ، وضده تحريف معانيها عما تقتضيه اللغة العربية وفهم السلف الصالح لها.

والأمر الثاني: الوقوف في أسماء الله وصفاته عند ما ورد في الكتاب والسنة ، وضده ابتداع اسم أو وصف لله لم يرد في أحدهما.

وقبل الدخول في تفصيل الكلام في هذين الأمرين فإنه يحسن بنا التنبيه إلى قاعدة هامة جدا في باب فهم الأسماء والصفات ، وهي أن معيار الفهم الصحيح للأسماء والصفات هو مطابقة ذلك الفهم لفهم السلف الصالح ، وهم الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان وأتباعهم ، أهل القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية في قوله: خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.³

وكيف لا تكون تلك القرون خير القرون وهم أتباع الصحابة ، الذين شهد لهم الله تعالى بالخيرية في القرآن في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

وأخبر أنهم أحق بكلمة التقوى وأنهم أهلها ، فقال في سورة الفتح ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾.

¹ سورة النحل: 60 .

² سورة الشورى: 11 .

³ تقدم تخريجه .

وشهد لهم في آخر سورة الأنفال بأنهم هم المؤمنون حقاً ، قال تعالى ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾. ونوّه سبحانه وتعالى برضاه عنهم في سورة التوبة ، فقال عزّ من قائل عليهما ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾.

بل قد أثنى الله عليهم في الكتب السابقة - التوراة والإنجيل - فقال في آخر سورة محمد ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾.

أقول: وكيف لا تكون تلك القرون الثلاثة خير القرون ، وهم أتباع الصحابة ، الذين قال الله تعالى فيهم ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم﴾¹؟ أي: فإن آمن الناس بمثل إيمانك يا محمد وإيمان أصحابك - ويدخل في ذلك إيمانهم بالأسماء والصفات - فقد اهتدوا ، وإن تولوا عن طريقكم وحادوا عنه فإنما هم يشاققون الله ورسوله وقد قال الله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾².

¹ سورة النساء: 115 .

² سورة البقرة: 137 .

وبموجب هذه الأدلة وغيرها مما ورد في فضل الصحابة مما لا يحصى كثرة ؛ أجمع المسلمون على عدالتهم وفضلهم وسبقهم في الإسلام على كل من جاء بعدهم ، وأنهم القدوة الدينية لمن جاء بعدهم .

إذا تقرّر هذا ؛ فلا أحد أعلمُ بمراد الله ورسوله في باب الأسماء والصفات - أو غيره من أبواب الدين - منهم ، أي الصحابة رضوان الله عنهم وأتباعهم ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، والمعبر عنهم بالسلف الصالح ، فالواجب على كل من جاء بعدهم اقتفاء أثرهم ، وردُّ كل ما خالف فهمهم ، واعتقاد أنه فهم باطل ، وافتراء للكذب على الله تعالى ، إذ كيف تجهل القرون الثلاثة المفضلة الفهم الصحيح لمعاني الأسماء والصفات ثم يفهمها من جاء بعدهم بقرون؟! هذا لا يقبله شرع ولا عقل .

فصل في بيان الواجب الأول في أسماء الله وصفاته

وعوداً على بدءٍ ؛ فالواجب الأول على كل مؤمن بالله تعالى في باب الأسماء والصفات هو فهمها كما جاءت ، كما تقتضيه اللغة العربية ، وكما فهمها السلف الصالح ، لأن فهمهم هذا قد تلقّوه عن النبي ﷺ ، وأنعم به من فهم ، وكل ما خالف فهم الصحابة فليس من دين الله ، بل هو منهج مخترع مُحدث ، ليس من الإسلام في شيء ، لأن ما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً .
و ضد هذا المنهج النبوي في فهم الأسماء والصفات هو الإلحاد فيها ، وهو ثمانية أنواع ، تدور كلها إما على تحريف المعنى الصحيح إلى معنى غير مراد ، أو إبطال المعنى بالكلية ، ويسمى التعطيل ، أو

اشتقاق أسماء للمخلوقين من أسماء الله تعالى ، وسيأتي الكلام على كل نوع من هذه الأنواع بالتفصيل إن شاء الله تعالى.¹

والإلحاد في أسماء الله وصفاته منافية للإيمان بأسماء الله وصفاته ، ومن القول على الله بلا علم ، ومن البدع الكلامية التي اشتد نكير السلف الصالح وأتباعهم على القائلين بها ، ومن المعاصي التي توعدها الله فاعليها بالعذاب عياذا بالله ، قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾².

فصل في ذكر بعض الآثار عن السلف في فهم الصفات

فإن قيل: هل وَرَدَ عن السلف - رضوان الله عليهم - ما يُثبت أنهم كانوا يفهمون الأسماء والصفات كما جاءت ولا يتعرضون لمعانيها بأي نوع من أنواع التحريف؟ فالجواب نعم ، فقد روى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي داود الطيالسي³ قال:

¹ انظر للفائدة كلاما مختصرا للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾. (الأعراف: 180)

² سورة الأعراف: 180 .

³ هو سليمان بن داود بن الجارود ، أبو داود الطيالسي البصري ، ثقة حافظ ، مات سنة 204 ، انظر «تقريب التهذيب».

كان سفيان الثوري¹ وشعبة² وحماد بن زيد³ وحماد بن سلمة⁴ وشريك⁵ وأبو عوانة⁶ لا يَحُدُّون⁷ ولا يُشَبِّهون ولا يُمَثَّلون ، يَرُوون الحديث ، لا يقولون (كيف) ، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر. قال أبو داود: وهو قولنا. قلت⁸: وعلى هذا مضي أكابرنا. انتهى⁹.

¹ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، الكوفي ، أبو عبد الله ، ثقة حافظ ، فقيه عابد ، إمام حجة ، سيد أهل زمانه علما وعملا ، حدّث عنه خلق لا يُحْصون ، ويقال إنه أخذ عن ست مئة شيخ ، مات سنة 164 هـ ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (382/4) و «تقريب التهذيب».

² هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم ، أبو بسطام الواسطي ثم البصري ، ثقة حافظ متقن ، كان الثوري يقول: (هو أمير المؤمنين في الحديث) ، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذب عن السنة ، وكان عابدا ، مات سنة 160 هـ ، انظر «تقريب التهذيب».

³ هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، أبو إسماعيل البصري ، ثقة ثبت فقيه ، كان من أئمة العلماء في زمانه ، مات سنة 179 هـ ، انظر «تقريب التهذيب» ، و «السير» (456/7).

⁴ هو حماد بن سلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، من المكثرين من رواية الحديث النبوي ، ثقة عابد ، قال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاغمزه على الإسلام ، فإنه كان شديدا على المبتدعة. مات سنة 167 هـ ، انظر «تقريب التهذيب» ، و «السير» (444/7).

⁵ هو شريك بن عبد الله النخعي الكوفي ، القاضي بواسط ثم الكوفة ، أبو عبد الله ، صدوق يخطئ كثيرا ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان عادلا فاضلا عابدا ، شديدا على أهل البدع ، مات سنة 177 أو 178 هـ ، انظر «تقريب التهذيب».

⁶ هو أبو عوانة ، وضاح بن عبد الله البشكري الواسطي البزاز ، ثقة ثبت ، مات سنة 175 أو 176 هـ ، انظر «تقريب التهذيب».

⁷ أي لا يصفون الله بـ «الحد» ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بذلك.

⁸ القائل هو البيهقي رحمه الله.

⁹ كتاب «الأسماء والصفات» (334/2-335) ، وهو في «السنن الكبرى» (3/3).

وقال الوليد بن مسلم¹: سألت سفيان² والأوزاعي³ ومالك بن أنس⁴ والليث بن سعد⁵ عن هذه الأحاديث ، فقالوا: مُرَّهَا كما جاءت.⁶

قال شمس الدين الذهبي الشافعي⁷ في سفيان الثوري: وقد بثَّ هذا الإمام الذي لا نظير له في عصره كثيرا من أحاديث الصفات ، ومذهبه فيها الإقرار والإمرار والكفُّ عن تأويلها ، رحمه الله تعالى.⁸

¹ الوليد بن مسلم الدمشقي ، الإمام عالم أهل الشام ، كان من أوعية العلم ، ثقة حافظا ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة 195 ، انظر ترجمته في «السير» (211/9).

² أي الثوري.

³ هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، له رواية معروفة في الحديث ، توفي سنة 151 ، وقد ترجم له الذهبي ترجمة مطولة في «السير» (107/7).

⁴ مالك بن أنس هو الإمام المشهور ، شيخ الإسلام ، حجة الأمة ، إمام دار الهجرة ، عرف به مذهب الفقهي ، وصاحب كتاب «الموطأ» ، الذي جمع فيه حديث رسول الله ﷺ ، ترجم له الذهبي ترجمة عاطرة مطولة في ثمانين صفحة ونيف ، انظر «السير» (48/8 - 135).

⁵ هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام ، وعالم الديار المصرية ، الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت ، فقيه إمام مشهور ، من رواة الحديث النبوي ، ومن أقران الإمام مالك ، مات سنة 75 هـ ، انظر ترجمته في «السير» (136/8).

⁶ رواه أبو بكر الخلال - تلميذ الإمام أحمد - في كتابه «السنة» (259/1) واللفظ له ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (2/3) ، والآجري في «الشرعية» (104/2) ، والدارقطني في «الصفات» (67).

⁷ هو العلامة المؤرخ ، شيخ الجرح والتعديل ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد الذهبي ، تركماني الأصل ، شافعي المذهب ، له مؤلفات لا يستغني عنها من جاء بعده ، كـ «سير أعلام النبلاء» ، و«تاريخ الإسلام» ، و «تذكرة الحفاظ» ، و «العلو للعلي الغفاري» ، له رواية للحديث النبوي ، وهو من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله ، توفي سنة 748 ، انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (153/3).

⁸ «العلو» ، ص 138 .

وقال سفيان بن عيينة¹ في أحاديث الصفات: هذه الأحاديث نروها ونُقرُّ بها كما جاءت بلا كيف.²

أي: بلا تكييف ، وهو ذكر كيفية الصفة³ ، وسيأتي الكلام على تعريف التكييف إن شاء الله. علق شمس الدين الذهبي على كلام سفيان فقال: أي على ظاهره ، لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل.⁴

وقال سفيان أيضا: ما وصف الله نفسه فقراءته تفسيره ، ليس لأحد أن يُفسِّره إلا الله عز وجل⁵.⁶ زاد البيهقي: أو رسله صلوات الله عليهم.⁷

وفي رواية: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته ، والسكوت عليه.⁸

وفي رواية: كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ، لا كيف ولا مثل.⁹

¹ هو الإمام الكبير حافظ العصر ، شيخ الإسلام ، أبو محمد ، سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، الكوفي ثم المكي ، من المكثرين من رواية الحديث النبوي ، توفي سنة 198 ، انظر ترجمته في «السير» (454/8).

² رواه ابن عبد البر عنه في «التمهيد» (136/6) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (148/7 – 149) من ط المغربية.

³ انظر «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» ، ص 31 ، للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.
⁴ «العرش» ، ص 149 .

⁵ أي: ليس لأحد أن يُفسِّره بذكر كيفيته إلا الله تعالى ، لأنه هو العالم بذلك وحده ، أما البشر فهو غيبٌ عنهم فكيف يُفسِّرونه؟

⁶ رواه ابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (166/3) ، وابن منده بنحوه في كتاب «التوحيد» (895) ، تحقيق محمد حسن إسماعيل ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

⁷ «الأسماء والصفات» (338/2-339) لأبي بكر البيهقي ، وصححه محققه.

⁸ رواه الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص 49) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (307/2) ، واللفظ للصابوني.

⁹ رواه الدارقطني في كتاب «الصفات» (ص 70) ، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (478/3).

وقال الإمام وكيع بن الجراح¹ لما سُئِلَ عما يُروى أن الكرسي موضع القدمين ، ونحو هذا ، قال: كان إسماعيل بن أبي خالد² والثوري ومسعر³ يروون هذه الأحاديث لا يُفسِّرون شيئاً⁴.
واقشعرٌ رَجُلٌ في مجلسٍ وكيع لما سمع حديث عمر رضي الله عنه قال: إذا جلس الرب عز وجل على الكرسي ...⁶
فغضب وكيع⁷ وقال: أدركنا الأعمش⁸ وسفيان⁹ يُحدِّثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها.¹⁰

¹ الإمام وكيع بن الجراح ولد سنة 129 ، كان من بحور العلم وأئمة الحفاظ ، مات سنة 197 ، انظر ترجمته في «السير» (140/9).

² هو الإمام الكبير الحافظ ، أبو عبد الله البجلي ، الأحمسي ، مولاهم الكوفي ، من رواة الحديث النبوي ، سمع من خمسة من أصحاب النبي ﷺ ، مات سنة 146 . انظر ترجمته في «السير» (176/6).

³ هو الإمام الثبت شيخ العراق ، الحافظ ، مسعر بن كيدام بن عبيدة ، من رواة الحديث النبوي ، قال شعبة بن الحجاج: (كنا نسمي مسعرا: المصحف) ، يعني من إتقانه. توفي سنة 155 . انظر ترجمته في «السير» (163/7).

⁴ معنى (لا يُفسِّرون) أي لا يُكَيِّفون شيئاً من صفات الرب عز وجل بأن يدَّعوا معرفة كيفية شيء منها ، لأن معرفتها من الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

⁵ رواه الذهبي في «العلو» ص 146 .

⁶ هو أثر موقوف على عمر وليس بحديث مرفوع ، وتماه: ... شُعب له أطيط كأطيط الرِّجل الجديد.

وقد رواه عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (231/1) وغيره.

⁷ أي غضب من كون الرجل اقشعر لما سمع ذكر جلوس الرب على الكرسي في الحديث.

⁸ هو سليمان بن مهران ، الإمام شيخ الإسلام ، شيخ المقرئين والمحدثين ، رأى أنس بن مالك وروى عنه ، مات سنة 147 ، له ترجمة مطولة في «السير» (226/6).

⁹ أي الثوري.

¹⁰ «السنة» لعبد الله بن أحمد (232/1).

وقال وكيع: نُسَلِّمُ¹ هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا نقول (كيف كذا؟) ، ولا (لم كذا؟) ، يعني مثل حديث: (يحمل السماوات على إصبع).²
وقال أبو عبيد القاسم بن سلام³:
هذه الأحاديث حقٌّ لا يُشكُّ فيها ، نَقَلَهَا الثقاتُ بعضهم عن بعض حتى صارت إلينا ، نصدق بها ونؤمن بما على ما جاءت.
قال أبو الفضل⁴: ونحن نقول في هذه الأحاديث ما قال أحمد بن حنبل ، متبعين له ولآثاره في ذلك.⁵

علّق الذهبي على كلام أبي عبيد فقال:

قد صنّفَ أبو عبيد كتاب «غريب الحديث» ، وما تعرض لأخبار الصفات الإلهية بتأويل أبدا ، ولا فسّر منها شيئا ، وقد أخبر بأنه ما لِحِقَ أحدا يُفسرها⁶ ، فلو كان والله تفسيرها سائغا أو حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب ، فلمّا لم يتعرضوا لها بتأويل ، وأقروها على ما وردت عليه ؛ علّم أن ذلك هو الحق الذي لا حَيْدَةَ عنه.⁷

¹ التسليم هو الانقياد والخضوع ، فمعنى قوله (نُسلّم هذه الأحاديث) أي نؤمن بما دلت عليه ولا نتجاوز ذلك بتأويل معانيها أو تكييفها أو تعطيلها.

² ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (165/9) في ترجمة وكيع.

³ هو الإمام المجتهد أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي اللغوي الفقيه ، صاحب المصنفات ، مات سنة 224 هـ ، انظر «تذكرة الحفاظ» (6/1).

⁴ هو عباس بن محمد الدوري ، راوي الأثر عن أبي عبيد.

⁵ رواه أبو بكر الخلال في «السنة» (258/1) ، والآجري في «الشرعية» (622) ولفظه: هذه عندنا حق ، نقلها الناس بعضهم عن بعض.

⁶ أي ما أدرك أحدا ممن قبله يُفسرها بذكر الكيفية.

⁷ «السير» (162/8).

وقال أبو بكر الخلال¹: سمعت عبد الوهاب الوراق² يقول: سألت أسود بن سالم³ عن هذه الأحاديث فقال: نخلف عليها بالطلاق والمشى⁴ إنها حق.⁵

فصل في ذكر تفسيرات بعض أئمة المذاهب في فهم الأسماء والصفات

أقوال الحنفية

قال محمد بن الحسن الشيباني⁶ - صاحب أبي حنيفة -: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسّر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي

¹ هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه ، شيخ الحنابلة وعالمهم ، أبو بكر ، أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال ، من أجل تلامذة الإمام أحمد ، أخذ الفقه عن الإمام أحمد وكثير من أصحابه ، صنف كتاب «السنة» ، جمع فيه أحاديث وآثار رواها بإسناده في العقيدة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وله مصنفات جمع فيها مسائل كثيرة عن الإمام أحمد ، فكم من حسنة له على من بعده من المسلمين ، توفي سنة 311 ، انظر ترجمته في «السير» (297/14) و«طبقات الحنابلة» (22/3).

² هو الإمام القدوة الرباني الحجة ، أبو الحسن ، عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع ، البغدادي الوراق ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة 251 ، انظر «السير» (323/12).

³ (كان ثقة ورعا فاضلا ، مات سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة ومئتين) ، قاله ابن جرير الطبري ، سمع الحديث من حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وغيرهما ، ورؤي عنه الحديث ، انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» (498/7).

⁴ أي النذر بالمشي إلى المسجد الحرام إن لم تكن أحاديث الصفات حق على ظاهرها.

⁵ «السنة» لأبي بكر الخلال (258/1-259) ، وانظر «الإبانة» (61/3).

⁶ هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، صاحب أبي حنيفة وأبي يوسف ، فقيه العراق ، روى عن أبي حنيفة ومالك بن أنس والأوزاعي ، أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا ، واستفاد منه أحمد ومالك ، ولي القضاء ، وتوفي سنة 189 ، انظر «سير أعلام النبلاء» (134/9).

ﷺ وفارق الجماعة ، فإنهم لم يصفوا ولم يُفسروا ، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم¹ فقد فارق الجماعة ، لأنه قد وصفه بصفة لا شيء².

أقوال الشافعية

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: آمنت بكلام الله على مراد الله ، وآمنت بكلام رسول الله على مراد رسول الله.³

وروى الخطيب البغدادي الشافعي⁴ في «الكفاية» بإسناده إلى الشافعي أنه قال: الأصل قرآن وسنة ، فإن لم يكن فقياسٌ عليهما ، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصحَّ الإسناد منه فهو سنة.

ثم قال: والخبر المفرد على ظاهره ، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أولاهها به⁵.
"وقال الإمام الشافعي فيما رواه عنه يونس بن عبد الأعلى - وقد سُئِلَ عن صفات الله - فقال:

¹ يقصد الجهم بن صفوان ، مؤسس مذهب الجهمية ، وبئس المذهب والمؤسس.

² «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (480/3).

³ ذكره عبد الله بن أحمد بن قدامة (620 هـ) في كتابه «ذم التأويل» (ص 222 ، 256) ، ويقع ضمن مجموع يجوي ثلاث كتب (لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، إثبات صفة العلو ، ذم التأويل) ، بتحقيق بدر بن عبد الله البدر ، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت.

⁴ هو الحافظ الكبير الإمام محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، مات سنة 412 هـ. انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (221/3).

⁵ أي إذا احتمل الخبر عدة معاني فإن أولاهها بأن يفسر به هو المعنى الظاهر المتبادر القريب للذهن.

⁶ رواه الخطيب في «الكفاية في علوم الرواية» (564/2-565) ، الناشر: دار الهدى - مصر.

لله أسماء وصفات لا يَسَعُ أحدا قامت عليه الحجة ردّها ، لأن القرآن نزل بها ، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر ، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبير فمعدور بالجهل ، لأن علم ذلك لا يُدرك بالعقل ، ولا بالرؤية والفكر¹ .
وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: أما الكلام في الصفات ؛ فأما ما رُوي منها في السنن الصّحاح فمذهب السلف إثباتها ، وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيف والتشبيه عنها ، والأصل في هذا أن الكلام في الصّفات فرغ عن الكلام في الدّات ، ونحتدي في ذلك حدّوه ومثاله ، وإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ؛ فكذلك إثبات صفاته ، فإنما هو إثبات وجود ، لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا: يدٌ وسمعٌ وبصرٌ ؛ فإنما هو إثبات صفاتٍ أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إنّ معنى اليد القُدرة ، ولا نقول إنّ معنى السمع والبصر ؛ العلم ، ولا نقول إنّها جوارح وأدوات الفعل ، ونقول: إنّما وَجِبَ إثباتها لأنّ التوقيف² وَرَدَ بها ، وَوَجِبَ نفي التشبيه عنها ، لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾³ ، وقوله ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾⁴ .

¹ هكذا بنصه من كتاب «الأربعين في صفات رب العالمين» للذهبي ، ص 84 ، تحقيق: عبد القادر بن محمد عطا ، الناشر:

مكتبة العلوم والحكم - المدينة ، سنة 1413 .

² أي الأدلة الشرعية التي يجب الوقوف عندها.

³ سورة الشورى: 11 .

⁴ رواه الذهبي بإسناده عنه كما في كتاب «العرش» له (148 - 149).

وقال الإمام البغوي الشافعي¹ رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَعِنَا بِمَا قَالُوا بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾²: قال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفَ .

وقال شمس الدين الذهبي الشافعي رحمه الله في مقدمة كتابه «العلو للعزیز الغفار»: فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف فقف مع نصوص القرآن والسنة ، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات ، وما حكوه من مذاهب السلف ، فإما أن تنطق بعلم ، وإما أن تسكت بحلم .

وَدَعِ الْجِرَاءَ وَالْجِدَالَ فَإِنَّ الْجِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ كَفْرٌ ، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ³ .

¹ هو الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة ، أبو الحسين ، الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي ، الشافعي المفسر ، صاحب التصانيف ، كـ «شرح السنة» في الحديث ، و «معالم التنزيل» في التفسير ، توفي سنة 516 . انظر ترجمته في «السير» (439/19) .

² سورة المائدة: 64 .

³ رواه أبو داود (4603) وأحمد (258/2) بلفظ (جدال في القرآن كفر) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحكم عليه الألباني بأنه حسن صحيح ، وانظر «الصحيحة» (546/5) و «المشكاة» (79/1) .
ورواه أحمد (300/2) عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ أطول: نزل القرآن على سبعة أحرف ، الجراء في القرآن كفر - ثلاث مرات - ... الحديث .

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي حفظه الله في شرحه لهذا الحديث:

ومعنى الحديث أن الجدال بالقرآن من الأعمال الكفرية ، فلا يجوز للإنسان أن يجادل في القرآن ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكِ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ .

فلا يجوز المراء والجدال في القرآن ، فقد يكون كفرا أكبر ، وقد يكون كفرا أصغر ، بحسب قصد فاعله ، فإن جادل في آيات الله على وجه التعنت والعناد والإنكار لما دلت عليه يكون كفرا أكبر ، وإن كان جداله دون ذلك يكون كفرا أصغر . انتهى «الإعانة على تقريب الشرح والإبانة ، حديث: «المراء في القرآن كفر» ، باختصار يسير .

وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية ، جمع الله قلوبنا على التقوى ، فإننا على أصلٍ صحيحٍ وعقدٍ متينٍ من أن الله تقدّس اسمه لا مثل له ، وأن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة ، إذ الصفات تابعة للموصوف ، فنعقل وجود الباري ونميز ذاته المقدسة عن الأشباه من غير أن نتعقّل الماهية.

فكذلك القول في صفاته ؛ نؤمن بها ، ونعقل وجودها ، ونعلمها في الجملة ، من غير أن نتعقلها أو نشبهها أو نكيفها أو نمثلها بصفات خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.¹ اهـ.
وقال الإمام الحافظ أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي² رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾³:

وأما قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح ؛ مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المُشَبِّهين منفي عن الله ، لا يُشَبِّهُهُ شيء من خلقه ، و ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ ، بل الأمر كما قال

¹ انظر (101/1 ، 183) ، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي ، ط 2 ، الناشر: دار الراجية - الرياض.

² هو عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، البُصروي الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في مطلع القرن الثامن ، درس على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبرز في الفقه والتفسير والنحو والتاريخ ، له تصانيف مفيدة ، أشهرها كتابه «تفسير القرآن العظيم» ، وكتاب «البداية والنهاية» في التاريخ ، توفي سنة 774 .

انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حجر ، و «شذرات الذهب» لابن العماد ، و «البدر الطالع» للشوكاني ، رحمهم الله.

³ سورة الأعراف: 54 .

الأئمة ، منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي¹ - شيخ البخاري - قال: (من شبَّه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه) ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصريحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص ؛ فقد سلك سبيل الهدى. انتهى كلامه رحمه الله.

قلت: وانظر ما قاله إمام الشافعية في وقته الإمام قَوَّام السنة ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني² رحمه الله في كتابه «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة»³.

أقوال الحنابلة

قال الخلال في كتاب «السنة»: حدثنا أبو بكر المرؤذي رحمه الله قال:
سألت أبا عبد الله⁴ عن الأحاديث التي تزُدُّها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء⁵ وقصة

¹ هو الإمام العلامة الحافظ الفرضي صاحب التصانيف ، حدَّث عن جماعة منهم عبد الله بن المبارك ، وروى عنه جماعة منهم البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، قال الذهبي: كان من كبار أوعية العلم.
انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (595/10) و «تذكرة الحفاظ» (6/2).

² هو الإمام الحافظ أبو القاسم ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، أحد أئمة الشافعية وحفاظ الحديث ونقادهم ، مات سنة 535 . انظر ترجمته في «السير» (80/20).

والذي وصفه بأنه إمام الشافعية في وقته الإمام ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» ، ص 268 ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

³ (101/1 ، 183 ، 188 - 190) ، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي ، الناشر: دار الراجعية - الرياض.

⁴ يعني الإمام أحمد.

⁵ الجهمية تنكر حديث عروج النبي ﷺ بجسده وروحه إلى السماء بقطعة ، والذي ورد في قصة الإسراء ، قالوا: (عُرج بروحه دون جسده) ، ليفرُّوا بذلك من القول بعلو الرب عز وجل بظنهم ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وحديث المعراج مخرج في

العرش¹ ، فصَحَّحها أبو عبد الله وقال: قد تَلَقَّتها العلماء بالقبول ، نُسِّلَم الأخبأر كما جاءت. فقلت له: إن رجلا اعترض في بعض هذه الأخبأر كما جاءت. فقال: يُجفَى².

وقال: ما اعترضه في هذا الموضع؟ يُسَلَّم الأخبأر كما جاءت³. وقال حنبل⁴: سمعت أبا عبد الله يقول: قال النبي ﷺ: (يضع قدمه)⁵ ، نؤمن به ، ولا نرُد على رسول الله ﷺ ما قال ، بل نؤمن بالله وبما جاء به الرسول ، قال الله عز وجل ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^{6,7}. وقال العلامة ابن القيم⁸ رحمه الله ما مُحَصَّلُهُ أن الصحابة اختلفوا في تأويل بعض الآيات ، وذكر أمثلة على ذلك ، ثم قال: ولم يتنازعا في تأويل آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد ، بل

البخاري (3207) ومسلم (163) ، وانظر «بيان تلبيس الجهمية» (116/6) لابن تيمية رحمه الله ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة.

¹ الجهمية تؤول النصوص الواردة في ثبوت العرش واستواء الله عليه وتقول إن الله في كل مكان ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.
² أي يُهجر.

³ «السنة» لأبي بكر الخلال (246/1-247).

⁴ هو حنبل بن إسحاق بن حنبل ، ابن عم الإمام أحمد ، رحمه الله ، انظر ترجمته في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى الفراء (383/1).

⁵ انظر صحيح البخاري (7384) ومسلم (2848) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

⁶ سورة الحشر: 7 .

⁷ «طبقات الحنابلة» (386/1).

⁸ هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة 728 ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة 751 ، كان واسع المعرفة ، قوي الحججة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة

اتفقت كلمتهم وكلمة التابعين بعدهم على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها ، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا ، وأن العناية ببيانها أهم ، لأنها من تمام تحقيق الشهادتين ، وإثباتها من لوازم التوحيد ، فبينها الله ورسوله بيانا شافيا لا يقع فيه لبس ولا إشكال يُوقِعُ الراسخين في العلم في منازعة ولا اشتباه.

ومن شرح الله لها صدره ، ونور لها قلبه ؛ يعلم أن دلالتها على معانيها أظهر من دلالة كثير من آيات الأحكام على معانيها ، ولهذا آيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس ، وأما آيات الأسماء والصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام ، أعني فهم أصل المعنى ، لا فهم الكُنْهِ والكيفية ، ولهذا أشكل على بعض الصحابة¹ قوله تعالى ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾² حتى يُبين لهم بقوله ﴿من الفجر﴾ ، ولم يُشكِلْ عليه³ ولا على غيره قوله ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾⁴ الآية ، وأمثالها من آيات الصفات.

وأیضا فإن بعض آيات الأحكام مجملة عُرفَ ببيانها بالسُّنَّة كقوله تعالى ﴿فقدية من صيام أو صدقة أو نسل﴾⁵ ، فهذا مُحملٌ في قدر الصيام والإطعام ، فبيَّنته السُّنَّةُ بأنه صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة ، ونظائره كثيرة كآية السرقة وآية الصلاة وآية والحج.

واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفًا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

¹ يعني عدي بن حاتم رضي الله عنه.

² سورة البقرة: 187 .

³ يعني عديا ، الصحابي نفسه.

⁴ سورة البقرة: 186 .

⁵ سورة البقرة: 196 .

وليس في آيات الصفات وأحاديثها مُجملٌ يحتاج إلى بيان من خارج ، بل بيانها فيها ، وإن جاءت السنة بزيادة في البيان والتفصيل.

فلم تكن آيات الصفات جملة محتملة ، لا يفهم المراد منها إلا بالسنة ، بخلاف آيات الأحكام.¹ انتهى.

وقال أيضا رحمه الله في «إعلام الموقعين»: فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي: وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأمة إيمانًا ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم ، لم يسؤموها² تأويلًا ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلًا ، ولم يبدؤوا لشيء منها إبطالًا ، ولا ضربوا لها أمثالًا ، ولم يدفعوا في صدورهم وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم: (يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها) ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم ، وجعلوا الأمر فيها كملها أمرًا واحدًا ، وأجروها على سنن واحد³ ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع ، حيث جعلوها عريضين⁴ ، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين ، مع أن اللزيم لهم فيما أنكروه كاللزام فيما أقروا به وأثبتوه.⁵

¹ «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة» (210/1 - 212) باختصار.

² السؤم هو تجشم إنسان مشقة أو ظلما ، كما قال تعالى ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ ، فسوم الأسماء والصفات تأويلا - كما في السياق هنا - أي ظلمها بذلك التأويل ، وغمطها حقها الشرعي وهو إمرارها كما جاءت.

³ أي طريقة واحدة.

⁴ عريضين أي مفرقة ، تفرق كلامهم فيها واختلف.

⁵ (91/2) ، تحقيق مشهور حسن سلمان ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي¹ رحمه الله في «الصَّارم المنكي»: ولا يجوز إحداث تأويل في آيةٍ أو سُنَّةٍ لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بيّنوه للأمة ، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وصلوا عنه ، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر² ، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه؟³ ولما كان إثبات الصفات كما جاءت هو طريق الصحابة ؛ لم يختلفوا رضي الله عنهم في شيء منها ، بخلاف من أتى بعدهم من أهل التحريف والتمثيل وغيره من المسالك المعوجّة.

أقوال المالكية

روى الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الأندلسي رحمه الله بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله⁴ قال: لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن ، ولا يُشَبَّه يديه بشيء ، ولا وجهه بشيء ، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن ، وله وجه كما وصف نفسه ، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب ، فإنه تبارك وتعالى لا مثل له ولا شبيهه ،

¹ هو الإمام العلامة محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي ، من تلامذة جمال الدين المزي وشيخ الاسلام ابن تيمية والذهبي ، قال الذهبي: (ما اجتمعت به قط إلا واستفدت منه رحمه الله تعالى). عني بالحديث وفنونه ، عدّ له ابن رجب في ترجمته في كتاب «ذيل طبقات الحنابلة» ما يزيد على سبعين مصنفا ، توفي سنة 744 وعمره أربعون سنة أو أقل.

انظر ترجمته في آخر كتاب «تذكرة الحفاظ» للذهبي ووصفه هناك بالإمام الأوحى ، و«ذيل تذكرة الحفاظ» لمحمد بن علي الحسيني ، ص 32 ، و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر ، و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي ، (115/5) ، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض .

² أي الذي جاء في القرون المتأخرة ، التي تلت القرون الثلاثة المفضلة.

³ ص 321 ، الناشر: دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

⁴ هو الإمام عبد الرحمن بن القاسم ، قال عنه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (1149/4): أحد الأعلام ، وأكبر أصحاب مالك القائلين بمذهبه ... توفي سنة إحدى وتسعين ومئة. انتهى.

ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه ، ويداه مبسوطتان كما وصفها ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾¹ كما وصف نفسه.²
وقال الإمام أبو عمرو الداني³ رحمه الله بعدما روى عن مكحول والزهري قولهما في الصفات: (أمرَّ الأحاديث كما جاءت) ، قال:

وهذا دين الأمة ، وقولُ أهل السنة في هذه الصفات أن تُمرَّ كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ، فمن تجاوز المرويَّ فيها وكَيَّف شيئاً منها ومثَّلها بشيءٍ من جوارحنا وآلاتنا فقد ضلَّ واعتدى ، وابتدع في الدين ما ليس منه ، وخرقَ إجماع المسلمين ، وفارق أئمة الدين.⁴

وقال حافظ المغرب أبو عمر ، ابن عبد البر⁵ المالكي رحمه الله: ليس في الاعتقاد كَلِّه في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صحَّح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة ، وما

¹ سورة الزمر: 67 .

² «أصول السنة» ، ص 42 ، تحقيق أحمد بن علي القفيلي ، الناشر: دار الفرقان - مصر .

³ هو الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي القرطبي الداني ، كان أحد الأئمة في علم القراءات ، وله عدة تواليف ، وله كتاب «الأرجوزة في أصول السنة» في نحو ثلاثة آلاف بيت ، قال الذهبي: بلغني أن مصنفاته مئة وعشرون تصنيفاً. مات رحمه الله سنة 444 ، انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (212/3) ، و «تاريخ الإسلام» (659/9) ، و «معرفة القراء الكبار» كلها للذهبي.

⁴ «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات» ، 56 - 59 .

⁵ هو شيخ الإسلام ، حافظ المغرب ، أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التَّمَرِي ، الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، محدث فقيه ، صاحب التصانيف الفائقة ، أشهرها كتاب «التمهيد» في شرح أحاديث موطأ مالك ، وكتاب «الاستدكار» في شرح آثاره ، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ، و «جامع بيان العلم وفضله» ، له رواية للحديث النبوي ، توفي سنة 463 ، انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (217/3).

جاء من أخبار الآحاد في ذلك - كَلِّه أو نحوِه - يُسَلِّمُ له¹ ولا يُنَاطِرُ² فيه.
ثم روى بسنده عن الأوزاعي قال: كان مكحول³ والزُّهري⁴ يقولان: أَرُوْا هذه الأحاديث كما
جاءت ، ولا تُنَاطِرُوا فيها.
قال أبو عمر⁵: نحو حديث التنزل ، وحديث: إن الله عز وجل خلق آدم على صورته ، وأنه يُدخِلُ
قدمه في جهنم ، وأنه يضع السماوات على إصبع ، وأن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع
الرحمن ، يُقَلِّبُها كيف يشاء ، وإن ربكم ليس بأعور ، وما كان مثل هذه الأحاديث.⁶
وقال الإمام محمد بن أحمد القرطبي المالكي⁷ رحمه الله:

فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ؛ فكذلك إثبات
صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا: (يد وسمع وبصر ونحوها) ؛ فإنما

¹ أي يُسَلِّمُ للخبر ، فأخبار آحاد الناس مقبولة إن صحت.

² المناظرة هي المناقشة بين طرفين ، فقوله (لا يُنَاطِرُ فيه) أي لا تُجعل صفات الله تعالى عُرضَةً للمناقشة والجدل ، بل الواجب هو التسليم لمعناها الظاهر وإمرارها كما جاءت.

³ هو عالم أهل الشام ، أبو عبد الله مكحول بن أبي مسلم الهذلي ، الفقيه الحافظ ، مات سنة 113 . انظر «تذكرة الحفاظ» (82/1).

⁴ هو أعلم الحفاظ ، أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، مات سنة 124 ، وقيل غير ذلك. انظر «تذكرة الحفاظ» (83/1).

⁵ أبو عمر هي كنية ابن عبد البر رحمه الله.

⁶ «جامع بيان العلم وفضله» ، باب ما يكره فيه المناظرة.

⁷ «إمام متفنن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله ، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان ، وهو كامل في معناه ، وله كتاب «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» ، وكتاب «التذكرة» وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه». انتهى باختصار يسير من «تاريخ الإسلام» للذهبي (229/15 - 230). توفي رحمه الله سنة 671 هـ.

هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ، لا نقول (إن معنى اليد: القوة والنعمة) ، ولا (معنى السمع والبصر: العلم) ، ولا نقول: (إنها جوارح وأدوات الفعل) ، ذهب إلى القول بهذا جماعة من الأئمة ، فلم يتأولوا ، وكذلك جميع الصفات أجروها على ظاهرها ، ونفوا الكيفية والتشبيه عنها.¹ قلت: وانظر ما قاله الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي² رحمه الله وهو من متأخري المالكية ، فقد قرر ما قرره أسلافه ، ولولا خشية الإطالة لنقلنا كلامه ، ولذا نكتفي بالإحالة على ما قرره في هذا الباب.³

¹ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (10/2) ، باختصار يسير. الناشر: دار الصحابة للتراث - طنطا.

² هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظه نادرة ، وذو بصيرة بمذاهب المتكلمين ووجوه بطلانها ، انظر ما قاله رحمه الله عند تفسير الآية 54 من سورة الأعراف.

وللشيخ نحو عشرين كتابا ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها ذكرا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام 1393 هـ.

باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

³ انظر المراجع التالية:

1. «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» ، وقد طبع عدة طبعات.
2. كتابه «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» ، تفسير سورة الأعراف: الآية 54 .
3. كتابه «منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز» ، فصل: (بيان معنى الحقيقة في آيات الصفات) ، وهو مطبوع مع كتابه «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» ، ضمن مجموع مؤلفاته الموسومة: (آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي) ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

خلاصة

خلاصة ما تقدم من التقريرات العلمية أن أهل السنة يفهمون صفات الله تعالى كما فهمها النبي ﷺ وصحابته والتابعون ، أصحاب القرون الثلاثة الأولى ، من غير غلو ولا جفاء ، فلا يُغالون في إثبات الصفات بتمثيلها بصفات المخلوقين ، ولا يقفون من صفات الرب موقف الجفاء بنفي حقائقها ومعانيها كما فعلت الجهمية ، بل يقفون موقفاً وسطاً ، فيؤمنون مثلاً بمجيء الرب يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد بحسب معنى المجيء المفهوم في اللغة العربية التي خاطبهم الله بها ، ويؤمنون به ، ولكنهم لا يُمثّلونه على نحو معين ، وذلك لسببين ؛ الأول: أن كيفية صفات الرب من الغيب الذي أحفاه الله عنا ، وما كان من الغيب فتصوّره في الذهن من العبث.

والثاني أن أهل السنة يؤمنون أن الله ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، والمثلية تعم ذاته وصفاته ، فإذا كان الأمر كذلك فادعاء علم كيفية صفاته من الكذب والقول على الله بغير علم ، حمانا الله من ذلك.

فصل في بيان الواجب الثاني في أسماء الله وصفاته

أما الأمر الثاني الواجب في أسماء الله وصفاته فهو التّوقف في إثبات الأسماء والصفات على ما جاء في الكتاب والسنة¹ ، وعدم اختراع أسماء وصفات لله لم ترد فيهما ، وهذا هو هدي السلف رحمهم الله ، قال الإمام أحمد: لا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل.²

¹ ما تقدم ذكره هو الأمر الأول الواجب في أسماء الله وصفاته ، وهو: فهمها كما جاءت ، كما تقدمت الإشارة إليه في أول هذا القسم من الكتاب ، ومن هنا يبدأ الكلام في الأمر الثاني الواجب في أسماء الله وصفاته.

² رواه القاضي أبو يعلى عنه في «طبقات الحنابلة» (386/1) في ترجمة حنبل بن إسحاق.

وقال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير¹: الحمد لله الذي مِنَ الإيمانِ به الجهلُ بغيرِ ما وصفَ مِنْ نفسه.

ثم أخذه عنه عبد العزيز بن الماجشون² ، ثم أخذه عنه سَحْنون³.
وقال ابن عبد البر المالكي رحمه الله:

ألا ترى أنا نقول: له عرش ، ولا نقول: له سرير ، ومعناهما واحد.
ونقول: هو الحكيم ، ولا نقول: هو العاقل.

¹ هو الإمام القدوة الحجة مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير العامري البصري ، أحد الأعلام ، حدَّث عن عثمان وعلي وأبي ذر وأبيه وعمار بن ياسر وعمران بن حصين وعائشة وعياض بن حمار وعبد الله بن مغفل رضي الله عنهم .
انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (1172/2) ، و «السير» (187/4) ، كلاهما للذهبي رحمه الله .
وقال ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (72/7): كان ثقةً ، له فضل وورعٌ وروايةٌ وعقلٌ وأدب .
² هو الإمام العلم الفقيه ، عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون ، من أقران الإمام مالك ، قال ابن وهب: حججت مرة فسمعت منادٍ ينادي: لا يفتي إلا مالك وعبد العزيز بن الماجشون". توفي رحمه الله سنة 164 . انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (163/1).

³ سحنون بفتح السين وضمها هو الإمام العلامة فقيه المغرب ، عبد السلام بن حبيب التَّنُوخي المالكي ، قاضي القيروان ، ساد أهل المغرب في تحرير المذهب المالكي ، وانتهت إليه رئاسة العلم . من أعظم آثاره العلمية كتاب «المدونة» ، والتي دَوَّنَ فيها أسئلة أسد بن الفرات لابن القاسم المالكي ، شيخ سحنون . توفي رحمه الله سنة 240 هـ . انظر ترجمته في «السير» (63/12).

⁴ قال ابن عبد البر في «التمهيد» (136/6): قال سحنون: من العلم بالله ؛ الجهل بما لم يُخبر به عن نفسه .
وذكره ابن قدامة المقدسي الحنبلي عنه في «ذم التأويل» ، ص 263 .
وهذا الكلام أخذه سحنون عن ابن الماجشون ، قال: أخبرني الثقة عن الثقة عن الحسن بن أبي الحسن قال: لقد تكلم مُطَرِّف ابن عبد الله بن الشخير على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده .
قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟

قال: قال: الحمد لله الذي من الإيمان به الجهل بغير ما وصف من نفسه .
انتهى كلام ابن عبد البر رحمه الله من «التمهيد» من كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (146/7) من ط المغربية .

ونقول: خليل إبراهيم ، ولا نقول: صديق إبراهيم ، وإن كان المعنى في ذلك كله واحدا.
لا نُسَمِّيهِ ولا نَصِفُهُ ولا نُطَلِّقُ عَلَيْهِ إِلَّا مَا سَمَّى بِهِ نَفْسَهُ ، على ما تقدم ذِكرنا له من وَصْفِهِ
لنفسه لا شريك له ، ولا نَدْفَعُ ما وصف به نفسه ، لأنه دَفَعُ للقرآن^{1.2}.

¹ أي ردُّ للقرآن.

² «التمهيد» (129/6) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (136/7) من ط المغربية.

فصل في بيان ما ينافي الإيمان بأسماء الله وصفاته

مقدمة

ضِدُّ الإيمان بأسماء الله وصفاته الإلحادُ فيها ، قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾¹.

والإلحاد في اللغة هو الميل ، ومنه سُمِّي اللَّحْدُ في القبر لحدا ، لأنه مائل إلى جانب القبر ، فالإلحاد في أسماء الله وصفاته هو الميل فيها عما يجب فيها من الحقوق² ، وهو منافٍ للإيمان بأسماء الله وصفاته ، ومن القول على الله بلا علم ، ومن البدع الكلامية التي اشتد نكير السلف الصالح وأتباعهم على القائلين بها ، ومن المعاصي التي توعدها الله فاعليها بالعذاب عيادا بالله كما في الآية المتقدمة ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾.

والإلحاد أنواع ثمانية ، نذكرها على سبيل السرد ، ثم نشرح كل واحدٍ منها بما يسر الله تعالى:

الأول: التعطيل

الثاني: التمثيل

الثالث: التكييف

الرابع: التحريف

الخامس: التفويض

¹ سورة الأعراف: 180 .

² تقدم في أول هذا البحث ذكر أن الواجب في أسماء الله تعالى وصفاته أمران: الأول: فهمها كما جاءت ، والثاني: الوقوف على الوارد منها.

السادس: تسمية الله بما لم يُسَمَّ به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ ، أو وصفه بما لم يصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .

السابع: إنكار أن يكون لله أسماء

الثامن: اشتقاق أسماء للمعبودات الباطلة من أسماء الله الحسنى

فصل

قبل الدخول في شرح أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته ؛ فإنه يحسن التنبيه إلى أن هذه الأنواع الثمانية أو أكثرها ليست إلا منتجات ما يسمى بعلم الكلام ، وهو العلم الذي يبحث في ذات الله وصفاته على طريقة الفلاسفة ومنتجات عقول البشر ، وليس من منطلق فهم السلف الصالح ، الذي قاعدته التسليم للكتاب والسنة ، وفهم النبي ﷺ وصحابته لآيات الصفات.

فعلم الكلام يدور على إثبات أمور العقائد بالأدلة العقلية والطرق الجدلية مع الإعراض عما في القرآن والسنة من الأدلة النقلية الدالة على أصول الدين.

ولا شك أن من قدم العقل على الشرع ، واستغنى بفهمه وعقله عن فهم النبي ﷺ وصحابته فإنه ضال ، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل¹.

وقال الشافعي رحمه الله: من ارتدى بالكلام لم يُفلح.³

¹ الدغل هو الفساد. انظر «لسان العرب».

² رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (1796).

³ رواه البيهقي بإسناده عن الشافعي في كتابه «مناقب الشافعي» (463/1).

وقال أيضا: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرِبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ ، وَيُحْمَلُوا عَلَى الْإِبِلِ ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعِشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ ، وَيُنَادَى عَلَيْهِمْ: هَذَا جِزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ.¹ قال ابن القيم رحمه الله بعدما نقل كلام الشافعي: وقد اتفقت الأئمة الأربعة على ذم الكلام وأهله ، وكلام الإمام الشافعي ومذهبه فيهم معروف عند جميع أصحابه.² قلتُ: ومما يبين بطلان علم الكلام تراجع بعض أئمته عنه ، فمن ذلك ما قاله إمام الحرمين ، شيخ الشافعية ، أبو المعالي ، عبد الملك بن الإمام عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري³ رحمه الله في مرض موته متراجعا عن المقالات الكلامية التي كان يقول بها: اشهدوا علي أني قد رجعتُ عن كل مقالة تخالف السنة ، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور.

¹ رواه البيهقي بإسناده عن الشافعي في كتابه «مناقب الشافعي» (462/1) ، وابن أبي حاتم الرازي في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص 143) ، وكذا ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (1794).

² «إعلام الموقعين» (220/4) ، فصل: فقهاء المذهب المقلدون - إخراج النصوص عن ظاهرها بالتأويل الفاسد.

³ هو إمام الحرمين ، أبو المعالي ، عبد الملك بن الإمام عبد الله بن يوسف الجويني ، النيسابوري ، شيخ الشافعية في زمانه ، وقع في الاعتزال في أول أمره ، ثم لما أراد الله به خيرا رجع إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، وألف في ذلك كتاب «الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية» ، وله مقالات مشهورة عنه قالها بعد تراجعه عن الاعتزال ، منها قوله: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام) ، أي علم الكلام ، وهو العلم الذي يبحث في ذات الله وصفاته على طريقة الفلاسفة ومنتجات عقول البشر ، وليس من منطلق فهم السلف الصالح ، الذي قاعدته التسليم للكتاب والسنة ، وفهم النبي ﷺ وصحابته ، فهو لا يعدو عن كونه كلام البشر ، فسمي بعلم الكلام ، وهو مذموم بلا شك ، ودرجة الانحراف فيه تتفاوت بحسبه. ومما قاله رحمه الله متراجعا عن المقالات الكلامية ؛ قوله في مرض موته لمن حوله: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة ، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور.

وقال يوما لأصحابه: يا أصحابنا ، لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

توفي رحمه الله سنة 478 ، وقد ترجم له الذهبي في «السير» (468/18).

وقال يوماً لأصحابه: يا أصحابنا ، لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال مرّةً: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام.

وله كلام طويل في تراجعته عن مذهبه الكلامي ذكره في رسالته المعروفة بـ «الرسالة النظامية» ، ونقلها الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»¹.

وكلام السلف في ذم علم الكلام كثير جدا ، وقد ألف شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي كتاباً ضخماً بعنوان «ذم الكلام وأهله» ، فليراجعه من أراد التوسع.

¹ (468/18).

شرح أنواع الإلحاد الثمانية

الأول: التعطيل ، وهو التفرغ ، أي تفرغ الاسم أو الصفة عما دلت عليه من معنى ، لأن معنى التعطيل في اللغة هو التخليّة والترك ، ومنه قوله تعالى ﴿وبئر معطله﴾¹ ، أي متروكة ومهجورة ، وحقيقة التعطيل إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات ، سواء كان تعطيلاً كلياً أو جزئياً ، وسواء كان ذلك بتحريف المعنى أو جحده.

وتعطيل أسماء الرب وصفاته هو منهج الجهمية كما ذكرنا في أول هذا الكتاب ، ولذا يُسمون أيضاً بالمعطلة ، وشبهتهم فيما ذهبوا إليه أنّ إثبات الأسماء والصفات يستلزم تشبيه الله بخلقه ، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: لو كان إثباتها يستلزم التشبيه للزم التناقض في كلام الله ، وتكذيب بعضه بعضاً ، وهذا مُحال ، والحق أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات ، مع نفيه أن يكون كمثلته شيء.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيعين في اسمٍ أو صفةٍ أن يكونا متماثلين ، فأنت ترى الشخصين يتفقان في كون كلٍ منهما سمياً بصيراً متكلماً ، ولا يلزم من ذلك أن يتمثلاً في قُدرات السمع والبصر التي يتمتع بها كل واحد منهما ، وترى الحيوانات لها أيدي وأرجلٌ وأعينٌ ، ولا يلزم من هذا الاتفاق أن تكون أيديها وأرجلها وأعينها متماثلةً في صورها.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء أو صفات ؛ فالتباين بين الخالق والمخلوق أبيضٌ وأعظم.

وما من معطلٍ عطّل صفةً لله تعالى إلا وقع في شرٍّ مما زعم أنه فرّ منه ، فالذين تأولوا نصوص العلو والفوقية والاستواء بدافع تنزيه الله - بزعمهم - من التحيز والحصر ، وقالوا: (هو في كل مكان) ؛

¹ سورة الحج: 45 .

وقعوا في شرٍّ من تنزيههم المزعوم ، وهو ما يلزم من كلامهم من أن الله يحل في أجواف الحيوانات وأماكن الخلاء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.¹

كلمة جامعة في هذا الباب

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» في تفسير قول الله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾²:

وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية ، كالأستواء ، والنزول ، والحياء ، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه ، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ ، فيشبهونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته ، من غير تشبيه ولا تحريف ، خلافا للمعطلة على اختلاف أنواعهم ، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم ممن ينفي هذه الصفات ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان ، بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله ، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصّل به الهداية في هذا الباب ، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي ، بل ولا دليل عقلي ، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة ، ظاهرها بل

¹ انظر للتوسع في معرفة بطلان مقولة الجهمية والمعطلة (إن إثبات الصفات لله يستلزم التشبيه) هذان المصدران:

الأول: «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة» ، الفصل الثامن: في بيان خطئهم في فهمهم من النصوص المعاني الباطلة التي تأولوها لأجلها ، فجمعوا بين التشبيه والتعطيل. وقد رد هذه الشبهة من أحد عشر وجها.

الثاني: ما ذكره الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» ، تفسير سورة محمد ، الآية 24 من عند قوله رحمه الله: وبما ذكرنا يتبين أن من أعظم أسباب الضلال ادعاء أن ظواهر الكتاب والسنة دالة على معان قبيحة ليست بلائقة

² سورة البقرة ، الآية 210 .

صريحها ، دال على مذهب أهل السنة والجماعة ، وأنها تحتاج لدلائلها على مذهبهم الباطل أن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص ، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان .
وأما العقل فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات ، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل ، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال ، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه ، قيل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات ، فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات ، فإِنَّ صفات لا تشبهها الصفات ، فصفاته تبع لذاته ، وصفات خلقه تبع لذواتهم ، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.

ويقال أيضا لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضا ، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إما أن تثبت الجميع كما أثبت الله لنفسه وأثبت رسوله ، وإما أن تنفي الجميع وتكون منكرا لرب العالمين ، وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه فهذا تناقض ، ففرّق بين ما أثبتته وما نفيته ، ولن تجد إلى الفرق سبيلا .

فإن قلت: ما أثبتته لا يقتضي تشبيها ، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيته لا يقتضي تشبيها .
فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيته إلا التشبيه ، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه ، فما أجبت به النفاة أجابك به أهل السنة لما نفيته .
والحاصل أن من نفي شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض ، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي ، بل قد خالف المعقول والمنقول .
انتهى كلامه رحمه الله .

النوع الثاني من أنواع الإلحاد هو التمثيل ، وهو دعوى أن صفات الله - أو بعضها - تُماثل صفات المخلوقين ، وشبهة من ادّعى ذلك أن الله خاطب الناس بما يفهمون ويعقلون ، فإذا وصف الله نفسه بأن له وجها ؛ لزم من ذلك - بزعمهم - أن وجهه كوجه المخلوقين ، بزعمه ، لأن

الوجه هو ما يتعارف الناس عليه ، وأكمل الوجوه وجوه البشر ، فوجه الله كوجه الإنسان ، هكذا قالوا!

وهذا الرَّعْم باطلٌ من أربعة أوجه:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يُبطله الشرع والعقل ، فأما دليل الشرع فقولته تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ، وقوله ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾¹ ، وقوله ﴿هل تعلم له سمياً﴾² ، والسميُّ هو المُسامي أي المماثل ، وقوله ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾³ ، وقوله ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾⁴ ، والنَّدُّ هو النظير والمثيل ، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

وأما دلالة العقل على بطلان مماثلة الخالق للمخلوق فظاهرٌ ، لما بينهما من التباين العظيم ، فالخالقُ مُوجِدٌ والمخلوقُ مُوجَدٌ ، والخالقُ أبديُّ الوجودِ والمخلوقُ فانٍ.

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما حقيقة وكُنْه ذلك المعنى فهو من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، سواء فيما يتعلق بذاته أو صفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع ، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى ، وهو إدراك الأصوات ، لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة ، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات ، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

¹ سورة الشورى ، الآية: 11 .

² سورة مريم ، الآية: 65 .

³ سورة الإخلاص: 4 .

⁴ سورة البقرة ، الآية: 22 .

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه ؛ فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم ، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة ، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق ، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالأستواء على رَحْلٍ¹ بعيرٍ صعبٍ نَقُور ، فإذا تباينت في حق المخلوق ؛ فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الثالث: أن تشبيه الخالق بالمخلوق فيه تنقُصٌ للخالق ، لأن المخلوق ناقص في صفاته كما هو معلوم ، وتَنقُصُ الخالقِ كَفَرٌ عِيَاذاً بالله ، كما هو معلوم.²

الرابع: أن الوجه الوارد في الآية مضاف إلى الله تعالى ، والمضاف يكون بحسب ما أضيف إليه ، فوجه الإنسان يليق بالإنسان ، ووجه الله يليق بالله ، ووجه الهر يليق بالهر ، وهكذا.

فنحن نثبت للإنسان وجهها وللأسد وجهها وللهر وجهها ، ولا يلزم من هذا الإثبات التماثل.

والمنهج الذي يسير عليه أهل السُّنَّة والجماعة - جعلنا الله منهم - إثبات الصفات لله عز وجل بدون مماثلة ، فيقولون: إن الله عز وجل له حياة ولكنها ليست كحياتنا ، فحياة الله كاملة ، ليس لها بداية ولا نهاية ، كما قال تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾³ ، أما المخلوق فحياته محدودة ببداية ونهاية.

وكذلك يصفون الله بالعلم ، ولكنه علمٌ كامل ، لا يعتريه نقُصٌ ولا نسيان كما هو الحال بالنسبة لعلم المخلوقين ، وكذلك يصفونه بأن له يدا ، ولكنها ليست كيد المخلوق ، وهكذا العين والساق والوجه وغيرها من الصفات الواردة في الكتاب والسنة.

¹ الرَّجْلُ هو ما يوضع على ظهر البعير للركوب. انظر «المعجم الوسيط».

² «العلو» رقم 464 ، وكذا ذكره في كتاب «العرش» ص 93 - 94 ، وصححه.

³ سورة الحديد: 3 .

فصل في ذكر بعض ما جاء عن السلف في ذم تشبيه الله بخلقه

الأثر الأول: روى الذهبي بإسناده إلى نُعَيْم بن حماد الخُزاعي - شيخ البخاري - قال: من شبَّه الله بخلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً.¹

وذكره اللالكائي² عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: قال نُعَيْم بن حماد: من شبَّه الله بشيءٍ من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهاً.³

وذكر اللالكائي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: قال إسحاق بن راهويه⁴: من وصَفَ الله فشَبَّه صفاته بصفاتٍ أحدٍ من خلق الله فهو كافر بالله العظيم ، لأنه وصَفَ لصفاته ، إنما هو استسلام لأمر الله ولما سن الرسول ﷺ.⁵

¹ «العلو» رقم 464 ، وخرجه في «سير أعلام النبلاء» (610/10) من طريق آخر ، وذكره في كتاب «العرش» ص 93 - 94 وصححه.

² هو الإمام الحافظ المُجَوَّد ، أبو القاسم ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي ، صنف كتابه المشهور «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم» ، وهو كتاب مصنف بالأسانيد ، توفي رحمه الله سنة 418 . انظر ترجمته في «السير» (419/17).

³ «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ، رقم (936).

⁴ هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهويه المروزي ، ثقة حافظ مجتهد ، مات سنة 38 . انظر ترجمته في «السير» (358/11).

⁵ «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ، رقم (937).

وقد علّق الذهبي رحمه الله على قول نعيم بن حماد المتقدم بقوله:
هذا الكلام حق ، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصفات ، فما يُنكّر الثابت منها من
فَقَّة ، وإنما بغد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان:
تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب ، فما أولها السلف ولا حرّفوا ألفاظها عن مواضعها ، بل آمنوا
بها ، وأمروها كما جاءت.
المقام الثاني: المبالغة في إثباتها ، وتصورها من جنس صفات البشر ، وتشكّلها في الذهن ، فهذا
جهل وضلال ، وإنما الصّفة تابعة للموصوف ، فإذا كان الموصوف عز وجل لم ترّه ، ولا أخبرنا
أحد أنه عايّنه - مع قوله لنا في تنزيهه ﴿ليس كمثله شيء﴾ - ؛ فكيف بقي لأذهاننا مجال في
إثبات كيفية الباري؟ تعالى الله عن ذلك.

فكذلك صفاته المقدسة ، نُقرُّ بها ونعتقد أنها حق ، ولا تُمثّلها أصلا ولا نتشكّلها¹.
الأثر الثاني: قال الترمذي في «سننه»³ لما روى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيريها لأحدكم كما يري أحدكم مُهْرَةً⁴...) ، قال:
وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول
الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا:
قد ثبتت الروايات في هذا ، ويؤمن بها ، ولا يُتوهّم ، ولا يُقال: كيف؟

¹ أي لا نتصورها في الذهن.

² «سير أعلام النبلاء» (610/10-611).

³ رقم (662).

⁴ المُهر هو صغير الخيل.

هكذا رُوي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: (أمرؤها بلا كيف) ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات ، وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضعٍ من كتابه اليد والسمع والبصر ، فتأولت الجهمية هذه الآيات ، ففسروها على غير ما فسّر أهل العلم ، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده ، وقالوا: إن معنى اليد ههنا القوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم¹: إنما يكون التشبيه إذا قال (يُدُّ كَيْدًا)² ، أو: (مثلُ يدٍ) ، أو: (سمعٌ كسمعٍ) ، أو: (مثل سمعٍ) ، فإذا قال: (سمع كسمع) أو (مثل سمعٍ) فهذا التشبيه ، وأما إذا قال كما قال الله تعالى: (يُدُّ وسمعٌ وبصرٌ) ، ولا يقول (كيف) ، ولا يقول: (مثل سمعٍ) ، ولا (كسمعٍ) ؛ فهذا لا يكون تشبيهاً ، وهو كما قال الله تعالى في كتابه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

انتهى كلام الترمذي رحمه الله.

فالحاصل أن تشبيهه الله بخلقه شرك بالله تعالى سواء كان ذلك في أسمائه الخاصة به كالتسمية بالله أو الرحمن ، أو في صفاته ، كوصف بعض المخلوقين بعلم الغيب ، وأما من تسمى بأسماء مشتركة بين الله وبين خلقه ، أو وصف المخلوقين بأوصاف مشتركة بين الله وبين خلقه ، كالرحيم والجميل ونحوها ، فهذا جائز ، لأن الله تعالى قد جعلها مشتركة.

¹ هو ابن راهويه ، الإمام المعروف.

² أي: يدُ الله كيد كذا من المخلوقين.

وبكل حال فالواجب هو إفراد الله بصفات الكمال على الوجه اللائق به ، ووصف المخلوق بصفاته على وجه النقص اللائق به.

فائدة: ذكر الشيخ ابن عثيمين¹ رحمه الله في شرحه على «العقيدة الواسطية»² بعض الأحاديث التي يوهم ظاهرها التشبيه ، وأجاب عنها ، فليرجع إليها من أراد الاستفادة.

¹ هو الشيخ الأصولي الفقيه المفسر محمد بن صالح بن عثيمين ، من علماء القرن الخامس عشر الهجري ، برز في العقيدة والفقه والتفسير ، نفع الله به الناس في زمانه نفعا عظيما ، وانتشر علمه في الآفاق ، سواء منه ما كان مسجلا على الأشرطة أو ما كان مدونا في الكتب ، له طلبه كثير ، جُمعت فتاواه ورسائله فوفقت إلى حين كتابة هذه الأسطر في 29 مجلدا ، وبعد وفاته استؤجرت قناة فضائية لبث علمه ، فتضاعف انتشار علمه على ما كان في حياته ، وهذا من دلائل إخلاصه ، نحسبه كذلك والله حسيبه ، والله يوتي فضله من يشاء.

انظر ترجمته في كتاب «ابن عثيمين الإمام الزاهد» للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

² (105/1 - 110)

النوع الثالث من أنواع الإلحاد: التكيف

مقدمة

الصفات من حيث معناها الكلي في الذهن معناها واحد ، فالسمع مثلا هو إدراك الأصوات ، والبصر هو إدراك المرئيات ، والعلم هو إدراك المعلومات ، وهَلْمَ جَرًّا ، لكن هذه الصفات إذا أضيفت إلى الذوات فإن كیفيتها تختلف بحسب من أضيفت إليه ، فالسمع يتفاوت بين المخلوقين ، فبعض المخلوقات مرهفة السمع جدا كالغزال ، وبعضها أقل منه كبني آدم ، فالمقدرة على إدراك الأصوات تتفاوت بين أصناف المخلوقات تفاوتًا نسبيًا ، وهو في حقها غير كامل بكل حال ، فليس أحد من المخلوقات يسمع كل ما يدور في الكون قطعًا.

أما الله تعالى فإنه سميع ، والسمع في حقه كامل ، فهو يسمع كل شيء ، يسمع كل ما يدور في الكون ، يسمع السِّرَّ وأخفى ، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، فكيفية السمع في حق الله كاملة ، وفي حق المخلوقين ناقصة.

وعودا على بدء ؛ فأصل معنى السمع مشترك بين الله وبين خلقه ، وهو إدراك الأصوات ، أما كیفيته فتختلف بحسب من أضيفت إليه ، ففي حق المخلوق الناقص فإن السمع محدود ، لأن المخلوق ناقص أصلا في خلقته وفي صفاته ، أما الله تعالى فإن سمعه كامل ، لأن الله كامل في صفاته أصلا ، فسمع المخلوق كما يليق به ، وسمع الخالق كما يليق به ، وقس على ذلك باقي الصفات.¹

¹ استغدت هذه المقدمة من كتاب «الآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» (498/1) للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله.

تعريف التكييف وبيان حكمه

التكييف هو ادعاء معرفة كيفية الصفة من صفات الله تعالى ، أو تشكيّلها وتقديرها بالذهن ، كتصور صفة المجيء والاستواء والنزول والكلام لله تعالى على نحو معين ، فهذا المسلك في فهم الصفات محرم ، لأنه ضربٌ بالغيب ، ودليل التحريم سمعي وعقلي ، فأما الدليل السمعي فقوله تعالى ﴿ولا يحيطون به علماً﴾¹ ، ففي هذه الآية الكريمة قطع الله الطمع عن إدراك كيفية صفاته . وقال تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾² .

ولا يُفهم من تحريم تكييف صفات الله أن ليس لها كيفية ، حاشا لله ، بل لها كيفية ، ولكن البشر يجهلونها لأنها من الغيب ، وليس المراد نفي الكيفية مطلقاً . فمن كَيّفَ صفةً من صفات الله فقد كَذَبَ على الله ، وقال عليه ما لا يعلم ، لأنه ادعى الاطلاع على أمر غيبي في حين أنه لم يطلّع عليه في حقيقة الأمر . وقد تقدم في أول الكلام على الإيمان بأسماء الله وصفاته ذكر بعض أقوال السلف الصالح رضوان الله عنهم في ذم التكييف ، وبيان أنه منهج مبتدع ، منافي للإيمان بأسماء الله وصفاته ، وسيأتي إن شاء الله بيان مزيد منها .

أما الدليل العقلي لامتناع التكييف فإنه لا يمكن لأي إنسان أن يعرف كيفية الشيء إلا بأحد أمور ثلاثة ؛ بمشاهدته أو مشاهدة نظيره أو الخبر الصادق عنه ، فإذا لم يتمكن من واحدة منها فلا سبيل إلى العلم بكيفيتها .

¹ سورة طه: 110 .

² سورة الإسراء: 36 .

فلو أن رجلا شاهد آلة وهي تعمل ؛ فإنه سيعرف كيفية عملها لأنه شاهد ذلك بعينه. ولو أنه شاهد نظيرة تلك الآلة ومثيلتها لعرف كيفية الآلة الأولى ، لأنه شاهد مثيلتها ونظيرتها. ولو أن رجلا صادقا قال له: عندي آلة صفتها كذا وكذا ، وذكر من أوصافها كما لو أنه يراها رأي عين ؛ لعلم كيفية تلك الآلة.

فإذا حاولنا تطبيق هذه القاعدة العقلية على صفات الله عز وجل فإننا نجد أنه لا يمكن معرفة صفات الله بهذه الوسائل الثلاثة ، لأننا لم نشاهد صفاته ، ولم نر مثيلها ، ولم نُخبر عن كيفيتها ، فمن أين سنعرف كيفية تلك الصفات إدا؟!!

ومما يدل على بطلان التكييف عقلا ؛ أن ادعاء ذلك سيؤدي إلى اضطراب عظيم ، لأن كل إنسان سيُدعي معرفة كيفية صفة من صفات الله على غير دعوى الآخر ، لأنه ليس هناك ضابط يضبط تصورهم لتصور تلك الصفة على طريقة واحدة ، لكون دعاواهم ما هي إلا نتاج عقول بشرية قاصرة وفرضيات ذهنية ودعاوى غيبية ، ولا يسلم من هذا كله إلا من سلّم أمره لله ، ووقف عند ما أمر بالإيمان به ، وتَرَكَ الخوض والمرء¹ في الدين.

وثمة وجه آخر ، وهو أننا قد أمرنا بأن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالجنة ونعيمها ، وبالنار وجحيمها ، مع كونه من المعلوم أنا لا نُحيط علما بكيفية كل شيء منها ، فلسنا نعلم كيفية الملائكة ، ولا كيفية الأنبياء ، ولا كيفية الجنة ، كما قال تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ ، وقال النبي ﷺ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

¹ الجراء هو الجدال على مذهب الشك والريبة ، وقد خص ابن الأثير الجراء المذموم بالكلام في القدر وما تضمنه كلام أهل الكلام من الخوض في صفات الرب عز وجل ، أما الكلام في الأحكام والحلال والحرام فجائز ، إذ قد ورد عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم. انظر «النهاية» ، مادة: مرا.

كذلك فإننا لا نعلم صفة النار وهكذا ، وما ذاك إلا لأننا كُلفنا بالإيمان بها على سبيل الإجمال ، ولم نؤمر بالخوض في كيفية التفاصيل ، ولم يكن ذلك قادحا في الإيمان بهم ، فكذلك الأمر بالنسبة لأسماء الله تعالى وصفاته.¹

ولما كان التكييف مسلكا باطلا ، وضربا بالغيب ؛ قال ابن القيم رحمه الله إن التكييف يترتب عليه ثلاثة محاذير ؛ نفي الحقيقة ، وإثبات التكييف بالتأويل ، وتعطيل الرب عن صفته التي أثبتها لنفسه.²

وصدق رحمه الله ، فمن كَيَّف صفة من صفات الرب على نحو معين فقد نفى عن الله كيفية صفته الحقيقية بإثباته له كيفية من عنده.

كذلك فإنه أوَّل صفة الرب الحقيقية - أي حرَّفها - بإثباته لله كيفية تلك الصفة من عنده ضربا بالغيب.

كذلك فإنه قد عطَّل صفة الرب الحقيقية بنفيه لها وإثباته كيفية معينة لها من عنده.

تبديع السلف لمن طلب علم الكيفية

ولما كان طلب علم الكيفية باطلا ؛ أنكر أئمة السلف رحمهم الله على من قال به إنكارا شديدا ، وقد ورد في ذلك بضعة آثار:

الأثر الأول: جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله ، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، فكيف استوى؟

¹ انظر «الحجة في بيان المحجة» (190/1) ، وما نقله القرطبي عن الخطابي في كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (10/2) -12.

² انظر «اجتماع الجيوش» ، ص 190 .

قال الراوي: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرُخْضَاءُ¹ ، ثم قال: الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول² ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا ، فأمر به أن يُخْرَجَ³. قال مقيده عفا الله عنه: كلام الإمام مالك ميزان لجميع صفات الله تعالى⁴ ، فمن سأل عن كيفية صفة من صفات الله فإنه يقال له: أنت مبتدع ، والواجب عليك أن تؤمن بما أنزل إليك ، وتسكّت عما لم يبلِّغك ، وتترك التعمق في الدين ، وتكلفَ علمَ ما لم تؤمر بعلمه. وقل له أيضا: إن الله أخبرنا عن الصفة ولم يخبرنا عن كيفيةها.

¹ أي العرق.

² أي غير معقول الكيفية ، ولا تدركه العقول.

وقد جمع طرق هذا الأثر وشرحه شرحا موسعا فضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر في مؤلف له بعنوان: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء» ، وهو مطبوع ضمن كتابه «الجامع للبحوث والرسائل» ، الناشر: دار كنوز إشبيلية - الرياض.

³ رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (867 ، 866).

وقد جمع طرق هذا الأثر وشرحه شرحا موسعا فضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر في مؤلف له بعنوان: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء» ، وهو مطبوع ضمن كتابه «الجامع للبحوث والرسائل» ، الناشر: دار كنوز إشبيلية - الرياض.

⁴ وللفادة ؛ فقد ألّفت رسالة علمية في عقيدة الإمام مالك بعنوان: «منهج الإمام مالك رحمه الله في إثبات العقيدة» للشيخ سعود بن عبد العزيز الدعجان ، الناشر: مكتبة الإمام ابن تيمية - القاهرة.

وقال يحيى بن إبراهيم بن مزين¹ معلقا على كلام مالك:

والنجاة في هذا²؛ الانتهاء إلى ما قال الله عز وجل ووصف به نفسه، بوجهٍ ويدرٍ وبَسِطٍ³ واستواءٍ وكلامٍ، فقال ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾⁴، وقال ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾⁵، وقال ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾⁶، وقال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فليقل قائلٌ بما قال الله وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، ولا يعدوه ولا يُفسِّره، ولا يقل كيف، فإن في ذلك الهلاك، لأن الله كلف عبده الإيمان بالتنزيل ولم يُكلفهم الخوض في التأويل الذي لا يعلمه غيره، وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسا برواية الحديث: (إن الله ضحك)، وذلك لأن الضحك من الله والتنزل والملاحة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده.⁷

وقال ابن تيمية معلقا على كلام مالك:

وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء، وأنه معلوم، وأن له كيفية، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا، لا نعلمها نحن، ولهذا بدَّع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية، فإن السؤال إنما يكون عن أمر

¹ هو يحيى بن إبراهيم بن مزين، أبو زكريا، عالم بلغة الحديث ورجاله، من أهل قرطبة، توفي سنة 259، انظر «الأعلام» للزركلي (134/8).

² أي في باب فهم أسماء الله وصفاته.

³ أي البسط الوارد في قوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

⁴ سورة البقرة: 115.

⁵ سورة المائدة: 64.

⁶ سورة الزمر: 67.

⁷ ذكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» (138/6)، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء، وهو في (151/7 - 152) من ط المغربية.

معلوم لنا ، ونحن لا نعلم استواءه ، وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا.¹ اهـ.

وقال أيضا: إذا قال لك قائل: كيف ينزل الى سماء الدنيا؟

فقل له: كيف هو في نفسه؟

فإن قال: نحن لا نعلم كيفية ذاته.

فقل: ونحن لا نعلم كيفية صفاته ، وكيف نعلم كيفية صفة ولا نعلم كيفية موصوفها؟²

وقال أيضا: ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك³ ، وقد رُوي هذا الجواب عن أم سلمة رضی الله عنها موقوفا ومرفوعا ، ولكن ليس إسناده مما يُعْتَمَدُ عليه ، وهكذا سائر الأئمة ؛ قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية استواءه كما لا نعلم كيفية ذاته ، ولكن نعلم المعنى الذى دل عليه الخطاب ، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته ، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته ، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك ، ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضا والفرح والضحك ولا نعلم كيفية ذلك.⁴

وقال الذهبي معلقا على كلام مالك:

هذا ثابت عن مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبة ؛ أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه ، وأنه كما يليق به ، لا نتعمق ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيا وإثباتا ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه

¹ «مجموع الفتاوى» (181/5).

² بتصرف من «مجموع الفتاوى» (575/12).

³ سيأتي ذكر الأثر الوارد عن ربيعة قريبا إن شاء الله.

⁴ بتصرف من «مجموع الفتاوى» (365/5).

الصحابة والتابعون ، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه ، ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل وعلا لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.¹

وقال ابن عثيمين رحمه الله معلقا على كلام مالك ما مُخَصَّصُهُ إن كلام مالك ميزان لجميع الصفات ، والذين يسألون عن كيفية الصفات سؤلهم هذا بدعة ، لأن الصحابة أحرص الناس على الخير وعلى العلم بما يجب لله عز وجل من الصفات ، ومع هذا لم يسألوا قط عن كيفية صفة من صفات الله عز وجل.²

وقال د. أحمد بن عطية الغامدي رحمه الله معلقا على كلام مالك:

وقد رُوي مثل هذا القول عن ربيعة شيخ الإمام مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبة ، وإن من أعجب العجب أن نرى كثيرا من أصحاب مالك المتأخرين فارقوا عقيدته ، ودانوا بغيرها ، فسلكوا مسلك الأشاعرة في منهجهم العقدي ، الذي يتسم بمخالفة منطوق الوحي ، خاصة ما يتعلق بمسائل الصفات ، وهم بهذا ينزعون ثقتهم بإمام جليل لا يَحِيدون عن مذهبه في الفروع قيَدَ أُنْمُلَةٍ³ ، ويضربون بمذهبه في الأصول - الملتزم بالوحي - عُرضَ⁴ الحائط ، وهذا شأن بعض أتباع مذاهب الأئمة الآخرين ، أبي حنيفة والشافعي وأحمد ، حيث ذهبوا مذاهب في الاعتقاد فارقوا بما ما عليه أئمتهم الذين اعتصموا بالتنزيل ولم يفارقوه ، أما أولئك الأتباع المفارقون فقد ارتضوا

¹ كتاب «العلو» ، ص 139 ، باختصار يسير .

² بتصرف من «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين ، (100/1) .

³ الأُنْمُلَةُ هي المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع ، ومعنى (قيَدَ أُنْمُلَةٍ) ، أي قدرها في الطول. انظر «لسان العرب» مادة: نمل.

⁴ عُرضَ الحائط أي ناحيته ، هكذا بضم العين ، وعرضَ الحائط - بفتح العين - خلاف طوله. انظر «لسان العرب» مادة: عرض .

لأنفسهم مذاهب الكلام والسفسطة¹ ، التي أودت بهم إلى الزيغ والضلال ، نسأل الله الهداية والثبات على الحق.²

الأثر الثاني: سئل ربيعة³ شيخ مالك عن قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؛ كيف استوى؟ قال: **الاستواء غير مجهول** ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق.⁴ وفي رواية أنه قال: **الكيف مجهول** ، والاستواء غير معقول ، ويجب علي وعليكم الإيمان بذلك كله.⁵

فالشاهد قولهم: **الاستواء منه غير مجهول** ، أي معلوم معناه في لغة العرب ، وهو العلو والارتفاع.

¹ السفسطة قياس فلسفي أسسه فلاسفة اليونان قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وهو قياس مركب من الوهميات ، يقوم على أساس نفي الحقائق الثابتة ، وقد أطلقه بعض علماء الإسلام كابن تيمية رحمه الله على من أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة ممن تأثر بطريقة الفلاسفة السوفسطائية وإن كان مقراً بأمر آخرى.

باختصار وتصرف من «معجم ألفاظ العقيدة» ، تأليف عامر عبد الله فالخ ، تقدم الشيخ عبد الله بن جبرين ، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض .

وانظر تعريف السفسطة في «شرح الرسالة التدمرية» ، (ص 473 ، 479) لفضيلة الشيخ د. محمد بن عبد الرحمن الخميس حفظه الله .

² حاشيته على كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد» ، ص 86 - 87 .

³ هو الإمام ، مفتي المدينة ، وعالم الوقت ، المشهور بريعة الرأي ، من أئمة الاجتهاد ، من رواة الحديث النبوي ، كان من أوعية العلم ، ومن شيوخ الإمام مالك ، توفي سنة 136 . انظر ترجمته في «السير» (89/6) .

⁴ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (441/2) ، وابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (164/3) .

⁵ رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (306/2) ، وصححه محقق الكتاب الشيخ عبد الله الحاشدي في حاشيته عليه .

قال الذهبي رحمه الله: هذا القول محفوظ عن جماعة ، كربيعة الرأي ، ومالك الإمام ، وأبي جعفر الترمذي¹.

وقال أيضا رحمه الله: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله ، وأخبروا أنه معلوم ، لا يحتاج لفظه إلى تفسير ، ونفوا الكيفية عنه ، وأخبروا أنها مجهولة.³

الأثر الثالث: روى الذهبي بإسناده عن أبي جعفر الترمذي ، شيخ الشافعية في زمانه ، أنه سأله سائل عن حديث نزول الرب: فالنزل كيف هو؟ يبقى فوقه علو؟ فقال: النزول معقول ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة.

قال الذهبي معلقا: صدق فقيه بغداد وعالمها في زمانه ، إذ السؤال عن النزول ما هو عي⁴ ، لأنه إنما يكون السؤال عن كلمة غريبة في اللغة ، وإلا فالنزل والكلام والسمع والبصر والعلم والاستواء عبارات جلية واضحة للسامع ، فإذا اتصف بها من ليس كمثله شيء فالصفة تابعة للموصوف ، وكيفية ذلك مجهولة عند البشر ، وكان هذا الترمذي من بحور العلم ، ومن العباد الورعين ، مات سنة خمس وتسعين ومئتين.⁵

الأثر الرابع: قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى سنة 224هـ - وقد ذكّر عنده ما يُروى في الرؤية ، والكرسي موضع القدمين وأشباه ذلك - فقال:

¹ هو الإمام العلامة ، شيخ الشافعية في وقته ، أبو جعفر ، محمد بن أحمد بن نصر الترمذي ، توفي سنة 295 ، انظر ترجمته في «السير» (545/13).

² «العلو» ، ص 81 .

³ كتاب «العرش» ، ص 73 .

⁴ العي هو الجهل.

⁵ «العلو» ، ص 213 - 214 .

هذه أحاديث صحاح ، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض ، وهي عندنا حق لا نشكُّ فيها ، ولكن إذا قيل لنا: كيف وضع قدمه ، وكيف ضحك ؛ قلنا: لا نفسر هذا¹ ، ولا سمعنا أحداً يفسره.²

الأثر الخامس³: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يدُ الله ملأى ، لا تغيضُها⁴ نفقة ، سحَاء⁵ الليل والنهار ، وقال: أرايتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض؟ فإنه لم يغيض⁶ ما في يده ، وكان عرشه على الماء ، ويده الميزان ، يخفض ويرفع.⁷

قال أبو عيسى الترمذي عقبه: وهذا حديث قد روته الأئمة ، نؤمن به كما جاء ، من غير أن يُفسر أو يُتوهم ، هكذا قال غير واحد من الأئمة ؛ الثوري ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك ؛ إنه تُروى هذه الأشياء ويؤمن بها ، فلا يُقال: كيف.

¹ أي لا نذكر له كيفية معينة.

² رواه الذهبي في كتاب «العلو» ، ص 173 .

³ الشاهد ليس الحديث التالي وإنما الأثر بعده.

⁴ تغيضُها أي تُنقصُها. انظر «النهاية» لابن الأثير .

⁵ أي دائمة العطاء. انظر «النهاية».

⁶ أي يُنقص. انظر «لسان العرب».

⁷ رواه البخاري (4684) ومسلم (993) والترمذي (3045) ، واللفظ للبخاري.

الأثر السادس: روى ابن عبد البر رحمه الله عن ابن وضّاح¹ قال: سألت يحيى بن معين² عن التنزل فقال: أقرّ به ولا تحُدّ فيه بقولٍ ، كل من لقيتُ من أهل السنة يُصدّق بحديث التنزل. قال³: وقال لي ابن معين: صدّق به ولا تصّفه.⁴

ثم قال بعدها بورقتين: وقول رسول الله ﷺ: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) عندهم⁵ مثل قول الله عز وجل ﴿فلما تجلّى ربه للجبل﴾⁶ ، ومثل قوله ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾⁷ ، كلهم يقول: ينزل ويتجلّى ويحيى ، بلا كيف ، لا يقولون: كيف يحيى ، وكيف يتجلّى ، وكيف ينزل ، ولا من أين جاء ، ولا من أين تجلّى ، ولا من أين ينزل ، لأنه ليس كشيء من خلقه ، وتعالى عن الأشياء ، ولا شريك له.

وفي قول الله عز وجل ﴿فلما تجلّى ربه للجبل﴾ دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجلّيا للجبل. وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل.

¹ هو الإمام الحافظ محدث الأندلس ، محمد بن وضاح المرواني ، من علماء الحديث النبوي ، له كتاب «البدع والنهي عنها» ، توفي سنة 287 ، انظر ترجمته في «السير» (445/13).

² هو الإمام الحافظ الجهمي ، شيخ المحدثين ، أبو زكريا ، يحيى بن معين بن عون ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة 233 ، انظر ترجمته في «السير» (71/11).

³ أي ابن وضاح.

⁴ ذكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» (137/6) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (151/7) من ط المغربية.

⁵ أي عند السلف الصالح.

⁶ سورة الأعراف: 143 .

⁷ سورة الفجر: 22 .

ومن أراد أن يقف على أقاويل العلماء في قوله عز وجل ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ ؛ فليُنظر في تفسير بَقِيٍّ بن مخلد¹ ، ومحمد بن جرير ، وليقف على ما ذكرنا من ذلك ، ففيما ذكرنا منه كفاية ، وبالله العصمة والتوفيق.²

الأثر السابع³: روى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يَحُدُّون ، ولا يُشَبِّهون ، ولا يُمَثَّلون ، يَرُوون الحديث ، لا يقولون (كيف) ، وإذا سُئِلوا أجابوا بالأثر.

قال أبو داود: وهو قولنا.

قلت: وعلى هذا مضى أكابرنا. انتهى.

الأثر الثامن: قال سفيان بن عيينة في أحاديث الصفات: هذه الأحاديث نروها ونُقرُّ بها كما جاءت بلا كيف.⁴

الأثر التاسع: قال وكيع: نُسَلِّمُ هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا نقول (كيف كذا؟) ، ولا (لم كذا؟) ، يعني مثل حديث: (يحمل السماوات على إصبع).

¹ هو الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، بقي بن مخلد بن يزيد ، الأندلسي ، القرطبي ، الحافظ ، صاحب «التفسير» و «المسند» اللذين لا نظير لهما ، أدخل هو ومحمد بن وضاح إلى الأندلس علما جما ، كان من كبار المجاهدين في سبيل الله ، مات سنة 273 ، انظر ترجمته في «السير» (285/13).

² ذكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» (139/6) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (153/7) من ط المغربية.

³ تقدم ذكر هذا الأثر والأثرين بعده آنفا ، وإنما أعدتها هنا لقصد جمع الكلام في هذا الباب في موضع واحد.

⁴ تقدم تخريجه.

تنبيه

مما ينبغي أن يُعلم أن ترك السؤال عن كيفية صفات الله تعالى لا يعني أنه ليس لها كيفية ، بل لها كيفية يعلمها الله تعالى ، ولكن المنفي علم تلك الكيفية ، فاستواء الله على العرش له كيفية ، ونزول الله في الثلث الأخير من الليل له كيفية ، ومجيء الله يوم القيامة له كيفية ، ولكننا لا نعلم شيئاً من تلك الكيفيات ، فلا ندري كيف استوى ولا كيف نزل ولا كيف يجيء ولا كيف وجهه ولا كيف يده ، لا نُكيف ذلك بعقولنا ولا بألسنتنا ، لأنها من الغيب وليست من الشهادة ، وتكليف ذلك سيؤدي إما إلى التمثيل أو إلى التعطيل.¹

تنبيه آخر

الفرق بين التمثيل والتكليف هو أن التمثيل هو ذكر الصفة مقيّدةً بمائل ، كما تقول: يد فلان مثل يد فلان.

وأما التكليف فليس فيه ذكر مماثل ، بل تذكر الصفة مجردة عن ذكر مثيلتها ، كقول: يد فلان هذه كيفيتها.²

النوع الرابع من أنواع الإلحاد هو التحريف ، والتحريف هو التغيير ، والتحريف في صفات الله نوعان ؛ تحريف في اللفظ وتحريف في المعنى ، فأما التحريف في اللفظ فلا يكاد يقع إلا من جاهلٍ بالقراءة ، كأن يقرأ إنسان القرآن فإذا مر بصفة من صفات الله أخطأ في قراءتها ، وهذا لا يضره إن كان حريصاً على تعلم القراءة ، ولم يكن عن عمْدٍ.

¹ وانظر «مجموع الفتاوى» (181/5).

² ذكر هذا ابن عثيمين رحمه الله في «شرح العقيدة الواسطية» (112/1).

والتحريف اللفظي جرأة عظيمة على كتاب الله ، وقد وقع فيه اليهود والنصارى لما حرّفوا التوراة والإنجيل ، ومن ذلك تحريف اليهود لقول الله ﴿حِطَّةٌ﴾ إلى ﴿حِنْطَةٌ﴾ ، وذلك لما أمرهم الله بدخول القرية ودعاءه بأن يُحِطَ عنهم ذنوبهم بأن يقولوا ﴿حِطَّةٌ﴾ ، فقالوا مستهزئين بالأمر الشرعي ﴿حِنْطَةٌ﴾.

وأما التحريف في المعنى - وهو الذي يعبر عنه كثيرا بالتأويل - فهو الذي وقع فيه كثير من الناس ، وهو صرف المعنى عن ظاهره لمعنى غير المعنى الظاهر المتبادر ، والذين فعلوا هذا زعموا أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه ، قالوا: إنا إذا أثبتنا لله صفة كصفة اليد - مثلا - فإننا نكون قد شبّهنا يد الله بيد المخلوق ، هكذا قالوا ، ولا شك أن هذا خطأ ، لأن يد الله كما تليق به ، ويد المخلوق كما تليق به ، وإذا كانت أيدي المخلوقين تتفاوت في صفاتها عن بعضها البعض فكذلك يد الله ليست كأيدي المخلوقين من باب أولى ، وهكذا باقي صفاته جل وعلا.

وبعدما نفت المؤولة عن الله ما نفته من الصفات ؛ أثبتوا لله معانٍ مجازية لتلك الصفات من عند أنفسهم وليست حقيقية ، كقولهم عن اليد مثلا: إن معناها القوة ، ليكون معنى قوله تعالى ﴿بل يدها مبسوطتان﴾ عندهم أي: قوّتاه مبسوطتان ، وهكذا أولوا أكثر صفات الرب عز وجل.

ومن وقع في مسلك التأويل جمهور الأشاعرة ، الذين أثبتوا لله سبع صفات على ظاهرها ، وحرّفوا معاني الصفات الباقية عن ظاهرها.

ومن تحريفهم: قولهم عن صفة الاستواء للرب عز وجل إن معناها الاستيلاء ، ليكون معنى قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ عندهم أي: الرحمن على العرش استولى ، وهلمّ جرّاً. ولا شك أن هذا خطأ عظيم وتحريف لكلام الله تعالى ، فإن الله خاطب الناس بلسان عربي مبين ، ومعنى الاستواء في اللغة العربية هو العلو والارتفاع ، ولم يأت في شيء في كلام العرب الفصيح أو في

معاجم اللغة العربية إطلاقاً أن معنى الاستواء هو الاستيلاء ، وسيأتي الكلام على ذلك بشيء من التفصيل .

فالحاصل أن أهل البدع ردُّوا جملة من صفات الرب عز وجل بتأويلها عن ظاهرها ، ومنشؤ ذلك أنهم أفحموا عقولهم لفهمها مع كونها غيبية ، فلم يفهموا من إثبات الصفات لله تعالى إلا أن ذلك يقتضي التشبيه ، فبناء على هذا قالوا: ليس أمامنا إلا تأويل تلك الصفات وصرف معانيها عن ظواهرها لئلا نُشبه الله بخلقه ، فأولوا الصفات ، وصرفوا معانيها عن ظواهرها ، فضلوا في الفهم عن فهم السلف الصالح ، ولو أنهم عقلوا لقالوا إن صفات الرب غيبية ، وأيقنوا أن الله خاطب الناس بما يفهمون ، فما علينا أن نفهم هذا الباب كما فهمته القرون المفضلة ، فنثبت لله صفاته كما تليق به كما نثبت للمخلوقين صفات تليق بهم ، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات ؛ فكذلك صفاته لا تشبه الصفات؟

ولكن الشيطان حاد بهم عن الطريق السوي ، ولعب بعقولهم .

فصل في بيان ارتباط التحريف بالتعطيل

والتحريف - أو التأويل - مرتبط بالتعطيل ، فالتحريف في الدليل ، والتعطيل في المدلول ، فالتحريف سبب والتعطيل نتيجة وأثر ، فإذا حَرَّفَ المُحَرِّفُ في الدليل نتج عنه تفرغ الدليل مما دل عليه ، فإذا حَرَّفَ مثلاً قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال معناها: الرحمن على العرش استولى ؛ نتج عن هذا تفرغ الآية مما دلت عليه وهو صفة الاستواء ، وهذا تعطيل بحد ذاته .

ثم إن التحريفَ من ذأبِ اليهود ، فهم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، قال تعالى عنهم ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾¹ ، فكلُّ من حرّف نصوصَ الكتاب والسنة ففيه شبه من اليهود ، عيادا بالله تعالى .

فصل في بيان وجوه بطلان التأويل

اعلم رحمك الله أن تأويل الصفات باطل من وجوه عقلية كثيرة ، فمن ذلك ما نقله ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله في هذا الباب ، حيث قال:

إن كان الحق فيما يقوله هؤلاء الثُّفأة ، الذين لا يوجد ما يقولونه في الكتاب والسنة وكلام القرون الثلاثة المعظمة على سائر القرون ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام المقتدى بهم ؛ لزم من ذلك لوازم باطلة ، منها:

أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه من هذه الألفاظ ما يُضِلُّهم ظاهره ويوقِّعهم في التشبيه والتمثيل .

ومنها أن يكون قد نزل بيان الحق والصواب لهم ولم يُفصِّح به ، بل رَمَز إليه رمزًا وألغزه إلغازًا ، لا يُفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهد .

ومنها أن يكون قد كَلَّف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها ، وكَلَّفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه ، ولم يجعل معها قرينة تُفهم ذلك .

¹ سورة النساء: 46 .

ومنها أن يكون دائما متكلمًا في هذا الباب بما ظاهره خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب¹ ، ولا يتكلم فيه بكلمة واحدة يوافق ما يقوله النفاة ، ولا يقول في مقام واحد ما هو الصواب فيه ، لا نصا ولا ظاهرا ، ولا يبينه.

ومنها أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من أولهم إلى آخرهم عن قول الحق في هذا الشأن العظيم الذي هو من أهم أصول الإيمان ، وذلك إما جهلاً ينافي العلم ، وإما كتماناً ينافي البيان ، ولقد أساء الظن بخيار الأمة من نسبهم إلى ذلك ، ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق ؛ تولد من بينهما جهل الحق وإضلال الخلق ، ولهذا لما اعتقد النفاة التعطيل صاروا يأتون من العبارات بما يدل على التعطيل والنفي نصا وظاهرا ، ولا يتكلمون بما يدل على حقيقة الإثبات لا نصا ولا ظاهرا ، وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو صريح أو ظاهر في الإثبات حَرَفُوهُ أنواع التحريفات ، وطلبوا له مُستكْرَه التَأْوِيلَات.

ومنها أنهم التزموا لذلك تجهيل السلف ، وأنهم كانوا أُمِّيِّين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل ، ولم تكن الحقائق من شأنهم.

ومنها أنَّ تَرَكَّ الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب ، فإنهم ما استفادوا بنزولها غير التعرض للضلال ، ولم يستفيدوا منها يقينا ولا علما بما يجب لله ويمتنع عليه إذ ذاك ، وإنما استفاد من عقول الرجال وآرائها. انتهى.²

¹ يقصد بذلك رحمه الله الآيات التي تقرر أن الله تعالى استوى على عرشه ، وأنه فوق عبادته ، وأنه العلي الأعلى ، وأن الملائكة تخرج إليه ، وأن الأعمال الصالحة تُرْفَعُ إليه ، وأن الملائكة في نزولها من العلو إلى أسفل تنزل من عنده ، وأنه رفيع الدرجات ، وأنه في السماء ، وأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، وأنه فوق سماواته على عرشه ، وأن الكتاب نزل من عنده ، وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وأنه يُرى بالأبصار عياناً ، يراه المؤمنون فوق رؤوسهم ، إلى غير ذلك من تنوع الدلالات على علو الرب عز وجل.

² «الصواعق المرسله» ، ص 314 – 316 ، باختصار يسير.

قلت: ومن وجوه بطلان التأويل في صفات الرب عز وجل إجماع علماء المسلمين - من الصحابة والتابعين ومن بعدهم - على بطلانه ، وقد حكى إجماعهم الإمام ابن عبد البر رحمه الله حيث قال:

أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يُكَيِّفون شيئاً من ذلك ، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ، ولا يُحْمَلُ شيئاً منها على الحقيقة¹، ويزعمون أن من أقر بما مُشَبَّه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله².

علق الذهبي على كلام ابن عبد البر بقوله:

صدق والله ، فإن من تأول سائر الصفات ، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام ؛ أدّاه ذلك السُّلب إلى تعطيل الرب ، وأن يُشابه المعدم ، كما نُقِلَ عن حماد بن زيد أنه قال: مثل الجهمية كقوم قالوا: في دارنا نخلة.

قيل: لها سعف؟

قالوا: لا.

قيل: فلها كَرَب³؟

قالوا: لا.

¹ أي عندهم.

² «التمهيد» (134/6-135)، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (145/7) من ط المغربية.

³ الكَرَب هو أصول سعف النخل.

قيل: لها رطب وقنؤ¹؟

قالوا: لا.

قيل: فلها ساق؟

قالوا: لا.

قيل: فما في داركم نخلة².

وقال الذهبي رحمه الله: وقد أغنى الله تعالى عن العبارات المبتدعة ، فإن النصوص في الصفات واضحة ، ولو كانت الصفات تُرد إلى المجاز لبطل أن يكون صفات لله ، وإنما الصفة تابعة للموصوف ، فهو موجود حقيقة لا مجازا ، وصفائه ليست مجازا ، فإذا كان لا مثل له ولا نظير ؛ لزم أن تكون لا مثل لها³.

وقال ابن تيمية رحمه الله: إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها ، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رَوَّه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد إلى ساعتى هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ، بل عنهم من تقرير ذلك⁴ وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله⁵.

¹ القنؤ هو العنق الذي يتدلى منه الرطب ، وهو في النخلة كالعنقود من العنب.

² «العلو» ، ص 250 .

³ «العلو» ، ص 239 - 240 .

⁴ أي: ورد عنهم في تقرير ذلك ... ، بحذف الفعل وتقديره: ورد.

⁵ «مجموع الفتاوى» (394/6).

قلت: ومن وجوه بطلان التأويل أيضا ما ذكره عبد الله بن تيمية¹ أخو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمهما الله ، ونقله عنه ابن القيم رحمه الله ، قال: (ومن أبين المحال وأوضح الضلال حمل ذلك كله² على خلاف حقيقته وظاهره ودعوى المجاز فيه والاستعارة ، وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين ، وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص ، إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بد منها أو من بعضها ، وهي القدح في علم المتكلم بها ، أو في بيانه ، أو في نصحه .

وتقرير ذلك أن يقال: إما أن يكون المتكلم بهذه النصوص³ عالما أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين أو لا يعلم ذلك ، فإن لم يعلم ذلك والحق فيها كان ذلك قدحا في علمه . وإن كان عالما أن الحق فيها فلا يخلو ؛ إما أن يكون قادرا على التعبير بعباراتهم - التي هي تنزيه لله بزعمهم عن التشبيه والتمثيل والتجسيم ، وأنه لا يعرف الله من لم ينزّهه بها ، أو لا يكون قادرا على تلك العبارات ، فإن لم يكن قادرا على التعبير بذلك لزم القدح في فصاحته ، وكان ورثة الصابئة وأفراخ الفلاسفة وأوقاح المعتزلة والجهمية وتلامذة الملاحدة أفصح منه وأحسن بيانا وتعبيرا عن الحق ، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة أولياؤه وأعداؤه ، موافقوه ومخالفوه ، فإن مخالفه لم

¹ هو المفتي الزاهد القدوة شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي ، أخو الشيخ تقي الدين ، ولد في حادي عشر محرم ، سنة ست وستين وستمائة بحران ، وقدم مع أهله إلى دمشق رضيحا ، سمع المسند والصحيحين وكتب السنن ، وتفقه في المذهب حتى أفتى ، وبرع أيضا في الفرائض والحساب وعلم الهيئة وفي الأصلين والعربية ، وله مشاركة قوية في الحديث ، ودرس بالحنبلية مدة ، وكان صاحب صدق وإخلاص ، قانعا باليسير ، شريف النفس ، شجاعا مقداما ، مجاهدا زاهدا عابدا ورعا ، كثير العبادة والتأله والمراقبة والخوف من الله تعالى ، توفي رحمه الله تعالى سنة 727 هـ بدمشق . باختصار من ترجمته في «شذرات الذهب» ، أحداث سنة 727 هجرية .

² أي الكم الهائل من النصوص الواردة في إثبات الصفات .

³ وهو النبي ﷺ .

يشكُّوا في أنه أفصح الخلق وأقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ويخلِّصه من اللبس والإشكال.

وإن كان قادرا على ذلك ولم يتكلم به وتكلم دائما بخلافه وما يناقضه ؛ كان ذلك قدحا في نصحه ، وقد وصف الله رسله بكمال النصح والبيان ، فقال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾^{1.2}

وأخبر عن رسله بأنهم أنصح الناس لأمتهم ، فمع النصح والبيان والمعرفة التامة كيف يكون مذهب النفاة المعطلة أصحاب التحريف هو الصواب ، وقول أهل الإثبات - أتباع القرآن والسنة - باطلا؟!!

فليتدبر الناصح لنفسه الموقن بأن الله لا بد سائله عما أجاب به رسوله في هذا المقام ، وليتحيز بعدُ إلى أين شاء ، فلم يكن الله ليجمع بين النفاة المعطلين المحرفين وبين أنصاره وأنصار رسوله وكتابه إلاَّ جَمَعَ امتحانٍ وابتلاءً ، كما جَمَعَ بين الرسل وأعدائهم في هذه الدار).³

قلت: ومن وجوه بطلان التأويل أن تيسير القرآن للذكر ينافي حملهُ على التأويل المخالف لحقيقته وظاهره ، قال ابن القيم رحمه الله:

(أنزل الله سبحانه الكتاب شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني ، وألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها ، كما وصَفَ سبحانه به كتابه في قوله ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾⁴.

¹ سورة إبراهيم: 4 .

² ومن المعلوم أن القدح في نصيحة النبي ﷺ لأمته باطل قطعاً كما سيأتي بيانه.

³ باختصار من «الصواعق المرسله» (324-326).

⁴ سورة الفرقان: 33 .

فالحق هو المعنى والمدلول الذي تضمنه الكتاب ، والتفسير الأحسن هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق ، فهي تفسيره وبيانه ، وكلما كان فهم المعنى منه أوضح وأبين كان التفسير أكمل وأحسن ، ولهذا لا تجد كلاماً أحسن تفسيراً ولا أتم بياناً من كلام الله سبحانه ، ولهذا سماه سبحانه بياناً ، وأخبر أنه يَسَّرَهُ لِلذِّكْرِ ، وتيسيره للذكر يتضمن أنواعاً من التيسير ؛ إحداهما تيسير ألفاظه للحفظ ، الثاني تيسير معانيه للفهم ، الثالث تيسير أوامره ونواهيه للامتثال .

ومعلومٌ أنه لو كان بالألفاظ لا يفهمها المخاطب لم يكن مُيسراً له ، بل كان مُعسراً عليه ، فهكذا إذا أريد من المُخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني أو يدل على خلافه ؛ فهذا من أشد التعسير ، وهو مناف للتيسير ، فإنه لا شيء أعسر على الأمة من أن يُجهدوا أنفسهم ويكابِدوا أعظم المشقة في طلب أنواع الاستعارات وضروب المجازات ووحشيّ اللغات ليحملوا عليه آيات الصفات وأخبارها ، فيصرفوا قلوبهم وأفهامهم عما تدل عليه ، ويفهموا منها ما لا تدلُّ عليه بل تدلُّ على خلافه ، ويقول: اعلّموا يا عبادي أي أردت منكم أن تعلموا أي لست فوق العالم ولا تحته ، ولا فوق عرشي ، ولا تُرفع الأيدي إليّ ، ولا يعرّج إليّ شيءٌ ، ولا ينزل من عندي شيءٌ ، من قولي¹ ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، ومن قولي ﴿يخافون ربه من فوقهم﴾² ، ومن قولي ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾³ ، ومن قولي ﴿بل رفعه الله إليه﴾⁴ ، ومن قولي ﴿رفيع الدرجات ذو

¹ أي اعلّموا ما تقدم ذكره من قولي ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وما سرد بعدها من الآيات .

² سورة النحل: 50 .

³ سورة المعارج: 4 .

⁴ سورة النساء: 158 .

العرش¹ ، فإنكم إذا فهمتم من هذه الألفاظ حقائقها وظواهرها فهمتم خلاف مرادي منها ، بل مرادي منكم أن تفهموا منها ما يدل على خلاف حقائقها وظواهرها! فأئني تيسير يكون هناك وأي تعقيد وتعسير لم يحصل بذلك ، ومعلوم أن خطاب الرجل بما لا يفهمه إلا بترجمة أيسر عليه من خطابه بما كُلف أن يفهم منه خلاف موضوعه وحقيقته بكثير ، فإن تيسير القرآن مناف لطريقة النفاة المخرفين أعظم منافاة². فهل بعد هذا يكون مذهب المؤولة هو الصواب ، ومذهب المثبتة هو الباطل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

كلام جامع لابن القيم رحمه الله في ذم التأويل

وبناء على ما تقدم ؛ فالأسباب الجالبة للتأويل أربعة: إما نقصان بيان المتكلم ، أو سوء قصده ، وإما سوء فهم المستمع ، أو سوء قصده ، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة انتفى التأويل ، وإذا وُجدت أو وُجد بعضها وقع التأويل ، قاله ابن القيم رحمه الله في الفصل الحادي والعشرين من كتابه النفيس «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة»³. وقد تكلم رحمه الله في الكتاب نفسه على مسألة التأويل بما لا مزيد عليه ، فبين معناه لغة واصطلاحاً ، ووجوه بطلانه ، وأنه لا ينضبط بضابط ولا يُحدُّ بِحدٍّ ، ثم بيّن جناية التأويل على أديان الرسل ، وأنه كان سبباً لخراب العالم ، وفساد الدنيا والدين ، وأنه إن سلط على العلوم أفسدها جميعاً ، ورفَع الثقة عن المتكلم ، ثم بين أسبابه ، وأنواع الاختلافات الناشئة عنه ، ثم عمد

¹ سورة غافر: 15 .

² «الصواعق المرسله» (330-335) ، باختصار.

³ (500/2).

إلى الشبهات الأربعة التي يعتمد عليها أصحاب التأويل ففندها جميعا ، وقد سماها رحمه الله الطواغيت الأربعة ، فردَّ رحمه الله الطاغوت الأول - وهو قولهم: إن كلام الله ورسوله أدلة لفظية لا تفيد علما ولا يقينا - من ثلاثة وسبعين وجها ، ثم رد الطاغوت الثاني - وهو قولهم: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل - من مئتين وواحد وأربعين وجها. وقد ذكر رحمه الله أنه استفاد في رد هذه الشبهة من كتاب شيخه ابن تيمية رحمه الله «درء تعارض العقل والنقل»¹.

ثم ردَّ الطاغوت الثالث - وهو قولهم: إن آيات الصفات مجازات لا حقيقة لها - من خمسين وجها ، استغرقت مئتين وأربع وثلاثين صفحة من «مختصر الصواعق»². ثم ردَّ الطاغوت الرابع وهو قولهم: إن أخبار الرسول الصحيحة لا تفيد العلم ، وغايتها أن تفيد الظن ، ففندَّ هذه الشبهة من عشرة وجوه ، استغرقت إحدى وثمانين صفحة ، وهو نهاية «المختصر».

استطراد

ولغير ابن القيم رحمه الله من علماء أهل السنة كلام في بيان بطلان تأويل صفات الرب عز وجل ،

¹ وهو مطبوع في أحد عشر مجلدا مع الفهارس ، بتحقيق د. محمد رشاد سالم رحمه الله ، وهو من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

² ينبغي التنبيه إلى أن الجزء الأخير من كتاب «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة» مفقود ، وهو المحتوي على جواب ابن القيم عن الطاغوت الثالث والرابع ، وقد اختصره قبل فقده الشيخ محمد الموصلي ، وضمنه ذكر ابن القيم لهذين الطاغوتين والجواب عنهما ، فليراجع من أراد الاطلاع على جوابه ، والمختصر من منشورات دار الحديث بالقاهرة.

فمن ذلك الفصل الذي عقده الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي¹ رحمه الله في كتابه «توضيح الكافية الشافية» بعنوان «فصل في جناية التأويل ، والفرق بين المقبول منه والمردود» قال فيه: "لا يرتاب عارف أن جميع المصائب التي جرت في صدر الإسلام وبعد ذلك ، ووقوع الفتن والافتتال والتحزبات ؛ كلها متفرعة عن التأويل الباطل الذي لا يُنتج إلا شرا ، فالتأويل الباطل سبب فتن الأقوال والبدع الاعتقادية والفتن الفعلية ، فلم يزل التأويل يتوسع. وكل بدعة متأخرة تحدث من التأويلات الباطلة غير ما أحدثته التي قبلها ، حتى وصلت النوبة إلى ابن سينا واتباعه ، فتأولوا جميع الشرائع العلمية والعملية ، وأبطل القرامطة جميع الشرع ، وفسروا شرائع الكبار بتفاسير يعلم الصبيان بطلانها ، فهذه البدع أصلها الذي تأسست عليه ؛ التأويل الباطل المردود.

وأما التأويل الذي يراد به تفسير مراد الله ومراد رسوله والطرق الموصلة إلى ذلك ؛ فهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهي التي أمر الله ورسوله بها ، ومدح أهلها. وكذلك التأويل الذي هو بمعنى ما يؤول إليه الأمر ، من العمل بأمر الله ، ومن فهم ما يؤول إليه الخبر ، فلفظ التأويل في الكتاب والسنة الغالب عليه هذان الأمران ؛ إما نفس وقوع ما أخبر الله به ورسوله ، وإما العمل بما أمر الله به ورسوله ، فالأول راجع إلى التصديق ، والثاني راجع إلى الطاعة والإيمان بالله ورسوله.

¹ هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام 1307 وتوفي عام 1376 ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحيائهم.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله.

وطاعة الله ورسوله هو الخير كله ، وسبب السعادة والفلاح .

فتبين أن التأويل الصحيح كله يعود إلى فهم مراد الله ورسوله ، وإلى العمل بالخبر ، وأن التأويل الباطل يراد به ضد ذلك ، ويراد به صرف النصوص عن معناها الذي أراده الله ورسوله إلى بدعهم وضلالهم ، وهو من أعظم ما يدخل في القول على الله بلا علم وقول غير الحق .

وكل من ادّعى تأويلا يخالف اللفظ لم تصحّ دعواه إلا بأربعة أمور ، لو اختل واحد منها فتأويله باطل:

أحدها: أن يأتي بدليل يدل على قوله ، لأنه خلاف الأصل ، فإن الأصل حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته ، فمن ادّعى خلاف ذلك فعليه البرهان .

فإذا أتى بدليل طولب بأمر ثان وهو أنّ ذلك الذي تأوّلَهُ إلى ذلك المعنى يحتمله ، لأنه لا بد أن يكون بين الألفاظ والمعاني ارتباط وتناسب ، لأنه باللسان العربي ، أنزله الله ليَعْقِلَهُ العباد إذا تدبروا ألفاظه ، فهل يمكن أن يعقلوا أو يفهموا ما ليس له ارتباط ودلالة على المعاني من ذات اللفظ ونفس العبارة بحيث لا يحتاجون إلى أمور خارجية؟

فإذا أتى بما يدل ويحتمل ذلك المعنى الذي عيّنهُ - وهيئات له ذلك - طولب بأمر ثالث وهو تعيينه المعنى الذي تأول اللفظ له ، فَهَبْ أن ظاهره غير مراد ، فلا بد من دليل يُعَيّن المعنى الذي صرفه إليه ويُخصّصه به ، فإن التخصيص من دون دليل من باب التكهن والتخرص ، لأن اللفظ لا يدل عليه بخصوصه ، فقد يكون القصد به معنى غير الذي عيّنوه .

فإن فُرِضَ أنه تأوّل على غير ظاهره ، وأتّى بدليل على الاحتمال وعلى التعيين ؛ طولب بأمر رابع وهو الجواب عن المعارض ، لأن الدعوى لا تتم إلا بذلك ، والمعارض للنفي هو جميع الأدلة النقلية من الكتاب والسنة والأدلة العقلية والفطرة ، كما تقدمت الإشارة إليها ، ومن المستحيل أن يعارض وحيه وتنزيله وقول رسوله وأصحابه والتابعين بإحسان بأقوال النفاة الذين بنوا أمرهم على المحال ،

فتبين أن المعطلين النافين لا سبيل لهم إلى إثبات قولهم أبدا بوجه من الوجوه وهو المطلوب". انتهى كلامه رحمه الله باختصار يسير.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أيضا:

والحال أن المشابهة الحقيقية لليهود منطبقة على الجهمية ، فإن اليهود قد جمعوا بين تبديل النصوص وكتمانها ، وبين تحريف ما لا يُمكن فيه أحد الأمرين ، فهؤلاء الجهمية لما تعذر عليهم التبديل والكتمان - لأن الله نزل الذكر وحفظه فيستحيل تبديله وكتمانه - عمدوا إلى تحريف معاني النصوص وتبديلها ، فنفوا المعنى الذي أراده الله ورسوله ، وأثبتوا لها معاني من تلقاء أنفسهم ، فهذا هو الشُّبُه الحقيقي باليهود.¹

قلت: وللقاضي أبي يعلى ، محمد بن الحسين بن الفراء² كتاب «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» ، رد فيه على نفاة الصفات ، المؤولين لها ، المحرفين لمعانيها ، وهو من أقوى الكتب في بابه ، تناول فيها أحاديث الصفات التي تأولها المؤولة ، وناقش الشبهات التي أثاروها.³

¹ «توضيح الكافية الشافية» ، ص 341 - 342 ، من «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله».

قلت: وقد ذكر ابن القيم رحمه الله هذه الشروط الأربعة في كتابه «الصواعق المرسله» ، الفصل التاسع ، ص 288 - 295 ، كما ذكرها في «نونيته» في «فصل فيما يلزم مدعي التأويل لتصح دعواه».

² هو الإمام العلامة شيخ الحنابلة ، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين البغدادي ، صاحب التصانيف المفيدة ، له رواية للحديث النبوي ، كان عالم العراق في زمانه ، توفي سنة 458 . انظر ترجمته في «السير» (89/18).

³ وقد حققه الشيخ محمد بن حمد الحمود ، جزاه الله خيرا ، وهو من منشورات مكتبة دار الإمام الذهبي - الكويت.

فصل في توبة بعض مشاهير مؤولة الصفات ، ورجوعهم إلى طريقة أهل السنة في فهم صفات الرب عز وجل

قال العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله:

واعلم أن أئمة القائلين بالتأويل رجعوا قبل موتهم عنه ، لأنه مذهب غير مأمون العاقبة ، لأن ميناه على:

● ادّعاء أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تليق بالله ، لظهورها وتبادرها في مشابهة صفات الخلق.

● ثم نفي تلك الصفات الواردة في الآيات والأحاديث لأجل تلك الدعاوى الكاذبة المشؤومة.

● ثم تأويلها بأشياء أخر دون مستند من كتاب أو سنة أو قول صحابي أو أحد من السلف.

وكل مذهب هذه حاله فإنه جدير بالعاقل المفكر أن يرجع عنه إلى مذهب السلف. انتهى كلامه رحمه الله.¹

ثم ذكر كلاما جيدا في بيان أن أئمة المتكلمين المشهورين رجعوا كلهم عن تأويل الصفات ، بدءا من القاضي محمد بن الطيب ، المعروف بأبي بكر الباقلاني² ، ثم أبي الحسن

¹ انظر «أضواء البيان» (499/7 - 500) ، تفسير سورة محمد ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

² هو العلامة الأصولي محمد بن الطيب بن محمد البصري ثم البغدادي ، ابن الباقلاني ، مات سنة 403 ، قال الذهبي في «العلو»: (ليس في المتكلمين الأشعرية أفضل منه مطلقا) ، وانظر تقريره لإجماع المسلمين على علو الله على خلقه في كتابه «الإبانة» ، وقد أورد الذهبي كلامه في «العلو» ص 238 ، وترجم له في «السير» (190/17) ، و «تاريخ الإسلام» (63/9).

الأشعري¹ ، ثم أبي حامد الغزالي² ، ثم الفخر الرازي³ ، في نحو سبع عشرة ورقة ، فليراجع من أراد الاستزادة.

ذكر كلام بعض من أوّل الصفات ثم تراجع عنه

قال أبو محمد ، عبد الله بن يوسف الجويني⁴ رحمه الله في كتابه «رسالة في إثبات الاستواء والفوقية»: "وكنّت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها وإمرارها والوقوف فيها ، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ناطقةً مُنبئةً بحقائق هذه الصفات ، وكذلك في إثبات

¹ هو العلامة إمام المتكلمين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري ، تعلم الاعتزال ثم تاب منه وتبرأ منه على المنبر ، قال الذهبي في ترجمته في «السير» (86/15): رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول ، يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات ، وقال فيها: (تُمرُّ كما جاءت) ، ثم قال: (وبذلك أقول ، وبه أدين ، ولا تُؤوّل). اهـ. قلت: وقد قرر الأشعري إجماع أهل السنة على علو الله على خلقه في كتابه «رسالة إلى أهل الثغر» ، ص 232 . توفي رحمه الله سنة 330 .

² هو الشيخ أبو حامد ، محمد بن محمد بن محمد الطوسي ، الشافعي الغزالي ، لازم إمام الحرمين ، أبا المعالي الجويني ، خاض في الفلسفة فنشّب فيها ، وما استطاع الخروج منها ، بل تأثر بها كثيراً ، وصنف كتاب «إحياء علوم الدين» وملاه بالأحاديث الباطلة والأقوال الفلسفية الساقطة ، وقد رد عليه جمع من العلماء ونقل كلامهم الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (322/19) في ثنايا ترجمته.

توفي أبو حامد سنة 505 وله 55 سنة ، ولو أنه انكب على كتب الحديث والأثر لكان شيخ الإسلام بحق.

³ هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني ، الأصولي المفسر الكبير ، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة ، والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة ، والله يتولى السرائر ، مات سنة 606 هـ. انظر «سير أعلام النبلاء» (500/21).

⁴ هو شيخ الشافعية ، وصاحب وجه في المذهب ، له عدة تواليف ، وهو والد إمام الحرمين ، أبو المعالي الجويني ، انظر ترجمته في «السير» (617/17).

العلو والفوقية ، وكذلك في الحرف والصوت ، ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤوّل الاستواء بالقهر والاستيلاء ، ويؤوّل النزول بنزول الأمر ، ويؤوّل اليمين بالقدرتين أو النعمتين ، ويؤوّل القدم بقد صدق عند ربهم ، وأمثال ذلك.

ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت ، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

ومن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صديري منزلة ، مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين ، لأبي علي مذهب الشافعي رضي الله عنه ، ومنه¹ عرفت فرائض ديني وأحكامه ، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلّة² يذهبون إلى مثل هذه الأقوال وهم شيوخي ، ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم.

ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها ، وأجد الكدر والظلمة منها ، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونا بها ، فكنت كالمتهجر المضطرب في تحيره ، المتململ من قلبه في قلبه وتغيره ، وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه.

ومع ذلك ؛ فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أجدتها نصوصا تشير إلى حقائق هذه المعاني ، وأجد الرسول ﷺ قد صرّح بها مخبراً عن ربه ، واصفاً له بها ، وأعلم بالاضطرار أنه ﷺ كان يحضّر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل ، والذكي والبليد ، والأعرابي والنجاني ، ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها ، لا نصاً ولا ظاهراً مما

¹ كلمة (ومنه) ليست في المطبوع ، وأظنه سقط لأن الكلام لا يستقيم إلا بإثباتها.

² الأجلّة جمع جليل.

يصرفها عن حقائقها ، ويؤوّلها كما تأوّلها هؤلاء ، مشايخي الفقهاء المتكلمين ، مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء¹ ، ونزول الأمر للنزول ، وغير ذلك.

ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها ، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أحر باطنة غير ما يظهر من مدلولها ، مثل فوقية المرتبة ، ويد النعمة ، والقدرة ، وغير ذلك².

ثم قال بعد كلام له في تقرير العلو وفوقية الله عز وجل:

"إذا علمنا ذلك واعتقدناه ؛ تخلّصنا من شبه التأويل وعماوة التعطيل وحمافة التشبيه والتمثيل ، وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، والحق واضح في ذلك ، والصدور تنشرح له ، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف في ذلك جهلٌ وعيٌّ ، مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها ، فوقفنا على إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها ، فما وصف لنا نفسه بها إلا لثبت ما وصف به نفسه لنا ، ولا نقف في ذلك.

وكذلك التشبيه والتمثيل حمافة وجهالة ، فمن وقّفه الله تعالى للإثبات بلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى.

¹ هكذا في المطبوع ، ولعل الصواب: (الاستيلاء للاستواء) ، أي تأويل الاستواء بالاستيلاء ، وبه يتّسق السياق.

² ص 30 – 33 .

فصل

والذي شرح الله صدرى في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء ، والنزول بنزول الأمر ، واليدين بالنعمتين والقدرتين ؛ هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين ، فما فهموا عن الله استواء يليق به ، ولا نزولا يليق به ، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه ، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه ، وعطلوا ما وصف الله نفسه به".

انتهى كلامه رحمه الله.¹

وهكذا فخر الدين الرازي ، فقد تراجع عن مذهبه في تحريف معاني صفات الله ، العلو وغيره من الصفات ، وقال كلاما يكتب بماء الذهب والله في رجوعه إلى طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات معاني صفات الله وإمرارها كما جاءت بلا تأويل ، وذكر منها آيات العلو ، قال رحمه الله:

نِهَائِيَّةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ
وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا
وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَدَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عَمْرِنَا
سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

واعلم أنه بعد التوغل في هذه المضائق ، والتعميق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق ؛ رأيت الأصبوب الأصلىح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم ، وهو ترك التعمق ، والاستدلال بأقسام أجسام السماوات والأرضين على وجود رب العالمين ، ثم المبالغة في التعظيم ، من غير خوض في التفاصيل ، فاقراً في التنزيه قوله تعالى ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ ، وقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، وقوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾ ، واقراً في الإثبات قوله ﴿الرحمن على

¹ ص 72 - 73 .

العرش استوى» ، وقوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ، وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾¹.... وعلى هذا القانون فقس².

فصل في بيان فضل الرد على المؤولة

ولما كان ضرر التأويل الفاسد عظيما وجنائته كبيرة في الدين ؛ رد علماء الإسلام على القائلين به ، وحثَّ بعضهم بعضا على بيان زيغ كلامهم ، فمن ذلك ما قاله ابن القيم رحمه الله في حق المؤولة: "فكشفت عورات هؤلاء وبيان فضائحهم وفساد قواعدهم من أفضل الجهاد في سبيل الله ، وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: إن روح القدس³ لا يزال يؤيدك ما نأفحت عن الله ورسوله⁴. وقال عن هجائه لهم: اهجوا قريشا ، فإنه أشد عليها من رشق النبل⁵.

وكيف لا يكون بيان ذلك من الجهاد في سبيل الله ، وأكثر هذه التأويلات المخالفة للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام الذين لهم في الأمة لسان صدق ؛ يتضمن من عبث المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه ، وأهل النفاق والإلحاد⁶ ، لما فيه من دعوى أن ظاهر كلامه إفك ومحال ، وكفر وضلال ، وتشبيه وتمثيل أو تخييل ، ثم صرفها إلى معان يعلم أن إرادتها بتلك الألفاظ من نوع الأحاجي والألغاز ، لا يصدر ممن قصده نُصح وبيان ، فالمدافعة عن كلام الله ورسوله والذب عنه

1. سورة فاطر: 10 .

2 انتهى كلامه ، نقلا من «اجتماع الجيوش» ص 305 – 306 .

3 أي جبريل .

4 رواه مسلم (2489) عن عائشة رضي الله عنها .

5 رواه مسلم (2490) عن عائشة رضي الله عنها .

6 أي: وطعن أهل النفاق والإلحاد ، حذفت الفعل (وطعن) لتقدمه ، وعطف الجملة على الجملة التي قبلها .

من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأنفعها للعبد ، ومن رزقه الله بصيرة نافذة علم سخافة عقول هؤلاء المخرفين ، وأنهم من أهل الضلال المبين ، وأنهم إخوان الذين ذمهم الله بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، الذين لا يفقهون ولا يتدبرون القول ، وشبههم بالحُمُرِ المستنفرة¹ تارة ، وبالحمار الذي يحمل أسفارا تارة ، وَمَنْ قَبِلَ التَّأْوِيلَاتِ الْمُفْتَرَاةَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي هِيَ تَحْرِيفٌ لِكَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَهُوَ مِنْ جِنْسِ الَّذِينَ قَبَلُوا قُرْآنَ مَسِيلِمَةَ الْمُخْتَلَقِ الْمُفْتَرَى".²

النوع الخامس من أنواع الإلحاد هو التفويض ، وهو ادعاء أن أسماء الله وصفاته ليس لها معانٍ يعلمها الناس ، فالغفور - بزعمهم - ليس له معنى ، والرحيم ليس له معنى ، وهَلُمَّ جَرًّا ، وهذا القول هو من شر قول أهل البدع والإلحاد ، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل»³ ، وبيان ذلك من وجهين⁴:

الأول: أن القول بالتفويض يلزم منه الطعن في بيان القرآن والتكذيب له ، لأن الله يقول ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾⁵ ، وكيف يكون البيان إذا كانت أسماء الله وصفاته - التي هي أكثر ما يتكرر ذكره في القرآن لا سيما في خواتم الآيات - لا يُدرى معناها؟ أين البيان إذا؟

والثاني أن قولهم بالتفويض يقتضي تجهيل الرسول ﷺ ، لأن لازم كلامهم أن النبي ﷺ لا يدري معاني القرآن فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، أي أن النبي ﷺ كان يقرأ ﴿وكان الله غفورا رحيمًا﴾ ،

¹ وقع التشبيه في قوله تعالى ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ ، ويعني بالحُمُرِ المُستنفرة حُمُر الوحش إذا رأت صائد لها فخافت وقرّت ، فهكذا هم يفرون من الحق كفرار الحُمُر.

² «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة» (303-301/1) باختصار.
³ (205/1).

⁴ انظر «شرح الواسطية» (93/1 - 94).

⁵ سورة النحل: 89 .

ولا يدري ما معنى قوله ، وكذلك يقول الرسول ﷺ : (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) ، ولا يدري ما معنى كلامه ، وهذا باطل قطعاً.

قال الشيخ صديق حسن خان القنوجي¹ رحمه الله في كتابه «قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر»: "ومن ظن أن نصوص الصفات لا يُعقل معناها ، ولا يُدري ما أراد الله تعالى ورسوله منها ، وظاهرها تشبيه وتمثيل ، واعتقاد ظاهرها كفر وضلال ، وإنما هي ألفاظ لا معاني لها ، وأن لها تأويلاً وتوجيهاً لا يعلمه إلا الله ، وأنها بمنزلة ﴿ألم﴾ ، و ﴿كهيعص﴾ ، وظن أن هذه طريقة السلف ، ولم يكونوا يعرفون حقيقة قوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ ، وقوله ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾² ، وقوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ونحو ذلك ؛ فهذا الظن من أجهل الناس بعقيدة السلف وأضلهم عن الهدى ، وقد تضمن هذا الظن استجهاال السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة ، وكبار الذين كانوا أعلم الأمة علماً وأفقههم فهماً وأحسنهم عملاً وأتبعهم سنناً ، ولازم هذا الظن أن الرسول ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه ، وهو خطأ عظيم وجسارة قبيحة ، نعوذ بالله منها"³.

والخلاصة أن معاني أسماء الله وصفاته معلومة ، وليست كما قالت المفوضة ، أما كيفية صفاته فهي المجهولة ، لأنها من الغيب ، فكيفية مجيء الرب يوم القيامة - مثلاً - مجهولة ، لأن العقل البشري

¹ هو الإمام العلامة المحقق محيي السنة وقامع البدعة ، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي لطف الله القنوجي ، نزيل «بهبوال» بالهند وأميرها ، له عدة مؤلفات ، منها في العقيدة «الدين الخالص» و«قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» ، وله في الفقه «الروضة الندية شرح الدرر البهية» ، وله غيرها في التفسير والحديث ، توفي رحمه الله سنة 1307 .
باختصار وزيادة من مقدمة د. عاصم بن عبد الله القريوتي لتحقيق كتاب الشيخ صديق «قطف الثمر» ، الناشر: عالم الكتب - لبنان.

² سورة ص: 75 .

³ ص 53 - 54 .

لم يُحِط به ، وليس بمقدوره إدراكه بالحس ، أما معنى المجيء في لغة العرب فمعلوم ، وهكذا تُفهم باقي الصفات ، والله أعلم.

النوع السادس من أنواع الإلحاد: تسمية الله بما لم يُسمَّ به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ ، أو وصفه بما لم يصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ، كما سماه الفلاسفة بـ «العلة الفاعلة» ، وسماه النصارى «أب» ، وهذا باطل لكون أسماء الله توقيفية ، أي متوقف العلم بها على الكتاب والسنة ، فلا يجوز أن يُسمى الله باسم أو بصفة إلا اعتمادا على نص من كتاب أو سنة ، وإلا كان إلحادا وميلا عن المنهج الصحيح في فهم أسماء الله تعالى وصفاته ، ومن القول على الله تعالى بغير علم.¹

النوع السابع من أنواع الإلحاد: إنكار أن يكون لله أسماء ، كما وقع من غلاة الجهمية ، الذين قالوا إنه ليس لله اسم أبدا ، تعالى الله عن ذلك ، وحُجَّتهم في ذلك أنهم لو أثبتوا لله اسما لأشبهه المخلوقات - بزعمهم - من جهة أن للمخلوقات أسماء أيضا ، وبطلان هذا واضح لا يحتاج إلى كبير رد ، فإن كثيرا من آيات القرآن تحتم بذكر أسماء الله تعالى وصفاته ، فإنكار الجهمية لأسماء الله تعالى يلزم منه أن ذكر تلك الأسماء والصفات كان عبثا ، والعبث ينزه عنه الله تعالى ، وصدق الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾.²

النوع الثامن من أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته: اشتقاق أسماء منها للمعبودات الباطلة ، كما فعل الجاهليون لما اشتقوا بعض أسماء أصنامهم من أسماء الله تعالى ، فاشتقوا «اللات» من الإله ، و «العزى» من العزيز ، و «مناة» من المنان ، وهذا تعدد على حق الله تعالى

¹ انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين رحمه الله (120/1).

² انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين رحمه الله (120/1 - 121).

الواجب له في تعظيم أسمائه وصفاته ، والواجب هو أن تُعظَّم أسماء الله تعالى ، فلا يُشتق لغيره منها.¹

فهذه ثمانية أنواع من أنواع الانحراف في فهم أسماء الله وصفاته ، ينبغي للمسلم أن يحذرهما غاية الحذر ، إذ القول ببعضها يدخل في ارتكاب البدع ، والقول ببعضها الآخر يؤدي إلى الكفر عيادا بالله ، والواجب تنزيه الله عن جميع صفات النقص ، وهو معنى التسييح ، لأن معنى التسييح هو التنزيه والتقديس للرب تبارك وتعالى.

تنبيهات وفوائد

تنبيه

الكفر يطرأ في باب الأسماء والصفات من باب الشك ، فمن شك في صفة من صفات الله أو اسم ثابت له من أسمائه كَفَرَ ، كمن شك في قدرة الله ، أو شك في رحمته ، أو شك هل الرحمن من أسماء الله أو لا ، ووجه كفره أن أسماء الله وصفاته ثابتة له بالقرآن والسنة ، فمن ردَّ شيئا منها فإنما هو يرد خبر الله ، وهذا كفر ، والواجب هو الإيمان واليقين بأسماء الله وصفاته ، وكذا كل ما دل عليه القرآن العظيم والسنة الصحيحة.

تنبيه آخر

تنزيه الله تعالى عن صفات النقص هو المُعَبَّرُ عنه بالتسييح ، فالتسييح هو التنزيه² ، والتسييح من أفضل أعمال القلب واللسان ، ولذا جاء أمر الله تعالى به بكثرة وأصيلا ، أي في الصباح والمساء ،

¹ انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين رحمه الله (1/ 123).

² انظر «لسان العرب» لابن منظور.

وقد كان النبي ﷺ يكثر من تسبيح الله تعالى في عموم أحواله ، فقد كان يسبح الله إذا أصبح وإذا أمسى ، وإذا فرغ من الصلاة ، وإذا نزل واديا ، وإذا تعجب من شيء ، وعند المنام ، وغير ذلك من الأحوال .

فائدة

والتسبيح أجره عظيم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: من قال: (سبحان الله وبحمده) في يوم مائة مرة ؛ حُطَّتْ عنه خطاياهُ وإن كانت مثل زبد البحر.¹
وعنه قال: من قال حين يُصْبِحُ وحين يُمَسِي (سبحان الله وبحمده مائة مرة) ؛ لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به ، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه.²
وعنه عن النبي ﷺ قال: كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ؛ سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده.³

أقول: فكم حُرِمَ الواقعون في تأويل صفات الله عز وجل من ثواب وأجر التسبيح بسبب تأويلهم لصفات الرب عز وجل التي وصف نفسه بها؟

تنبيه

والواقعون في التأويل لم يخسروا ثواب التسبيح فحسب ، بل قد باؤوا بإثم عظيم بسبب عدم إيمانهم بمعاني تلك الصفات على مراد الله ومراد رسوله ﷺ ، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: لأن يلقى

¹ رواه البخاري (6405) ، ومسلم (2691).

² رواه مسلم (2692).

³ رواه البخاري (6406) ، ومسلم (2694).

الله عز وجل المرء بكل ذنب ما خلا الشرك بالله تبارك وتعالى خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء.¹

فائدة

ومما يدل على عِظَم شأن توحيد الأسماء والصفات أيضا أن أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي ، والتي تتضمن كل جملة منها اسما أو صفة من أسماء الله وصفاته ، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر ، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: يا أبا المنذر ، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟

قال: قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾² ، قال: فضرب في صدري وقال: والله ، لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر.³

أي: هنيئا لك العلم.

قال النووي⁴ رحمه الله في شرح الحديث: قال العلماء: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة ، وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات ، والله أعلم. انتهى.

¹ رواه البيهقي في «آداب الشافعي ومناقبه» ، ص 143 ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

² سورة البقرة: 255 .

³ رواه مسلم (810).

⁴ هو الإمام العالم ، مفتي الأمة في زمنه ، الفقيه الشافعي الزاهد ، أبو زكريا ، محيي الدين ، يحيى بن شرف النووي ، نفع الله الأمة بتصانيفه نفعاً عظيماً ، كشرح صحيح مسلم ، و «رياض الصالحين» و «المجموع» وهو شرح «المهذب» ، وغيرها ،

ومما يدل على عِظَم شأن توحيد الأسماء والصفات أيضا أن سورة الإخلاص - التي تتضمن صفة الرحمن - تعدل ثلث القرآن في ثواب القراءة ، يدل لهذا حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن.¹

فائدة من فوائد العلم بمعاني أسماء الله وصفاته ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى

قال رحمه الله:

والأسماء الحسنى والصفات العلامية لا تآثرها من العبودية والأمر اقتضاءها لا تآثرها من الخلق والتكوين ، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها ، وهذا مُطَرِّدٌ في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح ، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالصُّر والنع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة ؛ يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا.

وعلمه² بسمعِهِ - تعالى - وبصرِهِ وعلمِهِ ، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض ، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يُرضي الله ، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، فيثمر له ذلك الحياء باطنا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (324/15) و «تذكرة الحفاظ».

¹ رواه مسلم (811) ، ورواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (5015).

² أي العبد.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبرّه وإحسانه ورحمته ؛ توجب له سعة الرجاء ، وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه ؛ تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة¹ أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.

وكذلك علمه بكماله² وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية ، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات ، وارتبطت بها ارتباط الخلق بها ، فخلقه سبحانه وأمره هو مُوجبُ أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها.³ انتهى كلامه.

قلت: ولالإيمان بأسماء الله وصفاته فوائد جلييلة غير ما ذكر رحمه الله ، (فمن آمن بأن من أسماء الله تعالى (العفو) و(الغفور) و(الرحيم) ، وأن من صفاته (المغفرة للمذنبين) و(الرحمة) و (العفو) ؛ دعاه ذلك إلى عدم اليأس من روح الله ، وإلى عدم القنوط من رحمته ، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته.

ومن عرف أن من صفات الله تعالى أنه (شديد العقاب) و (الغيرة إذا انتهكت محارمه) ، و(الغضب) ، وأنه (ذو انتقام ممن عصاه) ؛ حمله ذلك على الخوف من الله تعالى والبعد عن معصيته.

¹ أي الخضوع والاستكانة والمحبة.

² أي الله تعالى.

³ «مفتاح دار السعادة» (2/510-511).

كما أن المؤمن إذا أيقن أن من أسماء الله تعالى (القوي) و (القادر) و (العزیز) ، وأنه تعالى (يتولى المؤمنين بالحفظ والنصر) ؛ أكسبه ذلك عظمة التوكل على الله ، والوثوق بنصره ، وعدم الهلع من أعدائه ، فيعيش قرير العين ، واثقا بحفظ الله وتأييده ونصره.

ومن استقر في قلبه أن من أسماء الله تعالى (البصير) ، وأنه تعالى يرى ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء ، وعلم أن من أسماء الله تعالى (الرقيب) و(العليم) ، وأنه تعالى يعلم نيات العباد وخلجات نفوسهم ؛ حمّله ذلك على البعد عن معصية الله ، وأن لا يراه الله حيث نهاه ، وعلى مراقبته سبحانه في كل ما يأتي وما يذر.

ومن آمن بصفات الله واستعاذ بها أعاذه الله مما يخاف منه.

ومن عَلِمَ أسماء الله وصفاته وتوسل إلى الله تعالى بها استجاب الله دعاءه ، فحصل له ما يرجوه من مرغوب ، واندفع عنه ما يخافه من مرهوب.

هذا كله قطرةً من بحرٍ من ثمراتِ الإيمانِ بالأسماءِ والصفاتِ.¹

خاتمة

وختاماً لهذه المقدمة التوضيحية لفهم عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، فإنني أدكر نفسي وإخواني بأن الواجب على المؤمن اتباع النصوص ، وفهمها على ضوء فهم السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون ، فإن علم الله من المؤمن حرصه على اتباع الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان ؛ هداه إلى الصراط المستقيم ، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ولو علم الله

¹ نقلاً من «تهديب تسهيل العقيدة الإسلامية» ، ص 67 - 68 ، للشيخ الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين حفظه الله ، بتصرف يسير .

فيهم خيرا لأسمعهم¹ ، أي لأسمعهم السماع الموجب للفهم والانقياد ، وأما إن علم الله في قلب الإنسان زيغا أزاغ قلبه ، كما قال تعالى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾² ، فإنه ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه ، نسأل الله تعالى أن يُقيم قلوبنا على العقيدة الصحيحة ، وألا يزيغنا بعدما هدانا ، (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) ، إنك خير مسئول وأعظم مأمول.

¹ سورة الأنفال: 23 .

² سورة الصف: 5 .

ذكر أدلة علو الله على خلقه

اعلم - رحمك الله - أن علو الله سبحانه وتعالى نوعان ، علو ذات وعلو صفات ، والمقصود بعلو الذات هو علو ذاته المقدسة فوق سمائه السابعة على عرشه ، وأما علو الصفات فهو اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى له صفات الكمال على الوجه المطلق ، كما وصف بذلك نفسه في كتابه ، ووصفه بها رسوله ﷺ .

وقد تنوعت الأدلة على علو الرب بذاته^١ فوق سماواته أنواعا كثيرة ، تقارب العشرين نوعا أو تزيد^٢ ، ويندرج تحت كل نوع من هذه الأنواع أمثلة كثيرة ، كل مثال منها يُعدُّ دليلا بذاته ، فعلى هذا فأدلة علو الله كثيرة جدا ، وقد ذكر ابن القيم في نونيته أن أدلة علو الله فوق السماء تبلغ الألفي دليل ، قال رحمه الله:

يا قوم والله العظيم لقولنا ألف تدل عليه بل ألفان
عقلا ونقلا مع صريح الفطرة الأولى وذوق حلاوة الإيمان
كلُّ يدل بأنه سبحانه فوق السماء مابين^٣ الأكوان

^١ سيأتي الكلام على جواز استعمال هذه اللفظة ، وأن السلف قالوها من غير تكبر .

^٢ ذكر أكثرها أو كلها على سبيل الإيجاز ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٢/٢٦٧-٢٧٢) ، فصل في تحريم الإفتاء بما يخالف النصوص ، وذكرها أيضا في قصيدته «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» ، والمعروفة بـ «النونية» .
وقد يسر الله جمع العشرين نوعا في هذا البحث بحمد الله ، أما أفراد تلك الأنواع وأمثلتها فلا حصر لها ، فإنها تُعدُّ بالمئات بل تبلغ الألفين كما قال ابن القيم وغيره من أهل العلم .

^٣ تقدم بيان معنى كلمة «باين» في فصل التوطئة ، وأنها تعني الانفصال وعدم الاختلاط .

وهذا أوان الشروع في ذكر تلك الأنواع وما تيسر من أفراد أدلتها ، رب يسر يا معين:

١. أول الأدلة على علو الرب عز وجل ؛ أسماء الله الحسنى ، فإنها تدل على علو الله علوا مطلقا ، ذاتا وقدرًا وقهرا ، مثل اسم الأعلى الوارد في قوله تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ ، والعلي كما في قوله تعالى ﴿ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ ، والمتعال كما في قوله تعالى ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾.

والظاهر كما في قوله تعالى ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ ، ومعنى الظاهر أي: الذي ليس فوقه شيء ، كما بين ذلك النبي ﷺ في دعائه الطويل الذي كان يقوله إذا أخذ مضجعه وفيه: وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء.^١

وروي عن مقاتل بن حيان قوله: بلغنا والله أعلم في قوله تعالى ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ ، هو الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، والظاهر فوق كل شيء ، والباطن أقرب من كل شيء ، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه ، وهو بكل شيء عليم.^٢ واعلم رحماني الله وإياك أن هذه الأسماء الأربعة (الأول والآخر والظاهر والباطن) تدل على إحاطة علم الله بكل شيء ، فالأول أي الذي ليس قبله شيء ، والآخر أي الذي ليس بعده شيء ، والظاهر أي الذي ليس فوقه شيء ، والباطن أي: الذي هو أقرب من كل شيء ، وإنما قربه بعلمه بالسر والعلن ، وإحاطته بالظواهر والبواطن ، وهو فوق عرشه سبحانه وتعالى.

^١ رواه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٢ أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٤٢/٢).

وقال ابن العز الحنفي^١ رحمه الله: والمراد بالظهور هنا ؛ العلو ، ومنه قوله تعالى ﴿فما استطاعوا أن يظهره﴾ ، أي يعلوه.

فهذه الأسماء الأربعة متقابلة^٢ ؛ اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته ، واسمان لعلوه وقربه.^٣

ومن أسماء الله تعالى التي تدل على صفة العلو أيضاً اسم «الكبير» ، فالله أكبر من كل شيء ، وهذا يستلزم علوه على جميع الأشياء.

٢. دلالة صفات الله العليا: وصف الله نفسه بأنه ذي المعارج ، أي الذي تعرج إليه الأشياء ، والعروج هو الصعود ، قال تعالى ﴿من الله ذي المعارج﴾ ، فهذا يدل على علوه ، لأن الأشياء لا تعرج وتصعد إلا لمن كان في العلو.

٣. تصريح بعض الآيات والأحاديث بالفوقية لله سبحانه وتعالى فوق عباده فوق سماواته ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ، وقوله ﴿ولله يسجد ما في السماوات والأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون* يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

^١ هو الإمام العلامة صدر الدين ، أبو الحسن ، علي بن علي بن محمد ، الدمشقي ، من علماء المائة الثامنة ، تأثر بشيخ الإسلام وانتصاره على خصومه من أهل البدع ، كان يرى التقيد بالكتاب والسنة وعدم التعصب لمذهب ما ، له الكتاب المعروف «شرح العقيدة الطحاوية» وهو عمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة ، وله أيضا رسالة طيبة في الاتباع.

تعرض رحمه الله لمحنة في دينه بسبب تعليقه على أبيات فيها شرك ، فصبر على تلك المحنة وسجن وعُزر بسببها ، توفي رحمه الله سنة ٧٩٢ .

انظر ترجمته للمشايع د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط ، وتقع في مقدمة تحقيق كتابه «شرح العقيدة الطحاوية».

^٢ أي الأول والآخر والظاهر والباطن.

^٣ «شرح العقيدة الطحاوية» ، ص ٣٧٧ .

قال ابن خزيمة رحمه الله: فأعلمنا الجليل عز وجل في هذه الآية أيضا أن ربنا فوق ملائكته ، وفوق ما في السماوات وما في الأرض من دابة ، وأعلمنا أن ملائكته يخافون ربهم الذي فوقهم ، والمعطلة^١ تزعم أن معبودهم تحت الملائكة.^٢

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات.^٣

وكان من دعاء النبي ﷺ الطويل إذا أخذ مضجعه: وأنت الظاهر فليس فوقك شيء.^٤

وقال ﷺ لسعد بن معاذ رضي الله عنه لما حكم في اليهود بأن تقتل مقاتلتهم وتُسبي ذراريهم: قد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع سماوات.^٥

وَرُوِيَ عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَآتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ قال: لم يستطع أن يقول من فوقهم ، علم أن الله من فوقهم.^٦

^١ تقدم التعريف بالمعطلة ، وأنها فرقة عطلت بعض صفات الله ، بنفي ما دلت عليه من معانٍ.

^٢ كتاب «التوحيد» ، ص ١٩٧ .

^٣ رواه البخاري (٧٤٢٠) ، والترمذي (٣٢١٣).

^٤ تقدم تخريجه.

^٥ أصل القصة في الصحيحين ، رواها البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) ، وهذا السياق للحارث كما في «المطالب العالية» (الناشر: دار العاصمة - الرياض ، تحقيق خالد بن عبد الرحمن البكر) (٤٠١/١٧):

حدثنا محمد بن عمر ، حدثنا محمد بن صالح ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه رضي الله عنه قال: حكم سعد بن معاذ يومئذ أن يقتل من جرت عليه الموسى ، فقال رسول الله ﷺ : قد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع سماوات.

^٦ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ، برقم (٦٦١).

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في حق خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة.^١

٤. دلالة بعض الآيات بأن الله في السماء ، كما في قوله تعالى ﴿ ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله: أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿ ءأمنتم من في السماء ﴾ قال: الله تعالى.^٢
وقال إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري^٣ رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ ءأمنتم من في السماء ﴾: وهو الله.^٤

ومما ينبغي التنبيه عليه هو أن معنى قوله: ﴿ في السماء ﴾ أي على السماء ، لأن حروف الجر قد يحل بعضها مكان بعض^٥ ، فتأتي «في» بمعنى «على» في لغة العرب ، فمن ذلك قوله تعالى عن فرعون ﴿ ولأصلبناكم في جذوع النخل ﴾ أي على جذوع النخل ، وكذلك قوله تعالى ﴿ قل سيروا في الأرض ﴾ أي على الأرض ، فعلى هذا فيكون معنى أن الله في السماء ؛ أي على السماء.

^١ رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٢/٢) ، وابن أبي حاتم في أول تفسير سورة المجادلة ، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٥٣ ، وعنه الذهبي في «العلو» ص ٧٧-٧٨ ، والأثر ضعيف الإسناد بسبب الانقطاع بين أبي يزيد وعمر ، كما قاله الذهبي في المرجع نفسه ، وكذا الحاشدي في حاشيته على كتاب «الأسماء والصفات».

^٢ «الدر المنثور» ، تفسير سورة تبارك ، آية ١٧ ، باختصار.

^٣ هو العالم المجتهد المحدث الفقيه المقرئ المفسر ، علامة وقته ، محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري ، مات سنة ٣١٠ ، انظر ترجمته في «السير» (٢٦٧/١٤) ، و «وفيات الأعيان» (١٩١/٤-١٩٢).

^٤ «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة تبارك ، آية ١٧ .

^٥ ذكر ذلك ابن هشام في «معني اللبيب عن كتب الأعاريب» ، ص: ٦١٤ - ٦١٥ ، الناشر: دار الفكر - بيروت .

قال البيهقي رحمه الله: ومعنى قوله في هذه الأخبار ﴿من في السماء﴾ ؛ أي فوق السماء على العرش ، كما نطق به الكتاب والسنة.^١

وقال أبو بكر محمد بن موهب المالكي^٢ في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني رحمهما الله عند قوله تعالى ﴿أأمنتم من في السماء﴾:

قال أهل التأويل ، العاملون بلغة العرب: يريد فوقها ، وهو قول مالك مما فهم عن جماعة ممن أدرك من التابعين ، مما فهموه عن الصحابة رضي الله عنهم ، مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أن الله في السماء بمعنى: فوقها وعليها.^٣

وكذا قاله البيهقي في «الأسماء والصفات»^٤ ، ونفظويه - إمام العربية - كما روى ذلك عنه أبو الحسن الطبري في كتابه «مشكل الآيات»^٥.

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله:

قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ، يعني على الأرض ، وليس معناها أن الإنسان يحفر خنادق في الأرض يمشي فيها. انتهى.^٦

وقال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر حفظه الله:

^١ كتاب «الأسماء والصفات» (٢/٣٣٠).

^٢ هو العلامة أبي بكر محمد بن موهب المالكي ، شرح رسالة شيخه ابن أبي زيد القيرواني ، انظر كلامه في «العلو» ص ٢٦٤ ، توفي سنة ٤٠٦ هجري. انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٩/١١٤).

^٣ حكاه عنه الذهبي في «العلو» ، ص ٢٦٤ .

^٤ (٢/٣٢٤).

^٥ نقلا من كتاب «العرش» للذهبي ، ص ١٣٢ .

^٦ «شرح عقيدة أهل السنة والجماعة» ، ص ٩٨ ، الناشر: دار المستقبل - القاهرة.

(ارحموا من في الأرض) أي على الأرض.

فإن قيل: لا تستعمل (في) إلا على الظرفية ، فالجواب:

أن معنى الحديث - على هذا الفهم - سيكون: ارحموا الديدان والحشرات الموجودة داخل الأرض ، أما الناس الذين يمشون فوق الأرض فلا يشملهم الحديث ، لأن النبي ﷺ قال: (في الأرض) وهؤلاء فوق الأرض!!

والحق الذي يظهر لكل متأمل أن قوله ﷺ (ارحموا من في الأرض) أي على الأرض ، ف (في) هنا بمعنى (على) ، وقوله (يرحمكم من في السماء) أي من على السماء ، فإذا قابلت أول الحديث وآخره اتضح لك المعنى. انتهى كلامه.^١

قلت: ويمكن أن يكون المقصود بلفظ السماء ؛ العلو عامة ، كقوله تعالى ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء﴾ أي من جهة العلو ، وليس المقصود من السماء ذاتها ، لأنه من المعلوم أن الماء ينزل من السحاب الذي هو دون السماء ، فيكون المقصود بالسماء جهة العلو.

قال البيهقي: وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلى السماوات ، فمعنى الآية: ءأمنت من على العرش ، كما صرح به في سائر الآيات.^٢

قال مقيده عفا الله عنه: وكلا المعنيين يدل على شيء واحد ، وهو أن الله في العلو.

وفي الآية لفظة لطيفة ، وهي أن الله كُنِيَ عن نفسه فقال ﴿في السماء﴾ ، لأن المقام مقام إظهار عظمته وهيمته وسيطرته وقدرته على من تحته ، لأن العالي له سلطة على من تحته.^١

^١ «تذكرة المؤتمسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» ، ص: ٨٤ - ٨٥ ، الناشر: دار غراس - الكويت ، بتصرف يسير.

علق الشيخ عبد الرزاق في الحاشية فقال: (هذه الفائدة لم أرها مكتوبة ، وإنما سمعتها من الشيخ الألباني رحمه الله).

^٢ كتاب «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» ، ص ١١٦ .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ،
يأتيني خبر السماء صباحا ومساءً؟^٢

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال: الراحمون يرحمهم
الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.^٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ؛ ما من رجل يدعو
امراته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها.^٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح
قالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ... ثم يُعرج بها إلى السماء فيُستفتح
لها فيقال: من هذا؟

فيقال: فلان.

فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة ، كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة ، وأبشري بروح وريحان
ورب غير غضبان ، قال: فلا يزال يقال لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل ...
الحديث.^٦

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ؛ ضربت الملائكة
بأجنحتها خضعانا لقوله ، كالسلسلة على صفوان.^١

^١ قاله ابن عثيمين رحمه الله في «شرح الواسطية» (١/ ٣٩٦).

^٢ رواه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤).

^٣ أخرجه أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) وصححه ، وصححه الألباني في «الصححة» (٩٢٢).

^٤ رواه البخاري (٣٢٣٧) ، ومسلم (١٤٣٦) واللفظ له.

^٥ أي يُطلب أن يفتح لها باب في السماء لتدخل منه.

^٦ رواه أحمد (٣٦٤/٢) واللفظ له ، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح ، ورواه ابن ماجه (٤٢٦٢) وصححه الألباني.

وروى البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» عن ابن عباس تعليقا: لما كلم الله موسى ؛ كان النداء في السماء ، وكان الله في السماء.^٣

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: كانت لي جارية ترعى غنما لي قيل أُحْد والجَوَانِيَّةُ^٤ ، فاطَّلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بني آدم آسَفُ كما يأسفون^٥ ، لكنني صككتها صكَّةً^٦ ، فأتيت رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك علي ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟

قال: اتتني بها.

فأتيته بها ، فقال لها: أين الله؟

قالت: في السماء.

قال: من أنا؟

قالت: أنت رسول الله.

^١ أي أن صوت ملك الوحي إذا تكلم بالوحي كصوت سلسلة الحديد إذا سُحِبَت على صفوان ، والصفوان هو الحجر الأملس ، ويمكن أن يكون الضمير في كلمة (لقوله) عائدا إلى الله تعالى ، فيكون المراد تشبيه صوت الله إذا أوحى إلى الملك بالصوت الذي تُحْدِيهِ السلسلة إذا سُحِبَت على صفوان ، كما يشاء سبحانه ، والله أعلم.

انظر «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٢٢٢/١) للشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.

^٢ رواه البخاري (٤٧٠١) والترمذي (٣٢٢٣) وابن ماجه (١٩٤).

^٣ «خلق أفعال العباد» ، ص ١٨ .

^٤ أي: جهة أُحْد والجوانية ، والجوانية موضع شمال المدينة.

^٥ أي أغضب كما يغضبون.

^٦ أي لطمتها لطمَةً.

قال: أعتقها فإنها مؤمنة.^١

فالرسول ﷺ أراد أن يمتحن إيمان هذه الجارية حتى يتبين له ما إذا كانت مُجزئةً في العتق أم لا ، لأنه لا يجزئ في العتق إلا رقبة مؤمنة ، فاكتمى بسؤالين ليمتحن به إيمانها ، فلما أجابت بما يوافق الحق ؛ رضي ﷺ جوابها وشهد لها بالإيمان بمقتضى تلك الإجابة^٢ ، ولو أنها لم تشهد للرسول ﷺ بالرسالة ، والله بالعلو فوق السماء لما شهد لها بالإيمان ، بل لعلمها الصواب ولما أقرها على الخطأ ، لأنه لا يجوز للجارية أن تصف ربها بوصف ليس له ثم يقرها الرسول ﷺ على الخطأ ، فهذا غير جائز في حقه ﷺ .

قال ابن تيمية رحمه الله: وهو^٣ مُنَزَّه أن يسأل سؤالاً فاسداً ، وسمعَ الجواب عن ذلك ، وهو مُنَزَّه أن يُقَرَّ على جواب فاسد ، ولما سُئل عن ذلك أجاب ، فكان سائلاً به تارة ، ومجيباً عنه أخرى.^٤

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي^٥ رحمه الله: ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن ، ولو كان عبداً فأعتق لم

^١ رواه مسلم (٥٣٧) ، وأبو داود (٩٣٠) ، والنسائي (١٢١٧) ، ومالك في «العتق والولاء» ، باب «ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة» (٨) ، وأحمد (٤٤٧/٥) ، والشافعي في «الأم» (٣٣/١) ، كتاب الرسالة ، باب بيان فرض الله تعالى في كتابه اتباع سنة نبيه ﷺ ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٥/٢-٣٢٦) ، والطبراني في «الكبير» (٤٤٨/١٣) ، والدارمي في «سننه» (٢٣٤٨) ، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٢٥/١٢) ، وابن حبان في «صحيحه» (٣٨٣/١) ، والطيالسي في «مسنده» (١٢٠١) ، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٣٣٣) ، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٨١٣).

^٢ أي الإيمان الظاهر ، فلا يُفهم من شهادة النبي ﷺ لها بالإيمان أن من شهد لله بالعلو صار مؤمناً كاملاً بمجرد ذلك الإقرار ، بحيث أنه لا تمسه النار التي تمس عصاة المؤمنين ، وانظر «مجموع الفتاوى» (٤٤٦/٧).

^٣ أي النبي ﷺ .

^٤ «درء تعارض العقل والنقل» (٣١٥/٣).

^٥ هو الإمام العلامة الحافظ الناقد المحدث ، أبو سعيد ، عثمان بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني ، صنف كتاباً في الرد على بشر المريسي ، وآخر في الرد على الجهمية ، توفي سنة ٢٨٠ ، انظر ترجمته في «السير» (٣١٩/١٣).

يُجزى في رقبة مؤمنة ، إذ لا يعلم أن الله في السماء ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ جعل أمانة إيمانها معرفتها أن الله في السماء؟

ثم قال رحمه الله: ولو كان الأمر على ما يدعي هؤلاء الزائغة^١ ، لأنكر عليها رسول الله ﷺ قولها^٢ وعلمها ، ولكنها علمت به ، فصدقها رسول الله ﷺ وشهد لها بالإيمان بذلك ، ولو كان في الأرض كما هو في السماء لم يتم إيمانها حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء.

فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سماواته ، بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد ، وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد ، لا يبعد عنه شيء.^٣

وقال ابن عبد البر رحمه الله: وأما قوله في هذا الحديث للجارية: (أين الله؟) ؛ فعلى ذلك جماعة أهل السنة ، وهم أهل الحديث ورواته المتفقون فيه وسائر نقلته ، كلهم يقولون ما قال الله تعالى في كتابه ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، وأن الله عز وجل في السماء ، وعلمه في كل مكان ، وهو ظاهر القرآن في قوله عز وجل ﴿أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ ، ومثل هذا كثير في القرآن ، وليس في الحديث معنى يُشكل غير ما وصفنا.

ولم يزل المسلمون إذا دهمهم أمر يقلقهم فزعوا إلى ربهم ، فرفعوا أيديهم وأوجههم نحو السماء يدعونه ، ومخالفونا ينسبوننا في ذلك إلى التشبيه ، والله المستعان .
ومن قال بما نطق به القرآن فلا عيب عليه عند ذوي الألباب.^٤

^١ يقصد بذلك الذين ينكرون علو الرب عز وجل.

^٢ أي قولها إن الله في السماء.

^٣ «الرد على الجهمية» ص ٤٦ - ٤٧ .

^٤ باختصار من «الاستدكار» (٣٣٧/٧) ، كتاب العتق والولاء.

ولما احتج الشافعي بهذا الحديث على أن مجموع هاتين الشهادتين - شهادة أن الله في السماء وشهادة أن محمدا رسول الله - هو الإيمان ؛ عقّب شيخ الإسلام الصابوني رحمه الله على هذا فقال:

وإنما احتج الشافعي رحمة الله عليه على المخالفين في قولهم بجواز اعتناق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر لاعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه ، وفوق سبع سماواته على عرشه ، كما هو مُعتقد المسلمين أهل السنة والجماعة ، سلفهم وخلفهم ، إذ كان رحمه الله لا يروي خبرا صحيحا لا يقول به.^١

تنبيه:

استنكر أقوام سؤال: أين الله؟ فقالوا: إنه لا ينبغي أن يسأل أحد هذا السؤال! والجواب أن هذا الاستنكار مستنكر ، فالذي سأل هذا السؤال هو النبي ﷺ ، والحديث رواه جمع من المحدثين^٢ ، كما رواه أئمة المذاهب أحمد ومالك والشافعي ، ولو لم يكن اللفظ على ظاهره لبينوا ذلك بعد روايتهم للحديث ، ولهذا قال الحافظ عبد الغني المقدسي: وَمَنْ أَجْهَلُ جَهْلًا ، وَأَسْخَفُ عَقْلًا ، وَأَضَلُّ سَبِيلًا مِمَّنْ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَالَ: (أَيْنَ اللَّهُ) ، بعد تصريح صاحب الشريعة^٣ بقوله: أين الله؟^٤

ونقل ابن تيمية رحمه الله عن أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاب ، وهو من قدماء الأشاعرة^١ ، قوله:

^١ «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ، فقرة ٣١ .

^٢ «الاقتصاد في الاعتقاد» ، ص ٨٩ .

^٣ انظر تخريج الحديث.

^٤ «الاقتصاد في الاعتقاد» ، ص ٨٩ .

ورسول الله ﷺ - وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من بريته ، وأعلمهم جميعاً - يُجيز (الآين)^٢ ويقوله ، ويستصوب قول القائل: إنه في السماء ، وشهد له بالإيمان عند ذلك ، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون (الآين) ويُجرِّمون القول به .

قال: ولو كان خطأ ؛ كان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له ، وكان ينبغي أن يقول لها: (لا تقولي ذلك ، فتوهمي أنه عز وجل محدود ، وأنه في مكان دون مكان ، ولكن قولي: إنه في كل مكان ، لأنه هو الصواب دون ما قلت) ، كلا ، فلقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وأنه أصوب الإيمان ، بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله ، ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالت ، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك ، والكتاب ناطق به وشاهد له؟^٤

وقال الذهبي رحمه الله معلقاً على حديث الجارية:

ففي الخبر مسألتان: إحداهما شرعية قول المسلم: أين الله؟

^١ ابن كلاب هو رأس المتكلمين بالبصرة ، أي الذين دخلوا في علم الكلام والجدل في العقيدة ، وكان ذلك في أيام المأمون ، وإليه نسبت طائفة الكلابية ، قال الذهبي في ترجمته: أحدث القول بأن القرآن كلام قائم بذات الرب ، بلا قدرة ولا مشيئة ، فهذا لم يكن يتصوره عاقل ولا خطر ببال الجمهور ، حتى أحدث القول به ابن كلاب ، وقد صنف كتباً كثيرة في التوحيد والصفات ، وبين فيها أدلة عقلية على فساد قول الجهمية ، وبين أن علو الله تعالى على عرشه ومباينته لخلقه معلوم بالفطرة والأدلة العقلية ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة. انتهى من «تاريخ الإسلام» (٩٨١/٥).

وقال ابن تيمية في «الاستقامة» (٢١٢/١) في ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري: كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في مجمل أصول السنة ، ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولاً فاسدة ؛ صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالف به السنة ، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقاً. انتهى.

توفي ابن كلاب ما بين ٢٣١ - ٢٤٠ هـ ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» و «سير أعلام النبلاء» (١٧٤/١١).

^٢ أي سؤال: أين الله.

^٣ أي قول الجارية: في السماء.

^٤ «مجموع الفتاوى» (٣١٩/٥) ، وانظر «درء تعارض العقل والنقل» (١٩٣/٦ - ١٩٤).

وثانيهما: قول المسؤول^١: في السماء.

فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ^٢.

وقال أيضا: أما قول الإنسان: (أين الله) فهو حق ، وذكر حديث الجارية^٣.

وقال د. محمد خليل هراس^٤ رحمه الله:

هذا الحديث يتألق نصاعة ووضوحا ، وهو صاعقة على رؤوس أهل التعطيل ، فهذا رجل أخطأ في حق جاريته بضرهما ، فأراد أن يكفر عن خطيئته بعقبتها ، فاستمهله الرسول ﷺ حتى يمتحن إيمانها ، فكان السؤال الذي اختاره لهذا الامتحان هو: (أين الله) ، ولما أجابت بأنه في السماء رضي جوابها وشهد لها بالإيمان ، ولو أنك قلت لمعطل: أين الله؟ لحكم عليك بالكفران.^٥

^١ أي شرعية قول المسؤول.

^٢ «العلو» ص ٢٨ .

^٣ «العلو» ، ص ١٢٥ .

^٤ هو العلامة السلفي ، محمد خليل هراس ، مصري ، ولد عام ١٩١٦ م ، عمل رئيسا لشعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى ، ثم عاد إلى مصر وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ، ثم رئيسا لها ، له عدة مؤلفات وتحقيقات ، منها «شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتحقيق «كتاب التوحيد» لابن خزيمة ، و «شرح نونية ابن القيم» في مجلدين ، توفي رحمه الله عام ١٩٧٥ م عن ستين عاما ، قضاها في الدعوة والتعليم والذب عن العقيدة الإسلامية.

باختصار من مقدمة تحقيق كتابه «شرح العقيدة الواسطية» ، لعلوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر: دار الهجرة - السعودية.

^٥ حاشيته على كتاب «التوحيد» لابن خزيمة ، ص ١٢١ ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

وقد حصل هذا الامتحان النبوي للناس في قصص أخرى ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن محمد بن الشريد جاء بخادم^١ سوداء عتماء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، إن أمي جعلت عليها عتق رقبة مؤمنة ، فقال: يا رسول الله ، هل تجزي أن أعتق هذه؟

فقال رسول الله ﷺ للخادم: أين ربك؟

فرفعت برأسها ، فقالت: في السماء.

فقال: من أنا؟

قالت: أنت رسول الله.

فقال: أعتقها فإنها مؤمنة.^٢

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه أتاه رجل فقال على أمه رقبة وقد ماتت ، وأتاه بجارية أعجمية فقال لها: من أنا؟

قالت: رسول الله.

قال: فأين الله؟ فأشارت إلى السماء.

فقال: أعتقها ، فإنها مؤمنة.

قال الذهبي رحمه الله: أخرجه العسّال بإسناد صحيح عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس.^٣

^١ كلمة (خادم) تطلق على الذكر وعلى الأنثى.

^٢ رواه أبو داود (٣٢٨٤) ، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (ص ٢١٢) ، واللفظ له ، وقال الألباني: حسن صحيح.

^٣ «كتاب العرش» ، ص ١٨ ، وذكره الذهبي في «العلو» ص ١٦ ، ثم قال: هذا محفوظ عن أبي معاوية ، لكن شيخه قد ضَعَفَ.

ورواه أبو إسماعيل الهروي (٤٨١ هـ) في «الأربعين في دلائل التوحيد» ، ص ٥٣ - ٥٤ .

وقال يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: جاء حاطب إلى رسول الله ﷺ بجارية له ، فقال: يا رسول الله ؛ إن علي رقبة ، فهل تجزئ هذه عني؟

فقال رسول الله ﷺ : من أنا؟

قالت: أنت رسول الله.

قال: أين ربك؟

فأشارت إلى السماء.

قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

قال الذهبي رحمه الله: أخرجه أبو أحمد الحافظ بإسناد صحيح عنه.^١

تنبيه: هذا الحديث فيه أيضا إبطال لقول من قال: (إن الله خال عن الجهات الست) ، لأنه يقتضي إبطال حديث الجارية المتقدم وغيره من الأدلة الدالة على أن الله فوق السماء السابعة على عرشه ، بل هو في جهة العلو.

ومقولة (إن الله خال عن الجهات الست) يلزم منها وصف الله بالعدم المحض - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فالأمر كما قال أحد السلف: لو أردت أن تصف العدم لما استطعت أن تصفه بأحسن من هذا الوصف.

٥ . ومن أدلة علو الرب عز وجل على السماء ؛ التصريح بأن السماء بين الله وبين عباده ، وأن العرش فوق ذلك ، فعن ثابت قال: حدثنا رجل من الشام ، وكان يتبع عبد الله بن عمرو بن العاص ويسمع ، قال: كنت معه فلقي نوباً فقال نوباً: دُكر لنا أن الله تعالى قال لملائكته: ادعوا لي عبادي.

^١ «كتاب العرش» ، ص ١٨ .

قالوا: يا رب ، كيف والسموات السبع دونهم والعرش فوق ذلك؟

قال: إنهم إذا قالوا لا إله إلا الله استجابوا.

قال: يقول له عبد الله بن عمرو: صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب أو غيرها قال: فجلس قوم أنا فيهم ينتظرون الصلاة الأخرى قال: فأقبل إلينا يسرع المشي كأني أنظر إلى رفعه إزاره ليكون أحث له في المشي ، فانتهى إلينا فقال: ألا أبشروا ، هناك ربكم أمر بباب السماء الوسطى أو قال بباب السماء فُتُح ، ففاخر بكم الملائكة قال: انظروا إلى عبادي ، أدوا حقا من حقي ، ثم هم ينتظرون أداء حق آخر يؤدونه.^١

٦. ومن أدلة علو الله تصريحه عز وجل بفوقيته على عرشه واستوائه عليه ، ومن المعلوم أن

العرش فوق السماء السابعة.

وقد جاء ذكر استواء الله على عرشه في سبعة مواضع من القرآن الكريم وهي:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾^٢.

﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾^٣.

﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾^٤.

﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾^٥.

^١ رواه أحمد (١٩٧/٢) واللفظ له ، وابن ماجه مختصرا (٨٠١) ، وصححه محققو «المسند» (٤٤٧/١١) ، وكذا الألباني في

«الصحيفة» (٦٦١) ، وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» ، ص ٥٨ ، رقم ٨٦ .

^٢ سورة طه: ٥ .

^٣ سورة السجدة: ٤ .

^٤ سورة الأعراف: ٥٤ .

^٥ سورة يونس: ٣ .

﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾^١.
﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به
خبيراً﴾^٢.

﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾^٣.
كما جاء التصريح بعلو الله على عرشه في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما بين
كل سماء إلى أخرى مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما
بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة
عام ، والعرش على الماء ، والله على العرش ، ويعلم أعمالكم.^٤
وفي رواية: وهو يعلم ما أنتم عليه.^٥
قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله:
هذا الحديث موقوف على ابن مسعود ، لكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها ، فيكون لها
حكم الرفع^٦ ، لأن ابن مسعود لم يُعرف بالأخذ عن الإسرائيليات.^١

^١ سورة الرعد: ٢ .

^٢ سورة الفرقان: ٥٩ .

^٣ سورة الحديد: ٤ .

^٤ رواه ابن خزيمة (١٣٨) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥١) ، وغيرهما ، وحسنه ابن تيمية كما في «الواسطية» ، وصححه
الذهبي كما في مختصر «العلو» (ص ١٠٣) ، وصححه سنده ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص ٢٥٤ ، وقال الألباني: وسندهم
جيد.

^٥ رواه ابن خزيمة (١٣٩) ، والطبراني في «الكبير» (٨٩٨٧).

^٦ من المعلوم أن قول الصحابي في أمور الغيب له حكم الرفع ، لأن الصحابة لا يقولون ذلك بالرأي بل بالدليل ، وعليه فإن أقوال
الصحابة معتبرة في هذا الباب ، إلا إذا اشتهر عن أحد منهم الأخذ بالإسرائيليات فإن أقواله في هذا الباب لا يعتمد عليها

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما قضى الله الخلق كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي.^٢

فصل في بيان معاني الاستواء

الاستواء في اللغة له أربعة معانٍ وهي:

١. **العلو** ، وهذا إذا أتبع كلمة «استوى» بكلمة «على» ، فإن معناها حينئذ العلو والارتفاع بإجماع أهل اللغة^٣ ، ومن هذا قوله تعالى ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ ، أي لتعلون عليه وتركبون ، وقوله عن سفينة نوح ﴿واستوت على الجودي﴾ ، أي ارتفعت على الجودي وعلت عليه ، والجودي اسم جبل.

قال بشر بن عمر الزهراني^٤: سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ؛ على العرش استوى: ارتفع.^٥

مستقلة ، انظر «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» ، ص ٦١ ، للإمام زين الدين عبد الرحيم العراقي ، تحقيق محمد ربيع ، الناشر: دار مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان.

وانظر أيضا «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» (٢١٢/١) ، للحافظ السيوطي ، تحقيق أبي قتيبة نظر محمد الفارياي ، الناشر: دار الكلم الطيب - سوريا.

^١ «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» ، (٥٣٧/٢) ، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾.

^٢ أخرجه البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١) والترمذي (١٦٢٩).

^٣ حكى الإجماع ابن القيم ، انظر «مختصر الصواعق» ص ٣٥٢ .

^٤ هو أبو محمد ، بشر بن عمر الزهراني الأزدي ، ثقة ، له رواية في الحديث ، سمع أنس بن مالك ، توفي سنة ٢٠٧ هـ ، انظر ترجمته في «التهذيب».

^٥ رواه عنه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٦٦٢).

وقال أبو العالية: ﴿استوى إلى السماء﴾؛ ارتفع.^١
وقال مجاهد: ﴿استوى﴾: علا على العرش.^٢
قلت: وقول مجاهد في التفسير من أقوى الأقوال ، فقد قال رحمه الله: لقد عَرَضت القرآن على ابن عباس ثلاث عَرَضَات ، أفف عند كل آية أسأله فيم أنزلت ، وفيم كانت.^٣
وقال إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾:
الرحمن على عرشه ارتفع وعلا.^٤
وقال أيضا: وأما قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ فإنه يعني: علا عليه.^٥
وكذا قال غيره من أهل التفسير مثل ابن كثير والقرطبي وغيرهما.

٢. المعنى الثاني لكلمة «استوى»

إذا أتبعنا كلمة «استوى» بكلمة «إلى» في نحو قوله ﴿ثم استوى إلى السماء﴾^٦ ، فللمفسرين هنا قولان ؛ الأول أن معناها العلو والارتفاع ، فقد روى البيهقي عن يحيى بن زياد الفراء قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم استوى ؛ صعد.^٧
وهذا اختيار ابن جرير ، بل حكى ابن القيم إجماع السلف على هذا.^٨

^١ ذكره البخاري معلقا في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ﴿وهو رب العرش العظيم﴾.

^٢ انظر المرجع السابق.

^٣ رواه الدارمي في كتاب الطهارة ، باب إتيان النساء في أدبارهن (١١٠٨).

^٤ «تفسير الطبري» ، سورة طه ، الآية ٥ .

^٥ «تفسير الطبري» ، سورة الرعد ، الآية ٢ .

^٦ سورة البقرة: ٢٩ .

^٧ «الأسماء والصفات» (٣١٠/٢).

^٨ انظر «مختصر الصواعق» ، ص ٣٥٢ .

ومنهم من قال إن معناها (فَصَدَ) ، أي قصد إليها قصدا كاملا ، وأيدوا هذا بما يدل على هذا المعنى وهو استعمال (إلى) ، التي تدل على الغاية ، وهذا اختيار ابن كثير رحمه الله. وسواء هذا أو ذاك ، فكلاهما يدلان على علو الله تعالى.^١

٣. المعنى الثالث لكلمة استوى هو الكمال والتمام ، وهذا إذا لم تُعدَّ كلمة «استوى» بحرف ، كما في قوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ ، أي كُمِّل في قوته وتم ، وكما يقال استوى النبات ، واستوى الطعام.

٤. المعنى الثالث لكلمة استوى هو التساوي في الارتفاع ، وهذا إذا قرنت كلمة «استوى» بالواو ، كقول القائل: استوى الماء والخشبة ، أي تساويا في الارتفاع.

قال ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل»: قول القائل: (استوى على كذا) له معنى ، وقوله (استوى إلى كذا) له معنى ، وقوله (استوى وكذا) له معنى ، وقوله (استوى) بلا حرف يتصل به ؛ له معنى ، فمعانيه تنوعت بتنوع ما يتصل به من الصلّات.^٢

فالحاصل أن الاستواء المذكور في الآيات السبع المتقدمة داخل في المعنى الأول والثاني ، وهو العلو والارتفاع.

وقد جمع ابن القيم في «نونيته» معاني تفسير الاستواء عند السلف فقال:

فلهم عباراتٌ عليها أربعٌ قد حُصِّلت للفارس الطعان

^١ انتهى بتصرف واختصار من «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٣٨٤-٣٨٥).

^٢ (١/٢٧٩).

وهي استقر وقد علا وكذلك ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن
والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان
هو قول أهل الاعتزال وقول أتباع جهم وهو ذو بطلان
٧. ومن أدلة علو الرب عز وجل على السماء: صعود الأشياء إليه ونزولها من عنده ، ومن
المعلوم أن نزول الأشياء من أعلى يقتضي علوً من أنزلها ، وكذلك الصعود من أسفل يقتضي علوً
من هي صاعدة إليه ، قال تعالى واصفا القرآن ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾.
وقال تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ومعنى تعرج أي
تصعد.

وقال تعالى ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾.
وقال الله عن عيسى عليه السلام ﴿وما قتلوه يقيناً* بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.
وقال أيضاً ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا﴾^١.
وقال تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.
وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال:

^١ فإن قيل إن المقصود بالرفع هنا رفع المنزلة ؛ فالجواب أن هذا لا يستقيم ، لأن قوله (رافعك) هنا عدي بحرف (إلى) التي تفيد الغاية
الحسية لا المعنوية. انظر «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين ، (١/٣٨٧).

إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يرفع القسط ويخفضه ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل.^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يُريها لصاحبها كما يري أحدكم فُلُوهُ^٢ ، حتى تكون مثل الجبل.^٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضُلاً^٤ يتغون بمجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم ، وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم ، حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء ، قال: فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟

فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض ، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك....^٥

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم

^١ رواه مسلم (١٧٩) ، وابن ماجه (١٩٥) عن أبي موسى رضي الله عنه ، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٣٣/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٢ الفلو هو الفرس الصغير.

^٣ رواه البخاري (٧٤٣٠) واللفظ له ، ومسلم (١٠١٤).

^٤ أي غير الكتاب.

^٥ رواه مسلم (٢٦٨٩).

وهو أعلم بهم: (كيف تركتم عبادي) ، وهو أعلم بهم ، فيقولون: تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون.^١

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: اتقوا دعوات^٢ المظلوم ، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار.^٣

ومن الأدلة أيضا على علو الله ؛ معراج نبينا محمد ﷺ إلى السماء السابعة ، فعن أنس رضي الله عنه أنه لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء السابعة قال موسى ﷺ:

ربِّ لم أظن أن ترفع علي أحدا ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدره

المنتهى ... فأوحى الله فيما أوحى: (خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة) ، ثم هبط^٤ حتى بلغ

موسى ، فاحتبسه موسى ، فقال: يا محمد ، ماذا عهد إليك ربك؟

قال: عهد^٥ إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة.

قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل

كأنه يستشيريه في ذلك ، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار ، فقال وهو

مكانه: (يا رب خفف عنا ، فإن أمتي لا تستطيع هذا) ، فوضع عنه عشر صلوات ، ثم رجع إلى

موسى فاحتبسه ، فلم يزل يردد موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات.^٥

^١ رواه مسلم (٦٣٢) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٣٢/٢).

^٢ هكذا (دعوات) ، وفي حديث آخر: دعوة.

^٣ رواه الحاكم (٢٩/١) ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٧١).

^٤ أي النبي ﷺ .

^٥ رواه البخاري (٧٥١٧).

فعروج النبي ﷺ إلى ربه ، ثم تردده ﷺ بين موسى ﷺ وبين ربه صعودا ونزولا دليل على علو الرب فوق السماء ، ولو لم يكن الله فوق السماء لما كان لعروج النبي ﷺ إلى السماء السابعة أي معنى . قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: وفي الأخبار دلالة واضحة أن النبي ﷺ عرج به من الدنيا إلى السماء السابعة ، وأن الله تعالى فرض عليه الصلوات على ما جاء في الأخبار ، فتلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق الباري فوق سبع سماوات.^١

فائدة:

قال أبو العباس أحمد بن محمد المظفري المختار الرازي^٢ في كتابه «فرع الصفات في تقرير نفاة الصفات»:

إن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا ، واختلفوا في الرؤية تلك الليلة اتفاق منهم على أن الله على العرش.^٣ قال مقيده عفا الله عنه: صدق رحمه الله ، فإنهم يعتقدون أن النبي ﷺ عرج به إلى السماء ، ثم اختلفوا هل رأى ربه أم لا ، فدل هذا على اعتقادهم أن الله في السماء ، وهذا واضح بحمد الله .

شبهة والجواب عنها

فإن قيل: إن المعراج كان رؤيا منامية وليس صعودا حقيقيا!
فالجواب ما قاله الذهبي رحمه الله:

^١ «كتاب التوحيد» ، (ص ٢٠٧).

^٢ هو الإمام الحافظ المصنف الثقة أبو العباس أحمد بن المظفر بن المختار الرازي ، حنفي المذهب ، عالم بالتفسير ، من مؤلفاته «مباحث التفسير» ، و «حجج القرآن» ، وكلاهما مطبوع ، مات سنة ٦٣١ هـ تقريبا. انظر «الأعلام» (١/٢١٧).

وصفه ابن القيم في «اجتماع الجيوش» بتكلم السنة ، إمام الصوفية في وقته.

^٣ نقلا من «اجتماع الجيوش» ، ص ٣٠٦ .

وأحاديث المعراج طويلة مشهورة ، جمعها الحافظ عبد الغني ، رأيتها في جزأين له ، فلو كان معراجه مناما ، وُرْقِيَّةٌ إلى سدرَةِ المنتهى في عالم السُّنة^١ وغلبة الفكر ؛ لما كان للمصطفى صلوات الله عليه في ذلك كبير مزية على كثير من صالحى أمته ، ولما قرر الحق^٢ معراجه ، وتوّه بذكره بأنه يقظة عيانا بقوله تعالى ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى ﴾^٣.

وعن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطرٌ ، قال: فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر ، فقلنا: يا رسول الله ، لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهدٍ بربه عز وجل.^٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ما قال عبد «لا إله إلا الله» ، قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء ، حتى تفضي إلى العرش ، ما اجتنب الكبائر.^٥
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ ؛ رُميَ بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟

قالوا: الله ورسوله أعلم ، كنا نقول: وُلد الليلة رجل عظيم ، ومات رجل عظيم.

^١ بكسر السين وتشديدها: النعاس.

^٢ أي الله تعالى.

^٣ كتاب «العلو» ص ١٠٢ ، باختصار يسير.

^٤ رواه مسلم (٨٩٨).

^٥ رواه الترمذي (٣٥٩٠) ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣٣) ، وحسنه الألباني كما في «صحيح الترمذي» له (٣٥٩٠).

فقال رسول الله ﷺ : فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمرا سح حملة العرش ، ثم سح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال ، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا ، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا ، فتخطف الجن السمع... الحديث.^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في أهل الأرض.^٢

ومن الأدلة كذلك حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال للرسول ﷺ : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان!

قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم.^٣

فائدة

كل آية تدل على صعود الأشياء إلى الله ، أو رفع الأشياء إلى الله ، أو نزول الشيء من الله ؛ فإنها تدل على علو الله عز وجل.^٤

^١ رواه مسلم (٢٢٢٩) ، وأحمد (٢١٨/١).

^٢ رواه البخاري (٧٤٨٥) ومسلم (٢٦٣٧).

^٣ رواه أحمد (٢٠١/٥) ، والنسائي (٢٣٥٧) ، وصححه الألباني رحمه الله.

^٤ هذه فائدة قیدتها عندي قديما ، يغلب على ظني أنها من تقريرات الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ، ثم قرأتها على الشيخ محمد بن علي آدم الأتيوبي حفظه الله فأقرها.

٨. ومن أعظم الأدلة على علو الرب ؛ نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفربي فأغفر له؟^١

فنزول الرب إلى السماء الدنيا يدل على أنه فوقها.

قال ابن عبد البر رحمه الله في كتاب «التمهيد» في شرحه لحديث نزول الرب إلى السماء الدنيا: وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش ، من فوق سبع سماوات ، كما قالت الجماعة^٢ ، وهو من حججهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: (إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش).^٣

شبهة والجواب عنها

فإن قيل: لو أن الله ينزل في الثلث الأخير من الليل للزم من هذا أن يكون نازلا دوما ، لأن ثلث الليل لا ينقطع ، بل ينتقل من مكان إلى مكان! فالجواب ما قاله ابن تيمية رحمه الله:

وهذا إنما قالوه لتخيلهم من نزوله ما يتخيلونه من نزول أحدهم ، وهذا عين التمثيل ، ثم إنهم بعد ذلك جعلوه كالواحد العاجز منهم ، الذي لا يمكنه أن يجمع من الأفعال ما يعجز غيره عن جمعه ،

^١ رواه البخاري (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم (٧٥٨) ، والترمذي (٣٤٩٨) ، وأبو داود (١٣١٥) ، وابن ماجه (١٣٦٦) ، وأحمد (٢٦٧/٢) ، ومالك في كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء (٣٠) ، والدارمي في كتاب الصلاة ، باب: ينزل الله إلى السماء الدنيا (١٤٥١).

^٢ أي أهل السنة والجماعة.

^٣ (١٢٤/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٢٩/٧) من ط المغربية.

وقد جاءت الأحاديث بأنه يحاسب خلقه يوم القيامة كل منهم يراه مُخلّياً به ويناجيه ، لا يرى أنه متخلّياً لغيره ولا مخاطباً^١ لغيره ، وقد قال النبي ﷺ : (إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين) ؛ يقول الله (حمّدي عبدي) ، وإذا قال (الرحمن الرحيم) ؛ قال الله (أنتي علي عبدي) ، فكل من الناس يناجيه ، والله تعالى يقول لكل منهم ذلك ، ولا يشغله شأن عن شأن ، وذلك كما قيل لابن عباس: كيف يحاسب الله تعالى الخلق في ساعة واحدة؟

فقال: كما يرزقهم في ساعة واحدة.

ومن مثّل مفعولاته التي خلقها بمفعولات غيره فقد وقع في تمثيل الجوس القدرية ، فكيف بمن مثّل أفعاله بنفسه أو صفاته بفعل غيره وصفته؟

يقال أيضاً لهؤلاء: أنتم تعلمون أن الشمس جسم واحد ، وهي متحركة حركة واحدة متناسبة لا تختلف ، ثم إنه بهذه الحركة الواحدة تكون طالعة على قوم ، وغاربة عن آخرين ، وقريبة من قوم ، وبعيدة من آخرين ، فيكون عند قوم عنها ليل وعند قوم نهار ، وعند قوم شتاء وعند قوم صيف ، وعند قوم حر وعند قوم برد ، فإذا كانت حركة واحدة يكون عنها ليل ونهار في وقت واحد لطائفتين ، وشتاء وصيف في وقت واحد لطائفتين ، فكيف يمتنع على خالق كل شيء الواحد القهار أن يكون نزوله إلى عباده وندائه إياهم في ثلث ليلهم وإن كان مختلفاً بالنسبة إليهم؟ وهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يحتاج أن ينزل عن هؤلاء ثم ينزل على هؤلاء ، بل في الوقت الواحد الذي يكون ثلثاً عند هؤلاء وفجراً عند هؤلاء يكون نزوله إلى سماء هؤلاء الدنيا وصعوده عن سماء هؤلاء الدنيا ، فسبحان الله الواحد القهار ، ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين^٢.

^١ هكذا في المطبوع (مخاطب) ، ولعل الصواب (مخاطباً).

^٢ انتهى من «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٢٢٨-٢٢٩) ، بتصرف يسير.

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: إن المقصود بالنزول المذكور في الحديث هو نزول رحمته وأمره ، واحتجوا بأثر عن الإمام مالك ، نقله ابن عبد البر في «التمهيد»^١ فقال: وقد روى محمد بن علي الجبلي ، وكان من ثقات المسلمين بالقيروان ، قال: حدثنا جامع بن سودة بمصر ، قال: حدثنا مطرف عن مالك بن أنس ، أنه سئل عن الحديث (إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا) ، فقال مالك: يتنزل أمره. انتهى.

قلت: والجواب عن هذه الشبهة من ثلاثة وجوه:

الأول: أن هذا الأثر ضعيف ، لضعف جامع بن سودة ، وقد اتهمه الذهبي بالوضع ، انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» ، و«المغني في الضعفاء».

الثاني: أن الثابت عن مالك إمرار الصفات على ظاهرها بدون تأويل ، فقد جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله ، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، فكيف استوى؟

قال الراوي: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرُخْضَاءُ^٢ ، ثم قال: الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا ، فأمر به أن يُخرج.^٣ فالحاصل أن المعروف عن مالك عدم تأويل شيء من صفات الرب ، بل إمرارها كما جاءت بلا تأويل ولا تحريف.

^١ (١٣٣/٦ - ١٣٤) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٤٣/٧) من ط المغربية.

^٢ أي العرق.

^٣ تقدم تخريجه في المقدمة التأصيلية لفهم أسماء الله تعالى وصفاته.

الثالث: أن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبداً في الليل والنهار ، وليس مخصوصا في الثلث الأخير من الليل ولا غيره ، فبطل بذلك الاستدلال بهذا الأثر من الجهة العقلية.

وقد رد ابن عبد البر هذه الشبهة بعدما نقلها.

وللعلم فقد رُوي هذا الأثر عن حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك ، وأورد الذهبي سنده في «سير أعلام النبلاء»^١ ، وفيه حبيب كاتب مالك ، اتهمه ابن عدي بالوضع كما في «الكامل في الضعفاء»^٢.

شبهة والجواب عنها

أول بعض الناس لفظ النزول الوارد في أدلة العلو إلى معنى آخر وهو الوصول!

والجواب أن استعمال لفظ النزول للتعبير عن الوصول لا يُعرف في اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، فلا يقال لمن وصل من سفر أنه نزل إليك ، ولا يقال لمجيء الليل والنهار نزول الليل والنهار ، وهكذا ، هذا أولاً.

ثانياً: أنه لا بد من قرينة تخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز ، وتُزيل اللبس ، وتُعيّن المراد ، وهذا لم يحصل مطلقاً ، (فأعلم الخلق بالله وأنصحهم للأمة وأقدرهم على العبارة التي لا توقع لبساً قد صرح بالنزول مضافاً إلى الرب في جميع الأحاديث ، ولم يذكر في موضع واحد ما ينفي الحقيقة ، بل كان يؤكدها).^٤

^١ (١٠٥/٨).

^٢ (٨١٨/٢) ، طبعة دار الفكر - بيروت.

^٣ وانظر للاستزادة في معرفة بطلان هذا الأثر المكذوب على مالك رحمه الله كتاب «لا دفاعاً عن الألباني فحسب ، بل دفاعاً عن السلفية» ، لعمر بن عبد المنعم سليم ، ص: ٣٣ وما بعدها.

^٤ قاله ابن القيم رحمه الله كما في «مختصر الصواعق» ص ٤٢٥ ، بتصريف يسير.

ثالثا: أن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ، رواه عنه ثمانية عشر نفسا من الصحابة رضي الله عنهم ، مما يدل على أنه كان يُبلَّغُه في كل موطن وجمع ، وفي كل الروايات لا يقرون كلامه بما يدل على إرادته لمعنى يخالف المعنى الظاهر ، وهو النزول الذاتي ، مما يدل على إرادته للمعنى الظاهر.^١

٩ . **ومن أدلة علو الله على خلقه ؛ رفع الأيدي إلى العلو حين الدعاء** ، فقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث عن النبي ﷺ ، منها حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **إن ربكم تبارك وتعالى حييٌّ كريم ، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا.**^٢

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفة: وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت.

فقال بإصبعه السَّبابة ، **يرفعها إلى السماء وينكُثُها إلى الناس**^٣: (اللهم اشهد ، اللهم اشهد) ، ثلاث مرات.^٤

فَرَفَعَ الرسول ﷺ لسبأته إلى السماء دليل فعلي منه على علو الله عز وجل.

^١ انظر «مختصر الصواعق» ، ص ٤٢٣ .

^٢ رواه أبو داود (١٤٨٨) ، والترمذي (٣٥٥٦) ، وابن ماجه (٣٨٦٥) ، ، وحسنه الألباني.

^٣ أي يشير بها إلى الناس.

^٤ رواه مسلم (١٢١٨) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) ، والدارمي في كتاب المناسك ، باب: في سنة الحاج (١٧٩٣).

وليعلم أن الصحابة لم يجتمعوا اجتماعا مثل ذلك الجمع ، إذ أن الذي حج معه نحو مئة ألف ، والذين مات عنهم نحو مئة وأربعة وعشرين ألفا ، فعامة المسلمين حضروا ذلك الجمع وتلقوا عنه ما قاله وقرره ﷺ ، ومن ذلك رفع يديه إلى السماء.^١ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنة^٢ على عهد النبي ﷺ ، فبينما^٣ النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة ؛ قام أعرابي فقال: يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه... الحديث.^٤

قال الدارمي رحمه الله: ثم الروايات لتحقيق ما قلنا متظاهرة عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ، ثم إجماع من الأولين والآخرين ، العالمين منهم والجاهلين ، أن كل واحد ممن مضى وممن غبر إذا استغاث بالله تعالى أو دعاه أو سأله ؛ يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها ، ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض ، ولا من أمامهم ، ولا من خلفهم ولا عن أيماهم ولا عن شمائلهم ، إلا من فوق السماء ، لمعرفتهم بالله أنه فوقهم ، حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم: سبحان ربي الأعلى ، لا ترى أحدا يقول: سبحان ربي الأسفل.^٥ قلت: وكذلك لا يقول المصلي في سجوده: سبحان ربي الذي في كل مكان. وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة في أصول الديانة»:

^١ نقلا من «رسالة في العلو» ، للشيخ محمد بن رياض الأحمد ، بتصرف ، ص ١٢ .

^٢ أي سنة قحط.

^٣ أي بينما.

^٤ رواه البخاري (٩٣٣).

^٥ «الرد على الجهمية» ص ٤٤ - ٤٥ ، باختصار.

ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السماوات ، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش.^١

شبهة والجواب عنها

فإن قيل: إن الداعي إنما يرفع يديه إلى السماء لأن السماء قبلة الدعاء وليس لكون الله في السماء!

فالجواب:

١. لو كانت السماء قبلة الدعاء - كما يزعم نفاة العلو - لكان المشروع للداعي هو توجيه الوجه إليها أيضا وليس فقط يديه ، وهذا غير مشروع بل هو ممنوع كما في قوله ﷺ : ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟ فاشتدَّ قوله في ذلك حتى قال: لِيَنْتَهَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتَحْطَفَنَّ أَبْصَارَهُمْ.^٢

٢. أن القول بأن السماء قبلة الدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة ، ولا أنزل الله به من سلطان ، وهذا من الأمور الشرعية الدينية ، فلا يُتصوَّر أن يخفى على سلف الأمة وعلمائها.^٣

^١ ص ٨٧ .

قال الذهبي رحمه الله: كان أبو الحسن أولاً معتزلياً ، أخذ عن أبي علي الجبائي ، ثم نابذه ورد عليه ، وصار متكلماً للسنة ، ووافق أئمة الحديث في جمهور ما يقولونه ، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها لأحسنوا ، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ، ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله.

انظر «العلو» ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، باختصار يسير .

^٢ رواه البخاري (٧٥٠) عن أنس رضي الله عنه.

^٣ قاله ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٢٩٢ ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

٣. أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة وهي الكعبة ، ولهذا كان النبي ﷺ يستقبل الكعبة في دعائه وصلاته ، فلو كانت السماء هي قبلة الدعاء دون الصلاة ؛ لما كان لاستقباله الكعبة في دعائه أي معنى.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: فمن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة ، أو إن له قبلتين ؛ إحداهما الكعبة والأخرى السماء ؛ فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين.^١

٤. أن القبلة في الشرع هي ما يستقبله العابد بوجهه لا ما رفع إليه يديه ، ولهذا يُوجه المسلمون وجوههم إلى الكعبة أحياء وأمواتا ، فمن زعم أن ثمَّ قبلة غير ما تُوجه لها الوجوه فقد أخطأ.

فإن قيل: فما بال الساجد يوجه وجهه إلى الأرض في سجوده؟

فالجواب ما قاله ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: إن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذلل له ، لا أن يميل إليه إذ هو تحته ، هذا لا يخطر في قلب ساجد ، لكن يُحكى عن بشر المريسي^٢ أنه سُمع وهو يقول في سجوده: (سبحان ربي الأسفل)^٣ ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

وإن من أفضى به النفي^٤ إلى هذه الحال حري أن يتزندق إن لم يتداركه الله برحمته ، وبعيد من مثله الصلاح ، قال تعالى ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ ، وقال تعالى ﴿فلما

^١ المصدر السابق.

^٢ بشر المريسي من أئمة فرقة الجهمية ، الذين لا يؤمنون بصفة العلو لله ، ويقولون إن الله في كل مكان ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

^٣ أخرج ابن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية» عن يزيد بن هارون ، أنه سأله رجل من أهل بغداد فقال: سمعت المريسي يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل. فقال يزيد: إن كنت صادقا ؛ إنه كافر بالله العظيم.

ذكره الذهبي في كتاب «العرش» ، ص ٩٥ .

^٤ أي نفي العلو.

زاغوا أزاع الله قلوبهم ﴿﴾ ، فمن لم يطلب الاهتداء من مظانه يعاقب بالحرمان ، نسأل الله العفو والعافية.^١

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: إن الأيدي ترفع إلى السماء حال الدعاء لأن أرزاق العباد تأتي من السماء ، وكذلك الأعمال ؛ ترفع إلى الله لأن حفظة الأعمال مساكنهم في السماء.

وقد أجاب عن هذه الشبهة أبو الحسن علي بن مهدي الطبري صاحب أبي الحسن الأشعري فقال: إن كانت العلة في رفع أيدينا إلى السماء أن الأرزاق فيها ، وأن الحفظة مساكنهم فيها ؛ جاز أن نخفض أيدينا في الدعاء نحو الأرض من أجل أن الله يحدث فيها النبات والأقوات والمعاش ، وأنها قرارهم ، ومنها خلقوا ، ولأن الملائكة معهم في الأرض ، فلم تكن العلة في رفع أيدينا إلى السماء ما وصفه ، وإنما أمرنا الله تعالى أن نرفع أيدينا قاصدين إليه رفعها نحو العرش الذي هو مستو عليه.^٢

^١ قاله ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٢٩٣ ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

^٢ نقلا من كتاب «العرش» للذهبي ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

١٠. دلالة العقل على علو الرب عز وجل: إن العقل الصحيح يدل على علو الله سبحانه وتعالى ، لأن العلوّ صفة كمال ، أما السّفال^١ فهو صفة نقص ، والله لا يوصف بالنقص ، بل يوصف بالكمال المطلق من جميع الوجوه ، قال تعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾ . ولهذا مدح الله ما علا ، وذمّ ما سفل فقال ﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ ، يعني في السماء السابعة ، وقال ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ يعني الأرض السفلى ، وقال ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ ، وقال ﴿نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ . قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية»: وإذا كان^٢ صفة العلو والفوقية صفة كمال ، لا نقص فيه ، ولا يستلزم نقصا ، ولا يوجب محذورا ، ولا يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماعا ؛ فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلا ، فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة والفطر المستقيمة والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعا.^٣ وقال ابن تيمية في «درء التعارض» إن المثبتين للعلو بالعقل لهم طرق منها أنهم يقولون العلم بذلك ضروري مستقر في فطر بني آدم. ومنها أنهم يقولون إن قصدهم لرهم عند الحاجات التي لا يقضيها إلا هو أيضا ضروري ، وقصدهم له بتوجه قلوبهم إلى العلو أيضا ضروري.

^١ السّفال نقيض العلو.

^٢ هكذا بالتذكير.

^٣ «شرح العقيدة الطحاوية» ، ص ٣٨٠ .

توضيح: أنواع أدلة علو الرب تقرب من عشرين نوعا كما قال الشيخ ، أما مفرداتها وأمثلتها التي تندرج تحت تلك الأنواع فتفوق الألفين ، فسبحان من بحر بحكمته العقول.

ومنها أنهم يقولون إن ذلك أمر متفق عليه بين العقلاء السليمي الفطرة ، وكل منهم يخبر بذلك عن فطرته من غير مواطأة من بعضهم لبعض ، ويمتنع في مثل هؤلاء أن يتفقوا على تعمُّد الكذب عادة ، ويمتنع أيضا غلطهم في الأمور الفطرية الضرورية ، فإن ذلك يسد باب العلم والمعرفة ، وأن يثق الإنسان بشيء من علومه.^١

^١ «دره تعارض العقل والنقل» (١٣٢/٧-١٣٣) ، بتصرف يسير واختصار.

١١- دلالة الفطرة السليمة: إن النفوس المستقيمة والفطر السليمة مفضولة على أن الله سبحانه وتعالى في العلو ، فوق كل شيء ، ولهذا يجد الإنسان قلبه ويديه تتجه إلى العلو إذا أهمه أمر بمقتضى فطرته ، ويقول: (يا الله ، يا الله) ، يفعل هذا بدون تكلف ، ولا يجدها تتجه إلى الأرض أو يميناً أو يسرةً.

قال ابن عبد البر رحمه الله: ومن الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السماوات السبع ؛ أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كَرِهَهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء ، يستغيثون ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يُحتاج فيه إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم.^١ وهكذا قال ابن أبي شيبة في كتابه «صفة العرش»^٢ ، وابن قدامة^٣ في «إثبات صفة العلو»^٤ ، وقد تركت نقل أقوالهم خشية الإطالة.

وقد نقل الذهبي في «العلو» قصة أبي جعفر الهَمْدَانِي^٥ لما حضر مجلس إمام الحرمين ، أبي المعالي الجويني^١ - وكان من نفاة العلو - فسأله: ما قال عارف قط (يا رَبَّاه) إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصدٌ لا يلتفت يمينه ولا يسرة يقصد الفوق ، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟

^١ «التمهيد» لابن عبد البر (١٢٧/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء.

^٢ ص ٢٩١ ، تحقيق د. محمد بن خليفة التميمي ، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.

^٣ هو الشيخ الفقيه ، أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، ثم الدمشقي الحنبلي ، من أكابر الحنابلة ، له تصانيف لا يستغنى عنها ، أهمها «المغني» ، و «الكافي» ، و «المقنع» ، و «روضة الناظر» ، و «ذم التأويل» ، و «لمعة الاعتقاد» ، و «العمدة» ، وغيرها ، توفي سنة ٥٦٥ . انظر ترجمته في «الأعلام» (٦٧/٤) وغيرها.

^٤ ينظر كلامه في أول كتابه.

^٥ هو الشيخ الإمام الحافظ الزاهد ، بقية السلف والأثبات ، محمد بن الحسن بن محمد الهمداني ، كان من أئمة أهل الأثر. انظر ترجمته في «السير» (١٠١/٢٠).

فضرب الجويني بكُفِّه على السرير وصاح: (يا للحيرة) ، وخرق ما كان عليه وانخلع ، وصارت قيامة في المسجد ، ونزل ولم يجيني إلا: (يا حبيبي ، الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة) ، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حَيَّرَني الهَمْدَانِي.^٢

فالشيخ أبو جعفر أراد أن أمر التوجه إلى العلو عند نداء الله أمر فطري ، مركز في الأنفس ، فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المعلمين ، يجدونه في قلوبهم ضروريا من غير تلقين ولا تعليم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

^١ هو إمام الحرمين ، أبو المعالي ، عبد الملك بن الإمام عبد الله بن يوسف الجويني ، النيسابوري ، شيخ الشافعية في زمانه ، وقع في الاعتزال في أول أمره ، ثم لما أراد الله به خيرا رجع إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، وألف في ذلك كتاب «الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية» ، وله مقالات مشهورة عنه قالها بعد تراجعه عن الاعتزال ، منها قوله: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام) ، أي علم الكلام ، وهو العلم الذي يبحث في ذات الله وصفاته على طريقة الفلاسفة ومنتجات عقول البشر ، وليس من منطلق فهم السلف الصالح ، الذي قاعدته التسليم للكتاب والسنة ، وفهم النبي ﷺ وصحابته ، فهو لا يعدو عن كونه كلام البشر ، فسمي بعلم الكلام ، وهو مذموم بلا شك ، ودرجة الانحراف فيه تتفاوت بحسبه.

ومما قاله رحمه الله متراجعا عن المقالات الكلامية ؛ قوله في مرض موته لمن حوله: اشهدوا علي أي قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة ، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور.

وقال يوما لأصحابه: يا أصحابنا ، لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

توفي رحمه الله سنة ٤٧٨ ، وقد ترجم له الذهبي في «السير» (٤٦٨/١٨).

^٢ «العلو» ، ص ٢٥٩ ، باختصار.

قال الذهبي: ثوفي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وكان من بحور العلم في الأصول والفروع ، يتوقد ذكاء.

قال الألباني في «مختصر العلو» ص ٢٧٧: إسناد هذه القصة صحيح ، مسلسل بالحفاظ.

قلت: وقد أشار ابن تيمية لهذه القصة في مواضع ، انظر «مجموع الفتاوى» (٢٢٠/٣) ، (٤٤/٤) ، (٦١) ، و «الاستقامة»

(١٦٧/١) ، و «بيان تلبيس الجهمية» (٤٤٦/٢) ، كما ذكرها ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ، ص ٢٧٥ .

ولهذا تجد المنكر لهذه القضية^١ يُقر بها عند الضرورة ، ولا يلتفت إلى ما اعتقده من المعارض لها ، فالنفاة لعلو الله إذا حذب أحدهم شدة ؛ وجّه قلبه إلى العلو يدعو الله .

ولقد كان عندي من هؤلاء النافين لهذا من هو من مشايخهم ، وهو يطلب مني حاجة ، وأنا أخاطبه في هذا المذهب كأني غير منكر له ، وأخّرت قضاء حاجته حتى ضاق صدره ، فرفع طرفه ورأسه إلى السماء وقال: يا الله .

فقلت له: أنت مُحَقِّقٌ^٢ ، لمن ترفع طرفك ورأسك؟ وهل فوق عندك أحد؟ فقال: (أستغفر الله) ، ورجع عن ذلك لما تبين له أن اعتقاده يخالف فطرته ، ثم بينت له فساد هذا القول ، فتاب من ذلك ، ورجع إلى قول المسلمين المستقر في فطرتهم.^٣ وقال أيضا رحمه الله:

وقد عُرس في بُنية الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أؤكد ، لأنك لا تسأل أحدا من الناس عنه عربيا ولا عجميا ، ولا مؤمنا ولا كافرا ، فتقول (أين ربك) إلا قال (في السماء) إن أفصح ، أو أوماً بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح ، لا يشير إلى غير ذلك من أرضٍ ولا سهلٍ ولا جبلٍ ، ولا رأينا أحدا داعيا له إلا رافعا يديه إلى السماء ، ولا وجدنا أحدا غير الجهمية يُسأل عن ربه فيقول (في كل مكان) كما يقولون ، وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم ، فتاهت العقول وسقطت الأخبار واهتدى جهنم وحده وخمسون رجلا معه ، نعوذ بالله من مضلات الفتن.^٤ وقد بوب ابن خزيمة رحمه الله في «كتاب التوحيد» بابا سماه:

^١ أي قضية ثبوت صفة العلو لله تعالى .

^٢ أي أنت عالم بالأمور ، تدري ما تقول .

^٣ «درء تعارض العقل والنقل» (٣٤٣/٦) .

^٤ «درء تعارض العقل والنقل» (١٩٤/٦) .

«باب ذكر البيان أن الله عز وجل في السماء كما أخبرنا في محكم تنزيله ، وعلى لسان نبيه عليه السلام ، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين ، علمائهم وجهاتهم ، وأحرارهم ومماليكهم ، ذكراهم وإناثهم ، بالغيم وأطفالهم ، كل من دعا الله جل وعلا فإنما يرفع رأسه إلى السماء ، ويمد يديه إلى الله إلى أعلى ، لا إلى أسفل».

وقال ابن قتيبة في كتابه «مختلف الحديث»:

والأمم كلها عجميها وعربيها تقول: إن الله في السماء ، ما تركت على فطرتها^١. قال مقبده عفا الله عنه: وقد بعث الله الرسل صلوات الله عليهم بالأديان والشرائع الموافقة لما فطر عليه قلوبهم ونفوسهم ، كما قال تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^٢.

وقال يزيد بن هارون: من زعم أن ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ على خلاف ما يَقَرُّ في قلوب العامة فهو جهمي^٣.

قال الذهبي رحمه الله: (يَقَرُّ) مخفف ، و (العامة) مراده بهم جمهور الأمة وأهل العلم ، والذي وَقَرَّ في قلوبهم من الآية هو ما دل عليه الخطاب ، مع يقينهم بأن المُستوي ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، هذا الذي وَقَرَّ في فطرهم السليمة وأذهانهم الصحيحة ، ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه ، ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله ، ولو نقل لاشتهر ، فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجب نقصا أو قياسا للشاهد على الغائب ،

^١ نقلا من «العلو» ص ١٩٦ .

^٢ ومن أراد التحقق من أن علو الرب أمر معلوم بالفطرة فليذهب إلى العوام الباقين على فطرهم ، ولم يخالطوا أحدا ممن يقرر نفي العلو ، ويسألهم صغارا وكبارا ، رجالا ونساء: أين الله ، ثم يسمع جوابهم.

^٣ رواه ابن بطلة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٣/١٦٤ - ١٦٥).

وللمخلوق على الخالق ؛ فهذا نادر ، فمن نطق بذلك رُجِرَ وعُلمَ ، وما أظن أن أحدا من العامة يَقْرُ في نفسه ذلك ، والله أعلم.^١

وقال أيضا في كتاب «العرش» له:

ويزيد بن هارون شيخ أهل واسط ، وأجلهم علما وزهدا على رأس المائتين ، وله مناقب كثيرة رحمه الله ، وهذا الذي قاله هو الحق ، لأنه لو كان معناه على خلاف ما يقر في القلوب السليمة من الأهواء ، والفطر الصحيحة من الأدواء ؛ لوجب على الصحابة والتابعين أن يبينوا أن استواء الله على عرشه على خلاف ما فطر الله عليه خلقه ، وجبلهم على اعتقاده.^٢

فصل في إقرار البهائم بعلو الله تعالى

ومن اللطائف ، واللطائف جَمَّةٌ ، أن البهائم العُجم تُقِرُّ بأن الله في العلو بمقتضى الفطرة ، ومما يدل على ذلك قصة النملة التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خرج نبي من الأنبياء يستسقي ، فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال: ارجعوا ، فقد استُجيب لكم من أجل شأن التَّمَلَّةِ.^٣

فهذا إلهام فطري من الله للنملة بعلوه سبحانه وتعالى.

بل الحيوانات عموما ترفع رأسها في زمان الجذب وقلة الأمطار إلى السماء ، وكأنها تستمطر الله سبحانه وتعالى!

^١ «العلو للعلي الغفار» ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

^٢ كتاب «العرش» ص ٨١ .

^٣ رواه الحاكم في «المستدرک» (١/٣٢٥ - ٣٢٦) ، والدارقطني في «سننه» في كتاب الاستسقاء ، (١٧٧٩).

وقد قيل إن الماعز ترفع رأسها إلى السماء أثناء ولادتها ، تسترحم الله ، فسبحان من بخر بحكمته العقول.

١٢- ومن أدلة علو الله على عرشه ؛ إخباره باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده سبحانه وتعالى ، قال تعالى عن الملائكة ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وله يستحسرون﴾^١.

والشاهد من الآية أنه لولا أن الملائكة عند ربه في العلو لما كان لتخصيصهم بأنهم عنده معنى ، لأن لازم ذلك أن جميع الخلق سيكونون عنده.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟

قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟

قال: يُتْمُون الصفوف المقدمة ، ويتراصون في الصف.^٢

قال أبو سعيد الدارمي رحمه الله:

فلو كان الله في الأرض ؛ ما كان لقوله ﴿الذين عند ربك﴾ معنى ، إذ كل الخلق عنده ومعه في الأرض بمنزلة واحدة ، مؤمنهم وكافرهم ، ومطيعهم وعاصيهم.

ثم إن أكثر أهل الأرض من لا يسبح بحمده ولا يسجد له ، ولو كان في كل مكان ومع كل أحد لم يكن لهذه الآية معنى ، لأن أكثر من في الأرض لا يؤمن به ولا يسجد له ، ويستكبر عن عبادته ، فأبي منقبة إذاً فيه للملائكة؟!^٣

^١ سورة الأنبياء: ١٩ .

^٢ رواه مسلم (٤٣٠).

^٣ «الرد على المريسي» (١/٥٠٥ - ٥٠٦) ، بتصرف يسير.

قال ابن تيمية رحمه الله:

فدلت عِنْدِيَّةُ^١ الملائكة لله على أن الله في العلو ، لأنه لو لم يكن في العلو - بل في كل مكان حسب قول من قال ذلك - لكان كل الناس عنده ، ولما كان في تخصيص الملائكة بالعندية في الآية أي معنى.

كذلك فلو كان موجب العندية معنى عاما - كدخولهم تحت قدرته ومشيعته وأمثال ذلك - لكان كل مخلوق عنده ، ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته ، بل مسبحا له ساجدا ، لأن كل الناس داخلون تحت قدرته ومشيعته.^٢

وقال: وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردا على الكفار المستكبرين عن عبادته.

ومن دلائل أن «العندية» ليست إلا في العلو فوق العرش حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ؛ قال رسول الله ﷺ: لما قضى الله الخلق كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي.^٣

وعن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عبد الله^٤ عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

^١ العندية هي مصدر «عند».

^٢ «القاعدة المُركَّبة» ص ٣٧ ، (الناشر: دار طيبة - الرياض) ، وانظر «مجموع الفتاوى» (١٦٥/٥ - ١٦٦).

^٣ أخرجه البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١) والترمذي (١٦٢٩) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٦/٢) بلفظ: غلبت غضبي.

^٤ أي ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك^١ فقال: أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطَّلَع إليهم ربهم إطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟

قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى.

فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا.^٢

فائدة:

قال ابن خزيمة رحمه الله: فكل من له فهم بلغة العرب يعلم أن الاطلاع إلى الشيء لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل ، ولو كان كما زعمت الجهمية أن الله مع الإنسان وأسفل منه ، وفي الأرض السابعة السفلى كما هو في السماء السابعة العليا ؛ لم يكن لقوله (فيطلع إليهم ربك إطلاعة) معنى.^٣

فإن قيل: إن المقصود بالعندية ؛ عندية الخلق والتكوين!

فالجواب: أن الذوات كلها مكونة مخلوقة لله ، سواء أرواح الشهداء أو الملائكة أو غيرها ، فليس في تخصيصها بالخلق أي معنى ، فلا مفر من تفسير الآية على ظاهرها وهو القرب الحسي.^٤

^١ أي سألوا رسول الله ﷺ .

^٢ رواه مسلم (١٨٨٧) واللفظ له ، والترمذي (٣٠١١) والدارمي في الجهاد ، باب أرواح الشهداء.

^٣ «كتاب التوحيد» ، (ص ٥٩٨)

^٤ قاله الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ، «توضيح الكافية الشافية» (٣/ ٣٣٢).

١٣- ومن أدلة علو الله على عرشه ؛ إخبار النبي ﷺ بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا كما يرون القمر ليلة البدر ، وكما يرون الشمس ليس دونها سحاب ، لا يضارون في رؤيته ، أي لا يلحقهم ضرر ولا عناء ، ووجه الدلالة أنه لو لم يكن الله في العلو لما أمكن جموع المؤمنين قاطبة رؤيته ، لاسيما وهم في درجات شتى من الجنة ، بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض ، فإنه من المعلوم اضطرارا أن الجمع الكبير لا يستطيعون رؤية الشيء إلا إذا كان في العلو ، فلو أنه أمامهم أو عن يمينهم أو شمالهم أو من خلفهم فإنهم لن يستطيعوا رؤيته جميعهم ، وإن رأوه رأوه بعناء.

وعن صهيب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟

فيقولون: ألم تُبَيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟

قال: فيُكشَف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، ثم تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^١.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوسا ليلة مع النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تَضَامُونَ في رؤيته.^٢

قوله: (لا تَضَامُونَ) أي لا ينضم بعضهم إلى بعض وتزدحمون وقت النظر إليه ، ويُروى بضم التاء وتخفيف الميم ، ومعناها: لا يلحقكم ضيم عند رؤيته ، أي ظلم ، فيراه بعضكم دون بعض.^٣

^١ رواه مسلم (٤٥٠).

^٢ رواه البخاري (٤٨٥١) واللفظ له ، ومسلم (٦٣٣).

^٣ انظر «النهاية». ، مادة: ضم.

والأدلة على رؤية المؤمنين لرحم يوم القيامة كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿ووجه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾.

ولما كانت الرؤية من أعظم الأدلة على علو الرب تبارك وتعالى ؛ فإن الذين ينكرون علو الله على خلقه اضطروا إلى إنكار الرؤية أيضا ، نسأل الله العافية ، وهم الجهمية ، أنكروا علو الله ، ثم أنكروا رؤيته في الآخرة ، فزادوا ضلالا على ضلالهم ، والمعصوم من عصمه الله عز وجل.^١

فإن قيل: إن المقصود بالرؤية هنا هو زيادة العلوم والمعارف بالله عز وجل! فالجواب: أن كلام النبي ﷺ لا يحتمل هذا ، فلفظ الحديث: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا ...) ، والكلام كان عن القمر ، وكانوا يرونه بأعينهم ، فكلام النبي ﷺ عن الرؤية العينية لا الرؤية العلمية.^٢

١٤ - ومن أدلة علو الله على خلقه ؛ تشقق السماء عند نزوله يوم القيامة ، فدل ذلك على أنه فوقها ، قال تعالى ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا﴾ ، وقال تعالى ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾.

ويدل لذلك أيضا حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما ، أربعين سنة ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، ينتظرون فصل القضاء ، فينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ... الحديث.^٣

^١ انظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي ، ص ٣٨٦ .

^٢ «توضيح الكافية الشافية» للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، (٣ / ٣٣٣) من «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله».

^٣ أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٤١/٢) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٥٧/٩) ، واللفظ له ، وأخرجه بطوله الحاكم في «مستدرکه» (٥٩٠/٤ - ٥٩٢) ، والدارقطني في «الرؤية» (١٦٣) بتحقيق إبراهيم العلي والرفاعي ، والشاشي في «مسند»

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم ... الحديث.^١

١٥- ومن أدلة علو الله على خلقه ؛ أمر المصلي بخفض بصره في الصلاة ، وعلّة النهي أن الله فوق المصلي ، فليس من اللائق أن يرفع بصره إليه ، بل يطرق ببصره أمامه أو إلى موضع سجوده ذلا وخضوعا تأدبا مع الله ، قال ﷺ : ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟ فاشدد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطئن أبصارهم.^٢

وقد اتفق العلماء على أن رفع البصر إلى السماء للمصلي منهي عنه.^٣

ومما يدل أيضا على أن النهي إنما قصد به التأدب والخشوع بين يدي العزيز ؛ هو أن العبد ليس منهيًا عن رفع بصره إلى السماء مطلقا ، وإنما هُي عنده في الوقت الذي أمر فيه بالخشوع بين يدي العزيز ، فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلا للفطرة ، لأن الداعي السائل الذي أمر بالخشوع - وهو الذل والسكون - لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعو ويسأله ، بل يناسبه الإطراق وخفض بصره أمامه.

(٤١٠) (بتحقيق محفوظ الرحمن زين الله ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة) ، والحافظ الذهبي في «العلو» ، ص ٩٢ ، وصححه ، وحسنه ابن القيم في «حادي الأرواح» ص ٦٤٣ ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «شرح الطحاوية» ، ص ٤١٥ ، وكذا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله كما في حاشيته على «تفسير ابن كثير» (سورة البقرة: ٢١٠) ، (٤٥٩/١) ، الناشر: دار الراية - الرياض.

^١ رواه الترمذي (٢٣٨٢) وابن حبان (١٣٦/٢) وابن خزيمة (٢٤٨٢) ، وصححه الألباني.

^٢ تقدم تخريجه.

^٣ قاله ابن القيم في «مختصر الصواعق» ص ٤٦٣ .

١٦- إجماع الأمة من السلف والخلف على علو الله تعالى:

أجمع سلف الأمة وهم الصحابة رضي الله عنهم والتابعون وتابعوهم بإحسان ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، الذين هم أفضل الناس ، وأعلم الأمة بأمر دينها وأعرفها بربها ؛ أجمعوا قاطبة على أن الله سبحانه وتعالى في السماء فوق كل شيء ، ولم ينقل عنهم حرف واحد يدل على خلاف ذلك ، ومن المعلوم الثابت أن إجماع المسلمين حجة ، لأن الله تعالى لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة ، كما قال عليه الصلاة والسلام: إن الله لا يجمع أمتي - أو قال: أمة محمد ﷺ - على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة.^١

قال الترمذي: وتفسير الجماعة عند أهل العلم ؛ هم أهل الفقه والعلم والحديث. وفيما يلي طائفة من أقوال السلف من الصحابة في هذا الباب ، ثم نتبعها بذكر أقوال التابعين وتابعيهم بإحسان ، ثم نذكر أقوال من حكى الإجماع في هذه المسألة ، ولكن قبل الشروع في سرد أقوالهم ؛ فليقرأ معي أخي الكريم هذه المقدمة التي كتبها الذهبي رحمه الله قبل سرده لأقوال الصحابة في هذا الباب:

ذكر ما حُفظ عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم بأن الله في السماء على العرش ، وذلك في حكم الأحاديث المرفوعة ، لأنهم رضي الله عنهم لم يقولوا شيئاً من ذلك إلا وقد أخذوه عن رسول الله ﷺ ، لأنهم لا مساغ لهم في الاجتهاد في ذلك ، ولا أن يقولوه بآرائهم ، وإنما تلقوه من رسول الله ﷺ.^٢

وقال أيضاً:

^١ رواه الترمذي (٢١٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الألباني رحمه الله.

^٢ كتاب «العرش» ، ص ٥١ .

فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف ؛ فقف مع نصوص القرآن والسنة ، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات ، وما حكوه من مذاهب السلف ، فإما أن تنطق بعلم ، وإما أن تسكت بجهل.

ودع المرء والجدال فإن المرء في القرآن كفر ، كما نطق بذلك الحديث الصحيح.^١ وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية ، جمع الله قلوبنا على التقوى.^٢

فصل في ذكر أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه^٣

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للناس لما تُوفي رسول الله ﷺ : أيها الناس ، إن كان محمد إلهكم الذي تعبدون فإن إلهكم قد مات ، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يموت ، ثم تلا: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ حتى ختم الآية.^٤

^١ يعني بذلك قوله ﷺ : المرء في القرآن كفر. رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٣٦) و«صحيح الجامع» (٦٦٨٧).

^٢ «العلو» ، ص ١٣ .

^٣ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري.

^٤ أخرجه أبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٥٣ ، وحسن إسناده الشيخ بدر البدر في تحقيقه عليه ، وصححه الذهبي كما في «كتاب العرش» ص ٥١ ، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» برقم ٦٣ .

قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه^١

روى الزهري^٢ عن سالم أن كعباً^٣ قال لعمر رضي الله عنه: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء.

فقال عمر: إلا من حاسب نفسه.

فقال كعب: إلا من حاسب نفسه.

وكبر عمر وخرَّ ساجداً.^٤

وروى ابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال: لما قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره ، فقالوا: يا أمير المؤمنين ؛ لو ركبت برذوناً^٥ يلقاك عظماء الناس ووجوههم.

فقال عمر: ألا أراكم ههنا ، إنما الأمر من ههنا - وأشار بيده إلى السماء - ، خلُّوا سبيل جملي.^٦

^١ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري.

^٢ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري المدني ، الإمام العلم حافظ زمانه ، ويعرف بابن شهاب ، روى نحواً من ألفي حديث ، توفي سنة ١٢٤ ، ترجم له الذهبي في «السير» (٣٢٦/٥) ترجمة مطولة.

^٣ هو كعب بن مافع الحميري اليماني ، العلامة الخبر ، المعروف بكعب الأحبار ، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ ، قدم المدينة في أيام عمر ، وجالس الصحابة وحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ، له رواية في السنن ، وكان يغزو مع الصحابة ، توفي وهو ذاهب للغزو في خلافة عثمان رضي الله عنه.

^٤ رواه أبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٦٠-٥٩) ، وصححه الشيخ بدر البدر في تحقيقه على الكتاب.

^٥ البرذون يطلق على الخيل والبغال غير العربية.

^٦ «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٤٣٢) ، وعنه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» ، وقال الذهبي في كتاب «العلو» ص ٧٧: (إسناده كالشمس) ، وقال الشيخ بدر البدر في تحقيقه على «إثبات صفة العلو» للمقدسي ، ص ١١١ : إسناده صحيح ، رجاله رجال الشيخين.

وروى الدارمي عن عمر بن الخطاب قوله: ويل لديّان^١ الأرض من ديّان السماء يوم يلقونه.^٢
وروي عن عمر رضي الله عنه أنه مر بجولة بنت ثعلبة ، فقال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق
سبع سماوات.^٣

قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، تُرْجَمَانِ الْقُرْآنُ^٤

دخل رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها وهي تموت فقال لها: كنت أحب أزواج رسول الله
ﷺ إليه ، ولم يكن يجب إلا طيبا ، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سماوات.^٥
وقال البغوي رحمه الله في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: قال ابن عباس وأكثر مفسري
السلف: ارتفع إلى السماء.^٦

^١ الديان من أسماء الله تعالى ، قيل هو القهار ، وقيل هو الحاكم والقاضي ، من (دان الناس) إذا قهرهم على الطاعة ، يقال: دنتهم فدانوا ، أي قهرتهم فأطاعوا. انتهى من «النهاية».

قلت: وللديان معنى آخر وهو المُجَازِي المحاسب الذي يجازي العباد على أعمالهم يوم القيامة. انظر «فقه الأسماء الحسنى» للشيخ عبد الرزاق البدر ، ص ٢٧٦ ، (الناشر: دار التوحيد - الرياض) ، و«العمل الأسنى ، نظم وشرح الأسماء الحسنى» للشيخ زيد بن محمد المدخلي ، ص ٩٢ ، الناشر: دار المنهاج - مصر.

^٢ «نقض الإمام الدارمي على المريسي» ، (١/٥١٥-٥١٦) ، وصححه الألباني كما في «مختصر العلو» ، ص ١٠٣ .

^٣ رواه الدارمي في «نقض الإمام الدارمي على المريسي» ، (١/٣١٦-٣١٧) ، وأعله الذهبي في «العلو» (١٦٩) بالانقطاع بين أبي يزيد وعمر رضي الله عنه.

^٤ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري.

^٥ رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» ، برقم (٨٤) ، وحسن إسناده محققه ، الشيخ بدر البدر ، وأخرجه أحمد (١/٣٤٩) مطولا ، وقال محققو «المسند»: إسناده قوي.

^٦ «معالم التنزيل» ، سورة البقرة: ٢٩ .

قلت: وقول ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير يعد من أقوى الأقوال ، كيف لا وقد دعا له النبي ﷺ فقال: اللهم فقِّههُ في الدين.^١
وزاد في رواية: وعلمه التأويل.^٢
وعنه قال: دعا لي الرسول ﷺ أن يؤتيني الله الحكمة مرتين.^٤

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^٥

روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة ، حتى إذا تيسر له نظر الله من فوق سبع سماوات ، فيقول للملائكة: اصرفوه عنه ، فيأني إن يسرته له أدخلته النار.
قال: فيصرفه الله عز وجل.^٦

^١ رواه البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

^٢ أي التفسير ، أي تفسير القرآن.

^٣ رواه أحمد (٢٦٦/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده قوي على شرط مسلم ، وانظر «الصحيحة» (٢٥٨٩).

^٤ رواه الترمذي (٣٨٢٣) وصححه الألباني.

^٥ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري.

^٦ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٧٣٩/٤) ، برقم (١٢١٩) ، والدرامي في «الرد على الجهمية» ص ٥٥ ، وضعفه محققه الشيخ بدر البدر للانقطاع بين خيثة وابن مسعود.

سمرة بن جندب رضي الله عنه^١

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بقصعة^٢ فيها ثريد ، فتعاقبوا إلى الظهر من غدوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون .

قال له رجل: هل كانت تُمدُّ^٣؟

قال: فمن أيِّ شيء تعجب؟ ما كانت تُمدُّ إلا من ههنا ، وأشار إلى السماء.^٤

حسان بن ثابت رضي الله عنه^٥

وعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال:

شهدت بإذن الله أن محمداً

رسول الذي فوق السماوات من علي^٦

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه^٧:

^١ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري.

^٢ القصعة وعاء يؤكل فيه ويشرد.

^٣ أي يُزاد ما فيها من الطعام.

^٤ رواه أحمد (١٨/٥) ، والترمذي (٣٦٢٥) ، وهو في صحيح الترمذي ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

^٥ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري.

^٦ رواه ابن أبي شيبه في «المصنف» (٢٧٤/٥) برقم (٢٦٠٠٨) ، والذهبي في «السير» (٢٣٨/١) ، وصححه سنده في «كتاب العرش» ، ص ٢٩ .

تنبيه: هذا البيت وتتمته رواه ابن قدامة المقدسي عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وليس عن حسان ، وضعفه محققه الشيخ بدر البدر لإرساله ، وذكر علة أخرى ، انظر «إثبات صفة العلو» ص ١٠٨ .

^٧ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري (٨٩٨/٣).

شهدت بأن وعد الله حقٌ
وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طافٍ
وفوق العرش رب العالمينا^١

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في حاشية كتابه «اجتماع الجيوش الاسلامية» شيئاً من شعر الصحابة رضوان الله عنهم ، وفيه ذكر علو الله على عرشه ، مما يدل على أن هذا كان اعتقادهم ، فذكر شيئاً من شعر العباس بن مرداس السلمى^٢ ، ولييد بن ربيعة العامري^٣.

وقال أيضاً رحمه الله: ومن أراد معرفة أقوال الصحابة والتابعين في هذا الباب^٤ ؛ فليطالع ما قاله^٥ عنهم في تفسير قوله تعالى ﴿فلما تجلّى ربه للجبل﴾ ، وقوله ﴿تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن﴾ ، وقوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ ، ليتبين له أي الفريقين أولى بالله ورسوله ؛ الجهمية المعطلة أم أهل السنة والإثبات ، والله المستعان.^٦

^١ رواه الذهبي في «السير» (٢٥٣/١) ، وقال في كتاب «العرش» ، ص ٤٦ :

رُوي من وجوه صحاح مرسله عن عبد الله بن رواحة ، أخرجه أبو عمر ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» له.

^٢ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري.

^٣ انظر ترجمته موسعة في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر النمري.

^٤ أي باب إثبات علو الله على عرشه.

^٥ أي ابن جرير رحمه الله.

^٦ اجتماع الجيوش ، ص ١٩٦ .

فصل في ذكر أقوال التابعين ومن بعدهم

مسروق بن الأجدع^١

عن علي بن الأقرم قال: كان مسروق اذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، المبرأة من فوق سبع سماوات ، فلم أكذبها^٢.

مالك بن دينار^٣

ذكر أبو نعيم عن مالك بن دينار أنه كان يقول: خذوا ، فيقرأ ويقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه^٤.

سليمان بن طرخان التيمي^٥

روى اللالكائي عن سليمان التيمي أنه قال: لو سئلت: أين الله تبارك وتعالى؟ قلت: في السماء. فإن قال: فأين عرشه قبل أن يخلق السماء؟ قلت: على الماء.

^١ هو الإمام القدوة العلم ، أبو عائشة ، مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي الهمداني ، قال الخطيب: إنه سُرقَ وهو صغير ثم وُجد فسمي مسروقا ، حدّث عن الصحابة وُحدّث عنه ، وهو معدود في كبار التابعين ، ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ ، توفي سنة ٦٢ ، انظر ترجمته في «السير» (٦٣/٤).

^٢ رواه ابن قدامة في «العلو» برقم ٨٣ ، و أورده في «العرش» ص ٦٠ ، وصححه.

^٣ هو مالك بن دينار البصري ، الزاهد ، أبو يحيى ، صدوق عابد ، مات سنة مئة وثلاثين أو نحوها. انظر «التقريب».

^٤ انظر «الحلية» لأبي نعيم (٤٠٧/٢) ، وصححه ابن القيم كما في «مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة» ، ص ٤١٤ ، وكذا الذهبي في «العلو» برقم ٣٤٨ .

^٥ هو سليمان بن طرخان التيمي ، أبو المعتمر البصري ، ثقة عابد ، مات سنة ثلاث وأربعين ومئة. انظر «التقريب».

فإن قال لي: أين كان عرشه قبل أن يخلق الماء؟

قلت: لا أدري.^١

جرير بن عطية الخطفي^٢

في شعر العرب ما يدل على أن العلو كان متقررًا عندهم ، فإنه لما قصد جرير بن الخطفي عبد الملك بن مروان ليمدحه قال:

أتى بي لك الله الذي فوق عرشه
ونور وإسلام عليك دليل^٣

قول أبي حنيفة^٤

أفتى أبو حنيفة رحمه الله بكفر من أنكر أن الله في السماء ، فقد قال الذهبي في كتاب «العلو»: بلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي - صاحب «الفقه الأكبر» - قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربّي في السماء أو في الأرض فقال: قد كفر ، لأن الله تعالى يقول ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وعرشه فوق سماواته. فقلت: إنه يقول: أقول على العرش استوى ، ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض.

^١ «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٧١) ، وصححه الذهبي في كتاب «العرش» ص ٦٤ .

^٢ هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي ، أشعر أهل عصره ، مات سنة ١١٠ . انظر «وفيات الأعيان» (٣٢١/١-٣٢٧).

^٣ أورده الذهبي في كتاب «العرش» ص ٦٦ ، وصحح نسبته لجرير.

^٤ هو أبو حنيفة ، فقيه العراق ، النعمان بن ثابت التيمي ، مولاهم الكوفي ، مات سنة ١٥٠ . انظر «تذكرة الحفاظ» (١٢٧/١).

قال: إذا أنكر أنه^١ في السماء فقد كفر.^٢

وروى الذهبي عن عبد الله بن أحمد المقدسي مؤلف كتاب المقنع قال: بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر.^٣ وإنما قال أبو حنيفة بكفر من أنكر علو الله لكونه أنكر ما دل عليه القرآن والسنة. علّق ابن تيمية رحمه الله فقال:

ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه ؛ أنه كفر الواقف الذي يقول: (لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض) ، فكيف يكون الجاحد النافي ، الذي يقول: (ليس في السماء) ، أو (ليس في السماء ولا في الأرض)؟^٤ وقصة أبي يوسف - صاحب أبي حنيفة - مشهورة في استتابة بشر المريسي حتى هرب منه لما أنكر أن الله فوق عرشه ، وقد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره.^٥

قول الإمام مالك

قال الإمام مالك رحمه الله: الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء.^٦

^١ أي العرش.

^٢ أورده الذهبي في «العلو» ، ص ١٣٥-١٣٦ .

^٣ «العلو» ص ١٣٦ .

^٤ «مجموع الفتاوى» (٤٨/٥).

^٥ قاله ابن تيمية في «الفتاوى الحموية» ، وهي في «مجموع الفتاوى» (٥٤/٥) ، ونقلها ابن القيم ، وانظر «مختصر الصواعق» ص ٤١٥ .

^٦ رواه عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (١١) ، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٧٣) ، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٣/٣) ، والآجري في «الشريعة» (٦٧/٢-٦٨) ، والأثر صحح إسناده الألباني رحمه الله في «مختصر العلو» (١٣٠).

قول الإمام الشافعي

قال رحمه الله: القول في السنة التي أنا عليها^١ ، ورأيت أصحابنا عليها – أصحاب الحديث – الذين رأيتهم فأخذت عنهم ، مثل سفيان ومالك وغيرهما ؛ الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ... وأن الله على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ... الخ.^٢

قول الإمام أحمد بن حنبل

سئل الإمام أحمد رحمه الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه^٣ ، وقدرته وعلمه بكل مكان؟

قال: نعم ، هو على العرش ، وعلمه لا يخلو منه مكان.^٤

^١ أي العقيدة التي هو عليها ، وقد كانت العقيدة تسمى في ذلك الوقت بالسنة ، وسميت أيضا بالفقه الأكبر. قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» في شرح الحديث الثامن والعشرين: (والسنة هي الطريقة المسلوكة ، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الرّاشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال ، وهذه هي السنة الكاملة ، ولهذا كان السلف قديما لا يُطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كلّهُ ، ورؤي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض.

وكثيرٌ من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات ، لأنّها أصلُ الدِّين ، والمخالفة فيها على خطيرٍ عظيم (١.هـ).
^٢ روى هذا القول عن الشافعي شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري ، ونقله عنه الإمام موفق الدين ابن قدامة في كتابه «إثبات صفة العلو» ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

^٣ بائن من خلقه أي منفصل عنهم لا يخالطهم سبحانه ، هم على الأرض وهو على عرشه فوق السماء السابعة ، ومنه قولهم عن المرأة المطلقة: إنّها بائنة من زوجها ، أي منفصلة عنه.

^٤ أورده اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (٦٧٤) ، وكذا ابن بطة في «الإبانة» (١٥٩/٣) بنحوه ، كما أورده الذهبي في «العلو» برقم (٤٧٤).

قول عبد الله بن المبارك^١

سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا عز وجل؟
قال: **على السماء السابعة على عرشه** ، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه ههنا في الأرض.^٢
وقال أبو بكر الأثرم^٣: وحدثني محمد بن إبراهيم القيسي^٤ قال: قلت لأحمد بن حنبل: يُحكى عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف تُعرف ربنا؟
قال: في السماء السابعة على عرشه.
قال أحمد: هكذا هو عندنا.^٥

^١ هو عبد الله بن المبارك المروزي ، مولى بني حنظلة ، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد ، جُمعت فيه خصال الخير ، مات سنة ١٨١ . انظر «التقريب».

^٢ رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «السنة» (٢٢) ، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٥/٣) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٣٦/٢) بنحوه ، والدارمي في «الرد على الجهمية» (رقم ٦٧) ، وحسنه محققه الشيخ بدر ، ورواه الذهبي في «العلو» ص ١٤٩ ، وصححه في كتاب «العرش» ص ٧٤ ، ورواه الشيخ أبو إسماعيل الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص ٢٨ .

^٣ هو أحمد بن محمد بن هانيء الطائي الأثرم الإسكافي ، أبو بكر ، جليل القدر ، حافظ إمام ، توفي بعد ٢٦٠ هـ ، انظر «طبقات الحنابلة».

^٤ انظر ترجمته في «مناقب الإمام أحمد» (١٣٩) ، و «المقصد الأرشد» (٣٣٢/٢).

^٥ رواه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» ، ص ١٢٩ ، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٦/٣) ، وصححه الذهبي في كتاب «العرش» ص ٧٤ .

فصل في بيان أن القول بعلو الله على خلقه هو قول علماء القرون الثلاثة المفضلة الأولى

علاوة على ما ذكر من كلام الصحابة والتابعين ؛ فإن القول بعلو الله على خلقه هو قول عامة أئمة السلف الكبار من القرون الثلاثة ومن تبعهم بإحسان^١ ، فقد قال محمد بن جرير الطبري^٢ في تفسير قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

يقول: هو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم ، يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه ، فوق سبع سماواته.

^١ جمع الذهبي رحمه الله أقوالهم في كتابه «العلو» ، فليرجع إليها من أراد مزيد الاطلاع.

^٢ تقدمت ترجمته.

وروى الذهبي عن المُزني^١ قوله: لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على العرش بصفاته.^٢ وقال في كتابه «شرح السنة» واصفا الله عز وجل: جلَّت صفاته عن شبه المخلوقين ، عال على عرشه ، بائن من خلقه.^٣ وقال أبو زُرعة الرازي^٤ لما سُئِل عن تفسير قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فغضب وقال: تفسيره كما تقرأ^٥ ، وهو على عرشه ، وعلمه في كل مكان ، من قال غير هذا فعليه لعنة الله.^٦ وقال عبد الله بن طاهر^٧ لمحمد بن أسلم الطوسي^٨: بلغني أنك ترفع رأسك إلى السماء. فقال: ولم؟ وهل أرجو الخير إلا من هو في السماء؟^٩

^١ المزني هو إسماعيل بن يحيى ، صاحب الشافعي ، قال فيه الشافعي: (المزني ناصر مذهبي) ، وقال فيه الذهبي: ولقد كان المزني فقيه الديار المصرية في زمانه ، وأنبأ تلامذة الشافعي. توفي سنة ٢٦٤ هـ ، انظر ترجمته في «طبقات الشافعية» (١١/٤٩٢) ، و«طبقات الشافعية» (١/٣٢٢) ، الناشر: دار الكتب العلمية.

^٢ رواه الذهبي عنه في «العلو» ص ١٨٥-١٨٦.

^٣ ص ٧٩-٨٠ باختصار ، وأورده الذهبي في «العلو» ص ١٨٥ .

^٤ هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، أبو زرعة الرازي ، إمام حافظ ثقة مشهور ، مات سنة ٢٦٤ . انظر «التقريب».

^٥ أي تفسيرها هو ظاهرها الذي تقرؤه ، من غير تكلف لمعانٍ غير مذكورة في السياق.

^٦ رواه عنه أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «ذم الكلام وأهله» ، وأورده الذهبي في «العلو» ص ١٨٧ - ١٨٨ .

^٧ هو الأمير العادل ، أبو العباس ، عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، حاكم خراسان وما وراء النهر ، توفي سنة ٢٣٠ . انظر ترجمته في «السير» (١٠/٦٨٤).

^٨ هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الكندي ، الإمام الرباني ، شيخ المشرق ، أبو الحسن الطوسي ، مات سنة ٢٤٢ . انظر «تذكرة الحفاظ» (٢/٨٩).

^٩ رواه الحاكم عنه في ترجمته كما في «العلو» ص ١٩١ .

والقول بعلو الله على خلقه هو قول السلف قاطبة ، فهو قول الضحاك^١ ، ومقاتل بن حيان^٢ ،
ومحمد بن إسحاق^٣ صاحب كتاب «المغازي» ، وسفيان الثوري^٤ ، والليث بن سعد^٥ ، وسنيد بن
داود^٦ ، وبشر الحافي^٧ ، وأحمد بن نصر الخزاعي^٨ ، وعلي بن المدني^٩ ، وعبد الوهاب بن الحكم
الوراق^{١٠} ، والإمام البخاري^{١١} ، والإمام مسلم بن الحجاج^١ ، وقول محمد بن يحيى الذهلي^٢ ، وقول

^١ هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني ، صاحب التفسير ، كان من أوعية العلم ، له رواية في الحديث ، توفي سنة ١٠٦ . انظر «السير» (٥٩٨/٤).

^٢ هو مقاتل بن حيان النبطي ، أبو بسطام البلخي الخزاز ، صدوق فاضل ، مات قبيل ١٥٠ . انظر «التقريب» .

^٣ هو محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو بكر المطلبي ، مولا هم المدني ، نزيل العراق ، إمام المغازي ، مات سنة خمسين ومائة . انظر «التقريب» .

^٤ تقدمت ترجمته .

^٥ هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور ، مات سنة ١٧٥ . انظر «التقريب» .

^٦ إمام حافظ ، محدث الثغر ، صاحب التفسير الكبير بالأسانيد ، ومذهبه في الصفات مذهب السلف ، توفي سنة ٢٢٦ ، انظر «العلو» ص ١٧١ ، و «السير» (٦٢٧/١٠) .

^٧ هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء ، الإمام العالم المحدث الزاهد الرياني القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو نصر المروزي ثم البغدادي ، أخذ العلم عن مالك وابن المبارك وغيرهما ، مات سنة ٢٢٧ ، وقد أورد الذهبي كلامه في «العلو» ص ١٧٢ ، وترجمته مذكورة في «السير» (٤٦٩/١٠) .

^٨ هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ، أبو عبد الله ، ثقة ، قتل ظلما سنة ٢٣١ . انظر «التقريب» .

^٩ هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجیح السعدي ، مولا هم أبو الحسن بن المدني البصري ، ثقة ثبت إمام ، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله ، مات سنة ٢٣٤ هـ ، انظر «التقريب» و «تذكرة الحفاظ» (١٣/٢) . انظر كلامه في «العلو» ص ١٧٥ .

^{١٠} عبد الوهاب من أصحاب الإمام أحمد وسمع منه ، توفي سنة ٢٥١ . انظر ترجمته في «طبقات الحنابلة» (٨٥/٢) .

^{١١} رد البخاري على الجهمية قولهم بنفي العلو والاستواء في كتابه «خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل» . مات البخاري سنة ست وخمسين ومائتين .

وقول يحيى بن معاذ الرازي^٣ ، وأبي حاتم الرازي^٤ ، والحافظ ابن أبي خيثمة^٥ ، وعثمان بن سعيد الدارمي^٦ ، وأبي زرعة الدمشقي^٧ ، ومحمد بن نصر المروزي^٨ ، وأبي جعفر بن أبي شيبة^٩ كما في كتابه «العرش» ، وقول زكريا بن يحيى الساجي^{١٠} ، وابن خزيمة^{١١} ، وأبي جعفر الطحاوي الحنفي^١

^١ هو الإمام الكبير الحافظ المحدث أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صاحب «الصحیح» ، وهو ثاني أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، ذكر له الذهبي ترجمة مطولة في السير» (٥٧٧/١٢) ، توفي سنة ٢٦١ .

^٢ هو الإمام العلامة الحافظ البارع شيخ الإسلام وعالم أهل المشرق وإمام أهل الحديث بخراسان ، أبو عبد الله الذهلي مولاهم ، النيسابوري ، أثنى عليه النسائي وابن خزيمة وابن المديني خيرا ، وقد أورد الذهبي كلامه في تقرير العلو في كتاب «العلو» ص ١٨٦ ، وقال فيه: كان الذهلي إمام أهل خراسان بعد إسحاق بلا مُدافعة ، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين. انظر ترجمته في «السير» (٢٧٣/١٢).

^٣ أورد الذهبي كلامه في «العلو» ص ١٩٠ ، وقال فيه: واعظ زمانه. توفي سنة ٢٥٨ . انظر ترجمته في «السير» (١٥/١٣).

^٤ هو محمد بن إدريس بن المنذر ، أحد الأئمة الأعلام في الحديث ، توفي سنة ٢٧٧ ، أورد الذهبي كلامه في إثبات العلو في كتابه «العلو» ص ١٨٩ - ١٩٠ . انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٥٩٧/٦).

^٥ هو الحافظ الكبير المحدث أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة ، صاحب «التاريخ الكبير» ، مات سنة ٢٧٩ . انظر «السير» (٤٩٢/١١).

^٦ هو الإمام العلامة الحافظ الناقد المحدث ، أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني ، صنف كتابا في الرد على بشر المريسي ، وآخر في الرد على الجهمية ، توفي سنة ٢٨٠ ، انظر ترجمته في «السير» (٣١٩/١٣).

^٧ هو عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري ، أبو زرعة الدمشقي ، ثقة حافظ مصنف ، مات سنة ٢٨١ . انظر «التقريب».

^٨ هو محمد بن نصر المروزي ، الفقيه ، أبو عبد الله ، ثقة حافظ إمام جبل ، مات سنة ٢٩٤ . انظر «التقريب».

^٩ هو الإمام الحافظ المسند البارع محدث الكوفة ، أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد العبسي ، مولاهم الكوفي ، مات سنة ٢٩٧ . انظر «السير» (٢١/١٤) ، «شذرات الذهب» (٢٢٦/٢).

^{١٠} أورد الذهبي كلامه في تقرير العلو في ص ١١٠ من كتاب «العرش» له ، وقال فيه: (إمام أهل البصرة في وقته). توفي سنة سبع وثلاثمائة.

^{١١} هو الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى النيسابوري ، مات سنة ٣١١ . انظر «تذكرة الحفاظ» (٢١٣/٢).

في عقيدته المشهورة بـ «العقيدة الطحاوية» ، والتي ذكر فيها اعتقاد أبي حنيفة وصاحبيه^٢ ، رحمهم الله جميعا ورضي عنهم.

وأئمة السلف رضي الله مطبقون على القول بعلو الله على عرشه بذاته فوق السماء السابعة ، وحصر أقوالهم في تقرير ذلك لا يُستطاع إلا بكلفة ، فقد قال ابن تيمية رحمه الله: ثم عن السلف في ذلك^٣ من الأقوال ما لو جُمع لبلغ مئتين أو ألوفا.^٤

^١ هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي ، مات سنة ٣٢١ . انظر «السير» (٢٧/١٥).

^٢ هما أبو يوسف ؛ يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، رحمهم الله جميعا.

^٣ أي في تقرير العلو.

^٤ قاله في «الفتوى الحموية» ، وتقع في المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى» ، والكلام المنقول مثبت في ص ١٥ .

فصل في بيان إجماع سلف الأمة على علو الله بذاته على عرشه فوق السماء السابعة ،
وإجماع المسلمين حجة ، لأن أمة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة

اعلموا رحمتنا الله وإياكم أن مسألة علو الله على خلقه تعتبر من المسائل التي أجمع السلف على ثبوتها ، ومن حكى ذلك الأوزاعي^١ ، فقد روى البيهقي عنه قوله: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته.^٢

قال ابن تيمية رحمه الله: فقد حكى الأوزاعي - وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك^٣ ، إمام أهل الحجاز ، والأوزاعي إمام أهل الشام ، والليث^٤ إمام أهل مصر ، والثوري إمام أهل العراق - حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله فوق العرش ، وبصفاته السمعية^٥ ، وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم ، المنكر لكون الله فوق عرشه ، والنافي لصفاته ، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف ذلك.^٦

^١ هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، له رواية معروفة في الحديث ، توفي سنة ١٥١ ، وقد ترجم له الذهبي ترجمة مطولة في «السير» (١٠٧/٧).

^٢ كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي (٣٠٤/٢) ، وصحح اسناده ابن تيمية في «الفتوى الحموية» ، وقال ابن القيم كما في «مختصر الصواعق» ص ٤١٤ : رواه كلهم أئمة ثقات.

^٣ مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، رأس المذهب المالكي المعروف ، وبه عُرف.

^٤ أي الليث بن سعد.

^٥ أي: وبإقبي صفاته التي ثبتت من طريق السمع ، أي الكتاب والسنة.

^٦ قاله في «الفتوى الحموية» ، وهي في المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى» ، والكلام المنقول مثبت في ص ٣٩ .

وقال قتيبة بن سعيد شيخ خراسان^١: هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه ، كما قال جل جلاله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^٢.

وسُئل علي بن المديني: ما قول أهل الجماعة؟

قال: يؤمنون بالرؤية والكلام ، وأن الله عز وجل فوق السماوات ، على عرشه استوى^٣.

وقال الحافظ أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي^٤ في كتابه «الإبانة»: أئمتنا ، كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل^٥ وابن المبارك وأحمد ، متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وعلمه بكل مكان^٦.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله: قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه ، فوق سماواته^٧.

^١ هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي ، أبو رجاء البغلائي ، يقال اسمه يحيى ، وقيل علي ، ثقة ثبت ، مات سنة ٤٠ . انظر «التقريب».

وقال الذهبي رحمه الله في قتبية في «العلو» ص ١٧٤ : وقد لقي مالكا والليث وحماد بن زيد والكبار ، وعُمَر دهرًا ، وازدحم الحفاظ على بابيه ، قال لرجل: (أقم عندنا هذه الشتوة حتى أخرج لك عن خمسة أناسي مائة ألف حديث) ، مات سنة ٢٤٠ .

^٢ رواه أبو أحمد الحاكم وأبو بكر النقاش ، المفسر ، واللفظ له ، بإسنادها عنه ، كما في «العلو» ص ١٧٤ .

^٣ رواه الهروي بإسناده عنه ، كما في «العلو» ص ١٧٥ .

^٤ هو الإمام العالم الحافظ شيخ السنة ، أبو نصر ؛ عبيد الله بن سعيد السجستاني ، شيخ الحرم ، ومصنف كتاب «الإبانة الكبرى» في أن القرآن غير مخلوق ، له رواية في الحديث ، توفي سنة ٤٤٤ ، انظر «السير» (٦٥٤/١٧).

^٥ هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام ، أبو علي ، المجاور لبيت الله ، روى له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود ، كان عابدا زاهدا ، انظر ترجمته في «السير» (٤٢١/٨).

^٦ أورده الذهبي في «العلو» ص ٢٤٨ .

^٧ «نقض الإمام أبي سعيد على المريسي» ، ص ٣٤٠ .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم^١: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك فقالا:

أدركنا العلماء في جميع الأمصار ، حجازا وعراقا ومصرًا وشامًا وبمنا ، فكان من مذاهبهم: أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ... وأن الله تعالى فوق عرشه ، بائن من خلقه ، كما وصف نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، بلا كيف ، أحاط بكل شيء علما ، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^٢.

وقال أبو بكر الآجري في كتاب «الشريعة» في باب «التحذير من مذاهب الخُلوية»^٣:
والذي يذهب إليه أهل العلم أن الله سبحانه على عرشه فوق سماواته ، وعلمه محيط بكل شيء ، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السماوات العلا ، وبجميع ما في سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى ، يعلم السر وأخفى ... الخ.^٤

وقال الإمام ابن بطة العكبري^٥ في كتابه «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»: **وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه ، فوق سماواته ، بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه ، لا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من**

^١ هو الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم ؛ محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، مات سنة ٣٢٧ . انظر «تذكرة الحفاظ» (٣/٣٤).

^٢ رواه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» ، ص ١٣٧-١٣٨ ، وعنه الذهبي في «العلو» ص ١٨٨ - ١٨٩ .

^٣ الخلوئية هم القائلون بأن الله حالٌّ في كل مكان ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

^٤ «الشريعة» (٢/٦٦).

^٥ هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن محمد ، الإمام الصالح القدوة ، الفقيه الحنبلي ، له كتاب مسند في عقيدة أهل السنة والجماعة وهو «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» ، توفي سنة ٣٨٧ ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٨/٦١٢).

انتحل مذهب الحلولية ، وهم قوم زاغت قلوبهم ، واستهوتهم الشياطين ، فمرقوا من الدين ، وقالوا: إن الله ذاته لا يخلو منه مكان ، فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء ، وهو بذاته حال في جميع الأشياء ، وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين.^١ وقال الحافظ الكبير أبو نعيم الأصبهاني في كتاب «الاعتقاد» الذي ذكر أنه اعتقاد السلف وإجماع الأمة:

وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله تعالى عليه يقولون بها ويشتمونها من غير تكييف ولا تمثيل ، وأن الله بائن من خلقه ، والخلق بائون منه ، لا يجل فيهم ولا يمتزج بهم ، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه من دون أرضه.^٢ وقال أبو عثمان الصابوني^٣ رحمه الله في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»^٤:
وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه ، وعرشه فوق سماواته... الخ.

وممن حكي إجماع أهل السنة أيضا على علو الله على خلقه إسحاق بن راهويه^٥ ، وسعيد بن

^١ قاله في مقدمة باب الإيمان بأن الله عز وجل على عرشه ، بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه (١٣٦/٣).

^٢ أورد الذهبي كلامه في «العلو» ص ٢٤٣ .

^٣ هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري ، الحافظ المفسر المحدث الفقيه الواعظ ، الملقب بشيخ الإسلام ، مات سنة ٤٤٩ . انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (١١٧/٣) ، «معجم الأدباء» (١٦/٧).

^٤ ص ٣٢ - ٣٤ .

^٥ هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الخنظلي أبو محمد بن راهويه المروري ، ثقة حافظ مجتهد ، توفي سنة ٢٣٨ هـ . انظر ترجمته في «السير» (٣٥٨/١١).

عامر الضبيعي^١ ، وأبو عمر الظلمنكي^٢ ، وأبو عبد الله القرطبي^٣ صاحب التفسير ، وابن رشد الأندلسي^٤ صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» ، وابن قدامة في كتابه «إثبات صفة العلو»^٥ ، وابن أبي زمنين المالكي^٦ ، وأبو الحسن الكرجي الشافعي^٧ صاحب شيخ الإسلام إسماعيل الأنصاري ، رحمهم الله جميعا رحمة واسعة.^٨

^١ هو سعيد بن عامر الضبيعي ، أبو محمد البصري ، ثقة صالح ، مات سنة ٢٠٨ . انظر «التقريب».

^٢ هو الحافظ الإمام المقرئ أبو عمر ، أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري الأندلسي ، عالم أهل قرطبة ، مات سنة ٤٢٩ . انظر «تذكرة الحفاظ» (٣/١٩٨).

وقد قرر الشيخ أبو عمر إجماع أهل السنة على علو الله على خلقه في كتابه «الوصول إلى معرفة الأصول» ، كما في «العلو» ص ٢٤٦ .

^٣ هو الإمام أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري ، الأندلسي القرطبي ، الفقيه المفسر ، سارت بتفسيره «الجامع لعلوم القرآن» الركباني ، توفي سنة ٦٧١ . انظر ترجمته في تاريخ الإسلام» (١٥/٢٢٩).

^٤ هو ابن رشد الحفيد العلامة فيلسوف الوقت ، أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، مات سنة ٥٩٥ . انظر «السير» (٢١/٣٠٧).

^٥ انظر مقدمة الكتاب المذكور.

^٦ هو الإمام القدوة الزاهد ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي الأندلسي الألبيري ، شيخ قرطبة ، له عدة مؤلفات ، منها «أصول السنة» وهو كتاب مسند في العقيدة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وقد قرر ابن أبي زمنين إجماع أهل السنة على علو الله على خلقه في كتابه «أصول السنة» ، وهو محقق مطبوع طبعتين ، الأولى بعنوان «رياض الجنة بتخريج أصول السنة» ، والثاني باسم الكتاب نفسه «أصول السنة».

^٧ قال الكرجي في عقيدة أصحاب الحديث حاكيا إجماع السلف على علو الله:

عقائدهم أن الإله بذاته على عرشه مع علمه بالغوايب

انظر «العلو» ، ص ٢٦٣ .

^٨ انظر أقوالهم في كتاب «العلو» للذهبي ، والمراجع المذكورة أعلاه.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الفتوى الحموية» - وهي الفتوى التي أرسلها لأهل حماة -
حاكيا إجماع الأمة على علو الله سبحانه على جميع مخلوقاته قال:
فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام
الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة ، مملوء بما هو إما نصٌّ وإما ظاهر ، في أن الله سبحانه
وتعالى هو العلي الأعلى ، وهو فوق كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء ...
ثم ذكر عدة آيات وأحاديث في تقرير ذلك ثم قال:

... إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله ، مما هو أبغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما
يقينا من أبغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعّوين أن الله سبحانه
على العرش ، وأنه فوق السماء ، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية
والإسلام ، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته ، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمع
بلغ مئين^١ أو ألوفاً.

ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا عن أحد من سلف هذه الأمة لا من الصحابة
ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد
يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا.^٢

وقال أيضا بعد أن نقل مذاهب الناس في علو الله: وأما القسم الرابع فهم سلف الأمة وأئمتها ،
أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة ، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة
كله من غير تحريف للكلم ، أثبتوا أن الله تعالى فوق سماواته ، وأنه على عرشه بائن من خلقه ،

^١ مئين جمع مئة.

^٢ «الفتوى الحموية» ، وهي في المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى» ، والكلام المنقول مثبت في ص ١٢ - ١٥ ، باختصار.

وهم منه بائون ، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية.^١

وقال الذهبي رحمه الله:

مقالة السلف وأئمة السنة بل الصحابة والله ورسوله والمؤمنون ؛ أن الله عز وجل في السماء ، وأن الله على العرش ، وأن الله فوق سماواته ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار.^٢

بل القول بعلو الله على خلقه هو قول الأشاعرة الأوائل^٣ كأبي الحسن الأشعري^٤ ، وصاحبه أبي الحسن علي بن مهدي الطبري^٥ ، والقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني الأشعري^٦ في كتابه «التمهيد في أصول الدين» ، وكذا أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب^٧ ، إمام الطائفة الكلابية^٨ ، وإمام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن محمد المظفري المختار الرازي ، صاحب

^١ «مجموع الفتاوى» (٢٣١/٥).

^٢ «العلو» ص ١٤٣ .

^٣ تقدم التعريف بمنهج الأشاعرة الأوائل في باب الأسماء والصفات.

^٤ تقدم ترجمته في أول الكتاب في جزء التأصيلات لفهم الأسماء والصفات ، وتقدم أنه قد تاب من هذا المذهب وأعلن توبته ، ورجع إلى طريقة أهل السنة في فهم أسماء الله وصفاته وترك علم الكلام ، بل وألف مؤلفات في تقرير عقيدة أهل السنة.

^٥ انظر كلامه في كتابه «مشكل الآيات» ، باب قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، وقد نقله الذهبي في «العلو» ص ٢٣١ - ٢٣٣ .

^٦ تقدم ترجمته في أول الكتاب في جزء التأصيلات لفهم الأسماء والصفات.

^٧ هو رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه ، أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري ، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة ، وربما وافقهم! انظر «السير» (١٧٤/١١).

^٨ نقلت هذا ليعلم القارىء أن القول بعلو الله قال به بعض أهل البدع الكلامية ، كابن كلاب وغيره من متقدمي الأشاعرة ، وقد قال ابن القيم في ابن كلاب في كتابه «اجتماع الجيوش» ص ٢٨٢ : كان من أعظم أهل الإثبات للصفات والفوقية وعلو الله

كتاب «فرع الصفات في تقرير نفاة الصفات» ، الذي قال فيه ابن القيم رحمه الله بعد أن ساق كلامه في إثبات العلو: وساق شبه النفاة ونقضها نقض من يقلع غروسها كل القلع ، رحمه الله تعالى.^١

فإذا كان هذا هو قول متقدمي الأشاعرة ؛ فما بال متأخري الأشاعرة يخالفون متقدميهم؟!^٢

على عرشه ، منكرًا لقول الجهمية ، وهو أول من عُرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب تعالى ، وأن القرآن معنى قائم بالذات.

^١ «اجتماع الجيوش» ص ٣٠٧ .

^٢ وبهذا يُعلم أن متأخري الأشاعرة أخذوا مقولة أن الله في كل مكان عن الجهمية والمعتزلة ، وليس عن أئمتهم المتقدمين ، لأن متقدميهم كأبي الحسن الأشعري وغيره كانوا مثبتين لعلو الله على عرشه فوق السماء السابعة ، بل كانوا يردون على الجهمية مقالاتهم هذه ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فصل في ذكر أقوال علماء أهل السنة بعد القرون الثلاثة

والقول بعلو الله على خلقه هو قول عامة علماء أهل السنة والجماعة ممن تبعوا القرون الثلاثة المفضلة بإحسان ، فهو قول أبي محمد البرهماري^١ ، وأبي بكر الآجري^٢ ، والمحدث الإمام سليمان بن أحمد الطبراني^٣ ، والحافظ أبي الشيخ الأصبهاني^٤ ، والحافظ أبي بكر الإسماعيلي^٥ ، والإمام الدارقطني^٦ ، وابن أبي زيد المالكي^٧ في مقدمة كتابه «الرسالة» ، وابن بطة العكبري^٨ ، والأزهري^٩

^١ قال الذهبي في البرهماري في «العلو» ص ٢٢٢ : وكان كبير الشأن ، أخذ عن المروزي ، وله أصحاب وأتباع. وقد نص رحمه الله على علو الله في عقيدته المسماة «شرح السنة» ، ص ٧٠ ، الناشر: دار السلف - الرياض. توفي رحمه الله سنة ٣٢٨ .

^٢ هو الإمام المحدث القدوة ، شيخ الحرم الشريف ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري ، له عدة تواليف ، منها كتاب «الشريعة» ، قرر فيه عقيدة علو الرب عز وجل على جميع خلقه ، ينظر باب التحذير من مذاهب الحلولية. توفي رحمه الله سنة ٣٦٠ . انظر ترجمته في «السير» (١٣٣/١٦).

^٣ هو الحافظ الإمام العلامة الحجة بقية الحفاظ ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي الطبراني ، مسند الدنيا ، مات سنة ٣٦٠ . انظر «تذكرة الحفاظ» (٨٥/٣).

^٤ هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، الحافظ. توفي سنة ٣٦٩ . انظر «السير» (٢٧٦/١٦).

^٥ هو الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني ، فقيه الشافعية بناحيته ، مات سنة ٣٧١ . انظر «تذكرة الحفاظ» (١٠٨/٣).

^٦ هو الإمام شيخ الإسلام حافظ الزمان أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي ، مات سنة ٣٨٥ . انظر «تذكرة الحفاظ» (١٣٢/٣).

^٧ هو الإمام العلامة القدوة الفقيه عالم أهل المغرب ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ، توفي سنة ٣٨٦ . انظر «السير» (١٠/١٧).

^٨ تقدمت ترجمته قريبا.

^٩ هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهرى الهدوي اللغوي الشافعي ، مات سنة ٣٧٠ . انظر «السير» (٣١٥/١٦).

إمام اللغة ، وصاحب كتاب «تهذيب اللغة» ، ومحمد بن إسحاق بن منده^١ ، والشيخ أبي بكر محمد بن موهب المالكي^٢ ، وأبي القاسم اللالكائي^٣ ، ومعمر بن أحمد الأصبهاني^٤ ، وأبي نعيم الأصبهاني^٥ ، والفقير سليم بن أيوب الرازي^٦ ، وأبي بكر البيهقي^٧ ، وشيخه ابن فورك^٨ ، والإمام

^١ هو الإمام الحافظ محدث الإسلام ، أبو عبد الله ، محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ محمد بن يحيى بن مندة ، طاف الشرق والغرب مرتين ، له كتاب «الرد على الجهمية» ، وآخر هو «التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل على الاتفاق والتفرد» توفي سنة ٣٩٥ ، انظر ترجمته في «السير» (٢٨/١٧).

^٢ تقدمت ترجمته.

^٣ هو الإمام الحافظ المحدث المفتي ، أبو القاسم ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي اللالكائي ، مفيد بغداد في وقته ، له كتاب في العقيدة مسندا عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وكلامه في العلو مثبت في باب: سياق ما روي في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، توفي سنة ٤١٨ ، انظر ترجمته في «السير» (٤١٩/١٧).

^٤ الشيخ معمر له رواية في الحديث النبوي ، وقد أورد الذهبي كلامه في كتاب «العرش» ص ١٤٥ ، توفي في رمضان عام ٤١٨ ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٣٠٢/٩).

^٥ هو الحافظ الكبير محدث العصر ، أحمد بن عبد الله بن البناء ، مات سنة ٤٣٠ . انظر «تذكرة الحفاظ» (١٩٧/٣).

^٦ هو الإمام شيخ الإسلام ، أبو الفتح ، سليم بن أيوب الرازي الشافعي ، له كتاب تفسير ، وله رواية في الحديث النبوي ، توفي في حدود الأربعين والأربعمئة كما في «العلو» . انظر ترجمته في «السير» (٤٨١/١٧).

^٧ هو الحافظ العلامة الثبت الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر ، أحمد بن الحسين البيهقي ، له عدة مؤلفات مسندة إلى النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، أشهرها «السنن الكبرى» و «دلائل النبوة» وغيرها ، وكلامه في العلو مذكور في كتابه «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» ، باب القول في الاستواء. توفي رحمه الله سنة ٤٥٨ ، انظر ترجمته في «السير» (١٦٣/١٨).

^٨ هو الإمام العلامة شيخ المتكلمين ، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني. توفي سنة ٤٠٦ . انظر «السير» (٢١٤/١٧).

سعد الزنجاني^١ إمام الشافعية في وقته ، وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري^٢ ، وإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني^٣ ، وقول أبي الحسن الكرجي الشافعي^٤ ، وشيخه يحيى بن عمار^٥ ، والقاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي^٦ ، والحافظ ابن عساكر^٧ ، وهو قول ابن قدامة المقدسي^٨ ، وابن

^١ هو الإمام العلامة الحافظ القدوة العابد شيخ الحرم ، أبو القاسم ، سعد بن علي بن محمد الزنجاني ، أورد ابن القيم كلامه في العلو في كتابه «اجتماع الجيوش» ، ص ١٩٧ ، توفي سنة ٤٧١ ، انظر ترجمته في «السير» (٣٨٥/١٨).

^٢ هو الحافظ الكبير ، أبو إسماعيل ، عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، نقل الذهبي كلامه في تقرير العلو من كتاب «الصفات» له ، انظر كتاب «العرش» ص ١٥١ ، و«العلو» ص ٢٦٠ ، توفي عام ٤٨١ ، انظر ترجمته في «السير» (٥٠٣/١٨).

^٣ تقدمت ترجمته. وكلامه في إثبات العلو مذكور في كتابه «الحجة في بيان المحجة» ، باب في بيان استواء الله سبحانه وتعالى على العرش (٨١/٢) وما بعده.

^٤ نقل الذهبي أبياتا له في تقرير العلو في كتاب «العلو» ص ٢٦٣ ، توفي سنة ٥٣٢ .
^٥ هو الإمام المحدث الواعظ شيخ سجستان ، يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار الشيباني ، كان شديدا على أهل البدع والجهمية ، أورد الذهبي كلامه في تقرير العلو في كتاب «العرش» ، ص ١٤٤ ، توفي سنة ٤٢٢ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٨١/١٧).

^٦ هو شيخ الحنابلة ، المفتي القاضي ، أبو يعلى الصغير ، محمد بن أبي حازم محمد بن القاضي الكبير أبي يعلى بن الفراء البغدادي ، من أنبل الفقهاء وأنظرهم ، قال الذهبي في «العلو»: (كان آية في معرفة مذهب الإمام أحمد ، صنف التصانيف الفائقة). قلت: وله كتاب «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» ، وهو كتاب نفيس مروى بالأسانيد في إبطال تأويل أحاديث الصفات ، يسر الله نشره. توفي أبو يعلى سنة ٥٥٦ . انظر ترجمته في «السير» (٣٥٣/٢٠).

^٧ هو الإمام العلامة الحافظ الكبير ، محدث الشام ، أبو القاسم الدمشقي الشافعي ، صاحب «تاريخ دمشق» ، توفي سنة ٥٧١ ، وقد أورد الذهبي كلامه في إثبات العلو في كتاب «العرش» ، ص ١٢٣ ، وللعلم فقد نقل الحافظ ابن عساكر اعتقاد أبي الحسن الأشعري في هذا الباب مقرا له ، مثنيا عليه ، كما في المصدر نفسه.

^٨ هو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، انتهت إليه معرفة مذهب الإمام أحمد في زمانه ، له كتاب «المغني» ، توفي سنة ٦٢٠ . انظر كلامه في إثبات العلو في كتابه «إثبات صفة العلو».

رجب الحنبلي^١ ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب^٢ ، والشيخ محمد صديق حسن خان القنوجي^٣ ، وكذا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني^٤ ، علامة الشام ، وأئمة الدعوة النجدية قاطبة إلى يومنا هذا ، وغيرهم كثير ، رحمهم الله جميعا .

^١ هو الشيخ الحافظ الأصولي الواعظ العابد ، شيخ الحنابلة ، زين الدين ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن أحمد البغدادي ثم الدمشقي ، من علماء القرن الثامن ، انكب على التصنيف فترك آثارا علمية كثيرة ، أشهرها «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم» ، و «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» ، شرح فيه صحيح البخاري إلى كتاب الجنائز ، وكذا غيرها من الكتب التي تزيد على الأربعين مؤلفا ، توفي رحمه الله سنة ٧٩٥ هـ . انظر ترجمته في «الجواهر المنضدة» لابن عبد الهادي ، و «إنباء الغمر» لابن حجر رحمهم الله . انظر كلامه في تقرير العلو في كتابه «فتح الباري» (٣٣٢ - ٣٣١/٢) .

^٢ الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به ومؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيال عليه إلى يومنا هذا .

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، وانظر لزاما كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د . صالح بن عبد الله العبود .

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣٧٨/٣-٤٢٩) ، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٣٧٢/١-٤٣٩) .

^٣ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تقرير العلو مذكور في كتابه «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» ، ص ٥٠ - ٥٣ ، بتحقيق د . عاصم بن عبد الله القريوتي ، (الناشر: عالم الكتب - بيروت) ، وقد اقتبست ترجمة الشيخ صديق منه .

^٤ هو الشيخ العلامة المحدث ، محمد ناصر الدين بن نوح بنحاتي ، الألباني أصلا ، السوري منشأ ، من المجددين لدين الله تعالى في القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الذي بعده ، خدم تراث المسلمين في الحديث والعقيدة والفقه في مجال تحقيق المخطوطات وتخريج الأحاديث وتمييز صحيحها من ضعيفها ، حتى صار كثير ممن بعده عيالا عليه ، وُعِدَّ منعظا حادا في تاريخ خدمة السنة النبوية ، ترك رحمه الله كفا ضحما من التراث العلمي أوصله أحد الباحثين إلى ٢٣١ كتابا ، ما بين تأليف وتحقيق وتخريج وتعليق . وللشيخ رحمه الله جهد مبارك في الرد على أهل البدع والتصوف ومُتَبِّد القبور وأتباع المناهج الدعوية المحدثه ، وكثير من التيارات المنحرفة عن الكتاب والسنة ، وكشف شبهاتهم في بلاد الشام وغيرها من البلاد .

توفي رحمه الله في رجب عام ١٤٢٠ عن سبع وثمانين سنة ، وكانت وفاته بعد وفاة قرينه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز بأشهر يسيرة ، فتلم الإسلام ثلثة عظيمة ، وحزن المسلمون على فقدهما حزنا جما .

يُنظر للتوسع في الاطلاع على حياة الشيخ وسيرته العلمية:

١. «الإمام الألباني رحمه الله ، دروس ومواقف وعبر» ، د. عبد العزيز بن محمد السدحان ، الناشر: دار التوحيد - الرياض.
٢. «حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» ، محمد بن إبراهيم الشيباني ، الناشر: مكتبة السداوي - مصر.

١٧- إجماع الأديان السماوية السابقة: إن علو الله سبحانه وتعالى أمر مجمع عليه في جميع

الأديان السماوية ، قال ابن القيم رحمه الله:

جميع النبوات من أولها إلى آخرها متفقة على أصول (وذكر ثمانية عشر أصلا ، منها قوله):

السادس: أنه لا يحل في شيء من مخلوقاته ، ولا يحل في ذاته شيء منها ، بل هو بائن عن خلقه بذاته ، والخلق بائون عنه.

السابع: أنه أعظم من كل شيء ، وأكبر من كل شيء ، وفوق كل شيء ، وعال على كل شيء ، وليس فوقه شيء البتة.^١

وقال أيضا رحمه الله: فهذه الآيات والأخبار الدالة على علو الرب تعالى على خلقه وفوقيته واستوائه على عرشه قد قيل إنها تقارب الألف ، وقد أجمعت عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم.^٢

وهذا خليل الله إبراهيم ﷺ حينما أراد امتحان قومه لهدايتهم ذهب يُقلب نظره في السماء لا في الأرض ، فقال للقمر ﴿هذا ربي﴾ ، ثم ذهب يطلب ربه مرة أخرى في السماء أيضا لما أفل الكوكب ، فقال للشمس ﴿هذا ربي﴾ ، وما ذلك إلا لما استقر في فطر وعقول الأمم كلها أن الرب في العلو.

قال ابن خزيمة رحمه الله: و خليل الله إبراهيم عليه السلام عالمٌ في ابتداء النظر إلى الكوكب والقمر والشمس أن خالقه عال فوق خلقه حين نظر إلى الكوكب والقمر والشمس ، ألا تسمع قوله ﴿هذا

^١ «هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى» ، ص ٣٦٩ .

^٢ «الصواعق المرسلّة» ، ص ٣٦٨ .

ربي؟ ولم يطلب معرفة خالقه من أسفل ، إنما طلبه من أعلى ، مستيقنا عند نفسه أن ربه في السماء لا في الأرض.^١

وهذا موسى عليه السلام لما دعا فرعون إلى الإيمان بالله ؛ أنكر فرعون اللعين وجود الله أصلا ، وبني الصرح متحديا لموسى عليه السلام ، ليثبت - بزعمه - أنه ليس في السماء شيء أصلا ، فقال ﴿يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى﴾ ، والأسباب هي الطرق.

قال ابن عبد البر رحمه الله: فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول: إلهي في السماء ، وفرعون يظنه كاذبا.^٢

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: من نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني ، ومن أثبتته فهو موسوي محمدي.^٣

قلت: أي مؤمنٌ بما جاء به موسى ومحمد عليهما السلام من أن الله في السماء. وقال كعب الأحمري: قال الله تعالى في التوراة: أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق جميع خلقي ، وأنا على عرشي ، عليه أدبر أمور عبادي ، لا يخفى علي شيء من أمر عبادي في سمائي ولا في أرضي....^٤

^١ كتاب «التوحيد» ، (ص ٢٠٢).

^٢ «التمهيد» (١٢٦/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء.

^٣ انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ، عند شرحه لقول الطحاوي رحمه الله: وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة بخلقه.

^٤ أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٦/٣) ، وصححه سنده الذهبي في كتاب «العرش» ، ص ٥٩ ، وعزاه لأبي الشيخ الأصبهاني أيضا ، وصححه ابن القيم كما في «مختصر الصواعق» ، ص ٤١٤ .

وقال قتادة^١ رحمه الله: قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض ، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟

قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم ، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم.^٢
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :

لما كانت الليلة التي أسري بي فيها ، أتت علي رائحة طيبة ، فقلت: يا جبريل ، ما هذه الرائحة الطيبة؟

فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها.

قال: قلت: وما شأنها؟

قال: بينا^٣ هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم ؛ إذ سقطت المِدرى^٤ من يدها فقالت:
بسم الله.

فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟

قالت: لا ، ولكن ربي ورب أبيك الله.

قالت: أخبره بذلك؟

قالت: نعم.

فأخبرته فدعاها ، فقال: يا فلانة ، وإنَّ لك ربا غيري؟

^١ هو حافظ عصره ، قدوة المفسرين والمحدثين ، قتادة بن دعامة السدوسي ، من أوعية العلم ، من رواة الحديث النبوي ، مات سنة ١١٧ ، وترجم له الذهبي في «السير» (٢٦٩/٥).

^٢ رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٧) ، قال الذهبي في «العلو» (٣٣٦): (هذا ثابت عن قتادة أحد الحفاظ الكبار) ، وحسن الألباني رحمه الله إسناده في «مختصر العلو» رقم (١٠٧).

^٣ بينا أي: بينما.

^٤ المِدرى: ما يُسوى به شعر الرأس ، قاله السندي في حاشيته على ابن ماجه.

قالت: نعم ، ربي وربك من في السماء ، فأمر ببقرةٍ من نحاسٍ فأُحميت^١ ، ثم أمر بها أن تُلقى هي وأولادها فيها.
قالت له: إن لي إليك حاجة.
قال: وما حاجتك؟
قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد ، وتدفننا.
قال: ذلك لك علينا من الحق.
قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدا واحدا ، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع ، كأنها تقاعست من أجله ، قال: (يا أمه ، اقتحمي ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة) ، فاقتحمت.^٢
وعن ثابت البناني^٣ قال: كان داود عليه السلام يطيل الصلاة ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول: إليك رفعت رأسي ، نظر العبيد إلى أربابها ، يا ساكن السماء.^٤
وعن عباس العمي^٥ قال: بلغني أن داود النبي عليه السلام كان يقول في دعائه: اللهم أنت ربي تعاليت فوق عرشك ، وجعلت خشيتك على من في السماوات والأرض.^٦

^١ قال في «النهاية» في معنى بقرة ما معناه: قِدراً واسعاً يسع بقرة.

^٢ رواه أحمد (٣١٠/١) ، وحسنه الذهبي في كتاب «العرش» ص ٥٤ ، وكذا محققو «المسند» (٣٠/٥).

^٣ هو ثابت بن أسلم البناني ، أبو محمد البصري ، ثقة عابد ، مات سنة بضع وعشرين. انظر «التقريب».

^٤ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٦٩) ، وأحمد في «كتاب الزهد» ص ١٨٤ ، وصححه الذهبي في كتاب «العلو» ، ص ١٢٦ .

^٥ عباس العمي ذكره ابن شاهين في «أسماء الثقات» ، ص ١٤٩ ، وقال ابن معين: لا بأس به.

^٦ رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٩/٦-٥٠) ، وصححه الذهبي في كتاب «العرش» ص ٦٧ .

وعن الحسن البصري^١ قال: سمع يونس عليه السلام تَسْبِيح الحِصَا وتَسْبِيح الحِيتَان ، فجعل يُسَبِّح ويهلل ويقُدس ، وكان يقول في دعائه: سيدي ، في السماء مسكنك ، وفي الأرض قدرتك وعجائبك.^٢

وقال الإمام محمد بن يسار^٣: بعث الله ملكا من الملائكة يعني إلى بُحْتَنَصَّرَ^٤ ، فقال له الملك: هل تعلم يا عدو الله كم بين الأرض إلى السماء؟ قال بُحْتَنَصَّرَ: لا.

قال له الملك: فإن بين الأرض إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة سنة ، وغلظها كذلك - إلى أن ذكر حملة العرش ، ثم قال: - ثم بعد ذلك يبدو العرش ببهائه وجلاله ، عليه ملك الملوك تبارك وتعالى ، أي عدو الله ؛ فأنت تطلع إلى ذلك؟ ثم بعث الله تعالى على عدو الله بُحْتَنَصَّرَ - لعنه الله - البعوضة فقتلته.^٥

قال الذهبي: وهذا إسناد جيد.^٦

^١ هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، اسم أبيه يسار الأنصاري ، مولاهم ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، مات سنة عشر ومائة. انظر «التقريب».

^٢ ذكره الذهبي في كتاب «العرش» ص ٥٩ ، وعزاه لابن قدامه في «إثبات صفة العلو» ، وصحح إسناده.

^٣ هو محمد بن يسار المروزي ، روى عن قتادة ، وروى عنه ابن المبارك ، قال أبو حاتم: (ما بحديثه بأس) ، وذكره ابن حبان في «الثقات». انظر «تهذيب التهذيب».

^٤ بختنصر قائد من قادة جيوش الفرس ، سلطه الله على بني إسرائيل ، انظر «تاريخ الطبري» ، تاريخ ما قبل الهجرة ، ذكر خبر «لهراسب» وابنه «بشتاسب».

^٥ رواه أبو الشيخ في كتاب «العظمة» ص ٢٠٠-٢٠١ .

^٦ كتاب «العرش» ص ٧٦ .

وقال في «العلو»: كذا قال^١: بخت نصر^٢ ، والمحفوظ أن صاحب القصة نمرود^٣.
وقال أبو سعيد الدارمي رحمه الله: وكذلك نمرود^٤ - فرعون إبراهيم - رام الاطلاع إلى الله ، لَمَّا كان يدعو ابراهيم إلى أن معرفته في السماء.^٥
وقال سعيد بن عامر الضبيعي^٦: الجهمية أشرف قولا من اليهود والنصارى ، قد أجمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان أن الله تبارك وتعالى على العرش ، وقالوا هم: ليس على العرش شيء^٧.
وقال الإمام القدوة عبد القادر الجيلاني^٨ رحمه الله في كتابه «الغنية»: وهو بجهة العلو ، مستوٍ على العرش ... وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، بلا كيف^٩.
أي بلا كيفية نعلمها.

^١ أي: راوي الأثر.

^٢ هكذا الاسم مركب من كلمتين ، وفي بعض المراجع كلمة واحدة.

^٣ ص ١٤٥ .

^٤ في المطبوع (نمرود) بالذال ، وهو خطأ مطبعي.

^٥ «الرد على الجهمية» ص ٤٥ ، مختصرا.

^٦ تقدمت ترجمته.

^٧ رواه البخاري تعليقا في «خلق أفعال العباد» ص ٧ ، ورواه ابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» كما ذكر الذهبي في كتاب

«العرش» ص ٨١ ، و «العلو» ص ١٥٨ .

^٨ هو الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة محيي الدين ، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي الجيلي الحنبلي ، شيخ

بغداد ، قال الذهبي: (ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر ، لكن كثيرا منها لا يصح ، وفي

بعض ذلك أشياء مستحيلة) ، توفي رحمه الله سنة ٥٦١ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٣٩/٢٠).

^٩ أوردته الذهبي في كتاب «العرش» ، ص ١٥٤ .

وقال الشيخ حافظ الحكمي^١ رحمه الله في «معارج القبول»:

وبالجمللة ، فجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام ، وجميع كتبه المنزلة ، وجميع أهل السماوات ، ومؤمني أهل الأرض من الجن والإنس أتباع رسل الله ، وجميع الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تحتلها الشياطين عن دينها ؛ جميعها شاهدة حالا ومقالا أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تأله وتفزع إليه وتدعوه رغبا ورهبا ؛ هو فوق كل شيء ، عال على جميع خلقه ، مستو على عرشه ، بائن من مخلوقاته ، يعلم أعمالهم ، ويسمع أقوالهم ، ويرى حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم ، لا يخفى عليه خافية ، ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعامهم وحرهم ومملوكهم وذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم ؛ كل منهم إذا دعا الله تبارك وتعالى في جلب نفع أو كشف مكروه ؛ إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء إلى جهة العلو ، إلى من يعلم سره ونجواه متوجها إليه بقلبه وقالبه ، يعلم أن معبوده فوقه ، وأنه إنما يدعى من أعلى لا من أسفل.^٢

وقال ابن تيمية رحمه الله: ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب ؛ أن الله سبحانه خالق العالمين ، ورب السماوات والأرض وما بينهما ، ورب العرش العظيم ، والخلق جميعهم عباده ، وهم فقراء إليه ، وهو سبحانه فوق سماواته على عرشه ، بائن من خلقه... الخ.^٣

^١ هو العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، له مؤلفات كثيرة في عدة فنون ، توفي سنة ١٣٧٧ ، انظر ترجمته لتلميذه الشيخ زيد المدخلي في مقدمة كتابه «الأفنان الندية شرح السبل السوية».

^٢ «معارج القبول» للحكمي ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

^٣ «مجموع الفتاوى» (٣/٣٩٣).

١٨. ومن أدلة العلو إقرار بعض المخالفين لأهل السنة به ، ممن تأثروا بطرق الفلاسفة ، فقد قال أبو الوليد بن رشد^١ في كتابه «مناهج الأدلة»:

القول في الجهة

وأما هذه الصفة^٢ فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشعرية ، كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله.
إلى أن قال:

(والشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء ، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين ، وأن من السماوات نزلت الكتب ، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ ، حتى قُرب من سدرة المنتهى ، وجميع الحكماء^٣ اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء ، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك).
ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول ، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم ، إلى أن قال: (فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل ، وأنه الذي جاء به الشرع وانبنى عليه ، وأن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع)^٤.

^١ هو محمد بن أحمد ، حفيد العلامة ابن رشد ، الفقيه ، درس الفقه وبرع فيه ، ولكنه أقبل على علم الكلام والفلسفة ، وصدرت منه مقالات رديئة ، هجره الخليفة وحسبه في داره من أجل تلك المقالات ، فبقى في داره بمراكش إلى أن مات سنة ٥٩٥ ، انظر «تاريخ الإسلام» (١٠٣٩/١٢).

^٢ أي إثبات جهة العلو لله سبحانه وتعالى ، وأنه في جهة السماء.

^٣ الحكماء في عرف الفلاسفة هم كبارهم ومنظروهم ومتقدموهم ، والفلاسفة قوم تمسكوا بنتائج العقول وأهملوا المنقول ، فكثرت كلامهم وتخبطهم ، وربما ردوا بعض النصوص الشرعية التي لا توافق عقولهم ، وقد رد عليهم شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله ردا وافرا في كتابه «درء تعارض العقل والنقل».

^٤ نقل كلامه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان» ، ١٠٠٢ - ١٠٠٣ ، وانظر «اجتماع الجيوش» ص ٣٢٣ .

١٩- ومما يستشهد به على علو الله تعالى أن أهل الجاهلية كانوا يُقرون الله تعالى بصفة العلو ولم يخالفوا فيه ، وإنما خالفوا في غيره ، فهذا أمية بن أبي الصلت^١ الذي شهد له لنبي ﷺ بإيمان أبياته ، ومن أشعاره قوله:

مجدوا الله فهو للمجد أهل

ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق الخلق

وسوى فوق السماء سريرا

وقال أيضا:

فسبحان من لم يقدر الخلق قدره

ومن هو فوق العرش فرد موحد

ملك على عرش السماء مهيمن

لعزته تعنو^٢ الوجوه وتسجد

وقال عنتره بن شداد:

يا عبلاً أين من المنية مهربي

إن كان ربي في السماء قضاها

فتبا لمن كان كفار العرب أعلم منه بعقيدة علو الله على خلقه!

قال ابن القيم رحمه الله: (وهذا باب واسع جدا ، لا يتسع لذكره مجلد كبير ، ويكفي أن شعراء الجاهلية مقرّون به على فطرتهم الأولى ، كما قال عنتره في قصيدته) ، وذكر البيت^٣.

^١ انظر ترجمته في «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر ، و «الأعلام» للزركلي «٢٣/٢».

^٢ تعنو أي تذل وتخضع. انظر «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصبهاني.

^٣ «اجتماع الجيوش» ص ٣٢٢ .

٢٠- ومما يدل على علو الله على خلقه ؛ أنه لو كان ذلك باطلا لنزه الله نفسه عن ذلك كما نزه نفسه عن مقالات كثيرة وصفه بها الكفار ، كـمقولة اليهود والنصارى (إن له ولداً) ، و(له بنات) ، و(إنه فقير) ، و(إن يده مغلولة) ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.
أليس القول بعلو الله على خلقه فوق سماواته على عرشه - لو كان باطلا - جديرا بالإنكار أيضا؟
وقال ابن القيم رحمه الله في «نونية»: :

لكن مقالة كونه فوق الورى	والعرش وهو مبين الأكوان
قد طبقت شرق البلاد وغربها	وغدت مُقررة لدى الأذهان
فلأى شيء لم يُنزه نفسه	سبحانه في محكم القرآن
عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها	وظهورها في سائر الأديان
بل دائما يُبدي لنا إثباتها	ويعيده بأدلة التبيان

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

إن الله تعالى قد نزه نفسه عن النقائص والعيوب ، وعن التمثيل والتشبيه ، كما نزه نفسه عن الشريك والظهير والعيون والوزير والولد والصاحبة والحاجة ، وأن يُوالي أحدا من الذلة ، وكذلك نزه نفسه أن يكون أحد يشفع عنده بدون إذنه ، بل نزه نفسه عن أمور ما قالها أحد تحذيرا من وقوعها ، فإنه نزه نفسه عن الطعام والموت والنوم والسنة والنسيان ، ولم ينسبه أحد إلى شيء من ذلك.

كذلك نزه نفسه عن الظلم وإرادته ، وعن العبث والباطل ، والتعب والعجز المنافي لقدرة الله تعالى ، ونزه نفسه عن كل ما لا يليق بجلاله ، ونزه نفسه عن مقالة قالها بعض طوائف اليهود أن العزيز ابن الله ، فكل نقص وتمثيل قد نفاه عن نفسه ، فلو كانت مقالة المعطلين النافين لعلو الله على عرشه فوق مخلوقاته ومباينته لهم حقا لنزه نفسه عن العلو والفوقية ، فكيف والأمر بالعكس؟! ، فهو دائما يبدي ويعيد في ذكر علوه وفوقيته ، ويقرر ذلك بكل دليل وبرهان ، فلو فُرض أن النصوص خالية من تقرير العلو والاستواء على العرش لكان تركه تنزيهه عن العلو أكبر دليل على تقرير ذلك ، ورضاه به ، والعلم بأنه غير مناف لكماله ، فكيف والأدلة الشرعية كلها على خلاف قول الجهمية؟ فلو بسطت أنواعها وجعلت أفرادا لزادت على ألف دليل.^١

٢١- ومن أدلة علو الله على خلقه تنوع تلك الأدلة وكثرة أمثلتها ، وكلها تقرر شيئا واحدا وهو أن الله فوق كل شيء على عرشه العظيم ، فوق السماء السابعة ، قال ابن سعدي رحمه الله: من البراهين الدالة على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ؛ الدليل العظيم والبرهان القاطع ؛ وهو ما يحصل من مجموع الأدلة السابقة وغيرها ، فإنه يحصل من سرد أنواعها وأفرادها ونصوصها وقواطعها ما يوصل إلى اليقين الاضطراري والعلم الضروري الذي لا يمكن دفعه ، ويحصل الجزم التام الذي لا ريب فيه بعلو الله وارتفاعه واستواءه على عرشه.^٢ وقد تقدم قوله قريبا في أدلة العلو: فلو بسطت أنواعها وجعلت أفرادا لزادت على ألف دليل.

^١ «توضيح الكافية الشافية للشيخ عبد الرحمن بن سعدي» ، (٣/٣٣٦-٣٣٧) من «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي رحمه الله» ، بتصريف واختصار يسير.

^٢ «توضيح الكافية الشافية للشيخ عبد الرحمن بن سعدي» ، (٣/٣٣٨) ، من «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله».

قال الذهبي رحمه الله: وكونه عز وجل في السماء ؛ متواتر عن رسول الله ﷺ تواترا لفظيا.^١
وقال ابن القيم في نونيته إنها بلغت ألفي دليل:

يا قومنا والله إن لقولنا^٢ ألفاً تدل عليه بل ألفان
عقلا ونقلا مع صريح الفطرة الأولى وذوق حلاوة القرآن
كل يدل بأنه سبحانه فوق السماء مابين الأكوان

وقال أيضا في خاتمة كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» ، وهو كتاب منصب كله في تقرير مسألة العلو ، قال ما نصه:
ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل ، ولكن هذه نبذة يسيرة ، وجزء قليل من كثير لا يقال له قليل.^٣

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة ، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي: في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده.^٤
وقال أيضا: القول بأن الله تعالى فوق العالم معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة بعد تدبر ذلك ، كالعلم بالأكل والشرب في الجنة ، والعلم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، والعلم بأن الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، والعلم بأنه خلق السماوات والأرض وما

^١ «الأربعين في صفات رب العالمين» ، ص ٥٣ .

^٢ أي: قولنا بعلو الله.

^٣ ص ٣٣١ .

^٤ «مجموع الفتاوى» (٢٢٦/٥) ، و «بيان تلبيس الجهمية» (٥٥٥/١).

بينهما ، بل نصوص العلو قد قيل إنها تبلغ مئين من المواضع ، والأحاديث عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين متواترة موافقة لذلك.^١

وصدق ابن أبي العز الحنفي^٢ رحمه حين قال: ومن سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف ؛ وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر.^٣

٢٢- ومن أدلة العلو تصريح الله تعالى بعلوه المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرًا وقهرا ، كقوله تعالى ﴿وهو العلي العظيم﴾ ، ﴿وهو العلي الكبير﴾ ، ﴿إنه علي حكيم﴾.^٤

فعلو الله تعالى مطلق من جميع الوجوه ، وفوقيته على عباده مطلقة من كل وجه ، فله سبحانه فوقية القهر ، وفوقية القدر ، وفوقية الذات ، فمن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص الله ، وقد سعد أهل السنة والجماعة ، المستقيمون عليها ، بإثبات أنواع العلو كلها لله تعالى ، جعلنا الله منهم.

^١ «درء تعارض العقل والنقل» (٢٦/٧).

^٢ هو الإمام العلامة صدر الدين ، أبو الحسن ، علي بن علي بن محمد ، الدمشقي ، من علماء المائة الثامنة ، تأثر بشيخ الإسلام وانتصاره على خصومه من أهل البدع ، كان يرى التقييد بالكتاب والسنة وعدم التعصب لمذهب ما ، له الكتاب المعروف «شرح العقيدة الطحاوية» وهو عمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة ، وله أيضا رسالة طيبة في الاتباع.

تعرض رحمه الله لحنة في دينه بسبب تعليقه على أبيات فيها شرك ، فصر على تلك الحنة وسجن وعُزر بسببها ، توفي رحمه الله سنة ٧٩٢ .

انظر ترجمته للمشايع د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط ، وتقع في مقدمة تحقيق كتابه «شرح العقيدة الطحاوية».

^٣ «شرح العقيدة الطحاوية» ، ص ٣٧٩ .

^٤ ذكر هذا الدليل ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» ، ص ٣٨٢ .

خلاصة

خلاصة القول أن علو الله سبحانه وتعالى بذاته على عرشه فوق السماء السابعة أمر معلوم من الدين بالضرورة ، دل عليه كلام الله وكلام رسوله ﷺ وإجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة الاسلام ، وشهد به قدماء الأشاعرة والفلاسفة ، وهو مقتضى العقل المستقيم والفطرة السليمة ، والمؤمن يكفيه دليل واحد منها للإيمان بما جاء عن الله ورسوله ﷺ ، فكيف وهي بهذه الكثرة الكاثرة؟

فالواجب على المؤمن هو الإيمان بعلو الله على عرشه ، والاستسلام لنصوص الكتاب والسنة ، وفهمها على ضوء فهم السلف الصالح ، والسير على طريق جماعة المسلمين وخيارهم ، وخيار المسلمين هم الصحابة والتابعون ، فإنهم أكثر علما ، وأسلم دينا ، وأقل تكلفا ، وأتبع وأطوع للنبي ﷺ ممن جاء بعدهم ، كما يجب الحذر من مخالفتهم ، فإن هذا من أسباب الهلاك ، قال تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾^١.

^١ سورة النساء: ١١٥ .

مبحث في بيان معنى معية الله تعالى لخلقه ، وقربه منهم

اعلموا رحماني الله وإياكم أنه قد أشكل على بعض الناس فهم معنى معية الله لخلقه وقربه منهم ، الواردة في مثل قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ، وفي قول النبي ﷺ : (إن الله أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) ، فظنوا أن ذلك يُفيد مخالطته ومصاحبته لهم بذاته ، وحُلُوله معهم في الأرض ، ولا شك أن هذا فهم خاطيء لمعنى المعية ، وهذا شروع في بيان المعنى الصحيح لمعنى المعية والقرب ، كما فهمه الصحابة والتابعون ، وبحسب ما تقتضيه اللغة العربية.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

المعية نوعان ؛ عامة ، وهي معية العلم والإحاطة ، كقوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^١ ، وقوله ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾^٢.

وخاصة ، وهي معية القرب ، كقوله ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾^٣ ، وقوله ﴿إن الله مع الصابرين﴾^٤ ، وقوله ﴿وإن الله مع المحسنين﴾^٥ ، فهذه معية قرب ، تتضمن الموالاتة والنصر والحفظ ، وكلا المعنيين مُصَاحِبَةً منه للعبد ، لكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة ، وهذه مصاحبة موالاتة ونصر وإعانة ، ف«مع» في لغة العرب تفيد الصحبة اللائقة ، لا تُشعر بامتزاج ولا اختلاط ولا مجاورة ولا مجانبة ، فمن ظن منها شيئاً من هذا فحين سوء فهمه أتي.

^١ سورة الحديد: ٤ .

^٢ سورة المجادلة: ٧ .

^٣ سورة النحل: ١٢٨ .

^٤ سورة البقرة: ١٥٣ .

^٥ سورة العنكبوت: ٦٩ .

وأما القرب فلا يقع في القرآن إلا خاصاً ، وهو نوعان ؛ قرُّه من داعيه بالإجابة ، وقرُّه من عباده بالإثابة ، فالأول كقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^١ ... والثاني قوله ﷺ : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)^٢ ، و (أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر)^٣ ، فهذا قربه من أهل طاعته.

وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فارتفعت أصواتنا بالتكبير ، فقال: أيها الناس ، أربِعُواْ على أنفسكم ، فإنكم ما تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً بصيراً ، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته.^٤ فهذا قرب خاص بالداعي ؛ دعاء العبادة والثناء والحمد ، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه ، واستواءه على عرشه ، بل يجامعه ويلازمه ، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ؛ ولكنه نوع آخر.

^١ سورة البقرة: ١٨٦ .

^٢ رواه مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٣ رواه الترمذي (٣٥٧٩) ، والحاكم في «مستدرکه» (٣٠٩/١) ، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٢/٢) ، عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله.

^٤ أربِعُواْ أي ارفقوا. انظر «غريب الحديث» لابن الجوزي.

^٥ رواه البخاري (٢٩٩٢) ، ومسلم (٢٧٠٤) ، وأحمد (٤٠٢/٤) ، والنسائي في «الكبرى» ، كتاب النعوت ، باب (السميع البصير) ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، واللفظ لأحمد ، والنسائي بنحوه.

ولفظ البخاري: (فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنه معكم ، إنه سميع قريب).

ولفظ مسلم: إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعونه سميعاً قريباً ، وهو معكم.

والعبد في الشاهد^١ يجد روحه قريبة جداً من محبوب بينه وبينه مفاوز^٢ ، تنقطع فيها أعناق المطي^٣ ، ويجده أقرب إليه من جليسه ، كما قيل:

ألا رُبَّ من يدنو ويزعمُ أنه يُحبك والنائي أحبُّ وأقربُ

وأهل السنة ، أولياء رسول الله ﷺ وورثته وأحباؤه ، الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم وأحب إليهم منها ؛ يجدون نفوسهم أقرب إليه - وهم في الأقطار النائية عنه - من جيران حجرته في المدينة ، والمحبون المشتاقون للكعبة ، البيت الحرام ، يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومن حولها ، هذا مع عدم تأتّي القرب منها ، فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء وهو مستو على عرشه؟

وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبه مُعطل^٤ بعيد من الله ، خليي من محبته ومعرفته .
والقصد أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة ، وكلما ازداد حباً ازداد قرباً ، فالخبة بين قُربين ؛ قرب قبلها وقرب بعدها ، وبين معرفتين ؛ معرفة قبلها حملت عليها ودعت إليها ودلت عليها ، ومعرفة بعدها ، هي من نتائجها وآثارها. ° انتهى كلامه.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية:

^١ أي في الواقع الذي يشهد لصحة هذا الكلام.

^٢ المفاوز جمع مفازة ، وهي الصحراء المهلكة. انظر «المعجم الوسيط».

^٣ المطي جمع مطية ، وهي الدابة التي يرتحل عليها.

^٤ أي معطل لصفة العلو للرب تعالى.

° «مدارج السالكين» (٦١٢-٦١٤) ، منزلة الحياء ، باختصار يسير.

المراد من هذا أنه تعالى لا يخيب دعاء داع ، ولا يشغله عنه شيء ، بل هو سميع الدعاء ففيه ترغيب في الدعاء وأنه لا يضيع لديه تعالى.^١

ويصح أيضا أن يقال: إن المراد من ذلك قرب إجابته ، ويدل لذلك قوله تعالى ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ بعد قوله ﴿فإني قريب﴾ ، وكذلك قول الرسول ﷺ : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فاجتهدوا في الدعاء ، فَقَمِّنْ^٢ أن يستجاب لكم.^٣

وكلا المعنيين صحيح ، وعليه فيمكن حمل الآية على المعنيين جميعا ، لأن الآية إذا احتملت معنيين صحيحين ليس بينهما تعارض ولا ترجيح ؛ جاز حملها على المعنيين جميعا ، والله أعلم.^٤ وقال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى ﴿إنا معكم مستمعون﴾ وقوله ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وأشباهاها من آيات المعية:

أنه ليس ظاهر اللفظ ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها ، ولا تدل لفظه (مع) على هذا بوجه من الوجوه ، فضلا أن يكون هو حقيقة اللفظ وموضوعه ، فإن (مع) في كلامهم للصحة اللائقة ، وهي تختلف باختلاف مُتعلقاتها ومصحوبها ، فكون نفس الإنسان معه لون^٥ ، وكون علمه وقدرته وقوته معه لون ، وكون زوجته معه لون ، وكون أميره ورئيسه معه لون ، وكون ماله معه لون ، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها واختلافها ، فيصح أن يقال: زوجته معه وبينهما

^١ «تفسير ابن كثير» ، سورة البقرة ، آية: ١٨٦ .

^٢ أي حريٌّ.

^٣ رواه مسلم (٤٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

^٤ ينظر «أصول في التفسير» للشيخ محمد بن عثيمين ص ٣٠ ، الناشر: دار ابن القيم - الدمام.

وكذا «قواعد في التفسير» ، جمعا ودراسة» (٨٠٧/٢) ، للدكتور خالد بن عثمان السبت ، الناشر: دار ابن عفان - الخبر.

^٥ لون أي نوع ، والمقصود نوع من أنواع المعية.

شُكَّةٌ^١ بعيدة ، وكذلك يقال: مع فلان دار كذا وضيعته كذا ، فتأمل نصوص المعية في القرآن كقوله تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾ ، وقوله ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ ، وقوله ﴿لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا﴾ ، وقوله ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ ، ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ ، ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ ، ﴿والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم﴾ ، ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ ، ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ ، ﴿ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ وأضعاف ذلك ، هل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات التصاقا وامتزاجا؟ فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب تعالى ذلك حتى يدعى أنها مجاز لا حقيقة؟ فليس في ذلك ما يدل على أن ذاته تعالى فيهم ولا ملاصقة لهم ، ولا مخالطة ولا مجاورة بوجه من الوجوه ، وغاية ما تدل عليه (مع) ؛ المصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور ، وذلك الاقتران في كل موضع بحسبه ، يلزمه لوازم بحسب متعلقه.

فإذا قيل: الله مع خلقه بطريق العموم ؛ كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدييره لهم وقدرته عليهم ، وإذا كان ذلك خاصا كقوله ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ ؛ كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة ، فمعية الله تعالى مع عبده نوعان: عامة وخاصة ، وقد اشتمل القرآن على النوعين ، وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي ، بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة ، وقد أخبر الله تعالى أنه مع خلقه مع كونه مستويا على عرشه ، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ ، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض ، وأنه استوى على عرشه ، وأنه مع خلقه يبصر

^١ أي مسافة بعيدة.

أعمالهم من فوق عرشه ، فعلوه لا يناقض معيته ، ومعيته لا تبطل علوه ، بل كلاهما حق ، فمن المعية الخاصة قوله ﴿إن الله مع الصابرين﴾ ، ﴿وإن الله مع المحسنين﴾ ، ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ ، ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ ، ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ .
ومن العامة^١ ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ، وقوله ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ...
وقال تعالى في المعية الخاصة لموسى وأخيه ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ ، وقال في العامة ﴿فأذهبنا بآياتنا إنا معكم مستمعون﴾ ، فتأمل كيف أفرد ضمير نفسه حيث أفرد موسى وأخاه عن فرعون ، وكيف جمع الضمير لما أدخل فرعون معهما في الذكر ، فجعل الخاص مع المعية الخاصة ، والعام مع المعية العامة.^٢

قال ابن تيمية رحمه الله:

فهو مع موسى وهارون دون فرعون ، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، دون الظالمين المعتدين .
فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان ؛ تناقض الخبر الخاص والخبر العام ، بل المعنى: أنه مع هؤلاء بنصره وتأيدته دون أولئك.^٣

وقال أيضا رحمه الله: وذلك لأن كلمة (مع) في لغة العرب لا تقتضي أن يكون أحد الشئيين مختلطا بالآخر ، وهي إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة ، من غير وجوب مماسة

^١ أي المعية العامة.

^٢ «مختصر الصواعق المرسلية» ، ص ٤٥٥ - ٤٥٧ ، باختصار ، وقد ضبطت بعض الألفاظ من ط أعضاء السلف - الرياض ، (١٢٤٤/٣ - ١٢٤٩) ، عناية: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي.

^٣ «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى.^١
وقال أيضا: ولفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع ، واقتضت في كل موضع أمورا لم تقتضها في الموضع الآخر ، وذلك بحسب اختلاف دلالتها في كل موضع.^٢
وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿إن الله مع الصابرين﴾: وهذه معية خاصة ، تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه ، وهذه منقبة عظيمة للصابرين ، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلا وشرفا.
وأما المعية العامة فهي معية العلم والقدرة ، كما في قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ، وهذه عامة للخلق.^٣

وقال ابن كثير في تفسير الآية نفسها:

أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه ، وهذه معية خاصة كقوله ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ ، وقوله لموسى وهارون ﴿لا تخافا إني معكما أسمع وأرى﴾ ، وقول النبي ﷺ للصدیق وهما في الغار ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾.

وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم ، كقوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ ، وكقوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ ، وكما قال تعالى ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا

^١ «مجموع الفتاوى» (١٠٣/٥).

^٢ «مجموع الفتاوى» (١٠٤/٥).

^٣ «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ، تفسير سورة البقرة ، الآية ١٥٣.

عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكثر إلا في كتاب مبين^١.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^٢:

وهذه المعية خاصة بعباده المؤمنين ، وهي بالإعانة والنصر والتوفيق ، وكرر هذا المعنى في مواضع آخر كقوله ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ، وقوله ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيُّ مَعَكُمْ﴾ ، وقوله ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ، وقوله ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما المعية العامة لجميع الخلق فهي بالإحاطة التامة ، والعلم ، ونفوذ القدرة ، وكون الجميع في قبضته جل وعلا ، فالكائنات في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل ، وهذه هي المذكورة أيضاً في آيات كثيرة ، كقوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ...﴾ الآية ، وقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ، وقوله ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ ، وقوله ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ...﴾ ، إلى غير ذلك من الآيات.

فهو جل وعلا مستو على عرشه كما قال ، على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله ، وهو محيط بخلقه ، كلهم في قبضة يده ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين. انتهى كلامه رحمه الله.^٣

^١ «تفسير القرآن العظيم» ، تفسير الآية الأخيرة من سورة النحل.

^٢ «أضواء البيان» ، تفسير الآية الأخيرة من سورة النحل.

^٣ وانظر ما قاله رحمه الله في كتابه «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» في الكلام على الآية نفسها ، وكذلك ما قاله في الكتاب نفسه في الجمع بين قوله تعالى في سورة الحديد ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

معية الله عز وجل تنقسم إلى قسمين ؛ عامة وخاصة ، والخاصة تنقسم إلى قسمين ؛ مقيدة بشخص ، ومقيدة بوصف .

أما العامة فهي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، ودليلها قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ .

أما الخاصة المقيدة بوصف فمثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

وأما الخاصة المقيدة بشخص معين فمثل قوله تعالى عن نبيه ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، وقال لموسى وهارون ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ .

وهذه أخص من المقيدة بوصف .

فالمعية درجات: عامة مطلقة ، وخاصة مقيدة بوصف ، وخاصة مقيدة بشخص .

فأخص أنواع المعية ما قيد بشخص ، ثم ما قيد بوصف ، ثم ما كان عاماً .

فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني

ربوبيته ، والمعية الخاصة بنوعيتها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد .^١

وقال رجل لأبي حنيفة: رأيت قول الله عز وجل ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ ؟

قال: هو كما تكتب إلى الرجل: (إني معك) وأنت غائب عنه .

قال البيهقي معلقاً: لقد أصاب أبو حنيفة رضي الله عنه فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في

الأرض وفيما ذكر من تأويل الآية ، وتبع مطلق السمع في قوله (إن الله عز وجل في السماء).^٢

^١ «شرح العقيدة الواسطية» (١/٤٠١-٤٠٢) .

^٢ «كتاب الأسماء والصفات» (٢/٣٣٨) .

فصل في بيان أنه ليس بين المعية والعلو تناقض

اعلموا رحمي الله وإياكم أنه ليس بين إثبات صفة العلو لله تعالى ومعيته لخلقه تناقض ، وبيان ذلك من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن الله جمع بينهما فيما وصف به نفسه ، ولو كانا يتناقضان ؛ ما صح أن يصف الله بهما نفسه.

الوجه الثاني: أن نقول: ليس بين العلو والمعية تعارض أصلاً ، إذ من الممكن أن يكون الشيء عاليًا وهو معك ، ومنه قول العرب: القمر معنا ونحن نسير ، والشمس معنا ونحن نسير ، والقطب^١ معنا ونحن نسير ، مع أن القمر والشمس والقطب كلها في السماء ، فإذا أمكن اجتماع العلو والمعية في المخلوق ، فاجتماعهما في الخالق من باب أولى لأن الله له المثل الأعلى سبحانه وتعالى.

أرأيت لو أن إنساناً على جبل عالٍ ، وقال للجنود: (اذهبوا إلى مكان بعيد في المعركة ، وأنا معكم) ، وهو واضع المنظار على عينيه ، ينظر إليهم من بعيد ، فإنه يصير معهم ، لأنه الآن يبصر كأهم بين يديه ، وهو بعيد عنهم ، فإذا كان الأمر ممكنًا في حق المخلوق ، فكيف لا يكون ممكنًا في حق الخالق؟! في حق الخالق؟!!

الوجه الثالث: أنه لو تعذر اجتماعهما في حق المخلوق ، لم يكن متعذرًا في حق الخالق ، لأن الله أعظم وأجل ، ولا يمكن أن تقاس صفات الخالق بصفات المخلوقين ، لظهور التباين بين الخالق والمخلوق.

^١ القطب نجم نير في جهة الشمال. انظر «المعجم الوسيط».

والرسول ﷺ يقول في سفره: (اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل)^١ ، فجمع بين كونه صاحباً له وخليفة له في أهله ، مع أنه بالنسبة للمخلوق غير ممكن ؛ إذ لا يمكن لشخص ما أن يكون صاحباً لك في السفر وخليفة لك في أهلك.^٢

فصل في ذكر بعض الآيات الواردة في تقرير معنى المعية

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^٣.

والشاهد فيها قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ، وهذه من المعية العامة ، لأنها تقتضي الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسلطاناً وسمعاً وبصراً وغير ذلك من معاني الربوبية.

وفي هذه الآية جمع الله لنفسه بين وصفين ، الأول استواؤه على العرش ، والثاني معيته لخلقه ، ولا يحصل الجمع بينهما إلا بإثبات أمرين ؛ الأول إثبات العلو ، والثاني تفسير المعية بمعية الإحاطة ، علماً وسمعاً وبصراً وسلطاناً ونحو ذلك.^٤

وهذه طائفة من أقوال المفسرين في تفسيرها:

قال ابن جرير رحمه الله:

^١ رواه مسلم (١٣٤٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

^٢ نقلت هذه الوجوه الثلاثة من «شرح العقيدة الواسطية» (٤٠٤/١-٤٠٥) للشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، بتصرف يسير.

^٣ سورة الحديد: ٤ .

^٤ انظر «شرح الواسطية» (٨٠/٢).

يقول^١: هو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم ، يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه ، فوق سبع سماواته. انتهى.

وسئل سفيان الثوري عن قوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فقال: علمه.^٢

وقال نعيم بن حماد لما سئل عن قول الله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾:

معناها: أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه ، ألا ترى أنه قال في كتابه ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾؟

أراد أنه تعالى لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا في شيء من خلقه.

ولو كان الله شاهدا يحضر منهم ما عملوا ؛ لم يكن في علمه فضل على غيره من الخلائق ، لأنه ليس أحد من الخلق يحضر أمرا ويشهده إلا علمه ، فلو كان الله حاضرا كحضور الخلق من الخلق في أفعالهم ؛ لم يكن في علمه فضل على خلقه ، ولكنه تعالى على عرشه كما وصف نفسه ، لا يخفى عليه خافية خلقه.^٣

وقال البيهقي رحمه الله: وقوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ؛ إنما أراد به بعلمه لا بذاته.^٤

^١ أي الله تعالى.

^٢ رواه اللالكائي عنه في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (٦٧٢) ، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٥/٣) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٤١/٢).

^٣ رواه ابن بطة عنه في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٤٦/٣) ، وصححه الذهبي في «العرش» ص ٩٤ ، وكذا الألباني في «مختصر العلو» برقم ٢١٦ .

^٤ كتاب «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» ، ص ١١٨ .

وقال أبو سعيد الدارمي في تفسيره لهذه الآية: إنما يعني أنه حاضر كل نجوى ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأن علمه بهم محيط ، وبصره بهم نافذ ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ، ولا يتوارون منه بشيء ، وهو بكماله فوق العرش ، بائن من خلقه ﴿يعلم السر وأخفى﴾^١. وقال اللالكائي رحمه الله في قوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾: فدللت هذه الآية أنه تعالى في السماء ، وعلمه محيط بكل مكان من أرضه وسماؤه. وروي ذلك من الصحابة ؛ عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة رضي الله عنهم. ومن التابعين ربيعة بن أبي عبد الرحمن^٢ وسليمان التيمي^٣ ومقاتل بن حيان^٤. وبه قال من الفقهاء مالك بن أنس وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل^٥. وقال أبو نصر السجزي في كتابه «الإبانة»: أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك والفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه متفقون على أن الله سبحانه وتعالى بذاته فوق العرش ، وأن علمه بكل مكان^٦.

^١ «الرد على الجهمية» ، ص ٤٢ .

^٢ تقدمت ترجمته في جزء التأصيلات.

^٣ هو الإمام المفاتيح الحافظ ، أبو محمد ، سليمان بن بلال التيمي ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة ١٧٢ . انظر ترجمته في «السير» (٤٢٥/٧).

^٤ هو الإمام العالم المحدث الثقة ، أبو بسطام النبطي البلخي ، من رواة الحديث النبوي ، ثقة ، له حديث في صحيح مسلم ، توفي في حدود الخمسين ومئة ، وليس هو مقاتل بن سليمان . انظر ترجمته في «السير» (٣٤٠/٦).

^٥ «شرح أصول الاعتقاد» (٦٤٦).

^٦ أورده الذهبي في كتاب «العرش» ، ص ١٤٦ ، و «العلو» ، ص ٢٤٨ ، وأبو نصر قال فيه الذهبي في «العرش»: وأبو النصر هذا إمام حافظ فقيه جليل ، أقام بمكة مدة ، روى عن شيخ الإسلام وغيره ، توفي في حدود الأربعين وأربعمائة رحمه الله.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه^١ ، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم ، هو على العرش ، وعلمه لا يخلو منه مكان.^٢
وقال ابن بطة رحمه الله: فأما قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهو كما قال العلماء: علمه.^٣
وقال أصبغ^٤: (وهو مستو على عرشه ، وبكل مكان علمه وإحاطته) ، وأصبغ من أجل أصحاب مالك وأفقهم.^٥

^١ بائن من خلقه: أي منفصل عنهم لا يخالطهم سبحانه ، هم على الأرض وهو على عرشه فوق السماء السابعة ، ومنه قولهم عن المرأة المطلقة: إنها بائنة من زوجها.

^٢ أورده اللالكائي في «أصول اعتقاد اهل السنة» (٦٧٤) ، فقال: روى يوسف بن موسى البغدادي أنه قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل ، فذكره.

وكذا ابن بطة في «الإبانة» (١٥٩/٣) ، بنحوه ، وصحح إسناده الألباني في «مختصر العلو» برقم (٢٢٦) وقال: القطان هذا ثقة من شيوخ البخاري ، مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، سمع منه الحلال ، فالإسناد صحيح. انتهى.
القطان هو يوسف بن موسى البغدادي.

^٣ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٤٣/٣).

^٤ هو أصبغ بن محمد بن أصبغ ، أبو القاسم الأزدي القرطبي ، شيخ المالكية ، وعالمهم بقرطبة ، توفي سنة ٥٠٥ ، انظر ترجمته في «السير» (٣١٢/١٩).

^٥ قاله ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص ١٤٢ .

قال مقيده عفا الله عنه: وقد فسر الآية بمعية العلم علي بن المديني رحمه الله^١ ، وأبو زرعة الرازي^٢ ، والمُزَنِّي صاحب الشافعي^٣ ، وابن أبي شيبة في كتابه «العرش»^٤ ، وأبو محمد البربهاري^٥ ، وعبد الوهاب بن الحكم الوراق^٦ ، وابن أبي زيد القيرواني المالكي^٧ ، وعنه الشيخ أبو بكر محمد بن موهب المالكي^٨ ، وابن أبي زمنين المالكي^٩ ، وشيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري^{١٠} ، وأبو الحسن

^١ هو الشيخ الإمام الحجة ، أمير المؤمنين في الحديث ، علي بن عبد الله بن المديني ، حدث عنه أحمد والبخاري وأبو داود وجماعة ، له مؤلفات كثيرة ، أكثرها قد انقرض ولم يبق إلا جزء من كتاب «السير» ، توفي سنة ٢٣٤ هجرية ، انظر ترجمته موسعة في «السير» (٤١/١١).

قلت: وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا رواه عنه أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب «ذم الكلام وأهله» ، كما في «العلو» ص ١٧٥ ، وفيه أورد الذهبي قول البخاري رحمه الله: (ما استصغرت نفسي إلا بين يدي ابن المديني).

^٢ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا رواه عنه أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب «ذم الكلام وأهله» ، كما في «العلو» ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

^٣ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا قاله في كتابه «شرح السنة» ص ٨٠ ، وأورده الذهبي في «العلو» ص ١٨٥ .

^٤ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا أورده الذهبي في «العلو» ص ١٩٩ .

^٥ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا قاله في عقيدته المسماة «شرح السنة» ، ص ٧٠ .

^٦ تقدمت ترجمته .

^٧ تقدمت ترجمته ، وكلامه في المعية المذكور في عقيدته التي قدم بها كتابه «الرسالة» ، ص ٥٦ ، حيث قال: وأنه فوق عرشه المجيد بذاته ، وهو في كل مكان بعلمه .

وقد طبعت مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني بتحقيق الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، الناشر: دار العاصمة - الرياض ، بعنوان: «عقيدة السلف ، مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة» .

^٨ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا نقله الذهبي في «العلو» ص ٢٦٤ .

^٩ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا قاله في كتابه «أصول السنة» ، قال: فسبحان من يُعَدُّ فلا يُرى ، وقُرِّبَ بعلمه وقدرته فسمع النجوى» ، تحقيق عبد الله بن محمد البخاري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ، مكتبة الغرباء ، المدينة النبوية .

^{١٠} تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا نقله الذهبي في «العلو» ص ٢٦٠ .

الأشعري^١ ، والشعبي^٢ صاحب التفسير^٣ ، ويحيى بن عمار^٤ ، وقَوَّام السنة أبو القاسم الأصبهاني^٥ ، والقرطبي في تفسيره^٦ ، والإمام محمد بن علي الشوكاني^٧ في تفسيره «فتح القدير»^٨ ، والشيخ محمد صديق حسن خان القنوجي^٩ ، وأئمة الدعوة النجدية قاطبة ، والشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني علامة الشام ، وغيرهم من علماء السنة ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم . بل قد حكى بعض العلماء إجماع أهل العلم على أن المقصود بالمعية المذكورة في الآية هو معية العلم ، فقد قال أبو عمر الظلمنكي^{١٠} رحمه الله: **أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى**

^١ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا مذكور في كتابه «رسالة إلى أهل الثغر» ، ص ٢٣٤ .

^٢ هو الإمام الحافظ العلامة شيخ التفسير ، أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، أحد أوعية العلم ، له كتاب «التفسير الكبير» ، توفي سنة ٤٢٧ هـ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٣٥/١٧) .

^٣ انظر تفسيره لقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ الآية ، من سورة المجادلة ، (٢٥٦/٩) من تفسيره المسمى «الكشف والبيان» ، بتحقيق أبي محمد بن عاشور ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ، الناشر: دار التراث العربي - بيروت .

^٤ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا قاله في رسالة له ، ونقل الشاهد منها الذهبي في «العلو» ص ٢٤٥ .

^٥ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا مذكور في كتابه «الحجة في بيان المحجة» (١١٣/٢) وما بعده .

^٦ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا مذكور عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ الآية من سورة المجادلة .

^٧ هو الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اليمني ، درس على شيوخ كثير في فنون كثيرة ، وألف كتباً كثيرة منها «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» ، وفي التفسير له كتاب «فتح القدير» ، وطُبع له مجموع فتاوى بعنوان «الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني» ، وله رد على أرباب القول باتحاد الخالق والمخلوق في كتاب «الصورم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد» ، وغيرها من الكتب والرسائل التي بلغت ١١٤ مؤلفاً ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥٠ . انظر ترجمته لنفسه في «البدر الطالع» ، وانظر «الأعلام» للزركلي (٢٩٨/٦) .

^٨ انظر تفسيره «فتح البيان في مقاصد القرآن» عند قوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ الآية ، من سورة المجادلة .

^٩ تقدمت ترجمته ، وكلامه في تفسير المعية بما ذكرنا مذكور في كتابه «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» ، ص ٥٠ .

^{١٠} هو الإمام المقرئ المحقق المحدث الحافظ الأثري ، أبو عمر ، أحمد بن محمد المَعافري الأندلسي الظلمنكي ، كان من مجور العلم ، من رواة الحديث النبوي ، له كتاب في السنة في مجلدين ، توفي رحمه الله سنة ٤٢٩ هـ . انظر «السير» (٥٦٦/١٧) .

قوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ونحو ذلك من القرآن أنه علمه ، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته ، مستو على عرشه كيف شاء.^١

وقال ابن رجب الحنبلي^٢ رحمه الله: وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ؛ أن المراد علمه ، وكل هذا قصدوا به رد قول من قال: إنه تعالى بذاته في كل مكان.^٣

وقال ابن تيمية رحمه الله: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه ، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه سلف الأمة: من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه ، عليّ على خلقه ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾.

وليس معنى قوله ﴿وهو معكم﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجهه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء ، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه ، مهيمن عليهم ، مطلع إليهم.^٤

^١ قاله في كتابه «الأصول» ، ونقل الشاهد منه الذهبي في «العلو» ص ٢٤٦ .

^٢ تقدمت ترجمته .

^٣ «فتح الباري لابن رجب» (٣٣١/٢ - ٣٣٢) .

^٤ «مجموع الفتاوى» (١٤٢/٣ - ١٤٣) .

وقال أيضا: ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب أن الله سبحانه خالق العالمين ، ورب السماوات والأرض وما بينهما ، ورب العرش العظيم ، والخلق جميعهم عباده ، وهم فقراء إليه ، وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه ، ومع هذا فهو معهم أينما كانوا كما قال سبحانه وتعالى ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾^١.

قال مقيده عفا الله عنه: وليتأمل القارئ الكريم كيف أن الله قرن في الآية نفسها بين استوائه على عرشه ومعيته لخلقه ، فقال ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾.

فهل لذلك توجيه إلا معية العلم؟ اللهم لا.
وقد تقدم التنبيه إلى هذه الفائدة القرآنية.

فإن قيل: نحن لا نفهم من المعية المذكورة في قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ إلا المخالطة والمصاحبة في المكان ، لأن كل الضمائر المذكورة في الآية تعود على الله.^٢
فالجواب عن هذه الشبهة الهزيلة من وجوه:

^١ «مجموع الفتاوى» (٣/٣٩٣).

^٢ نقلت هذه الشبهة والجواب عنها من كتاب «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ، (١/٤٠٧) وما بعده ، بتصرف.

أولاً: أن ظاهر الآية ليس كما ذكرتم ، إذ لو كان الظاهر كما ذكرتم لكان في الآية تناقض ؛ أن يكون مستويًا على العرش ، وهو مع كل إنسان في أي مكان ، والتناقض في كلام الله تعالى مستحيل .

ثانيًا: قولكم: (إن المعية لا تُعقل إلا مع المخالطة أو المصاحبة في المكان) ، هذا ممنوع ، فالمعيرة في اللغة العربية اسم لمطلق المصاحبة ، وهي أوسع مدلولاً مما زعمتم ، فقد تقتضي الاختلاط ، وقد تقتضي المصاحبة في المكان ، وقد تقتضي مطلق المصاحبة وإن اختلف المكان ، هذه ثلاثة أشياء:

١- مثال المعية التي تقتضي المخالطة: أن يقال: اسقوني لبناً مع ماء ؛ أي: مخلوطاً بماء .
٢- ومثال المعية التي تقتضي المصاحبة في المكان: قولك: وجدت فلاناً مع فلان يمشيان جميعاً ويزلان جميعاً .

٣- ومثال المعية التي لا تقتضي الاختلاط ولا المشاركة في المكان ، أن يقال: فلان مع جنوده ، وإن كان في غرفة القيادة ، لكن يوجههم ، فهذا ليس فيه اختلاط ولا مشاركة في مكان .
ويقال: زوجة فلان معه ، وإن كانت هي في المشرق وهو في المغرب .

فمدلول المعية إذاً مطلق المصاحبة ، ثم هي بحسب ما تضاف إليه ، وليس مدلولها محصوراً بالمخالطة .

فإذا قيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ؛ فلا يقتضي ذلك لا اختلاطاً ولا مشاركة في المكان ، بل هي معية لائقة بالله ، ومقتضاها النصر والتأييد .

ثالثاً: نقول: وصفكم الله بهذا من أبطل الباطل وأشد التنقص لله عز وجل ، فإن الله عز وجل ذكر المعية في هذه الآية ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ على سبيل التمدح ؛ في كونه مع علوه على عرشه فإنه مع الخلق الذين هم أسفل منه ، فإذا جعلتم الله في الأرض فهذا تنقص .

رابعاً: إذا جعلتم الله نفسه معكم في كل مكان ، وأنتم تدخلون الكنيف^١ ؛ فإن هذا من أعظم النقص ، ولا تستطيع أن تقول له لملك من ملوك الدنيا: (إنك أنت في الكنيف) ، فكيف تقوله لله عز وجل؟!

خامساً: يلزم على قولكم بأن الله مع خلقه بذاته في الأرض أحد أمرين لا ثالث لهما ، وكلاهما ممتنع: إما أن يكون الله متجزئاً ، كل جزء منه في مكان ، وإما أن يكون متعدداً ؛ يعني: كل إله في جهة ، ضرورة تعدد الأمكنة.

سادساً: أن نقول: قولكم هذا أيضاً يستلزم أن يكون الله حالاً في الخلق ، فكل مكان في الخلق فالله تعالى فيه ، وصار هذا سُلماً لقول أهل وحدة الوجود.

فأنت ترى أن هذا القول باطل ، ومقتضى هذا القول: الكفر. ولهذا نرى أن من قال: (إن الله معنا في الأرض) فهو كافر ، يستتاب ، ويؤمّن له الحق ، فإن رجع وإلا وجب قتله.^٢

وقال رحمه الله في موطن آخر: كما يلزم من القول بأن الله بذاته في كل مكان قول باطل ، وهو إحاطة الأشياء به ، وهذا مستحيل.^٣

الآية الثانية: قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. قوله: (مَا يَكُونُ): يعني: ما يوجد.

^١ الكنيف هو الخلاء ، وهو الذي يسمى في زماننا بالحمام.

^٢ انتهى كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، (١/٤٠٧-٤٠٩) ، بتصرف.

^٣ انظر شرحه على «الواسطية» (١/٨١).

ومعنى الآية: ما من اثنين فأكثر يتناجيان بأي مكان من الأرض ؛ إلا والله عز وجل معهم.
وهذه طائفة من أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية:

قال ابن عبد البر رحمه الله في رده على من احتج بهذه الآية على أن الله في كل مكان:
فلا حجة لهم في ظاهر الآية ، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل في القرآن
قالوا في تأويل هذه الآية: (هو على العرش وعلمه في كل مكان) ، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتج
بقوله.^١

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم ، وكان النبي ﷺ يقول:
(اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل) ، فهو سبحانه مع المسافر في سفره ، ومع
أهله في وطنه ، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطةً بذواتهم كما قال ﷺ محمد رسول الله
والذين معه ﴿أي معه على الإيمان ، لا أن ذاتهم في ذاته ، بل هم مصاحبون له ، وقوله ﴿فأولئك
مع المؤمنين﴾ يدل على موافقتهم في الإيمان وموالاتهم ، فالله تعالى عالم بعباده ، وهو معهم أينما
كانوا ، وعلمه بهم من لوازم المعية. انتهى.^٢

وقال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله:

وعنى بقوله ﴿هو رابعهم﴾ ، بمعنى مُشاهدهم بعلمه وهو على عرشه.

وقال أبو بكر الآجري إمام عصره في الحديث والفقہ في كتابه «الشريعة» في معنى قوله ﴿ما يكون
من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية قال:

^١ «التمهيد» (٦/١٣٠-١٣١) ، كتاب القرآن.

^٢ «مجموع الفتاوى» (٥/٢٣١).

علمه عز وجل ، والله على عرشه ، وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه ، كذا فسرهُ أهل العلم ، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم... ، وابتدأ الله عز وجل الآية بالعلم ، وختمها بالعلم ، فعلمه عز وجل محيط بجميع خلقه ، وهو على عرشه ، وهذا قول المسلمين.

ثم ساق بإسناده عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله: الله عز وجل في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو من علمه مكان.^١

وفي لفظ لعبد الله بن الإمام أحمد: الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء ، وتلا هذه الآية ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ ، وعظم عليه الكلام في هذا واستشعنه.

وعن مقاتل بن حيان في تفسير قوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ قال: هو على عرشه وعلمه معهم.^٢

وقال أبو سعيد الدارمي رحمه الله: الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به ، فقال ﴿ألم تر أن الله يعلم...﴾ الآية ، ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم ، لا أنه نفسه في كل مكان معهم.

ثم قال: وعلمنا يقينا بلا شك أن الله فوق عرشه فوق سماواته كما وصف ، بائن من خلقه ، فحين قال: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ، قلنا: هو معهم بالعلم الذي افتتح به الآية وختمها ، لأنه قال في آي كثيرة ما حقق أنه فوق عرشه فوق سماواته ، فهو كذلك لا شك فيه ، فلما أخبر أنه مع كل ذي نجوى ؛ قلنا: علمه

^١ «الشرعية» (٦٦/٢ - ٦٧).

^٢ رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٨١) ، واللالكائي باختلاف يسير في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٦٧٠) ، وحسن إسناده الألباني في «مختصر العلو» برقم (١٢٤).

وبصره معهم ، وهو بنفسه على العرش بكماله كما وصف ، لأنه لا يتوارى منه شيء ، ولا يفوت علمه وبصره شيء في السماء السابعة العليا ، ولا تحت الأرض السابعة السفلى ، وهذا كقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿إني معكما أسمع وأرى﴾ من فوق العرش.^١ وهكذا قال الإمام المفسر الشافعي البغوي في تفسيره «معالم التنزيل»^٢ ، وأبو إسحاق الثعلبي في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية من سورة المجادلة.

وقال الإمام أحمد: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ، يعني الله بعلمه ، ﴿ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ يعني الله بعلمه ، ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ يعني بعلمه فيهم ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ يفتح الخبر بعلمه ، ويختم الخبر بعلمه.^٣

وقد عقد الإمام أحمد رحمه الله فصلا في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» وسماه: بيان^٤ ما ذكر الله في القرآن ﴿وهو معكم﴾ ، قال فيه: وهذا على وجوده:

قال الله جل ثناؤه لموسى ﴿إني معكما﴾ ، يقول: في الدفع عنكما. وقال ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ ، يقول: في الدفع عنا. وقال ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ ، يقول: في النصر لهم على عدوهم.

^١ «الرد على الجهمية» ، ص ٤٣ - ٤٤ .

^٢ قال في تفسير قوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾: أي من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم. (٥٤/٨).

^٣ «الرد على الجهمية والزنادقة» ، ص ١٥٤ .

^٤ أي: تفسير.

وقال ﴿فلا تمنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾ ، في النصر لكم على عدوكم.
وقال ﴿ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ ، يقول: بعلمه فيهم.
وقال ﴿فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون* قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾ ،
يقول: في العون على فرعون.^١
وقال ابن بطة: قال أبو طالب^٢: سألت أبا عبد الله عن رجل قال: إن الله معنا وتلا هذه الآية ﴿ما
يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾.
قال أبو عبد الله: قد تجهم هذا^٣ ، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ؛ ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في
السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ، العلم معهم.
وقال في {ق} ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ؛ فعلمه معهم.^٤
وقال أحمد: وقد فسر العلماء هذه الآية ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ إلى قوله ﴿وهو معكم أينما
كانوا﴾ إنما عني بذلك علمه ، ألا ترى أنه قال في أول الآية ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات
وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ، فرجعت الهاء والواو من «هو» على
علمه ، لا على ذاته.
ثم قال في آخر الآية ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ ، فعاد الوصف على
العلم ، ويبين أنه إنما أراد بذلك العلم ، وأنه عليم بأموهم كلها.^٥

^١ «الرد على الجهمية والزنادقة» (١٥٨-١٥٩).

^٢ هو أحمد بن حميد المشكاني ، من أخص أصحاب الإمام أحمد ، روى عن أحمد مسائل كثيرة ، وكان أحمد يكرمه ويعظمه ، توفي
رحمه الله سنة ٢٤٤ . انظر ترجمته في «طبقات الحنابلة» (٨١/١) للقااضي أبي يعلى الفراء.

^٣ أي انتحل عقيدة الجهمية.

^٤ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٥٩/٣-١٦٠).

^٥ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٤٤/٣-١٤٥).

وقال الضحاك في معنى قوله ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾: هو على العرش وعلمه معهم.

قال أحمد: هذه السنة.^١

وقال أبو الحسن علي بن مهدي الطبري صاحب أبي الحسن الأشعري في كتابه «مشكل الآيات»:

فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية؟

قيل له: كون الشيء مع الشيء على وجوه؛ منها بالنصرة، ومنها بالصحبة، ومنها باللماسة، ومنها بالعلم، فمعنى هذا عندنا أنه تعالى مع كل الخلق بالعلم.^٢

وقال الإمام ابن قتيبة الدَّيْنَوْرِي في كتابه «تأويل مختلف الحديث»: ونحن نقول في قوله ﴿ما يكون

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم

أيما كانوا﴾ إنه معهم بالعلم بما هم عليه، كما تقول للرجل وجهته إلى بلد شاسع ووكلته بأمر من أمورك: احذر التقصير والإغفال لشيء مما تقدمت فيه إليك، **فإني معك**، تريد أنه لا يخفى علي

تقصيرك... وإذا جاز هذا في المخلوق الذي لا يعلم الغيب فهو في الخالق الذي يعلم الغيب

أجوز.^٣

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية كلاما نفيسا:

^١ رواه ابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٥٣/٣) من طريق أحمد بن حنبل، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنن» (٥٨١) بدون قول أحمد.

^٢ نقلا من كتاب «العرش» للذهبي، ص ١٢٣.

^٣ «تأويل مختلف الحديث» ص ١٨٢.

أي مَطَّلَعٌ عليهم ، يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضا^١ مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له ، كما قال الله تعالى ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ ، وقال تعالى ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ ، ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ، ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضا مع علمه بهم محيط بهم وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء.

ثم قال تعالى ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾.

وقال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.^٢

وقال الذهبي رحمه الله:

الجهمية يقولون: إن الباري تعالى في كل مكان ، والسلف يقولون: إن علم الباري في كل مكان ، ويحتجون بقوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ، يعني بالعلم ، ويقولون: إنه على عرشه استوى كما نطق به القرآن والسنة.

ومعلوم عند أهل العلم من الطوائف أن مذهب السلف إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف ، ولا تشبيه ولا تكييف ، فإن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات المقدسة.

وقد عَلِمَ المسلمون أن ذات الباري موجودة حقيقة ، لا مثل لها ، وكذلك صفاته تعالى موجودة لا مثل لها.^٣

^١ أي الملائكة ، كما قال تعالى ﴿جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة﴾.

^٢ «تفسير ابن كثير» ، سورة المجادلة ، آيه ٧ .

^٣ «سير أعلام النبلاء» (٤٠٢/٨).

وقال ابن رجب رحمه الله:

ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها ، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عباده وإحاطته بهم ، وقربه من عابديه ، وإجابته لدعائهم ، فيزدادون به خشية الله وتعظيما وإجلالا ، ومهابة ومراقبة واستحياء ، ويعبدونه كأنهم يرونه ، ثم حدث بعدهم مَنْ قَلَّ ورعه ، وانتكس فهمه وقصده ، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره ، وأراد أن يُري الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر ، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان ، كما حكى ذلك طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ، تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة رضي الله عنهم ، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وقد حذر النبي ﷺ منهم في حديث عائشة المتفق عليه. وتعلقوا أيضا بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ، وقوله ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ، فقال من قال من علماء السلف حينئذ: إنما أراد أنه معهم بعلمه ، وقصدوا بذلك إبطال ما قال أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن.¹

وقال أيضا في «جامع العلوم والحكم» في شرح الحديث التاسع عشر عند قول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (احفظ الله تجده أمامك) ما نصه:

¹ «فتح الباري» لابن رجب (٢/٣٣١ - ٣٣٢).

فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة ، بخلاف المعية العامة المذكورة في قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾... إلخ فإن هذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم. انتهى.

● قوله ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^١: هذه المعية خاصة ، مقيدة بالنبي ﷺ وأبي بكر ، وتقتضي مع الإحاطة - التي هي المعية العامة - النصر والتأييد.

ولهذا وقفت قريش على الغار ، ولم يبصروهما ، لأن الله أعمى أبصارهم. وأما قول من قال: إن العنكبوت جاءت فمسحت على باب الغار ، والحمامة وقعت على باب الغار ، فلما جاء المشركون ، وإذا على الغار حمامة وعش عنكبوت ، فقالوا: ليس فيه أحد ؛ فانصرفوا ؛ فهذا باطل^٢ ، فالحماية الإلهية والآية البالغة أن يكون الغار مفتوحاً ، ليس فيه مانع حسي ، ومع ذلك لا يرون من فيه ، هذه هي الآية ، أما أن تأتي حمامة وعنكبوت تُعَشِّش ؛ فهذا بعيد ، وخلاف قوله: (لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا)^٣.

فالخلاصة أن الخبر ليس بثابت ، وللعلم فإن بعض المؤرخين - عفا الله عنهم - يأتون بأخبار غير ثابتة.

^١ التوبة: ٤٠.

^٢ روى قصة الحمامتين والعنكبوت ابن سعد في «الطبقات» ، باب ذكر خروج رسول الله ﷺ وأبي بكر إلى المدينة للهجرة ، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ، الفصل السابع عشر ، بدون ذكر العنكبوت ، وقال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ، باب هجرة رسول الله ﷺ (٤٤٦/٣): هذا حديث غريب جدا. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٥٩/٣): منكر.

قلت: ومما يشهد لبطلان قصة الحمامتين والعنكبوت قوله تعالى ﴿وَأَيْدِهِمْ مَجْنُودٌ لَمْ تَرَوْهَا﴾ أي الملائكة ، فلو كانت قصة الحمامتين والعنكبوت ثابتة لتناقضت الآية مع الحديث ، لأنها - أي الحمامتين والعنكبوت - تُرى ، والله أعلم.

^٣ انظر صحيح البخاري (٣٦٥٣) ، ومسلم (٢٣٨١) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

- قوله ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^١ ، فقوله: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ جملة استثنائية لبيان مقتضى هذه المعية الخاصة ، وهو السمع والرؤية ، وهذا سمع ورؤية خاصان تقتضيان النصر والتأييد والحماية من فرعون الذي قالوا عنه ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَى﴾.
- قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^٢ ، فالمعية المذكورة هنا خاصة مقيدة بصفة ، وهي أن كل من كان من المتقين المحسنين ؛ فالله معه . وهذا يفيدنا في سلوكنا بأن نحصر على الإحسان والتقوى ؛ فإن كل إنسان يجب أن يكون الله معه .
- قوله ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^٣ ، وقوله ﴿كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^٤ .
فهذه بعض الآيات الواردة في تقرير معية الله الخاصة لخواص خلقه من المؤمنين الصابرين المتقين ، جعلنا الله ممن دخلوا في معيته الخاصة ، سبحانه وتعالى .

^١ طه: ٤٦ .

^٢ النحل: ١٢٨ .

^٣ الأنفال: ٤٦ .

^٤ البقرة: ٢٤٩ .

إشكال والجواب عنه

فإن قيل: فما معنى قوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفثاه.^١ وقوله ﷺ: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني.^٢ فالجواب ما قاله الإمام الشوكاني رحمه الله في «تحفة الذاكرين»: فيه تصريح بأن الله تعالى مع عباده عند ذكرهم له ، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليهم برحمته ، ويمدهم بتوفيقه وتسديده.

فإن قلت: هو مع جميع عباده كما قال سبحانه وتعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ، وقوله جل ذكره ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية.

قلت: هذه معية عامة ، وتلك معية خاصة ، حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة ، وذلك يقتضي مزيد العناية ووفور الإكرام له ، والتفضل عليه ، ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في كتابه العزيز من كونه مع الصابرين ، وكونه مع الذين اتقوا ، وما ورد هذا المورد في الكتاب العزيز ، أو السنة ، فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة ، وإثبات المعية العامة.^٣

^١ رواه البخاري معلقا مجزوما به في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿لا تحرك به لسانك﴾ ، وابن ماجه (٣٨٦٠) وأحمد

(٥٤٠/٢) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٢ أخرجه البخاري (٧٤٠٥).

^٣ «تحفة الذاكرين» ، ص ١١ .

إشكال آخر والجواب عنه

أشكل على بعض الناس ما نُسب إلى ابن القيم رحمه الله أنه قال في بعض مصنفاته: إن الله عليّ في دُنُوّه ، قريب في عُلوّه.

والجواب عن هذا أن يقال:

إن قوله رحمه الله (إن الله عليّ في دُنُوّه) معناه أن الله عال على عرشه مع أنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، كما أنه يدنو عشية عرفة إلى أهل الموقف فيباهي بهم ملائكته ويقول: ما أراد هؤلاء؟ ولعل الشيخ يشير أيضا في قوله (إن الله عليّ في دُنُوّه) ، إلى حديث النجوى الذي في الصحيحين ، وفيه أنه يدني عبده منه يوم القيامة ويضع كنفه عليه ويقرره بذنوبه ويقول: أتذكر ذنب كذا وكذا؟ وأما قوله: (إن الله قريب في عُلوّه) فمعناه أنه قريب بعلمه وإحاطته بخلقه ، مع أنه عال على عرشه ، كما يشاء سبحانه وتعالى ، لأن علوه لا يناقض معيته ، ومعيته لا تناقض علوه ، كما تقدم.

قال ابن القيم رحمه الله: ولا تناقض بين نزوله ودنوه ، وهبوطه ومجيئه ، وإتيانه وعلوه ، لإحاطته وسعته وعظمته ، وأن السماوات والأرض في قبضته ، وأنه مع كونه الظاهر الذي ليس فوقه شيء ؛ فهو الباطن الذي ليس دونه شيء ، فظهوره بالمعنى الذي فسره به أعلم الخلق لا يناقض بطونه بالمعنى الذي فسره به أيضا ، فهو سبحانه يدنو ويقرب ممن يريد الدنو والقرب منه مع كونه فوق عرشه ، وقد قال النبي ﷺ : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) ، فهذا قرب الساجد من ربه وهو فوق عرشه.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح: (إن الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) ، فهذا قربه من داعيه ، والأول قربه من عابديه ، ولم يناقض ذلك كونه فوق سماواته على عرشه.^١

^١ انظر «مختصر الصواعق المرسله» ، ص ٤٢٨ .

فصل في بيان ثمرات الإيمان بمعية الله لخلقه^١

إيمان العبد بأن الله تعالى معه يورث عنده كمال مراقبته ، ومن ثم ينشأ عنده دافع للقيام بطاعته وترك معصيته ، وهذه ثمرة عظيمة لمن آمن بهذه المعية ، وقد جاء في الحديث أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: يعلم أن الله معه حيثما كان.^٢

^١ يتصرف من «شرح العقيدة الواسطية» (٤٠٧/١).

^٢ أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ، باب العين ، (٣٤٥/٤) ، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٨٧٠) ، والبيهقي في «الكبرى» (٩٦/٤) واللفظ له ، عن عبد الله بن معاوية الغاضري ، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» تحت حديث (١٠٤٦).

مبحث في العرش ، وذكر أصح ما ورد فيه من أخبار

العرش لغة هو سرير الملك ، وقد جاء ذكره في عدة آيات من القرآن ، وفي أحاديث نبوية كثيرة ، من ذلك قوله تعالى مخبراً عن هدهد سليمان ﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه... الحديث^١.
فمعنى كلمة العرش في اللغة العربية هو سرير الملك.

وكلمة «العرش» تتضمن معنى العلو ، فعرش البيت: سقفه ، والعرش والعرش: ما يُستظل به ، والعرش هو الارتفاع والتظليل على ما تحته ، والعرش: البناء الذي يكون على فم البئر يقوم عليه الساقى ، واعتش العنب أي علا فوق العرش ، وعرش القدم: أعلاها.^٢

وعرش الله حق ثابت بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، فقد وصف الله نفسه بأنه رب العرش ، وذو العرش كما في قوله تعالى ﴿وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد﴾ ، وقوله تعالى ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ ، وقوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾.

والسنة دلت كذلك على ثبوت العرش ، فمنها قول الرسول ﷺ : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضى نفسه ، ووزنة عرشه ، ومداد كلماته.^٣
ومعنى مداد كلماته أي عدد كلماته.

^١ رواه مسلم (٢٨١٣) عن جابر رضي الله عنهما.

^٢ انظر «لسان العرب» ، مادة: عرش.

^٣ رواه مسلم (٢٧٢٦) عن جويرية رضي الله عنها.

وهذا يدل على أن وزن العرش أثقل الأوزان ، كما أن عدد الخلق أكثر الأعداد.^١
والمقتضى ما ورد في حق العرش من الصفات الواردة في الآيات والأحاديث ؛ أجمع المسلمون على
ثبوت العرش ثبوتاً حقيقياً.

فصل في صفة العرش

اعلموا رحمي الله تعالى وإياكم أنه قد ورد في العرش الأوصاف التالية:

- أنه عظيم ، قال تعالى ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله: ليس في المخلوقات أعظم منه.^٢
 - ومن أوصاف العرش أنه مجيد ، قال تعالى ﴿ذو العرش المجيد﴾ ، والمجد هو العظمة ورفعة القدر.^٣
- قال ابن كثير في تفسير الآية من سورة البروج:
- ﴿ذو العرش﴾ أي: صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق ، و ﴿المجيد﴾: فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عز وجل ، والجر على أنه صفة للعرش ، وكلاهما معنى صحيح.
- ومن أوصاف العرش أنه كريم ، قال تعالى ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله:

^١ انظر «مجموع الفتاوى» (٥٥٣/٦).

^٢ تفسير ابن كثير ، سورة النمل: ٢٦ .

^٣ انظر «لسان العرب» ، مادة: مجد.

فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ، ووصفه بأنه كريم ، أي: حسن المنظر ، بهي الشكل ، كما قال تعالى ﴿فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾^١.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم.^٢

● والعرش له قوائم ، قال عليه الصلاة والسلام: الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يُنفيق ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي ، أم جوزي بصعقة الطور.^٣

● والعرش هو سقف المخلوقات جميعها ، وهو أعلاها وأعظمها ، وهو فوق الكرسي ، بل فوق كل المخلوقات.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وهو رب العرش العظيم﴾: أي: هو مالك كل شيء وخالقه ، لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات ، وجميع الخلائق من السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش ، مقهورين بقدرة الله تعالى ، وعلمه محيط بكل شيء ، وقدره نافذ في كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل.^٤

^١ تفسير ابن كثير ، سورة المؤمنون: ١١٦ .

^٢ رواه البخاري (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٣٠).

^٣ رواه البخاري (٣٣٩٨) واللفظ له ، ومسلم (٢٣٧٣) ، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

^٤ تفسير ابن كثير ، سورة التوبة: ١٢٩ .

• وعرش الرحمن على الماء كما قال تعالى ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن يمين الله مائى ، لا يغيضها^١ نفقة ، سحاء^٢ الليل والنهار ، أرايتم ماذا أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم ينقص ما في يمينه ، وعرشه على الماء.^٣
وقال عليه الصلاة والسلام: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال: وكان عرشه على الماء.^٤

وعن ابن مسعود موقوفا: والعرش على الماء ، والله على العرش ، ويعلم أعمالكم.^٥

• والعرش فوق الفردوس ، الذي هو أعلى منازل الجنة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتهم الله فسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة.^٦
قال ابن خزيمة رحمه الله:

فالخبز يصرح أن عرش ربنا جل وعلا فوق جنته ، وقد أعلمنا جل وعلا أنه مستوٍ على عرشه ، فخالقنا عال فوق عرشه الذي هو فوق جنته.^٧

^١ يغيضها أي يُنقصها.

^٢ أي دائمة الصبّ والهُطَلُ بالعطاء. انظر «لسان العرب».

^٣ رواه البخاري (٧٤١٩) واللفظ له ، ومسلم (٩٩٣) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٤ رواه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

^٥ تقدم تخريجه.

^٦ رواه البخاري (٧٤٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٧ «كتاب التوحيد» ، (ص ١٨٥).

- وتحت العرش كنز الجنة ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أعطيت خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، ولم يُعطهن نبي قبلي.^١
- والعرش خلقه الله تعالى قبل خلق السماوات والأرض ، قال تعالى ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ ، (فأخبر بكون الله خلق العرش قبل خلق السماوات والأرض خبراً مطلقاً).^٢
- وقال عليه الصلاة والسلام: كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء.^٣
- قال ابن تيمية رحمه الله: لم يقل أحد من سلف الأمة ولا أئمتها إن هذه السماوات والأرض خلقتا وحدثتا من غير أن يتقدمها مخلوق ، وهذا وإن كان يظنه طائفة من أهل الكلام أو يستدلون عليه فهذا قول باطل ، فإن الله قد أخبر أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء.^٤
- وللعرش ظلٌّ يَسْتظل به من أراد الله إكرامهم يوم القيامة ، فعن العرياض بن سارية رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: المتحابون في جلالي في ظل عرشي ، يوم لا ظل إلا ظلي.^٥

^١ رواه أحمد (١٨٠/٥) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

^٢ «بيان تلبيس الجهمية» (١٥٨/١).

^٣ رواه البخاري (٧٤١٨) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

^٤ «بيان تلبيس الجهمية» (١٥٢/١).

^٥ رواه أحمد (١٢٨/٤) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٨/١٨) عن العرياض بن سارية رضي الله عنه ، وقال الذهبي في

«العلو» (١٩١): إسناده حسن ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أنظر معسرا أو وضع له ؛ أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.^١

قلت: وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله ، ليَتَّقِي به أصناف من الناس شمس ذلك اليوم جاءت رواية تخصيصُ الظل المذكور بظل العرش ، ولفظها: سبعة يظلهم الله تعالى تحت ظل عرشه... الحديث.^٢

قال الذهبي في «العلو»: وقد بلغ في ظل العرش أحاديث تبلغ التواتر.^٣
قال القاضي عياض في «إكمال المعلم بفوائد مسلم»: ظاهره كونه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق ، وهو تأويل الأكثر. انتهى كلامه.

- وليس فوق العرش إلا الله عز وجل ، كما قال تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

^١ رواه الترمذي (١٣٠٦) ، وصححه الألباني.

^٢ رواها البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٩٣) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٥٨٤٥) ، وصححها الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في كتابه «القول الواضح المبين في المراد بظل الله الذي وعد به المؤمنين العاملين» ، وهو من منشورات مجالس الهدى - الجزائر.

وأصل الحديث في البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والسبعة هم إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله ، ورجلان تحاببا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجلٌ دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: (إني أخاف الله) ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفق يمينه.

وللفائدة ؛ فإن الظل ليس محصورا في السبعة ، فهناك أصناف أخر من الناس يقيهم الله حر ذلك اليوم ويُظلمهم تحت ظله بسبب أعمال صالحة قاموا بها ، وقد جاء ذلك في أحاديث جمعها ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» في شرح الحديث ، وانظر للاستزادة كتاب «سطوع الهلال في الخصال الموجبة للظلال» ، لإبراهيم بن عبد الله الحازمي ، الناشر: دار الشريف - الرياض.

^٣ «العلو» (١٩١).

^٤ شرح حديث رقم (٢٥٦٦).

تنبيه

ليس في إثبات استواء الله على العرش أن العرش يُقل الله ويحمله ، فالعرش لا يُقلُّه ، والسماء لا تُقلُّه ، لأن ذلك يقتضي أن الله محتاج له ، وهذا باطل ، فالله مستغن عن العرش وغير العرش ، كما قال تعالى ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ ، وكل ما سوى الله عالم ، والعرش من العالم ، فالله خلق العرش واستوى عليه لا حاجته له كحال المخلوقين ، وإنما تكبرا واستعظاما وتمجدا ، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، فالله تعالى اتخذ العرش ليمجد به ويستكبر ، لا حاجته له.^١

قال الإمام الطحاوي الحنفي رحمه الله في «العقيدة الطحاوية»:

والعرش والكرسي حق كما بيّن الله تعالى في كتابه ، وهو جل جلاله مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.

وقال ابن تيمية رحمه الله:

وهو سبحانه فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وهو سبحانه غني عن العرش وعن سائر المخلوقات ، لا يفتقر إلى شيء من مخلوقاته ، بل هو الحامل بقدرته العرش وحمله العرش.

وقد جعل تعالى العالم طبقات ، ولم يجعل أعلاه مفتقرا إلى أسفله ، فالسماء لا تفتقر إلى الهواء ، والهواء لا يفتقر إلى الأرض ، فالعلي الأعلى رب السماوات والأرض وما بينهما الذي وصف نفسه بقوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ؛ أجل وأعظم وأغنى وأعلى من أن يفتقر إلى شيء ، بحملٍ أو غير

^١ انظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٤٣٨).

حمل ، بل هو الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، الذي كل ما سواه مفتقر إليه ، وهو مستغن عن كل ما سواه.^١

● وأهل السنة يؤمنون بأن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد بن معاذ لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ.^٢

● ولما كان العرش أعظم المخلوقات مطلقاً ؛ أضافه الله إلى نفسه في غير ما موضع تشريفا وتعظيما وتكريما ، وخصه بذكر ربوبيته له مميزا له عن السماوات والأرض ، كما في قوله ﴿ قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)^٣ ، وقال عن أهل سبأ ﴿ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ ، كما أخبر عن نفسه بأنه ذو العرش في غير موضع ، أي صاحبه ، ولم يُخبر عن غيره بذلك ، كقوله تعالى ﴿ وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴾ ، وقوله ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش ﴾ ، فهذا كله يبين أن العرش له شأن خاص.^٤

^١ «قاعدة جلية في التوسل والوسيلة» ، ص ٣٠٨ .

^٢ رواه البخاري (٣٨٠٣) ، ومسلم (٢٤٦٦) ، عن جابر رضي الله عنه.

^٣ رواه البخاري (٦٣٤٥) ومسلم (٢٧٣٠).

^٤ نقلا من «بيان تلبيس الجهمية» (١٥٨/١) بتصرف.

- والعرش لم يدخل فيما يشقُّه الله ويفطره ويقبضه ويطويه ويبدله ويُعيِّره ويَهْرُه ويَكْفُوهُ يوم القيامة¹ ، بل دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على بقاء العرش كما هو ، كما في قوله تعالى ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة* فيومئذ وقعت الواقعة* وانشقت السماء فهي يومئذ واهية* والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ ، وقال تعالى ﴿يوم تبدل

¹ القبض والطيوي والإمساك والهز والأخذ باليمين وارِدٌ في حق السماوات والأرض أو أحدهما ، قال تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟

رواه البخاري (٧٣٨٢) ومسلم (٢٧٨٧).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد - أو: يا أبا القاسم - إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك ، أنا الملك.

فضحك رسول الله ﷺ تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ، ثم قرأ ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

رواه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦) ، واللفظ لمسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر ، نُزُّلا لأهل الجنة.

رواه البخاري (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢).

قوله (خبزة) أي العجينة توضع في الحفرة بعد إيقاد النار فيها ، وهي التي يسمونها بالملة - بفتح الميم - .

قوله يتكفؤها أي يُجملها ، من كفأت الإناء إذا قلبته.

والنُّزْل هو طعام الضيف.

قلت: والله على كل شيء قدير ، فالله قادر على أن يجعل الأرض زادا وطعاما لأهل الجنة إذا دخلوها.

وانظر «فتح الباري» و «شرح النووي» في شرح الأحاديث المتقدمة.

الأرض غير الأرض والسموات ﴿﴾ ، فلما وقع التفصيل في خلق السماوات والأرض وما بينهما لم يكن العرش داخلا في ذلك ، بل أخبر ببقائه بعد تغيير السماوات والأرض.^١

فصل في ذكر بعض ما ورد في العرش من أخبار

- ورد في حق العرش أخبار كثيرة ، ننتقي منها هنا ما يسر الله الوقوف على الصحيح منه ، فمن أخبار العرش أن له حملة من الملائكة ، قال تعالى ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ .
 - وحملة العرش ملائكة عظيمو الخلق كما في حديث جابر عن النبي ﷺ قال: أُذن لي أن أُحدِّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام.^٢
 - وعدد حملة العرش يوم القيامة ثمانية ، قال تعالى ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ .
 - وحول العرش ملائكة يحفون به ، دل على ذلك قوله تعالى ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ .
- وفي هذه الآية دلالة على كثرة الملائكة ، إذ لا يمكن أن يحف بالعرش إلا عدد كبير من الملائكة. كما أن فيه دلالة على أن العرش محدود ، أي أن له حدا ونهاية ، فلولا أنه محدود لما حفت الملائكة به.

^١ انظر «بيان تلبس الجهمية» (١/١٥٥ ، ١٥٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

^٢ أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٨٤-٢٨٥) ، وصححه الذهبي في كتاب «العلو» ص ٩٧ ، وكذا الألباني.

• ومن أخبار العرش أن الشمس تجري حتى تستقر تحته ثم تسجد ، مصداقا لقوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوما: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: (ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت) ، فترجع ، فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: (ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت) ، فترجع ، فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش ، فيقال لها: (ارتفعي ، أصبحي طالعة من مغربك) ، فتصبح طالعة من مغربها ، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾^١.

قال ابن كثير رحمه الله:

الشمس إذا كانت في قبة القلک وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش ، فإذا استدارت إلى مقابلة هذا المقام - وهو وقت نصف الليل - صارت أبعد ما تكون إلى العرش ، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث ، ثم ساق حديث أبي ذر ، وفيه: فذلك قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾^٢.

^١ رواه البخاري (٣١٩٩) ، ومسلم (١٥٩) واللفظ له.

^٢ تفسير قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ من سورة يس ، يتصرف يسير.

- وأرواح الشهداء تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش^١ ، فعن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ قال: أما إنا قد سألتنا عن ذلك^٢ فقال: أرواحهم في أجواف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل.^٣
- والرحم مُعلّقة بالعرش ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : الرحم معلقة بالعرش ، تقول: من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله.^٤

^١ القنديل: مصباح كالكوب في وسطه فتيل. انظر «المعجم الوسيط».

^٢ أي سألتنا رسول الله ﷺ .

^٣ رواه مسلم (١٨٨٧) ، والترمذي (٣٠١١) ، وابن ماجه (٢٨٠١).

^٤ رواه مسلم (٢٥٥٥) ، ورواه أحمد (١٩٣/٢) بلفظ: إن الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل من إذا قُطعت رجمه وصلها.

قال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط البخاري ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير فطر.

شبهات والجواب عنها

حرّفَ بعض الناس المعنى الحقيقي لكلمة العرش ، فقالوا: إنه كناية عن ملك الله عموما ، وليس هو سرير الملك الذي استوى عليه الرحمن .

والجواب: أن هذا الكلام ليس عليه دليل ، ولا تُجيزه اللغة العربية ، وهو أيضاً مخالف لما تقدم من الآيات والأحاديث التي تفيد أن العرش شيء حسي ، كقوله تعالى ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ، وقوله ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ ، وقول الرسول ﷺ : (فإذا أنا بموسى آخذ بقائمةٍ من قوائم العرش) ، وأن أرواح الشهداء تأوي إلى قناديل معلقة به ، وأن الشمس تسجد تحته ، وأنه اهتز لموت سعد بن معاذ ، وغير ذلك من الأدلة الشرعية التي تدل دلالة قطعية على أن العرش جُرم قائم بنفسه ، وأنه سرير الملك الذي استوى عليه الرحمن جل وعلا استواء يليق بجلاله وعظمته ، وليس هو شيئا معنويا كما يقولون .

قال أبو بكر البيهقي رحمه الله: وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم مُجسّم ، خلقه الله تعالى ، وأمر ملائكته بحمله ، وتعبدهم بتعظيمه ، والطواف به ، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة . وفي أكثر هذه الآيات دلالة على صحة ما ذهبوا إليه ، وفي الأخبار والآثار الواردة في معناه دليل على صحة ذلك.¹

¹ «الأسماء والصفات» (٢/٢٧٢) .

وقال علي بن عمر الحريري^١ في كتاب «السنة»: ومن قال العرش مُلك ، أو الكرسي ليس بالكرسي الذي يعرف الناس ؛ فهو مبتدع ، قال الله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ، والعرش فوق السماء السابعة ، والله تعالى على العرش.^٢

وقال ابن الجوزي^٣: وقد شدَّ قوم فقالوا: (العرش بمعنى الملك) ، وهذا عدول عن الحقيقة إلى التجوز مع مخالفة الأثر ، ألم يسمعوا قوله تعالى ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ، أترأه كان المُلك على الماء؟!^٤ وقال الذهبي رحمه الله: والقرآن مشحون بذكر العرش ، وكذلك الآثار ، بما يمتنع أن يكون المراد به المُلك ، فدع المكابرة والمرء ، فإن المرء في القرآن كفر ، وما أنا قلته ، بل المصطفى ﷺ قاله.^٥ وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وأما من حرّف كلام الله ؛ وجعل العرش عبارة عن المُلك ، كيف يصنع بقوله تعالى ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ ، وقوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾؟
أيقول: ويحمل مُلكه يومئذ ثمانية؟
وكان مُلكه على الماء؟

ويكون موسى عليه السلام آخذاً بقائمة من قوائم المُلك؟

^١ هو المعروف بابن القزويني ، قال الخطيب: (كان أحد الزهاد ، ومن عباد الله الصالحين) ، توفي سنة ٤٤٢ هـ. انظر «تاريخ بغداد» (٤٩٨/١٣) ، الناشر: دار الغرب الإسلامي.

^٢ نقلا من «الحجة في بيان المحجة» لأبي القاسم الأصبهاني ، (٢٦٦/١).

^٣ هو الشيخ الإمام العلامة ، الحافظ المفسر الواعظ ، شيخ الإسلام ، جمال الدين ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي القرشي النيمي البكري ، البغدادي الحنبلي ، صاحب التصانيف ، من رواة الحديث النبوي ، له تصانيف كثيرة ، في التفسير والفقهاء والسير ورجال الحديث والوعظ ، بلغت تواليه مئتين وخمسين مؤلفا ، توفي رحمه الله سنة ٥٩٧ هـ. انظر ترجمته في «السير» (٣٦٥/٢١).

^٤ «زاد المسير» ، تفسير سورة الأعراف ، الآية: ٥٤ .

^٥ «العلو» ، ص: ٧٠.

هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!^١

وقال الحافظ ابن حجر^٢ رحمه الله: فإن في إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب ، له أبعاد وأجزاء.^٣

وانظر ما قاله البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» ، باب ما جاء في العرش والكرسي .
فالحاصل أن عرش الله شيءٌ حسيّ وليس معنويّاً ، والله أعلم.

شبهة أخرى والجواب عنها

قال بعضهم: إن العرش واحد من الأفلاك المستديرة الكروية الشكل!

وقد أجاب عن هذه المقولة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال:

إنه لقائل أن يقول: لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن العرش فلك من الأفلاك المستديرة الكروية الشكل ، لا بدليل شرعي ولا بدليل عقلي ، وإنما ذكر طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة^٤ وغيره من أجزاء الفلسفة ، فرأوا أن الأفلاك تسعة ، وأن التاسع وهو الأطلس محيط بها ، مستدير كاستدارتها ، وهو الذي يحركها الحركة المشرقية ، وإن كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة.

^١ «شرح العقيدة الطحاوية» ، (٢/٣٦٨).

^٢ هو أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر ، من أئمة العلم بالحديث ، وهو حافظ الإسلام في عصره ، وتصانيفه كثيرة ، أشهرها «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ، و «تهديب التهذيب» و ملخصه «تقريب التهذيب» ، و «لسان الميزان» ، و «الإصابة في تمييز أسماء الصحابة» ، وغيرها كثير ، توفي رحمه الله سنة ٨٥٢ .
ترجم له تلميذه السخاوي في مجلد ضخّم أسماه «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» ، وانظر «الأعلام» (١/١٧٨).

^٣ «فتح الباري» ، كتاب التوحيد باب: (وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم).

^٤ علم الهيئة هو علم يبحث في حركة النجوم والكواكب والبروج ومنازلها وما يتبع ذلك.

ثم سمعوا في أخبار الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - ذكر عرش الله ، وذكر كرسیه ، وذكر السماوات السبع ، فقالوا بطريق الظن: (إن العرش هو الفلك التاسع) ، لاعتقادهم أنه ليس وراء ذلك التاسع شيء.^١

ثم ذهب يفند كلامهم وأقوالهم في كلام طويل.

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه ، محيط بالعالم من كل جهة ، وربما سموه الفلك الأطلس ، والفلك التاسع ، وهذا ليس بصحيح ، لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم ، كما قال ﷺ: لا تُخبروا بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ،... الحديث.^٢

والعرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك ، كما قال تعالى عن بلقيس ﴿ولها عرش عظيم﴾ ، وليس هو فلكا ، ولا تفهم منه العرب ذلك ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات.^٣

وقال ابن كثير رحمه الله:

العرش سقف جميع المخلوقات وليس بكثرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة ، وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة ، وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس.^٤

^١ «مجموع الفتاوى» (٥٤٦/٦).

^٢ رواه البخاري (٢٤١٢) واللفظ له ، ومسلم (٢٣٧٣).

^٣ «شرح العقيدة الطحاوية» ، ص ٣٦٦ ، باختصار يسير.

^٤ «تفسير القرآن العظيم» ، تفسير قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ من سورة يس ، بتصرف يسير.

قال مقيده عفا الله عنه: والفلاسفة يتمسكون بالحسيات لمعرفة الأمور الشرعية الغيبية ، ويقدمون العقل على النقل ، وهذا باطل ، والواجب هو الاستسلام للدليل وفهم نصوص الشرع حسب المراد الظاهر ، وترك التكلف والتنطع ، ولو أن العرش فلک لراه الناس كما يرون غيره من الأفلاك ، وهذا محال لأنه من الغيب الذي لا تراه العيون ، وأما الأفلاك فمن الشهادة التي تُرى وتُشاهد ، ثم إن العرش سريرٌ وليس فلکا ، والله اعلم.

شبهة والجواب عنها

فان قيل في وصف العرش إنه ياقوتة حمراء!
فالجواب: أن هذا ورد عن قتادة وأبي خالد ، وهو أحد التابعين ، ومثله يحتاج إلى سند ثابت عن النبي ﷺ ، أو عن صحابي على أقل تقدير.
وقد ورد أيضا عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف.^١

تنبيه على خطأ مقولة (إن الله استوى من غير مماسة للعرش) ، وبيان أن الواجب الوقوف عند

إثبات الاستواء فحسب

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^٢ رحمه الله:

^١ انظر «العلو» ص ٧١ .

^٢ هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، ولد سنة ١٢٢٥ هـ في بلدة العلم والعلماء ؛ الدرعية ، درس على يد عدد من المشايخ ، منهم والده الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن محمود الجزائري ، وغيرهم . وبعد تضلعه في العلم تتلمذ عليه عدد من التلاميذ ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه ؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى .

وأما قول القائل: (استوى ، من غير مماسة للعرش) فقد قدّمنا أن مذهب السلف وأئمة الإسلام عدم الزيادة والمجاوزة لما في الكتاب والسنة ، وأنهم يقفون وينتهون حيث وقف الكتاب والسنة وحيث انتهيا ، قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله. انتهى.

وذلك لعلمهم بالله ، وعظمتهم في صدورهم ، وشدة هيبتهم له ، وعظيم إجلاله. ولفظ «المماسة» لفظ مخترع مبتدع ، لم يقله أحد ممن يقتدى به ويتبع ، وإن أريد به نفي ما دلت عليه النصوص من الاستواء والعلو والارتفاع والفوقية فهو قول باطل ، ضال قائله ، مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، مكابر للعقول الصحيحة ، والنصوص الصريحة ، وهو جهمي لا ريب.

وإن لم يرد هذا المعنى ، بل أثبت العلو والفوقية والارتفاع الذي دل عليه لفظ الاستواء ؛ فيقال فيه: هو مبتدع ضال ، قال في الصفات قولاً مشتبهاً موهماً. فهذا اللفظ لا يجوز نفيه ولا إثباته ، والواجب في هذا الباب متابعة الكتاب والسنة ، والتعبير بالعبارات السلفية الإيمانية ، وترك المتشابه.¹

له العديد من الكتب والرسائل ، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» ، وأيضاً «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس». أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى ، وبعضها يقع في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية». توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ هـ.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام» لمحققه د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

¹ «الدرر السنية» (٣/٢٨٩ - ٢٩٠).

وقال ابن تيمية رحمه الله: ومن الأصول الكلية أن يُعلم أن الألفاظ نوعان: نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك ، فثبت ما أثبتته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله ، فاللفظ الذي أثبتته الله أو نفاه حق ، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، والألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أن يُبحث عن مراد رسوله بما لُيُثبت ما أثبتته ويُنفى ما نفاه من المعاني ، فإنه يجب علينا أن نُصدِّقه في كل ما أخبر ، ونُطيعه في كل ما أوجب وأمر ، ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والإيمان ، وقد قال تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾^١.

وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يُستفسر عن مراده ، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به ، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره. ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبَّرَ بغيرها أو بيَّن مراده بها ، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي ، فإن كثيراً من نزاع الناس سببُهُ ألفاظ مجملة مبتدعة ومعانٍ مشتبهاة.^٢ انتهى.

تنبيه على خطأ وصف الله تعالى بالاستواء على غير العرش

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في رده على من قال إن الله تعالى لم ينف استواءه على غير العرش فلم تُخصصونه بذلك ، واستشهد بقول (زيد استوى على الدار) ،

^١ المجادلة: ١١.

^٢ «مجموع الفتاوى» (١١٣/١٢ - ١١٤).

فاستدل بهذا بكون الاستواء على غير الدار ممكن في حق زيد ، فلم لا يوصف الله بذلك ويقال: إنه مستو على غير العرش ، هكذا قال السائل للشيخ عبد الرحمن ، وهذا جوابه رحمه الله: تخصيص العرش بالاستواء نص في أنه لم يستو على غيره ، ونفي الاستواء عن غير العرش معلوم من السياق ، مع دلالة النص والإجماع والفطرة ، وكذلك دلالة الأسماء الحسنى ، كالعلي ، والأعلى ، والظاهر ، ونحو ذلك ، ولفظ العلو والارتفاع والصعود يُشعر بذلك ، ويستحيل أن يستوي على شيء مما دون العرش لوجوب العلو المطلق والفوقية المطلقة.

ثم قال:

وإذا أخبر تعالى أنه استوى على العرش ؛ فلا يجوز أن يقال إنه استوى على غيره لوجوه ، منها: أنه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، والتجاسر^١ على مقام الربوبية بوصفه بما لم يصف به نفسه ، وزيادة نعت لم يعرف عنه ولا عن رسله ؛ قول على الله بغير علم ، وهو فوق الشرك في عظم الذنب والإثم ، وأكذب الخلق من كذب على الله ، قال الله تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾^٢ الآية.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى يستحق من الصفات أعلاها وأجلها وأشرفها ، والعرش أعظم المخلوقات ، وهو سقفها الأعلى ، وقد وصفه الله تعالى بالعظيم ، فقال ﴿رب العرش العظيم﴾^٣ ، وقال ﴿ذو العرش المجيد﴾^٤.

^١ التجاسر أي الإقدام. انظر «لسان العرب».

^٢ الأعراف: ٣٣.

^٣ التوبة: ١٢٩.

^٤ البروج: ١٥.

الوجه الثالث: أن تمثيله بقول القائل: (زيد استوى على الدار) ، وأن ذلك لا يُعلم منه أنه لا يستوي على غيرها ؛ فهذا جهل عظيم ، والكلام يختلف باختلاف حال الموصوف وما يليق له من الصفات ، وأصل ضلال هذه الطائفة أنهم فهموا من صفات الله الواردة في الكتاب والسنة ما يليق بال مخلوق ويختص به ، فلذلك أخذوا في الإلحاد والتعطيل ، شبهوا أولاً ، وعطلوا ثانياً.

الوجه الرابع: أن هذا التمثيل الذي أبداه السائل قد نص القرآن على إبطاله ، قال تعالى ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾^١ ، وأصل الشرك تشبيه المخلوق بالخالق.^٢

^١ النحل: ٧٤.

^٢ «الدرر السننية» (٣/٣٠١ - ٣٠٣) ، باختصار.

مبحث في الكرسي ، وذكر أصح ما ورد فيه من أخبار

الكرسي حق ثابت بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، وقد ورد في حقه الأخبار التالية:

- أنه موضع قدمي الرب سبحانه وتعالى ، والدليل على ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما: الكرسي موضع قدميه ، والعرش لا يقدر أحد قدره.^١

وروى ابن جرير بإسناده عن مسلم البطين قال: الكرسي موضع القدمين.^٢

(وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله).^٣

وقال الإمام وكيع ، وقد سئل عما يُروى أن الكرسي موضع القدمين ، ونحو هذا من الأحاديث فقال:

كان إسماعيل بن أبي خالد والثوري ومسعر يروون هذه الأحاديث لا يفسّرون شيئاً.^٤

وروى ابن جرير بإسناده عن الضحّاك في قوله ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش ، الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم.^٥

وقال الإمام أحمد بن حنبل:

^١ أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ، باب ذكر صفة استواء خالقنا العلي الأعلى ، والدارمي في الرد على المريسي (ص: ٣٩٩) ، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٧٥) ، والحاكم (٢/٢٨٢) ، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» (ص ٨٥) ، موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال الذهبي في «العلو» (١٦٣): رواه ثقات ، وصحح إسناده الألباني في «مختصر العلو» (٤٥) ، وقال في تخريجه لأحاديث «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٩٩): (صحيح موقوفاً ، وأما المرفوع فضعيف) ، قلت: وهو مما لا مجال للرأي فيه ، فله حكم الرفع ، وكذا صححه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٣/١).

^٢ انظر تفسير ابن جرير ، الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

^٣ قاله ابن حجر في «الفتح» ، كتاب التفسير ، باب: ﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا﴾.

^٤ رواه الذهبي في «العلو» ص ١٤٦ .

^٥ تفسير ابن جرير ، الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

وعرش الرحمن عزَّ وجلَّ فوق الماء ، والله عزَّ وجلَّ على العرش ، والكرسي موضع قدميه ، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع ، وما بينهما ، وما تحت الثرى.^١

وعقد الشيخ أبو إسماعيل الهروي في كتابه «الأربعين في دلائل التوحيد» باباً سماه: «باب وضع الله عزَّ وجلَّ قدمه على الكرسي» ، أورد فيه بعض الآثار الدالة على ذلك.^٢

● والكرسي خلق عظيم هائل ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾.

● وبموجب ما تقدم من الأخبار ؛ آمن أهل السنة بثبوت الكرسي إيماناً حقيقياً ، فقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني^٣ ، حاكياً إجماع أهل السنة على ثبوت الكرسي:

وأجمعوا أن الله فوق سماواته ، له العرش المستوي عليه ، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض ، وهو قوله ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ، وكرسيه جسم.^٤

قال ابن القيم في «نونيته» مثبتاً الكرسي والعرش واستواء الله عليه:

والله أكبر ظاهر ما فوقه شيء وشأن الله أعظم شأن
والله أكبر عرشه وسع السما والأرض والكرسي ذا الأركان

^١ هذا الجمل جزء من رسالة للإمام أحمد رواها أبو يعلى بإسناده عنه ، وهي مثبتة في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٥٤/١) وما بعدها.

^٢ ص: ٥٦ ، بتحقيق د. علي الفقيهي.

^٣ هو الإمام الحافظ الثقة العلامة شيخ الإسلام ، أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني ، صاحب كتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» ، و «دلائل النبوة» ، و «تاريخ أصبهان» ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة ٤٣٠ . انظر ترجمته في «السير» (٤٥٣/١٧).

^٤ باختصار مما نقله عنه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى (٦٠/٥) ، وعزاه لكتابه «محنة الوثائقين ومدرجة الوامقين».

وكذلك الكرسي قد وسع الطِّبَاق السبع والأرضين بالبرهان^١
والله فوق العرش والكرسي لا تخفى عليه خواطر الإنسان

● وأهل السنة يؤمنون بأن الله ينزل يوم القيامة من العرش إلى الكرسي للقضاء بين عباده في ظلل من الغمام نزولا يليق بجلاله وعظمته ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ ، وقوله تعالى ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً﴾.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما أربعين سنة ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، ينتظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي.^٢

^١ البرهان هو قول الله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾.

^٢ أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١١٨٢) ، وقال الذهبي في «العلو» (٢٢٠): إسناده حسن.

ورواه الحاكم (٥٩٠/٤) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٥٧/٩) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «تخريج أحاديث شرح الطحاوية» ص ٤١٥ ، وأورده ابن كثير في تفسير سورة البقرة ، الآية ٢١٠ عن ابن مردويه ، وصححه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله كما في حاشيته على تفسير ابن كثير.

فصل في بيان أحاديث ضعيفة وردت في الكرسي

• ورد في وصف الكرسي أحاديث ضعيفة ، فمن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قال: ما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة من أرض فلاة^١.

وعن مجاهد رحمه الله قال: ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة^٢.

• وعن أبي ذر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: يا أبا ذر ، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة^٣.

• ومن الأحاديث الضعيفة في هذا الباب ما رواه ابن جرير في تفسير آية الكرسي فقال: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ؛ قال ابن زيد: فحدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ : ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في تُرس^٤.

قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض.

^١ الفلاة هي الأرض الواسعة المقفرة ، انظر «لسان العرب».

^٢ رواه أبو الشيخ في كتاب «العظمة» ، (ص ٩٧) ، وفي سننه الليث بن سليم ، ضعيف ، انظر «تقريب التهذيب» لابن حجر .

^٣ رواه عبد الله في كتاب «السنة» (٤٥١) ، وأبو الشيخ في «العظمة» ص ٨٥ ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠١/٢-٣٠٢) ، وضعفه الشيخ أبو مالك الرياشي كما في تحقيقه على كتاب «السنة».

^٤ رواه أبو الشيخ في كتاب «العظمة» (ص ٨٣) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٩٩/٢-٣٠٠) برقم (٨٦١) و (٨٦٢) ، وابن جرير في «تفسيره» (١٢/٣) ، والحديث ضعيف كما قال عبد الله الحاشدي في حاشيته على كتاب «الأسماء والصفات» ، وقال الذهبي: منكر ، «العلو» ص ١١٥ ، وانظر تعليق الشيخ شعيب على الحديث في «شرح الطحاوية» ، ص ٣٧٠ .

^٥ الترس من السلاح هو ما يُتوقى به الطعان ، وقيل غير ذلك ، انظر «لسان العرب».

هذا حديث ضعيف جدا ، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط:
"وهذا سند ضعيف جدا ، ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ، ضعفه علي بن
المديني جدا.
وقال ابن خزيمة: ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه ، وهو رجل صناعته العبادة
والتقشف ، ليس من أحلاس^١ الحديث.
وأبو زيد لم يسمع من أبي ذر"^٢. انتهى كلام الشيخ شعيب.
وقال الذهبي رحمه الله: هذا مرسل ، وعبد الرحمن ضعيف^٣.
وللأمانة العلمية ؛ فقد صحح الشيخ الألباني رحمه الله هذا الحديث بمجموع طرقه. انظر
«الصحيحة» (١٠٩) ، وانظر للفائدة ما قاله رحمه الله في «الضعيفة» تحت حديث (٦١١٨).
● ومما ورد في حق الكرسي من الآثار الضعيفة ما جاء في صفته أن له أطيظاً ، كما روي عن
عمارة بن عمير عن أبي موسى رضي الله عنه قال: الكرسي موضع القدمين ، وله أطيظ كأطيظ
الرجل^٤.

^١ المجلس في الأصل هو الكساء يجعل على ظهر البعير والدابة ، فهو لازم لظهرها ، واستعير المعنى لمن لزم الشيء ، يقال: فلان من
أحلاس الخيل ، أي ملازم لظهرها ، وفلان من أحلاس الحديث ، أي كثير النظر فيه والاشتغال به. انظر «لسان العرب».
^٢ «شرح الطحاوية» (٣٧٠/٢) ، وانظر أيضا ما قاله الشيخ الوليد بن محمد بن نبيه سيف النصر حفظه الله في تحقيقه على «الإبانة
عن شريعة الفرقة الناجية» (١٨٤/٣) ، وعبد الله الحاشدي في حاشيته على «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/٢٩٩-٣٠٠).
^٣ كتاب «العلو» ص ١١٧ .
^٤ الأطيظ هو صوت الأفتاب - أي الخشب - التي توضع على ظهر الجمل ليستقر عليه الراكب.
^٥ رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٢٩٦) ، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٧٧) ، وابن جرير في تفسيره لآية الكرسي ،
وابن منده في «الرد على الجهمية» (١٧).

هذا أثر ضعيف ، علته الإنقطاع بين عمارة وأبي موسى ، قاله الشيخ عبد الله بن محمد الحاشدي في تحريجه لأحاديث «الأسماء والصفات» للبيهقي .
وأما كونه موضع القدمين فقد تقدم بيان صحته .

● ومن الأحاديث الضعيفة الحديث الذي رواه الدارمي في «سننه»^١ فقال: حدثنا محمد بن الفضل ، ثنا الصعق بن حزن ، عن علي بن الحكم ، عن عثمان بن عمير ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: قيل له: ما المقام المحمود؟
ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه ، يئط كما يئط الرجل الجديد من تضايقه به ، وهو كسعة ما بين السماء والأرض ... الحديث .

هذا حديث منكر كما قال الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة»^٢ ، علته عثمان بن عمير ، متروك ، ونقل عن ابن حجر رحمه الله قوله في «التقريب»: ضعيف ، واختلط ، وكان يُدلس ، ويغلو في التشيع . اهـ .

● ومما ورد في الكرسي من الأخبار الضعيفة ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أن المراد بالكرسي: علم الله ، كما روى ابن جرير رحمه الله في تفسير آية الكرسي فقال:
حدثنا أبو كريب وسلم بن جنادة قالوا: حدثنا ابن ادريس عن مُطَرِّف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وسع كرسيه﴾: قال: كرسيه علمه .
ورواه من طريق آخر عن هشيم عن مطرف به ، وزاد فيه: ألا ترى إلى قوله ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ .
ورواه ابن منده في «الرد على الجهمية» عن هشيم عن مطرف به.^٣

^١ حديث رقم (٢٦٩٧) ، ورواه الحاكم في «مستدرکه» (٣٦٤/٢) .

^٢ رقم (٦٣٣٣) .

^٣ ص ٤٥ .

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» عن أبي عوانه عن مطرف به.^١
والجواب عن هذه الإيرادات من ثمانية وجوه:
الوجه الأول: ضعف الإسناد ، ففي سنده جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ، قال ابن
مندة: ولم يتابع عليه جعفر ، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير.^٢
وقال ابن حبان: كثير الرواية عن الضعفاء ، وإذا روى عن الثقات تفرد عنهم بأشياء في القلب منها
شيء.^٣
وقال الجوزجاني: مائل عن الطريق.^٤
وقال ابن حجر في «التقريب»: جعفر بن زياد الأحمر الكوفي ، صدوق يتشيع.
وذكره الذهبي في «الضعفاء».^٥
وقد ضعف أبو سعيد الدارمي نسبة هذا الأثر إلى ابن عباس كما في «رده على المريسي» ، فقد
روى بسنده إلى ابن عباس قال: الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله.
ثم قال: فهذا الذي عرفناه عن ابن عباس صحيحاً مشهوراً.^٦
أي فهذا هو المعروف عنه ، لا خلافه.

^١ برقم ٦٧٩ .

^٢ «الرد على الجهمية» ، ص ٤٥ .

^٣ «المخروحين» (١٨٥) ، وكلمة (شيء) ليست في المطبوع وإنما عُرفت من «التهذيب» لابن حجر .

^٤ «أحوال الرجال» للجوزجاني ، ترجمة رقم ٥٢ .

^٥ ترجمة رقم (١١٤٣) .

^٦ «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد» (١/٤١٠) .

وكذا ضعفه البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ، فقد قال: ورؤينا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (علمه) ، وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش.^١

وكذا قال ابن كثير عند تفسير آية الكرسي ، فقد قال رحمه الله:

وعن ابن عباس وسعيد بن جبير^٢ أنهما قالوا في قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ أي علمه ، والمحفوظ عن ابن عباس أنه قال: الكرسي موضع القدمين.^٣

وكذا ضعفه الأستاذ محمود شاكر رحمه الله في تعقبه على الإمام ابن جرير في تفسيره للكرسي بالعلم.^٤

وكذا الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة».^٥

وللعلم ؛ فقد روي عن ابن عباس أثر ضعيف آخر في أن المقصود بكرسي الله علمه ، فقد قال ابن منده: وروى نھشل عن الضحاك عن ابن عباس: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قال: علمه. ثم قال: وهذا خبر لا يثبت ، لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس ، نھشل متروك.^٦

^١ (٢٧٢/٢).

^٢ هو الإمام الحافظ المقرئ المفسر ، أبو محمد ، سعيد بن جبير بن هشام ، الأسدي الوالي ، مولاھم الكوفي ، من رواة الحديث النبوي عن الصحابة ومن بعدهم ، توفي سنة ٩٥ . انظر ترجمته في «السير» (٣٢١/١٧).

^٣ باختصار من «تفسير القرآن العظيم» ، آية الكرسي.

^٤ انظر تفسير آية الكرسي.

^٥ (٢٢٦/١).

^٦ «الرد على الجهمية» ، ص ٤٦ .

وقال أيضا: ومما يدل على صحة قول ابن عباس وأبي موسى في الكرسي ؛ ما ذكره الربيع بن أنس عن أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا للنبي ﷺ : هذا الكرسي وسع السماوات والأرض ، فكيف بالعرش؟

فأنزل الله عز وجل: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾^١.

الوجه الثاني: مما يدل على بطلان تفسير الكرسي بالعلم أن علم الله يسع كل شيء ، وليس فقط السماوات والأرض المذكورة في قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ، فإن الله يعلم ما كان قبل خلق السماوات والأرض ، فعلى هذا فتأويل الكرسي بالعلم تقليل لعلم الله ، وهذا باطل قطعاً ، وما قام على باطل فهو باطل.

قال الشيخ علي بن محمد الشهراني حفظه الله في كتابه «بغية المتأسي في إثبات الكرسي»: علم الله عز وجل وسع كل شيء ، فهو يعلم ما كان ، وما سيكون ، وما لم يكن ، فعلمه محيط بكل شيء ، كما قال تعالى عن الملائكة ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ ، وكما قال عز وجل ﴿وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ ، ولو قيل: وسع علمه السماوات والأرض ؛ لما كان هذا المعنى مناسباً ، لا سيما وقد قال بعد ذلك ﴿ولا يفوده حفظهما﴾ أي لا يتقله ولا يكرثه ، وهذا يناسب القدرة لا العلم ، فقصر علم الله على السماوات والأرض فقط غير صحيح ، لأن علم الله تعالى يشمل السماوات والأرض وغيرهما ، فكل شيء بعلم الله عز وجل.^٢

الوجه الثالث: أن ظاهر القرآن والسنة يدلان على أن الكرسي جسم قائم ، وليس أمراً معنوياً ، كقوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ، فهذا يدل على أن الكرسي جسم قائم ، وأما العلم فشيء معنوي ، فلا يصح تفسير الكرسي به.

^١ رواه ابن جرير عند تفسيره لآية الكرسي.

^٢ ص ٤٦ - ٤٧ .

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في «شرح الطحاوية»: والمحفوظ عنه^١ ما رواه ابن أبي شيبة كما تقدم^٢ ، ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن ، والظاهر أنه من جراب^٣ الكلام المذموم ، كما قيل في العرش.^٤

يُريد رحمه الله أن الكرسي قيل فيه كما قيل في العرش: (إنه شيء معنوي وليس بجسم قائم) ، وكلا القولين باطل ، بل الكرسي والعرش جسمان حسيان ، كما ثبت في الكتاب والسنة وكلام السلف رحمهم الله.

الوجه الرابع: لو كان المراد بالكرسي هذا المعنى المجازي «العلم» ؛ لذكر في الآية قرينة تدل عليه ، لأن المجاز إذا لم تقترب به قرينة كانت دعواه باطلة ، لكونه خلاف الأصل ، فما بالك إذا كانت القرينة والسياق يقتضيان بطلان ما ذكر من المجاز ، وأن المراد هو حقيقة الكرسي.^٥

الوجه الخامس: أن هذا التأويل معروف عن اشتهروا بالبدعة والضلال ، كالمعتزلة والجهمية ، الذين ينفون وجود الكرسي حقيقة ، كما ذكره عنهم أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «محنة الوثائق ومدرجة الوامقين» ، فكيف يؤخذ بقول هؤلاء ، ويترك قول أئمة السلف الصالح!؟

وقال ابن قتيبة رحمه الله في معرض رده على المعتزلة:

(وطلبوا للكرسي غير ما نعلم ، وجاؤوا بشطر بيت لا يُعرف ما هو ، ولا يُدرى من قائله.

^١ أي ابن عباس رضي الله عنهما.

^٢ يريد قوله: الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر أحد قدره.

^٣ الجراب هو الوعاء من الجلد يوضع فيه الزاد ، والمقصود: وعاء الكلام المذموم الذي كانت العرب تقوله.

^٤ (٣٧١/٢).

^٥ نقلا من كتاب «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٤٧ .

ولا يُكرسىء علم الله مخلوق^١

والكرسي غير مهموز بإجماع الناس جميعاً ، ويكرسىء مهموز^٢.

وقال الإمام محمد بن علي الشوكاني في كتابه «فتح القدير» ، تفسير آية الكرسي:

قوله ﴿وسع كرسية﴾ ؛ الكرسي الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته ، وقد نفى وجوده

جماعة من المعتزلة ، وأخطؤوا في ذلك خطأ بيناً ، وغلطوا غلطاً فاحشاً.

وقال بعض السلف: إن الكرسي هنا عبارة عن العلم.^٤

ثم ساق بعض الأقوال في المراد بالكرسي ، ثم عَقَّب عليها بقوله:

والحق القول الأول ، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تسببت عن جهالات

وضلالات. انتهى.

الوجه السادس: إجماع السلف على ثبوت الكرسي بالمعنى الذي ذكرنا ، وهو أنه موضع قدمي

الرب عز وجل ، قال ابن تيمية رحمه الله: وكذلك الكرسي ثابت بالكتاب والسنة ، وإجماع

جمهور السلف ، وقد نُقل عن بعضهم أن كرسية علمه ، وهو قول ضعيف.^٥

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله:

^١ أي: لا يعلم علم الله مخلوق ، بحسب قول من قال إن معنى يكرسىء أي يعلم.

^٢ «الاختلاف في اللفظ ، والرد على الجهمية والمشبهة» ، ص ٣٥ .

^٣ وانظر كتاب «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٤٧ - ٤٨ .

^٤ قلت: هذا إن صح عنهم ، وقد وردت عن بعضهم آثار لكنها ضعيفة ، لا يُعول عليها.

^٥ «مجموع الفتاوى» (٥٨٤/٦).

وأجمعوا أن الله فوق سماواته ، له العرش المُستوي عليه ، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض ، وهو قوله ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ، وكرسيه جسم ، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية ، بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه ، كما قال النبي ﷺ .^١

الوجه السابع: أن لفظ الكرسي في كلام العرب الذين خاطبنا الله تعالى بلغتهم يطلق في الأصل على ما يُعتمد ويُجلس عليه ، قال ثعلب: الكرسي ما تعرفه العرب من كراسي الملوك.

وجاء في «لسان العرب»: وزوي عن عطاء أنه قال: (ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة) ، قال الزجاج: (وهذا القول بيّن ، لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة ؛ الشيء الذي يُعتمد عليه ويجلس عليه ، فهذا يدلُّ على أن الكرسي عظيم ، دونه السماوات والأرض).^٢

وجاء في «لسان العرب»: قال أبو منصور الأزهري: والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الكرسي موضع القدمين ، وأما العرش فإنه لا يُقدر قدره.

قال^٣: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها.

قال^٤: ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل.^٥

^١ باختصار مما نقله عنه شيخ الاسلام في «مجموع الفتاوى (٦٠/٥) ، وعزاه لكتابه «محجة الواثقين ومدرجة الوامقين».

^٢ انتهى كلام ابن منظور من «لسان العرب».

^٣ أي الأزهري.

^٤ أي الأزهري أيضا.

^٥ نقلت هذا الوجه برمته من «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٤٤ - ٤٦ ، باختصار ، وانظر لمزيد فائدة ما قاله الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله في كتابه «الآلء البهية في شرح العقيدة الواسطية» (٢٤٦/١) ، الناشر: دار العاصمة - الرياض.

تنبيه

رجح أبو جعفر الطبري رحمه الله كلا التفسيرين ، أي تفسيره بموضع القدمين ، وتفسيره بالعلم ، فلعله سهو منه!

قال العلامة محمود شاكر رحمه الله:

العجب لأبي جعفر رحمه الله كيف تناقض قوله في هذا الموضع ، فإنه بدأ فقال: إن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ من الحديث في صفة الكرسي ، ثم عاد في هذا الموضع يقول: (وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس أنه علم الله سبحانه) ، فإما هذا وإما هذا ، وكيف يُجمع في تأويل واحد معنيين مختلفان في الصفة والجوهر. وأما ما ساقه بعدُ من الشواهد في معنى الكرسي^١ فإن أكثره لا يقوم على شيء ، وبعضه منكر التأويل.^٢

^١ أي المعنى المرجوح وهو العلم.

^٢ باختصار من «تفسير الطبري» (٤٠١/٥) ، ط ٢ ، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

الخلاصة في هذا الباب

وبناء على ما تقدم فإن تفسير الكرسي بأنه العلم أو مطلق التفسير بأنه ليس جسماً تفسيراً ليس بصحيح ، والصواب تفسيره بما صح عن ابن عباس ؛ أنه موضع قَدَمي الرب عز وجل.

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: إن العرش هو الكرسي ، واحتجوا لهذا بأثرين:

الأول: ما رواه ابن جرير في تفسيره فقال: حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا أبو زهير ، عن جويبر عن الضحاك قال: كان الحسن يقول: الكرسي هو العرش.^١

الثاني: ما رواه ابن جرير في تفسيره فقال: حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني قال: حدثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة قال: أتت امرأة النبي ﷺ فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة.

فعظم^٢ الرب تعالى ذكره ثم قال: إن كرسيه وسع السماوات والأرض ، وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع - ثم قال بأصابعه فجمعها - وإن له أطيطاً كأطيط الرجل الجديد إذا ركب من ثقله.^٣

والشاهد من هذا الحديث أن النبي ﷺ جعل الكرسي بدلا عن العرش ، فقال: (وإنه ليقعد عليه).

^١ تفسير آية الكرسي من سورة البقرة.

^٢ أي أن النبي صلى الله عليه وسلم عظم الله تعالى ، بحذف الفاعل.

^٣ تفسير الطبري ، آية الكرسي ، ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» ، باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى ، وعبد الله بن أحمد في «السنن» (٥٨٢) ، وابن أبي عاصم في «السنن» (٣٩٢/١) ، وأبو الشيخ في «العظمة» (ص ٧٩) ، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٠/١).

والجواب عن الأثر الأول أنه لا يثبت عن الحسن رحمه الله ، فإن في سند هذا الأثر جويبر بن سعيد ، وهو ضعيف جدا.

وعلى فرض ثبوته فإنه مخالف للأدلة المتقدمة ، وقوله ليس بأقوى من قول ابن عباس في التفسير. قال ابن كثير رحمه الله:

روى ابن جرير من طريق جويبر عن الحسن البصري أنه كان يقول: (الكرسي هو العرش) ، والصحيح أن الكرسي غير العرش ، والعرش أكبر منه ، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار.^١

والجواب عن الأثر الثاني ما قاله ابن الجوزي في «العلل المتناهية» بعدما رواه:

هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، وإسناده مضطرب جدا ، وعبد الله بن خليفة ليس من الصحابة ، فيكون الحديث الأول مرسلا ، وابن الحكم وعثمان لا يعرفان ، وتارة يرويه ابن خليفة عن عمر عن رسول الله ﷺ ، وتارة يَقْفُهُ على عمر ، وتارة يُوقِف على ابن خليفة ، وتارة يأتي: فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع ، وتارة يأتي: فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ، وكل هذا تخليط من الرواة ، فلا يُعَوَّل عليه.^٢

وقال ابن كثير: وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك ، وعندني في صحته نظر ، والله أعلم.^٣

وضعفه الألباني في «ظلال الجنة»^٤ ، وقال في «الضعيفة»^٥: منكر.

^١ تفسير آية الكرسي من «تفسير القرآن العظيم».

^٢ (٢١/١).

^٣ انظر «تفسير القرآن العظيم» ، تفسير آية الكرسي.

^٤ ص ٢٥٢ .

^٥ رقم (٤٩٧٨ ، ٦٣٢٩).

ومن جهة أخرى ؛ فهذا القول مردود بما ثبت في النصوص الصحيحة من أنهما شيئان متغايران ، كما في حديث ابن مسعود المتقدم ، وفيه: وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما بين كل سماء إلى أخرى مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله على العرش ، ويعلم أعمالكم.^١

وقد تقدمت بعض الآثار الدالة على هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما.^٢

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وأما الكرسي فقال تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ، وقد قيل هو العرش ، والصحيح أنه غيره ، نُقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.^٣

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

هناك من قال: إن العرش هو الكرسي ، لحديث (إن الله يضع كرسيه يوم القيامة) ، وظنوا أن هذا الكرسي هو العرش.

وكذلك زعم بعض الناس أن الكرسي هو العلم ، فقالوا في قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ؛ أي: علمه.

^١ تقدم تخريجه.

^٢ نقلت هذا الوجه من كتاب «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٣٥ - ٣٦ .

^٣ «شرح الطحاوية» (٢/٣٦٨ - ٣٦٩).

والصواب أن الكرسي موضع القدمين ، والعرش هو الذي استوى عليه الرحمن سبحانه ، والعلم صفة في العالم يُدرك فيها المعلوم.^١

شبهة والجواب عنها

اعلم رحمك الله أن هناك من أول الكرسي بالملك وسعة السلطان ، وهذا القول (لا يختلف عما سبقه في الضعف والفساد ، ويمكن أن يردّ عليه - بالإضافة إلى بعض الوجوه التي قيلت في الردّ على تأويل الكرسي بالعلم - بأنه قد ثبت أن الكرسي مخلوق عظيم ، وهو أعظم المخلوقات بعد العرش ، وأنه جُرم قائم بنفسه ، وليس شيئاً معنوياً ، فكيف يُؤوّل بالملك وسعة السلطان؟! أضف إلى ذلك ؛ أن مُلك الله عزّ وجلّ يشمل كلّ شيء ، ووسع كل شيء ، فكلّ شيء في هذا الكون داخل في ملك الله تعالى ، وليس السماوات والأرض فقط.

وقد نسب أبو عبد الله القرطبي هذا القول إلى بعض الملاحدة وأنكر عليهم^٢ ، فقال بعد أن أثبت الكرسي ، وقرّر أنه بين يدي العرش:

وأرباب الإلحاد يحملونها على عظم الملك وجلالة السلطان ، وينكرون وجود العرش والكرسي ، وليس بشيء ، وأهل الحق يجيزونهما ، إذ في قدرة الله متسع ، فيجب الإيمان بذلك).^٣

^١ «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (٢/٥٤٨ - ٥٤٩) ، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾.

^٢ انظر تفسير آية الكرسي من الجامع لأحكام القرآن.

^٣ «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٥٠-٥١ ، وانظر كلام القرطبي رحمه الله في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» عند تفسير آية الكرسي (٣/٢٧٥) ، الناشر: دار الحديث - القاهرة.

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: إن الكرسي تصوير وتخييل للعظمة ، ولا حقيقة له ، فليس ثمة كرسي ، ومن قال بذلك القفال والزحشري.

والجواب: أن هذا القول مردود من وجوه:

(أولاً: في هذا القول إنكار صريح لوجود الكرسي ، وإذا كان أصحاب الأقوال السابقة لا يقولون صراحة بإنكار الكرسي ، بل يدعون تأويله ؛ فإن هذا القول ينص صراحة على الإنكار.

ثانياً: في هذا القول سوء أدب مع الله عز وجل ، حيث جعل كلامه لا حقيقة له ولا معنى ، بل هو مجرد خيالات تضرب - نسأل الله السلامة -.

ثالثاً: هذا قول من لم يُقدر الله حق قدره ، حيث تضمن تقرير أن الكرسي تصوير للعظمة فقط ، وقد نسي من قال به أو تناسى عظيم قدرة الله عز وجل ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه يقبض السماوات بيده ، والأرضين بالأخرى ، فكيف يعجز عن خلق الكرسي ، وقد خلق ما هو أكبر منه وهو العرش؟!!

مع العلم أن كل شيء مفتقر إلى الله ، ومحتاج إليه ، وهو عز وجل مستغن عن كل شيء ، عن العرش وما دونه ، وهل يقول مسلم إن الله تعالى يضرب الأمثلة لتصوير عظمته ، ومن ذلك خلق الكرسي ، ولا يريد حقيقة ذلك؟ تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً^١.

شبهة والجواب عنها

قال آخرون: إن الكرسي عبارة عن الفلك الثامن ، وأسموه فلك الكواكب الثوابت!

والجواب: أن هذا القول عار عن الصحة من وجهين:

^١ نقلت وجوه الرد من «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٥١ - ٥٢ .

أولاً: ثبت عن السلف أن الكرسي موضع القدمين ، وأنه بين يدي العرش ، فكيف يكون فلماً
مكوناً من عدة كواكب؟!

ثانياً: الكرسي في اللغة كما مرَّ معنا يُطلق على ما يُعتمد ويُجلس عليه ، وليس هو فلماً ، ولا تفهم
منه العرب ذلك ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، وكلام النبي ﷺ ، وكلام السلف الصالح عربي ،
فمن أين أتى هؤلاء بهذا المعنى الذي لا يشهد له دليل ، ولا صحيح من لغة؟!

قال الإمام ابن كثير في الردِّ على هؤلاء: (الكرسي ليس في اللغة عبارة عن الفلك ، وإنما هو كما
قال غير واحد من السلف: (إن الكرسي بين يدي العرش كالمِرْقاة إليه) ^١ ، ومثل هذا لا يكون
فلماً ، ومن زعمَ منهم أن الكواكب الثوابت مرصعة فيه فقد قال ما لا يعلم ، ولا دليل لهم عليه ،
هذا مع اختلافهم في ذلك أيضاً كما هو مقرَّر في كتبهم ، والله أعلم). ^٢

وقال الشيخ محمد رشيد رضا^٣: (قال كثيرون: إنه هو الفلك الثامن المكوَّب من الأفلاك التسعة ،
التي كان يقول بها فلاسفة اليونان ومقلِّدوهم ، فذلك من القول على الله بدون علم ، وهو من
أمهات الكبائر). ^٤

^١ سيأتي الكلام على هذه العبارة قريباً بإذن الله.

^٢ «البداية والنهاية» ، بداية المجلد الأول ، فصل فيما ورد في صفة خلق العرش والكرسي .

^٣ هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا القلموني ، ولد سنة ١٢٨٢ هـ ، من العلماء بالحديث والأدب والتفسير والتاريخ ، له جهود
مشكورة في محاربة عبادة القبور والتعلق بالخرافة ، وهو صاحب «مجلة المنار» المصرية ، والتي أخذت على عاتقها محاربة البدع
والخرافات التي أضرت بالمسلمين ، وقد كان للسيد رشيد زلات لا يوافق عليها بسبب تأثره بالمدرسة العقلية ، توفي سنة
١٣٥٤ هـ ، انظر ترجمته في كتاب «مشاهير علماء نجد وغيرهم» ، ص ٤٨٦ ، تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله
آل الشيخ ، وكذا في كتاب «الأعلام» للزركلي .

^٤ «تفسير المنار» (٢٨/٣) ، وقد نقلت وجوه الرد على هذه الشبهة من «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٥٤ - ٥٥ .

شبهة والجواب عنها

وردت بعض الأحاديث والآثار التي تدلُّ على وجود أكثر من كرسي ، ومن ذلك ما ذكره الحافظ البيهقي من وجود كرسيين ، أحدهما تحت العرش ، والآخر موضوع على العرش ، قال رحمه الله: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس هو الأصم ، ثنا الصاغاني ، أنا عبيد الله بن موسى ، أنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك في قوله ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قال: إن الصخرة التي في الأرض السابعة ، ومنتهى الخلق على أرجائها ، عليها أربعة من الملائكة ، لكل واحد منهم أربعة وجوه ، وجه إنسان ، ووجه أسد ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، فهم قيام عليها قد أحاطوا بالأرضين والسماوات ، ورؤوسهم تحت الكرسي ، والكرسي تحت العرش ، والله تعالى واضع كرسيه على العرش.

في هذا إشارة إلى كرسيين ، أحدهم تحت العرش ، والآخر موضوع على العرش.^١

والجواب:

هذا أثر لا يثبت عن أبي مالك ، فيه السدي أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة القرشي الكوفي ، المعروف بالسدي الكبير ، المتوفى سنة ١٢٧ هـ ، وهو معروف بالوهم ، وقد زُمي بالتشيع . كما أن في الأثر مخالفة للنصوص الصحيحة المصروفة باستواء الرحمن تبارك وتعالى على العرش ، فإشارة البيهقي إلى وجود كرسيين أحدهما تحت العرش والآخر عليه فيها نظر ، لأن مثل هذا يحتاج إلى نص صحيح ، وهو ما لم يتوافر هنا.^٢

^١ كتاب «الأسماء والصفات» (٢/٢٩٥-٢٩٦).

^٢ نقلت هذه الشبهة والجواب عنها من كتاب «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٥٧ - ٥٩ .

شبهة والجواب عنها

ورد أثر يفيد أن في كل سماء كرسي ، فقد قال ابن مندة:

أخبرنا عبد العزيز بن سهل الدباس بمكة ، ثنا محمد بن الحسن الخرقى البغدادي ، ثنا محفوظ بن أبي توبة ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال:

إن الله جلَّ وعز ينزل إلى سماء الدنيا ، وله في كل سماء كرسي ، فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ، ثم مدَّ ساعديه فيقول: (من ذا الذي يقرض غير عادم ولا ظلوم ، من ذا الذي يستغفربي فأغفر له ، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه) ، فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه.^١

والجواب:

أن هذا حديث لا يثبت عن النبي ﷺ ، فيه محفوظ بن أبي توبة ، وهو محفوظ بن الفضل ، قال الذهبي: (ضعَّف الإمام أحمد أمره جداً)^٢ ، وذكره العقيلي في «الضعفاء». وقال الألباني رحمه الله: باطل.^٣

شبهة والجواب عنها

وردت بعض الآثار في أن السماوات والأرض في جوف الكرسي ، ومن ذلك ما رواه ابن جرير فقال: حدثني موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدي ﴿وسع كرسيه

^١ «الرد على الجهمية» ، ص ٨٠ ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة.

^٢ انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال».

^٣ انظر «الضعيفة» (٦٣٣٤).

السماوات والأرض^١: فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش ، وهو موضع قدميه^١.

وروى الذهبي بإسناده عن الحكم بن ظهير قال: حدثني عاصم ، عن دُرِّ ، عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قال: دخلت السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي ، وذكر قوله ﴿وسع كرسيه﴾.

والجواب عن الأثر الأول أنه ضعيف ، فإن أسباط كثير الخطأ^٢.
وأما الأثر الثاني فضعيف جدا ، فقد قال الذهبي: الحكم متروك الحديث^٣.

فائدة

ذكر العلامة ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» أن غير واحد من السلف قال في الكرسي: إنه بين يدي العرش ، كالمِرْقاة^٤ إليه.

قلت: قد بحثت عن هذا الأثر في كلام السلف فيما وقفت عليه من مصادر علمية فوجدته مذكورا في ثلاثة مواطن:

الأول – وقد تقدم ذكره – : ما رواه ابن جرير فقال: حدثني موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدي ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾: فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش ، وهو موضع قدميه^٥.

^١ انظر «تفسير الطبري» ، تفسير آية الكرسي.

^٢ قاله الشيخ شعيب في حاشيته على «شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (٣٧٠/٢).

^٣ كتاب «العلو» ، ص ٧٥ – ٧٦ .

^٤ المِرْقاة هي الدرجة. انظر «لسان العرب» ، مادة: رقا.

^٥ انظر «تفسير الطبري» ، تفسير آية الكرسي.

وقد تقدم بيان أن هذا الأثر ضعيف الإسناد ، وعلته أسباط ، فإنه كثير الخطأ.
الثاني: ما قاله الإمام محمد بن أبي زَمَنِين الأندلسي^١ رحمه الله في كتابه «أصول السنة»^٢:
ومن قول أهل السنة: إن الكرسي بين يدي العرش ، وإنه موضع القدمين.
الثالث: ما قاله الشيخ عثمان بن عمرو الداني^٣ رحمه الله في كتابه «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات»^٤ ساردا عقيدة أهل السنة والجماعة:
وأنة تبارك وتعالى خلق الكرسي وهو بين يدي العرش.

فائدة أخرى

ذهب أهل العلم إلى وجود كرسي آخر غير المذكور مع العرش ، يوضع عند فصل القضاء يوم القيامة ، واستدلوا ببعض الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ .
قال ابن كثير رحمه الله: وقد روى ابن مردويه وغيره أحاديث عن بريدة وجابر وغيرهما في وضع الكرسي يوم القيامة لفصل القضاء ، والظاهر أن ذلك^٥ غير المذكور في هذه الآية^٦. انتهى.
قلت: من هذه الأحاديث ؛ حديث جابر رضي الله عنهما قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة^١ البحر قال: ألا تحذّوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟

^١ هو الإمام الحافظ الجود المقرئ المحدث عالم الأندلس ، عثمان بن سعيد القرطبي الداني ، بلغت مؤلفاته مئة وعشرين كتابا ، توفي رحمه الله سنة ٤٤٤ . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٧٧/١٨).

^٢ ص ٥٤ ، بتحقيق: أي مالك أحمد بن علي الرياشي ، الناشر: دار الفرقان - مصر.

^٣ هو الإمام القدوة الزاهد محمد بن عبد الله الأندلسي الألبيري ، له مؤلفات عدة ، توفي سنة ٣٩٩ . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٨٨/١٧).

^٤ ص ٥٦ ، بتحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٥ أي ذلك الكرسي .

^٦ يعني آية الكرسي .

قال فتية منهم: بلى يا رسول الله.

بينما نحن جلوس ، مرّت بنا عجوز من عجائز رهايينهم تحمل على رأسها قلّة من ماء ، فمرّت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها ، فخرّت على ركبتيها ، فانكسرت قلّتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا عُدر^٢ إذا وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً . قال: يقول رسول الله ﷺ : صدقت ، صدقت ، كيف يقُدّس^٣ الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟!^٤

ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه بلفظ آخر قال: لما قدم جعفر رضي الله عنه من الحبشة ؛ قال له رسول الله ﷺ : ما أعجب شيء رأيتك ثم؟ قال: رأيت امرأة على رأسها مكئل من طعام ، فمرّ فارس فأذراه^٥ ، فقعدت تجمع طعامها ، ثم التفتت إليه فقالت له: ويل لك يوم يضع الملك كرسيه ، فيأخذ للمظلوم من الظالم . فقال رسول الله ﷺ تصديقا لقولها: لا قُدّست أمة – أو كيف تقُدّس أمة – لا يأخذ ضعيّفها حقّه من شديدها وهو غير مُتّعّع^٦.

^١ أي الذين هاجروا بجرا إلى الحبشة.

^٢ أي كثير الغدر.

^٣ يقُدّس أي يُطهر. انظر «النهاية».

^٤ رواه ابن ماجه (٤٠١٠) ، وحسنه الألباني.

^٥ أي كَبَّهُ في الأرض فانتشر وتطايّر. انظر «النهاية».

^٦ غير متّعّع أي من غير أن يصيبه أذى يزعهه ويقلقه. انظر «النهاية».

^٧ (٢٩٧/٢ - ٢٩٩) وحسنه محققه عبد الله الحاشدي ، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٩٩/١) ، وصححه محققه د. باسم الجوابرة ، وكذا صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٥٧).

وهناك أحاديث أخرى حسَّنها أهل العلم ، تدلُّ على أن الله عز وجلَّ يضع الكرسي لفصل القضاء يوم القيامة ، وبها استدللَّ ابن كثير رحمه الله على أن هذا الكرسي غير الكرسي المذكور في آية الكرسي ، والله أعلم.^١

واقشعر رجل في مجلس وكيع لما سمع حديث عمر رضي الله عنه قال: إذا جلس الرب عز وجل على الكرسي...^٢

فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها.^٣

^١ نقلت هذه الفائدة من بحث «بغية المتأسي في إثبات الكرسي» ، ص ٦٠ - ٦٤ .

^٢ هو أثر موقوف على عمر وليس بحديث مرفوع ، وقامه: ... شعع له أطيط كأطيط الرجل الجديد. رواه عبد الله في «السنة» (٥٧٤) وغيره.

^٣ «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢٣٢/١).

خلاصة

وخلاصة الكلام في بحث الكرسي أن الكرسي جسم قائم ، وأنه موضع قدمي الرب عز وجل ، وأنه جسم مُغاير للعرش^١ ، وأن تأويله بغير ذلك باطل وقول على الله بغير علم ، والله أعلم.

^١ أي: غير العرش .

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: إن الفوقية المذكورة في القرآن في مثل قوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ يُقصد بها المعنى المجازي ، وهو فوقية القدر ، كما يقال: الأمير فوق نائبه ، والذهب فوق الفضة ، أي في القدر المعنوي ، لا في المكان الحسي ، فليس المقصود بالفوقية في مثل هذه الآيات فوقية الذات وعلو الرب عز وجل.

هكذا قالوا ، والجواب عن هذه المقولة من أربعة عشر وجهاً^١:

١. أن الأصل في الكلام هو الحقيقة لا المجاز ، وبهذا يفهم الناس كلام الله ، وكلام الناس بعضهم بعضاً ، وأولى ما يوصف بالحقيقة كلام الله عز وجل ، الذي وصف كلامه بأنه مُبين ، أي مُفصح عما يراد منه.

٢. ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أن فوقية القدر لا تأتي مقرونة بحرف (من) إطلاقاً ، فلا يُعرف في اللغة العربية أن يقال: الذهب من فوق الفضة ، ولا العالم من فوق الجاهل ، ولا يُعرف اقتران الفوقية بحرف (من) إلا في فوقية الذات في مثل قوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾.

قال ابن القيم رحمه الله: هب أن هذا^٢ يُحتمل في مثل قوله ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ ، لدلالة السياق والقرائن المقترنة باللفظ على فوقية الرتبة ، ولكن هذا إنما يأتي مجرداً عن «من» ولا يستعمل مقروناً ب «من» ، فلا يُعرف في اللغة البتة أن يقال: الذهب من فوق الفضة ، ولا العالم من فوق

^١ استفدت بعض هذه الوجوه من «مختصر الصواعق» ص ٤٠٩ وما بعدها.

^٢ أي هذا التأويل المجازي بعلو المكانة والقدر.

الجاهل ، وقد جاءت فوقية الرب مقرونة بـ «من» ، كقوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ، فهذا صريح في فوقية الذات ، ولا يصح حمله على فوقية الرتبة ، لعدم استعمال أهل اللغة له.^١

٣. ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أن نصوص العلو الأخرى لا تحتل هذا التأويل ، كقول الجارية التي سأها رسول الله ﷺ : أين الله؟ قالت: في السماء.

فهل يستطيع قائل أن يقول: إنها تقصد أن الله أعلى قدرا ومكانة من السماء؟ وكذلك قول الرسول ﷺ : (والله فوق العرش) ؛ هل يستطيع قائل أن يقول: إن المقصود: والله خير من العرش وأعلى مكانة منه؟

الجواب لا قطعاً ، بل هذا من التنقص لله عز وجل ، لأن الله أعظم من أن يفاضل بينه وبين أحد من خلقه.

وقل مثل ذلك في قوله ﷺ : لما قضى الله الخلق كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي.

وكذا في قوله في حق سعد بن معاذ رضي الله عنه: لقد حكم فيهم اليوم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سماوات.

فهل يصح أن يقال: إن النبي ﷺ قصد أن سعد بن معاذ رضي الله عنه حكم فيهم بحكم الله حال كون الله خيرا من سبع سماوات؟! هذا لا تطيقه الأسماع.

وكذا في قول أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات.

^١ «مختصر الصواعق المرسله» ص ٣٥٦ .

فهل يصح أن يقال: إن النبي ﷺ قصد أن الله سبحانه زوج زينب رضي الله عنها حال كونه - أي الله - خيرا وأفضل من سبع سماوات؟ اللهم لا.

وقل مثل ذلك في النصوص الأخرى ، كالنصوص الدالة على استواء الله ، والنصوص التي فيها الصعود وعروج الملائكة الأعمال إليه ، والنصوص التي فيها رفع الأيدي إليه ، والنصوص التي فيها نزوله إلى السماء الدنيا ، وغير ذلك مما تقدم ذكره ، كلها تأتي أن تدل على حصر دلالة الآيات على فوقية الرتبة والمنزلة ، فتأمل منصف ما تدل عليه هذه النصوص القاطعة ، وتأمل اقتراحها بالحروف (عند ، من) الدالة على الظرفية المكانية فوق السماء السابعة ، والله المستعان. وبناء على هذا ؛ فدعوى أن المقصود بقوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ، وقوله ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ هو إثبات القدر لا علو الذات باطل ، بل فيه تقليل لشأن صفات الله إذ قورنت بصفات خلقه ، والله الهادي.

٤. ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أن هذا التأويل المجازي لو صح لرفع الأمان عن اللغة العربية ، ولصار المتكلمون بها لا يأمن بعضهم بعضا على مراد كلامهم ، ولعاد القرآن كله مؤولا ، معانيه في غاية الغموض ، وسيلزم منه تضليل البشر وكتمان الحق ، وهذا قول في غاية البطلان

قال ابن عبد البر رحمه الله: ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ، ما ثبت شيء من العبارات ، وجل الله عز وجل عن أن يُخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها ، مما يصح معناه عند السامعين ، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه.^١

^١ «التمهيد» (١٢٥/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء.

قلت: ولهذا قرر ابن القيم في كتابه «الصواعق المرسلية» أن التأويل يفسد العلوم كلها إن سُلِّطَ عليها ، ويرفع الثقة بالكلام ، ولا يمكن أمة من الأمم أن تعيش عليه ، قال رحمه الله: (معلوم أن العلوم إنما قصد بها مصنفوها بيانها وإيضاحها للمتعلمين وتفهمهم إيها بأقرب ما يُقدِّرون عليه من الطرق ، فإن سُلِّطَ التأويل على ألفاظهم وحملها على غير ظواهرها لم يُنتفع بها ، وفسدت ، وعاد ذلك إلى موضوعها ومقصودها بالإبطال ، فإذا حُجِّلَ كلام الأطباء على غير عُرفهم المعروف من خطابهم ، وتأول المخاطب كلامهم على غير ظاهره ؛ لم يصل إلى فهم مرادهم البتة ، بل أفسد عليهم علمهم وصناعتهم ، وهكذا أصحاب علم الحساب والنحو وجميع أرباب العلوم ؛ إذا سُلِّطَ التأويل على كلامهم لم يُوصل إلى شيء من تلك العلوم.

ولهذا لما سَلَّطَ المُحرِّفون التأويلات الباطلة على نصوص الشرع فسد الدين فسادًا لولا أن الله سبحانه تكفل بحفظه وأقام له حرسًا وكلهم بحمايته من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ؛ لجرى عليه ما جرى على الأديان السالفة ، ولكن الله برحمته وعنايته بهذه الأمة يبعث لها عند دروس السنَّة^١ وظهور البدعة من يجدد لها دينها ، ولا يزال يغرس في دينه غرسًا يستعملهم فيه علما وعملا.

وكما أن التأويل إن سُلِّبَ على علوم الخلائق أفسدها ؛ فكذلك إذا استعمل في مخاطباتهم أفسد الأفهام والفهم ، ولم يمكن لأمة أن تعيش عليه أبدا ، فإنه ضد البيان الذي علّمه الله الإنسان لقيام مصالحه في معاشه ومعاده ، وقد تقدم تقرير ذلك بما فيه الكفاية ، وبالله التوفيق)^٢.

^١ أي خفائها.

^٢ «الصواعق المرسلية» (٣٩٩-٤٠٠) ، باختصار.

٥. ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أنه لو أريد بآيات العلو معانٍ مجازيةً ؛
لذكر في السياق قرينة تدل على ذلك ، وتُخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز ، وتُزيل اللبس وتُعين
المراد ، وهذا لم يحصل مطلقاً ، فعلى هذا يبقى اللفظ على ظاهره.

٦. ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أنه لو أريد بآيات العلو معانٍ مجازيةً
للزم من هذا القدح في علم الله تعالى أو في نصحه أو في بيانه ، لأن من كان علمه كاملاً ؛
فستكون عباراته أكمل العبارات وأفصحها ، وعليه فلن يحتاج إلى عبارات موهمة لغيرها من المعاني ،
قال الشيخ محمد بن حمد الحمود حفظه الله:

إما أن يكون الله تعالى عالماً أن الحق في تأويلات المؤولة أو لا يكون عالماً ، فإن كان عالماً بأن الحق
في تأويلاتهم فلا يخلو من أن يكون قادراً على التعبير بتعبيراتهم فتركها إلى غيرها التي توهم التشبيه ،
وهذا باطل ، أو لا يكون قادراً وهذا باطل أيضاً ، فكلا الأمرين باطل بالضرورة ، فلا مصير إلا إلى
قول أهل السنة والجماعة ، وهو إثباتها وفهمها على ظاهرها.^١

ومن كان نصحه كاملاً فسيستخدم العبارات الواضحة المعاني ، ليسهل على البشر فهمها وتعلمها
واعتمادها والعمل بها وتعليمها ، ولا يستخدم عبارات ذات معانٍ غير مقصودة ، لأن في هذا
تفسيراً على المستمع.

وقال ابن القيم رحمه الله: وأكثر هذه التأويلات المخالفة لمنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين
وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام تتضمن من عبث المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس
ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه ، وأهل النفاق والإلحاد^٢ ، لما فيه من دعوى أن ظاهر

^١ بتصرف من مقدمته لكتاب «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» ، ص ٥ .

^٢ أي: وطعن أهل النفاق والإلحاد ، حذفت الفعل (وطعن) لتقدمه ، وعطف الجملة على الجملة التي قبلها.

كلامه إفك ومحال ، وكفر وضلال ، وتشبيه وتمثيل أو تخييل ، ثم صرفها إلى معانٍ يُعلم أن إرادتها بتلك الألفاظ من نوع الأحاجي والألغاز ، مما لا يصدر ممن قصده نصح^١.

ومن كان بيانه كاملا وفصاحته كاملة فسيتكلم بأوضح عبارة ، ولا يختار العبارة المفضولة وهو يقدر على العبارة الفاضلة ، ومن المعلوم أن القرآن موصوف بأوضح البيان ، قال ابن القيم رحمه الله: (ومما يبين ذلك أن الله تعالى وصف كتابه بأوضح البيان وأحسن التفسير ، فقال تعالى ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾^٢.

وقال ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾^٣. فأين بيان المختلف فيه والهدى والرحمة في ألفاظ ظاهرها باطل ، والمراد منها يُطلب بأنواع التأويلات المستنكرة المستكرهة لها ، التي يُفهم منها ضدها؟!

وقال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾^٤.

فأين يُبين الرسول ما يقوله النفاة والمتأولون وقد قال تعالى ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾^٥. فأخبر أنه يقول الحق ويهدي السبيل بقوله ، وعند النفاة إذاً حصلت الهداية بأبكار أفكارهم ونتائج آرائهم وعقولهم ، وقال تعالى ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾^٦.

وقال ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾^٧.

^١ باختصار وتصرف من «الصواعق المرسلّة» ص ٣٠٢ .

^٢ سورة النحل ، الآية ٨٩ .

^٣ سورة النحل ، الآية ٦٤ .

^٤ سورة النحل ، الآية ٤٤ .

^٥ سورة الأحزاب ، الآية ٤ .

^٦ سورة الأعراف ، الآية ١٨٥ .

^٧ سورة الجاثية ، الآية ٦ .

وعند النفاة المخرجين لنصوص الوحي عن إفادة اليقين إنما حصل له الإيمان بالحديث الذي أسَّسه الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ونحوهم ، فبه آمنوا وبه اهتموا وبه عرفوا الحق من الباطل وبه صحت عقولهم ومعارفهم ، وقال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾^١.

وأنت لا تجد الاختلاف في شيء أكثر منه في آراء المتأولين ، وسوانح^٢ أفكارهم ، وزبالة أذهانهم ، التي يسمونها قواطع عقلية وبراهين يقينية ، وهي عند التحقيق خيالات وهمية وقوادح فكرية ، نبذوا بها القرآن والسنة وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما ﴿يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾* ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون* أفعير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين* وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم* وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون* إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾^٣٤.

٧. يقال لمن نفى عن الله صفة العلو والفوقية معتمدا على القول بالمجاز: هل تعلم أن محمدا ﷺ هو أعرف الناس بالله وأعلمهم به؟
فسيقول حتما: نعم.

^١ سورة النساء ، الآية ٨٢ .

^٢ سنح أي غرض ، والمعنى ما يعرض عليهم من أفكار.

^٣ سورة الأنعام ، الآية ١١٢-١١٧ .

^٤ «الصواعق المرسله» (٣١٧-٣١٩).

ثم يقال له: هل تعلم أن محمدا ﷺ كان من أفصح الناس ، وأقدرهم على التعبير عن المعاني المقصودة بالألفاظ الجليلة الفصيحة ، وأنه أوتي جوامع الكلم؟
فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم أن محمدا ﷺ هو أنصح الناس للأمة ، وأنه بلغ البلاغ المبين ، وعلى يديه أكمل الله الدين؟
فسيقول: نعم.

فعندئذ يقال له أن من حصلت له هذه الخصال الثلاث فإنه من أعظم المحال أن يقصد بالعلو معنى آخر غير المعنى الظاهر ، ويترك تأويل العلو إلى الناس ، يتجادلون في شك وحيرة ، هذا لا يجوز أن يقال في حق النبي ﷺ .
قال ابن تيمية رحمه الله:

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ولا أحد من سلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث ، لا تعتقدوا ما دلت عليه ، ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم ، أو اعتقدوا كذا وكذا ، فإنه الحق ، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره ، أو انظروا فيها ، فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه.^١

وقال عبد الله بن تيمية^٢ أخو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله^٣:

^١ «الفتاوى الحموية الكبرى» ، وهي مطبوعة مستقلة ، وتقع برمتها في المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى» ، والكلام المشار إليه يقع

في ص ١٩ .

^٢ تقدمت ترجمته.

^٣ نقل كلامه ابن القيم في «الصواعق المرسله» (٣٢٤-٣٢٦).

(ومن أبين المحال وأوضح الضلال حمل ذلك كله على خلاف حقيقته وظاهره ودعوى المجاز فيه والاستعارة ، وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين ، وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص ، إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بد منها أو من بعضها ، وهي القدح في علم المتكلم بها ، أو في بيانه ، أو في نصحه.

وتقرير ذلك أن يقال: إما أن يكون المتكلم بهذه النصوص^١ عالماً أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين أو لا يعلم ذلك ، فإن لم يعلم ذلك والحق فيها كان ذلك قدحا في علمه.

وإن كان عالماً أن الحق فيها فلا يخلو ؛ إما أن يكون قادراً على التعبير بعباراتهم - التي هي تنزيه لله بزعمهم عن التشبيه والتمثيل والتجسيم ، وأنه لا يعرف الله من لم ينزّهه بها ، أو لا يكون قادراً على تلك العبارات ، فإن لم يكن قادراً على التعبير بذلك لزم القدح في فصاحته ، وكان ورثة الصابئة وأفراخ الفلاسفة وأوقاح المعتزلة والجهمية وتلامذة الملاحدة أفصح منه وأحسن بيانا وتعبيراً عن الحق ، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة أولياؤه وأعداؤه ، موافقوه ومخالفوه ، فإن مخالفه لم يشكوا في أنه أفصح الخلق وأقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ويخلصه من اللبس والإشكال.

وإن كان قادراً على ذلك ولم يتكلم به وتكلم دائماً بخلافه وما يناقضه ؛ كان ذلك قدحا في نصحه^٢ ، وقد وصف الله رسله بكمال النصح والبيان ، فقال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾.

وأخبر عن رسله بأنهم أنصح الناس لأممهم ، فمع النصح والبيان والمعرفة التامة كيف يكون مذهب النفاة المعطلة أصحاب التحريف هو الصواب ، وقول أهل الإثبات ، أتباع القرآن والسنة باطلا؟!!

^١ أي النبي صلى الله عليه وسلم.

^٢ وهذا باطل قطعاً كما سيأتي بيانه.

فليتدبر الناصح لنفسه الموقن بأن الله لا بد سائله عما أجاب به رسوله في هذا المقام ، وليتحيز بعدُ إلى أين شاء ، فلم يكن الله ليجمع بين النفاة المعطلين المحرفين وبين أنصاره وأنصار رسوله وكتابه إلاّ جمع امتحان وابتلاء ، كما جمع بين الرسل وأعدائهم في هذه الدار).^١

٨. ومن دلائل بطلان حمل معاني صفة العلو على المجاز أن تيسير القرآن للدُّكر ينافي حمّله على التأويل المخالف لحقيقته وظاهره ، قال ابن القيم رحمه الله:

(أنزل الله سبحانه الكتاب شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني ، وألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها ، كما وصف سبحانه به كتابه في قوله ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾^٢ .

فالحق هو المعنى والمدلول الذي تضمنه الكتاب ، والتفسير الأحسن هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق ، فهي تفسيره وبيانه ، وكلما كان فهم المعنى منه أوضح وأبين كان التفسير أكمل وأحسن ، ولهذا لا تجد كلاماً أحسن تفسيراً ولا أتمّ بياناً من كلام الله سبحانه ، ولهذا سماه سبحانه بياناً ، وأخبر أنه يسره للدُّكر ، وتيسيره للدُّكر يتضمن أنواعاً من التيسير ؛ إحداهما تيسير ألفاظه للحفظ ، والثاني تيسير معانيه للفهم ، الثالث تيسير أوامره ونواهيه للإمتثال.

ومعلوم أنه لو كان بألفاظٍ لا يفهمها المخاطب لم يكن مُيسراً له ، بل كان معسراً عليه ، فهكذا إذا أُريد من المُخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني أو يدل على خلافه ؛ فهذا من أشد التعسير ، وهو مناف للتيسير ، فإنه لا شيء أعسر على الأمة من أن يُجهدوا أنفسهم ويكابِدوا أعظم المشقة في طلب أنواع الاستعارات وضروب المجازات ووحشي اللغات ليحملوا عليه آيات

^١ باختصار من «الصواعق المرسلّة» (٣٢٤-٣٢٦).

^٢ سورة الفرقان ، الآية ٣٣.

الصفات وأخبارها ، فيصرفوا قلوبهم وأفهامهم عما تدل عليه ، ويفهموا منها ما لا تدل عليه بل تدل على خلافه ، ويقول: اعلّموا يا عبّادي أي أردت منكم أن تعلموا أي لست فوق العالم ولا تحته ، ولا فوق عرشي ، ولا تُرفع الأيدي إلي ، ولا يعرج إلي شيء ، ولا ينزل من عندي شيء ، من قولي ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، ومن قولي ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ، ومن قولي ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ، ومن قولي ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ، ومن قولي ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ ، فإنكم إذا فهمتم من هذه الألفاظ حقائقها وظواهرها فهمتم خلاف مرادي منها ، بل مرادي منكم أن تفهموا منها ما يدل على خلاف حقائقها وظواهرها!

فأي تيسير يكون هناك وأي تعقيد وتعسير لم يحصل بذلك ، ومعلوم أن خطاب الرجل بما لا يفهمه إلا بترجمة أيسر عليه من خطابه بما كُلف أن يفهم منه خلاف موضوعه وحقيقته بكثير ، فإن تيسير القرآن مناف لطريقة النفاة المحرفين أعظم منافاة).^١

٩. يلزم من قول إن نصوص الصفات يراد بها معانٍ مجازيةً لا حقيقيةً أن عقول البشر هي التي تدل على الحق ، وتفصح عنه وتبينه ، أما النصوص الشرعية فلا ، وهذا قول باطل ، بل كفر والعياذ بالله.

١٠. يقال لمن قال: (إن المقصود بالعلو الوارد في آيات العلو معنًى مجازياً وهو علو المكانة لا علو الذات) ؛ هل الصحابة أيضاً يقصدون بكلامهم في صفات الرب عز وجل المعنى المجازي لا المعنى الحقيقي ؛ كقول أبي بكر رضي الله عنه: وإن كان إلهكم الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت.^٢

^١ «الصواعق المرسلّة» (٣٣٠-٣٣٥) ، باختصار.

^٢ تقدم تخريجه.

الجواب: لا.

١١. ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أن الله لو لم يرد المعنى الحقيقي للصفة المذكورة في الآية لسأل الصحابة عن المعنى الحقيقي لها ، لأنهم أحرص الناس على معرفة الله بأسمائه وصفاته ، كما حصل من أبي رزين رضي الله عنه لما أشكل عليه معنى صفة الضحك ، فسأل عنها ، فعن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: **ضَحِكُ رَبِّنا من قنوطِ عبادِهِ وقُرْبِ غَيْرِهِ** .

قال: قلت: يا رسول الله ، أو يضحك الرب؟

قال نعم.

قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا.^٢

١٢. ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أن أهل السنة مجمعون على بطلان وقوع المجاز في نصوص الصفات ، وإجماع المسلمين حجة ، لأن أمة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة ، وقد حكى إجماعهم العلامة ابن عبد البر المالكي رحمه الله حيث قال:

أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يُكيفون شيئاً من ذلك ، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعزلة كلها والخوارج ؛ فكلهم ينكرها ، ولا يَحْمِلُ شيئاً منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله.^٣

^١ الغَيْر هي تغير الحال وانتقالها. انظر «النهاية» ، مادة: غير.

^٢ رواه ابن ماجه (١٨١) وأحمد (١١/٤) ، وحسنه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٨١٠).

^٣ «التمهيد» (١٣٤/٦-١٣٥).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

الرد على مقولة إن الفوقية المذكورة في القرآن مجازية ليست حقيقية

وقد علق الإمام الذهبي رحمه الله على قول ابن عبد البر بقوله:
صدق والله ، فإن من تأول سائر الصفات ، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام ؛ أداه ذلك
السلب إلى تعطيل الرب ، وأن يشابهه المعدوم ، كما نُقل عن حماد بن زيد أنه قال: مثل الجهمية
كقوم قالوا: في دارنا نخلة.

قيل: لها سعف؟

قالوا: لا.

قيل: فلها كزب^١؟

قالوا: لا.

قيل: لها رطب وقنو^٢؟

قالوا: لا.

قيل: فلها ساق؟

قالوا: لا.

قيل: فما في داركم نخلة!^٣

وقال أيضا رحمه الله: وقد أغنى الله تعالى عن العبارات المبتدعة ، فإن النصوص في الصفات
واضحة ، ولو كانت الصفات ترد إلى المجاز ؛ لبطل أن يكون صفات الله ، وإنما الصفة تابعة

^١ الكرب: أصول السعف.

^٢ القنو: العذق ، وهو في النخلة كالعنقود من العنب.

^٣ «العلو» ، ص ٢٥٠ .

للموصوف ، فهو موجود حقيقة لا مجازا ، وصفاته ليست مجازا ، فإذا كان لا مثل له ولا نظير ؛ لزم أن تكون لا مثل لها.^١

وقال سفيان بن عيينة^٢ في أحاديث الصفات: هذه الأحاديث نرويهما ونُقِرُّ بها كما جاءت بلا كيف.^٣

علق الذهبي فقال: أي على ظاهره ، لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل.

وقال سفيان أيضا: ما وصف الله نفسه فقراءته تفسيره ، ليس لأحد أن يفسره إلا الله عز وجل. زاد البيهقي: أو رسله صلوات الله عليهم.

وفي رواية: كُلُّ ما وصف الله تعالى من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته ، والسكوت عليه.

١٣ . ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أن التأويل لا يقف عند حدّ ، فإذا تأول أحد آية أو خبرا عن رسول الله ﷺ ، ثم جاء آخر وتأولها على غير تأويل الأول ، ثم جاء ثالث وهكذا ؛ فمن الحق من هؤلاء؟ وهل سيقف عند حد؟ إنه لن يحسم هذا التلاعب بفهم أسماء الله وصفاته إلا فهم النصوص كما جاءت وعدم التعرض لها بتأويل ولا غيره.

١٤ . ومن دلائل بطلان حمل معنى صفة العلو على المجاز أن التأويل بغير قرينة تُعَيِّن المراد باطل من جهة أنه يلزم منه تنقص القائل ، فإنه لو تكلم أحد بكلام فقال آخر: (إنك لا تريد به الظاهر ؛

^١ «العلو» ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

^٢ هو الإمام الكبير حافظ العصر ، شيخ الإسلام ، أبو محمد ، سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، الكوفي ثم المكي ، من الكثيرين من رواية الحديث النبوي ، توفي سنة ١٩٨ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٥٤/٨).

^٣ تقدم تخريجه وتخرج تتمه الكلام بعده في قسم: تأصيلات لفهم عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

وإنما تريد به كذا وكذا؛ لضج ذلك القائل، فإذا كان هذا غير لائق بالمخلوق، فكيف يكون لائقاً بالله تعالى؟

كلمة جامعة في بطلان القول بالمجاز في صفات الرب عز وجل

نقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمه الله قوله: إن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة، الذين لا يوجد ما يقولونه في الكتاب والسنة وكلام القرون الثلاثة المعظمة على سائر القرون ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام المقتدى بهم؛ لزم من ذلك لوازم باطلة، منها: أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره ويوقعهم في التشبيه والتمثيل.

ومنها أن يكون قد نزل بيان الحق والصواب لهم ولم يُفصح به، بل رمز إليه رمزا وألغزه إلغازا، لا يفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهيد.

ومنها أن يكون قد كلف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها، وكلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل معها قرينة تُفهم ذلك.

ومنها، أن يكون دائما متكلماً في هذا الباب بما ظاهره خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب¹، ولا يتكلم فيه بكلمة واحدة يوافق ما يقوله النفاة، ولا يقول في مقام واحد ما هو الصواب فيه، لا نصاً ولا ظاهراً، ولا بينه.

ومنها أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من أولهم إلى آخرهم عن قول الحق في هذا الشأن العظيم الذي هو من أهم أصول الإيمان، وذلك إما جهلاً ينافي العلم، وإما كتماناً ينافي

¹ يقصد رحمه الله الآيات التي تقرر استواء الله على عرشه، وأنه العلي الأعلى، وأن الملائكة تعرج إليه، وأن الأعمال تُرفع إليه، وأن الملائكة تنزل من عنده، وأنه فوق سماواته على عرشه، وأن القرآن نزل من عنده، وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، إلى غير ذلك من تنوع الدلالات على علو الرب عز وجل.

البيان ، ولقد أساء الظن بخيار الأمة من نسبهم إلى ذلك ، ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد من بينهما جهل الحق وإضلال الخلق ، ولهذا لما اعتقد النفاة التعطيل صاروا يأتون من العبارات بما يدل على التعطيل والنفي نصا وظاهرا ، ولا يتكلمون بما يدل على حقيقة الإثبات لا نصا ولا ظاهرا ، وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو صريح أو ظاهر في الإثبات حرفه أنواع التحريفات ، وطلبوا له مُستكره التأويلات.

ومنها أنهم التزموا لذلك تجهيل السلف ، وأنهم كانوا أميين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل ، ولم تكن الحقائق من شأنهم.

ومنها أن ترك الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب ، فإنهم ما استفادوا بنزولها غير التعرض للضلال ، ولم يستفيدوا منها يقينا ولا علما بما يجب لله^١ ويمتنع عليه^٢ إذ ذاك ، وإنما استفاد من عقول الرجال وآرائها. انتهى.^٣

^١ أي يجب إثباته من صفات الكمال.

^٢ أي من صفات النقص.

^٣ «الصواعق المرسلّة» ، ص ٣١٤-٣١٦ ، باختصار يسير.

تنبيه على حديث ضعيف

عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رزين رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ؛ أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟

قال: كان في عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، وخلق عرشه على الماء.¹
فالجواب: هذا حديث ضعيف ، في سنده وكيع بن حُدُس ، مجهول ، وقد تفرد بالحديث في جميع الروايات.

وقوله: (كان في عماء) أي ليس معه شيء.

¹ رواه أحمد (١٢-١١/٤) ، والترمذي (٣١٠٩) واللفظ له ، وابن ماجه (١٨٢) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٣/٢) ، وضعفه الألباني ومحققو «المسند».

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: لو كان الله في العلو لكان في جهة ، وإثبات الجهة - على أصلهم - ممتنع، لأن الجهات كلها مخلوقة، أما الله تعالى فكان قبل الجهات، فمن قال إن الله في جهة العلو لزمه القول بقدوم تلك الجهة ، كما هو الأمر بالنسبة للرب عز وجل.

وقالوا: إن لازم ذلك أيضا أن كان الله مستغنيا عن الجهة ثم احتاج إليها.

وقالوا: إن لازم ذلك أن الجهة تحويه وتحوطه وتشمله وتحوزه ، أي أن الله تحيز إلى جهة.

وبناء على ما تقدم من الفرضيات العقلية نفوا عن الله صفة العلو ، مع كون الله وصف نفسه بها في القرآن ، ووصفه بها أعلم الخلق به في صحيح السنة الشريفة ، وهو النبي ﷺ .

ثم تطور الأمر ، وزادوا في اعتراضهم على الشريعة بأن قالوا: لا يجوز أن يُسأل: (أين الله) ، لأنه سؤال عن الجهة ، مع كون النبي ﷺ سأل الجارية (أين الله؟) ، فقالت: في السماء ، فقال لسيدها: أعتقها فإنها مؤمنة.

والجواب عن هذا القول من أربعة وجوه¹:

أولا: أن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وجميع الأنبياء وأتباعهم آمنوا بالعلو ولم يوردوا مثل هذه الإيرادات والإشكالات.

ثانيا: أن قولهم (يلزم من إثبات الاستواء على العرش أن يكون الله جسما) فيه إجمال ، والواجب فيه التفصيل ، فإن أرادوا بالجسم الذات الحقيقية المتصفة بصفات الكمال ونعوت الجلال ، من سمع وبصر ووجه ويدين وعينين وقدم وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها

¹ الجواب من كلام ابن عثيمين رحمه الله في «شرح الواسطية» (١/٣٧٦-٣٨٠) ، ملخصا.

رسوله ﷺ ؛ فهذا حق يجب الإيمان به ، فأهل السنة يؤمنون بما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات ولا يَعُدُّون هذا تجسيما .

وإن أرادوا بالجسم ؛ الجسم المركب من عظام ودم ولحم وغير ذلك ؛ فهذا باطل ، يمتنع أن نصف الله به ، لأنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، وليس بلازم من وصف الله بالعلو أن نصفه بصفات المخلوقين هذه .

ولما كان لفظ (الجسم) من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة ؛ فإن أهل السنة لا يطلقون هذا اللفظ على الله نفيا ولا إثباتا ، تأدبا مع الله ، لعدم وروده في الكتاب والسنة .

ثالثا: وأما قولهم (يلزم من إثبات الاستواء على العرش أن يكون الله محدودا) ففيه إجمال أيضا ، والواجب فيه التفصيل ، فإن كان المقصود بالحد أن الله مبين للخلق غير ممتزج بهم ، على عرشه فوق سماواته ، كما تكون أرض لزيد وأرض لعمر ؛ فهذا حق لا إشكال فيه ، وقد آمن الأنبياء وأتباعهم على الحق بذلك ولم يستشكلوه أو يتخرجوا منه .

وإن كان المقصود بقولهم: إنه محدود ؛ أي أن العرش يَحُدُّه ويحيط به ؛ فهذا باطل صرف ، لأن الله لا يحيط به شيء ، وهو أكبر من كل شيء ، ويوم القيامة يطوي السماوات والأرضين بيده .

وليس بلازم من وصف الله بالعلو والاستواء على العرش أن يوصف الله بذلك أصلا . وكذلك لفظ (الحد) ، فإنه من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة ؛ ولذا فإن أهل السنة لا يطلقون هذا اللفظ على الله نفيا ولا إثباتا ، تأدبا مع الله ، لعدم وروده في الكتاب والسنة .

وهكذا الأمر في الجهة؛ فإن أرادوا أن في إثبات العلو لله أن له جهة تحيط به فهذا باطل ، وليس بلازم من إثبات علوه ، وإن أرادوا أن الله في جهة العلو فهذا هو الحق الذي لا مرء فيه ، ولهذا أقر النبي ﷺ عليه الجارية.^١

وقد روى ابن أبي حاتم قصة الأصمعي^٢ لما قدمت امرأة جهم^٣ ، فقال رجل عندها: الله على عرشه ، فقالت: محدود على محدود.

قال الأصمعي: هي كافرة بهذه المقالة.^٤

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح «الطحاوية»: فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني ، سالمة من الاحتمالات الفاسدة ، فلذلك يجب أن لا يُعدّل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً ، لئلا يُثبت معنى فاسدٌ ، أو يُنفى معنى صحيح ، وكل هذه الألفاظ المحملة عرضة للمُحِق والمبطل.^٥ وقال: والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة ، والمعطلة يُعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده.

^١ انتهى كلام الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ، ملخصاً وبتصرف يسير .

^٢ هو عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك ، أبو سعيد الباهلي الأصمعي البصري ، صاحب اللغة ، كان إمام زمانه في علم اللسان ، كان صاحب سنة ، قال الذهبي: (كان من أذكى بني آدم وحفاظهم) ، له تصانيف كثيرة ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٣٨٣/٥).

^٣ أي جهم بن صفوان .

^٤ كتاب «الرد على الجهمية» ، نقلاً من «كتاب العرش» للذهبي ، ص ٨٢ .

^٥ «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٦٦/١).

وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده ، والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضاً جُملياً أو يُبينوا حاله تفصيلاً ، ويُحكم عليه بالكتاب والسنة ، لا يحكم به على الكتاب والسنة.¹

وقال ابن تيمية رحمه الله:

وأما الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات ، مثل قول القائل: هو في جهة ، أو ليس هو في جهة ، وهو متحيز ، أو ليس بمتحيز ونحو ذلك من الألفاظ المبتدعة ، التي تنازع فيها الناس ، وليس مع أحد نص لا عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين ، فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم (إن الله في جهة) ، ولا قال: (ليس هو في جهة) ، ولا قال: (هو متحيز) ، ولا قال: (ليس بمتحيز) ، ولا قال: (هو جسم أو جوهر) ، ولا قال: (ليس بجسم ولا جوهر) ، فهذه الألفاظ ليست منصوطة في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع ، والناطقون بها قد يريدون معنى صحيحاً وقد يريدون معنى فاسداً ، فمن أراد معنى صحيحاً موافقاً للكتاب والسنة ؛ كان ذلك المعنى مقبولاً منه ، وإن أراد معنى فاسداً مخالفاً للكتاب والسنة ؛ كان ذلك المعنى مردوداً عليه ، فإذا قال ذلك القائل: إن الله في جهة ، قيل له: ما تريد بذلك؟ أتريد بذلك أن الله في جهة موجودة تحصره وتحيط به مثل أن يكون في جوف السماء؟ أم تريد بالجهة أمراً عديمياً وهو ما فوق العالم ، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الجهة الوجودية وجعلت الله محصوراً في المخلوقات ؛ فهذا باطل ، وإن أردت الجهة العدمية وأردت أن الله وحده فوق المخلوقات بئناً عنها ؛ فهذا حق ، ولكن ليس في هذا أن شيئاً من المخلوقات حصره ولا أحاط به ولا علا عليه ،

¹ «شرح العقيدة الطحاوية» (٧٠/١).

بل هو العالي عليها ، والمحيط بها ، وقد قال تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: أن الله يقبض الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماوات بيمينه ، ثم يهزهن ، ثم يقول: أنا الملك ، أين ملوك الأرض؟ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.^١

وفي حديث آخر أنه يرميها كما يرمي الصبيان الكرة.

فمن تكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته في هذا الصغر والحقارة ؛ كيف تحيط به وتحصره.^٢ ومن قال: إن الله ليس في جهة ؛ قلنا له ما تريد بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السماوات رب يعبد ، ولا على العرش إله يصلى له ويسجد ، ومحمد ﷺ لم يعرج إلى الله تعالى ، والأيدي لا ترفع إلى الله في الدعاء ، ولا تتوجه القلوب إليه ؛ فهذا فرعوني معطل ، جاحد لرب العالمين ، وإن كان معتقداً أنه مقر به ، فهو جاهل متناقض في كلامه ، ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد كابن عربي ، وابن سبعين ، وقالوا: إن الله بذاته في كل مكان ، وإن وجود المخلوقات هو وجود الخالق.^٣ وإن قال: (مرادي بقولي: ليس في جهة ، أنه لا تحيط به المخلوقات بل هو بائن عن المخلوقات) ؛ فقد أصاب في هذا المعنى.

^١ تقدم تخريج هذا الحديث في فصل: أدلة علو الله على خلقه.

^٢ يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنه الذي رواه ابن جرير في تفسيره عند تفسير قول الله تعالى في سورة الزمر ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ أنه رأى رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس فمر بهذه الآية ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ فقال رسول الله ﷺ: يأخذ السماوات والأرضين السبع فيجعلها في كفه ، ثم يقول بما كما يقول الغلام بالكرة: (أنا الله الواحد ، أنا الله العزيز) ، حتى لقد رأينا المنبر وإنه ليكاد أن يسقط به.

^٣ تعالى الله عن هذا الوصف علواً كبيراً.

وكذلك من قال: (إن الله متحيز ، أو قال: ليس بمتحيز) ؛ إن أراد بقوله: (متحيز) أن المخلوقات تحوزه وتحيط به ؛ فقد أخطأ ، وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات ، بائن عنها ، عال عليها ، وأنها لا تحويه ؛ فقد أصاب.

ومن قال: ليس بمتحيز ؛ إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب ، وإن أراد أنه ليس بباين عنها ، بل هو لا داخلاً فيها ، ولا خارجاً عنها ؛ فقد أخطأ.^١ انتهى كلامه رحمه الله.

ثانياً: أن نصوص العلو لو كانت تستلزم معني فاسداً لبينه النبي ﷺ ، لأنه ما من خير إلا ودلنا عليه ، ولا شر إلا وحذّرنا منه ، ولكنها لا تستلزم معني فاسداً قطعاً.

ثالثاً: لا يجوز الاعتراض على ما وصف الله به نفسه بتعليقات عقلية ، بل الواجب الإيمان بخبر الله كما أخبر ، فإذا كان الله أثبت لنفسه العلو ، ورسوله ﷺ أثبت لله العلو ، والسلف الصالح أثبتوا لله العلو ، فماذا بقي حتى يجب الإيمان بالله بالعلو؟! ﴿أنتم أعلم أم الله﴾؟

رابعاً: أن جميع هذه الأقوال منشؤها قياس الخالق على المخلوق ، ومحاولة إقحام العقل لمعرفة الغيبات ، وهذا لا يجوز ، لأن تصور الأمور الغيبية فوق نطاق العقل وقدرته. قال الشاعر أحمد الصافي^٢:

يعترض العقل على خالقٍ من بعض مخلوقاته العقل!

فالله منزّه عن أن يقاس بشيء من المخلوقات ، لا أجسادهم ولا أرواحهم ولا غير ذلك ، فصفت المخلوق تنطبق عليه على الوجه اللائق به من ضعف وقصور ، وصفات الخالق تنطبق عليه على

^١ «الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل» ، ص ٢٢ - ٢٧ .

^٢ انظر ترجمته في «إتمام الأعلام» ص ٤٥ ، للدكتور نزار أباطة ومحمد رياض المالح ، الناشر: دار صادر - لبنان.

الوجه اللائق به من قوة وكمال وجبروت ، والله ليس كمثلته شيء ، وله المثل الأعلى ، ولا نحيط به علما ، سبحانه وتعالى .

خامسا: أن رد أحاديث الصفات لكون العقل البشري لم يحط بها باطل ، لأن الغيب أوسع من إدراك العقل البشري ، فهذا النبي ﷺ - الذي هو خير الناس في عقولهم - لم يهتد إلى الحق بعقله ، بل بالوحي الذي هو الكتاب والسنة ، كما قال تعالى ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ ، وقال ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ .

فليس للبشر أن يعترضوا على صفات الله الذاتية ولا الفعلية ، أو على مشيئته لكونها لم توافق عقولهم وأقيستهم الدنيوية ، فإن الله يفعل ما يشاء ، ويختار ما يريد ، سبحانه وتعالى ، ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ .

وبناء على ذلك فمن رد شيئا من أحاديث الصفات أو غير ذلك من أمور الدين لكون عقله لم يحط به فله نصيب كبير من قوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا﴾ ، والمعصوم من عصمه الله عز وجل .

ومما يُنسب لابن تيمية رحمه الله قوله: (الشرع قاضٍ والعقلُ شاهدٌ، وللقاضي أن يطرد الشاهد متى شاء).¹

فالحاصل أنه ليس لنا أن ننفي عن الله شيئا من صفاته بمقتضى استبعاد عقولنا لها ، أو توهمنا أنها تستلزم إثبات النقص ، فإن الله لا يحيط أحد به علما كما أخبر عن نفسه ﴿ولا يحيطون به

¹ ذكر هذه اللطيفة الشيخ مشهور حسن وفقه الله في شرحه لكتاب «الورقات» .

علماء^١ ، فالواجب الإيمان بما جاءت به الأدلة ، والوقوف عند ذلك ، والإيمان بأن صفات الله كاملة ليس فيها نقص ولا مشابهة للخلق.

ومن العجائب - والعجائب جمّة - أن يأنف بعض الناس من وصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، ويطمئن إلى وصفه تعالى بما لم يصف به نفسه ولم يصفه به رسوله ﷺ!

فائدة من كلام ابن تيمية رحمه الله

قال رحمه الله:

ولأهل الجحود والتعطيل في هذا الباب شبهات يعارضون بها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، وما فطر الله عليه عباده ، وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة ، فإن هذه الأدلة كلها متفقة على أن الله سبحانه فوق مخلوقاته ، عال عليها ، قد فطر الله على ذلك العجائز والصبّيان والأعراب في الكُتّاب^١ كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى ، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو يُنصرانه ، أو يُمجّسانه ، كما تُنتج^٢ البهيمة بهيمة جمعاء^٣ ، هل تُحسّون^٤ فيها من جدعاء^٥ حتى تكونوا أنتم

^١ الكُتّاب هو موضعُ التعليم ، وهو كالمدرسة في العصر الحاضر ، والذين يتلقون فيه التعليم هم الصبيان ، فلا أدري لم قال المؤلف (والأعراب في الكُتّاب) ، فلعله سبق قلم.

^٢ تُنتج أي تلد.

^٣ جمعاء أي سليمة من العيوب ، مجتمعة الأعضاء ، كاملتها ، لا جدعٌ فيها - أي قطع - ولا كئي.

^٤ تُحسّون من الإحساس ، أي العلم بالشيء. قاله ابن حجر في شرح الحديث برقم (١٣٨٥).

^٥ الجدع هو القطع ، يقال عبد مجدع الأطراف أي مُقطّع الأطراف ، والمقصود أن البهيمة تكون سليمة حتى يُتعرض لها بقطع ، والجدعُ أكثر ما يستعمل في الأنف. انظر «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير رحمه الله.

تجدعوها^١؟ ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ الآية.^٢

وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز: عليك بدين الأعراب والصبيان في الكتاب ، أي: عليك بما فطرهم الله عليه ، فإن الله فطر عباده على الحق ، والرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها ، لا بتحويل الفطرة وتغييرها.

وأما أعداء الرسل - كالجهمية والفرعونية ونحوهم - فيريدون أن يغيروا فطرة الله ودين الله ، ويوردون على الناس شبهات بكلمات متشابهات ، لا يفهم كثير من الناس مقصودهم بها ، ولا يحسن أن يجيبهم عنها.

وقد بسط الكلام في الرد عليهم في غير هذا الموضع.

وأصل ضلالتهم تكلمهم بكلمات مجملة ، لا أصل لها في كتاب الله ، ولا سنة رسوله ﷺ ، ولا قالها أحد من أئمة المسلمين ، كلفظ التحيز والجسم والجهة ونحو ذلك ، فمن كان عارفاً بحل شبهاتهم بيئها ، ومن لم يكن عارفاً بذلك فليعرض ، ولا يقبل إلا ما جاء به الكتاب والسنة ، كما قال تعالى ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ ، ومن تكلم في الله وأسمائه وصفاته بما يخالف به الكتاب والسنة فهو من الخائضين في آيات الله بالباطل.

وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة المسلمين ما لم يقولوه ؛ فينسبون إلى الشافعي وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة من الاعتقادات ما لم يقولوه ، ويقولون لمن تبعهم: هذا الذي نقوله اعتقاد الإمام الفلاني ،

^١ ما بين القوسين زيادة جاءت في رواية أخرى للبخاري (٦٥٩٩).

^٢ رواه البخاري (١٣٥٨) ، ومسلم (٢٦٥٨) ، وأحمد (٢٧٥/٢).

فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة تبين كذبهم في ذلك ، كما تبين كذبهم فيما ينقلونه عن النبي ﷺ ، ويضيفونه إلى سنته من البدع والأقوال الباطلة.

ومنهم من إذا طولب بتحقيق نقله يقول: هذا القول قاله العقلاء ، والإمام الفلاني لا يخالف العقلاء ، ويكون أولئك العقلاء طائفة من أهل الكلام الذين ذمهم الأئمة ، فقد قال الشافعي رضي الله عنه: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ ؛ أَنْ يَضْرِبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ ، وَيَطَافُ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَيَقَالُ: هَذَا جِزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ».

فإذا كان هذا حكمه فيمن أعرض عنهما ؛ فكيف حكمه فيمن عارضهما بغيرهما؟!

وكذلك قال أبو يوسف القاضي^١: من طلب الدين بالكلام تزندق.

وكذلك قال أحمد بن حنبل: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح.

وقال: علماء الكلام زنادقة.

وكثير من هؤلاء قرأوا كتباً من كتب أهل الكلام فيها شبهات أضلتهم ولم يهتدوا لجوابهم ، فإنهم يجدون في تلك الكتب أن الله لو كان فوق الخلق للزم التجسم والتحييز والجهة وهم لا يعرفون حقائق هذه الألفاظ ، وما أراد بها أصحابها ، فإنَّ دَكَّرَ الجسم في أسماء الله وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ، ولا قالها أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ، لم يقل أحد منهم: إن الله جسمٌ ، ولا: إن الله ليس بجسمٍ ، ولا: إن الله جوهرٌ، ولا: إن الله ليس بجوهرٍ ، ولفظ الجسم مجمل ومعناه في اللغة هو «البدن» ، ومن قال: إن الله مثل بدن الإنسان فهو مفتر على الله ، بل من قال إن الله يماثل شيئاً من المخلوقات فهو مفتر على الله ، ومن قال إن الله ليس بجسم وأراد بذلك أن الله لا يماثل شيئاً من المخلوقات فالمعنى صحيح وإن كان اللفظ بدعة ، وأما من قال إن الله ليس

^١ هو الإمام المجتهد ، العلامة المحدث ، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي ، صاحب أبي حنيفة رحمهما الله ، له مؤلفات عدة ،

توفي سنة ١٨٢ ، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥٣٥/٨).

بجسم وأراد بذلك أنه لا يُرى في الآخرة ، وأنه لم يتكلم بالقرآن العربي ، بل القرآن العربي مخلوق أو تصنيف جبريل أو نحو ذلك فهو مفتر على الله فيما نفاه عنه ، وهذا أصل ضلال الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم على مذهبهم ، فإنهم يظهرون للناس التنزيه وحقيقة كلامهم التعطيل ، فيقولون: نحن لا نُجسّم بل نقول: إن الله ليس بجسم ، ومرادهم بذلك نفي حقيقة أسماء الله وصفاته ، فيقولون: ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام ولا سمع ولا بصر ولا يُرى في الآخرة ، ولا عُرج بالنبي ﷺ إليه ، ولا ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتجلى لشيء ، ولا يقرب منه شيء ، وأنه لم يتكلم بالقرآن ، بل القرآن مخلوق أو كلام جبريل ، وأمثال ذلك من كلام المعطلة الفرعونية الجهمية. اهـ.

ثم قال بعد هذا بصفحة:

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، فيثبتون له ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات ، وينزهونه عما نَزَّه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات ، إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

وقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ ردا على الممثلة ، وقوله تعالى ﴿وهو السميع البصير﴾ ردا على المعطلة.

قال بعض العلماء: المُعطل يعبد عَدَمًا ، والممثل يعبد صنما ، الممثل أعشى ، والمعطل أعمى ، ودين الله بين الغالي فيه والجانبي عنه.

وقد قال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ ، والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل ، فأهل السنة وسط في الصفات بين أهل التعطيل والتمثيل.

وهذا هو الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا وسائر إخواننا منهم بفضله ورحمته ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، والله سبحانه أعلم.^١

وقال أيضا كاشفا حال من يأتون بألفاظ مجملة في وصف الله تعالى: ثم يأتون بلفظٍ مجملٍ متشابهٍ يصلح لنفي هذا المعنى الباطل ولنفي ما هو حق فيطلقونه ، فيخدعون بذلك جهال الناس ، فإذا وقع الاستفصال والاستفسار انكشفت الأسرار ، وتبين الليل من النهار ، وتميز أهل الإيمان واليقين من أهل النفاق المدلسين الذين لبّسوا الحق بالباطل وكنتموا الحق وهم يعلمون.^٢

^١ «الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل» ، ص ٢٨ - ٣٧ .

^٢ «الفتاوى الكبرى» (٣٥٣/٦) ، الناشر: دار الكتب العلمية.

شبهة والجواب عنها

حرّف أقوام المعنى الحقيقي لمعنى الاستواء الوارد في الآيات والأحاديث المتقدمة ومعناه العلو إلى معانٍ أخرى ليست ظاهرة من السياق ، وليس لها أصل في اللغة العربية التي أنزل القرآن بها ، ومن هذا قولهم: إن معنى الاستواء هو الاستيلاء ، ليكون معنى قول الله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ عندهم هو (الرحمن على العرش استولى) ، وهم بهذا التأويل يريدون الهروب من إثبات صفة العلو لله تعالى بأي وسيلة ، لأنهم يعتقدون أن إثبات صفة استواء الرب على عرشه يفهم منه جلوسه عليه ، واستقراره عليه ، وأن العرش يحويه ، وأنه محتاج إليه ، وأنه يُحْدَهُ ، كما هو الحال بالنسبة للمخلوقين ، بناء على ما أملته عليهم عقولهم من قياس الخالق بالمخلوق ، مما يروونه من الملوك إذا جلسوا على عروشهم.

ومما دعاهم للهروب من إثبات الاستواء لله تعالى ما أملته عليهم عقولهم أيضا من أن إثبات صفة الاستواء لله على عرشه - بمعنى علوه عليه - يلزم منه أنه جسم ، والجسم - بحسب تأويلهم - ممتنع على الله ، لأن الجسم مُحدث ، أما الله فقديم ، ولأن وصف الله بالجسم فيه تشبيه بالمخلوقات ، وكل هذا لا يليق بالله تعالى ، فما كان منهم إلا أن نفّوا عن الله تعالى صفة الاستواء ، عمدوا إلى تحريف معاني النصوص وتبديلها ، فنّفوا المعنى الذي أراد الله ورسوله ، وأثبتوا لها معاني من تلقاء أنفسهم ، فأثبتوا معنى بديل للاستواء لا يخطر ببال ، وليس له صلة بمعنى الاستواء في اللغة ، وهم في هذا التأويل مُجبرون ، لأن كلمة الاستواء واردة في القرآن ، فلا بد أن يأتوا لها بمعنى ، أيا كان ذلك المعنى ، وإلا فلن يكون تأويلهم مستساغا ، فقالوا: (إن الاستواء بمعنى الاستيلاء!) ، واستدلوا لهذا التحريف ببيت شعر منسوب لشاعر نصراني!!! سيأتي الكلام عليه ، والله المستعان.

فهم في مسلكهم هذا قاسوا الله بخلقه أولاً ، لما قالوا إن إثبات صفة الاستواء يلزم منه تشبيه الله بخلقه ، ثم عطلوا صفة ثابتة لله ثانياً ، لما فرغوا كلمة الاستواء من معناها الذي هو العلو ، ثم ثالثاً أثبتوا صفة أخرى ليست ثابتة له ، وهي الاستيلاء ، وليتهم لما وصفوه بهذه الصفة حصل لهم ما كانوا يقصدونه وهو التنزيه عن مشابهة المخلوقين ، بل وقعوا في تشبيه الله بخلقه ، ولم يسلموا مما فروا منه ابتداءً ، فالاستيلاء من صفات المخلوقين ، فأين التنزيه؟!

وكل هذا من الكذب والافتراء على الله والقول عليه بغير علم كما سيأتي بيانه في الوجوه الخمسة عشر التالية:

الوجه الأول: أن تفسير استوى بمعنى استولى تأباه اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة القرآن ، وقد تقدم ذكر معاني الاستواء عندهم ، وقد نقل الذهبي في كتاب «العلو» عن بعض أئمة اللغة العربية تفسيرهم الاستواء بالعلو ؛ كتعلب^١ ، والفراء^٢ ، والخليل بن أحمد الفراهيدي^٣ ، وابن الأعرابي^٤ ، رحمهم الله.

^١ هو العلامة المحدث إمام النحو ، أبو العباس ، أحمد بن يحيى الشيباني ، مات سنة ٢٩١ ، انظر ترجمته في «السير» (٥/١٤).

وأما كلامه في إنكار تأويل الاستواء بالاستيلاء فمذكور في «العلو» ص ٢١٣ .

^٢ هو العلامة ، صاحب التصانيف ، أبو زكريا ، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي ، النحوي ، صاحب الكسائي ، قيل إنه عرف بالفراء لأنه كان يفري الكلام ، مات في طريق الحج سنة ٢٠٧ ، انظر ترجمته في «السير» (١٠/١١٨).

وأما كلامه في إنكار تأويل الاستواء بالاستيلاء فمذكور في «العلو» ص ١٦٠ .

^٣ هو الإمام ، صاحب العربية ، وفنشىء علم العروض ، أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ، أحد الأئمة الأعلام ، أخذ عنه سيبويه النحو والنصر بن شميل والأصمعي وآخرون ، كان دينا ورعا ، له كتاب «العين» في اللغة ، توفي سنة ١٧٠ ، انظر ترجمته في «السير» (٧/٤٢٩).

وكلامه في إنكار تأويل الاستواء بالاستيلاء مذكور في «العلو» ص ١٦٠ .

^٤ تقدمت ترجمته.

وأما كلامه في إنكار تأويل الاستواء بالاستيلاء فمذكور في «العلو» ص ١٨٠ .

ومما قال ثعلب مثلاً: ﴿استوى على العرش﴾: علا ، هذا الذي يعرف من كلام العرب.^١
ولما سئل الإمام مالك عن الاستواء قال: الاستواء معلوم ، أي معناه معلوم ، ولا يقصد مالك بذلك إلا العلو ، فإن هذا هو المعنى المعلوم في اللغة العربية كما قررنا ، وبالتالي هو المعلوم عند السلف كلهم.

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع.^٢

الوجه الثاني: ومن دلائل بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء أنه قد ثبت عن أئمة العربية الإنكار على من أول الاستواء بالاستيلاء ؛ فقد سأل رجل ابن الأعرابي فقال: ما معنى قول الله عز وجل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟ فقال: هو على عرشه كما أخبر عز وجل.

فقال: يا أبا عبد الله ، ليس هذا معناه ، إنما معناه: استولى.

قال: اسكت ، ما أنت وهذا؟ لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد ، فإذا غَلَب أحدهما قيل: استولى ، أما سمعت النابغة:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد^٣

وذكر أبو بكر محمد بن أحمد بن النضر عن ابن الأعرابي أيضاً أن ابن أبي دؤاد - وهو من كبار أئمة الضلال - سأله: أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى؟

^١ انظر «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٦٦٨) ، باختصار.

^٢ تفسير الطبري ، سورة البقرة: ٢٩ .

^٣ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٦٦٦) ، والأمد هو الغاية والنهاية ، كما رواه الذهبي عنه في كتاب «العلو» ص ١٨٠ - ١٨١ .

فقال: لا أعرف.^١

وقال ابن الجوزي رحمه الله في الرد على من فسر الاستواء بالاستيلاء:
وهذا منكر عند اللغويين ، قال ابن الاعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى ، ومن قال ذلك فقد أعظم.

قالوا: وإنما يقال استولى فلان على كذا إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه ثم تمكن منه ، والله عز وجل لم يزل مستوليا على الأشياء.^٢
قال ابن تيمية رحمه الله:

ذكر أبو المظفر^٣ في كتابه «الإفصاح» قال: سُئل الخليل: هل وجدت في اللغة: استوى بمعنى استولى؟

فقال: (هذا ما لا تعرفه العرب ، ولا هو جائز في لغتها).

وهو إمام في اللغة على ما عُرف من حاله ، فحينئذ حمّله على ما لا يعرف حملًا باطل.^٤

الوجه الثالث: ومن دلائل بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء أن تفسير استوى بـ «استولى» يلزم منه أن الله لم يكن مستولٍ عليه قبل ذلك ، ولم يكن ملكاً لله بل لغيره ، ثم استولى عليه الله بعد

^١ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٦٦٧) ، كما رواه الذهبي في «العلو» ص ١٨٠ .

^٢ أي مالكا لها في الأزل ، انظر كلامه في «زاد المسير» ، تفسير سورة الأعراف ، الآية: ٥٤ .

^٣ هو الوزير الإمام العالم العادل ، عون الدين ، يمين الخلافة ، أبو المظفر ، يحيى بن محمد بن هبيرة ، الشيباني الدُّوري العراقي الحنبلي. كان دينا خيرا متعبدا عاقلا ، باراً بالعلماء ، مكيا على العلم وتدوينه بالرغم من أعباء الوزارة ، شرح الصحيحين في عشر مجلدات ، وأسماء «الإفصاح عن معاني الصحاح» ، توفي رحمه الله سنة ٥٦٠ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٢٦/٢٠).

^٤ «مجموع الفتاوى» (١٤٦/٥) ، بتصرف يسير.

ذلك بعد مغالبة ، لأن الاستيلاء لا يكون إلا بعد مُغالبة ، وهذا كله باطل ، لأن العرش لم يكن يوماً لغير الله جل وعلا أصلاً ، ثم إن الله تعالى لا مغالب له ولا مضاد جل وعلا .
فمن وصف الله تعالى بالاستيلاء فقد طعن في وصف الله بالملك والقهر والهيمنة على جميع مخلوقاته ، والتي منها العرش.^١

قال الذهبي رحمه الله بعدما ذكر هذا الوجه:

فلو كان الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء أو القهر ونحو ذلك على ما حرفته الجهمية والمعتزلة ؛ لكان الله تعالى غير مستول على العرش ولا قاهر له قبل خلق السماوات والأرض ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فتدبر ذلك ، وحاسب نفسك ، واتق الله فيما تقوله ، ودع الهوى ، واتبع الانصاف وقول الحق ، جعلنا الله ممن استمع القول فاتبع أحسنه.^٢

الوجه الرابع: ومن دلائل بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء تأمل ما أخبر به الله تعالى من أنه خلق السماوات والأرض ثم استوى على العرش بعد ذلك ، فكلمة (ثم) تفيد الترتيب والمهلة ، قال تعالى ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ ، قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: **إن لفظ الاستواء ذكر بلفظ الفعل - أي استوى - مقروناً بثُمَّ في ستة مواضع^٣ ،**

^١ وانظر ما قاله عبد العزيز بن يحيى الكِنَاني ، صاحب الشافعي ، في كتابه «الرد على الجهمية» ، ونقله الذهبي في «العرش» ، ص ٩١ ، وأورده ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (١١٥/٦) ، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص: ٢١٩) .

^٢ كتاب «العرش» ص ٥٨ ، وسيأتي كلام ابن كثير نحو ما تقدم في الرد على الجهمية في تعلقهم ببيت شعر منسوب للأخطل النصراني ليقرروا به تفسير الاستواء بالاستيلاء .

وللفائدة فللهذهي كلام نحوه في ص ٩٢ في الرد على من فسر الاستواء بالملك والقهر .

^٣ والمواضع الستة هي ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ . سورة الأعراف: ٥٤ .

﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ . سورة يونس: ٣ .

ومذكورا بعده عموم الملك في الموضوع السابع^١ ، فيلزم من ذلك أن يكون ملكه لها - أي السماوات والأرض - سابقا لاستوائه على عرشه ، فبطل بذلك قول من قال: إن الله استولى على العرش ، لأن الاستيلاء يكون قبل الملك لا بعده ، ثم يكون الملك بعد ذلك ، بينما الآيات تنص على أن الاستواء - الذي هو عندهم بمعنى الاستيلاء - كان بعد الملك ، وهذا لا يستقيم ، لأن الاستيلاء حينئذ سيكون على لا شيء ، وهذا ينزه عنه الله تعالى والآية الكريمة^٢.

الوجه الخامس: لو كان معنى الاستواء هو الاستيلاء فعلا لما كان ثمة فائدة من تخصيص العرش بالذكر من بين سائر المخلوقات ، إذن لصح أن يقال: إن الله استوى على بني آدم وعلى الشمس والقمر وغير ذلك من المخلوقات ، وهذا لا تطيقه الأسماع. قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»^٣ وهو من آخر كتبه تأليفا:

﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾. سورة الرعد: ٢ .
﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾. سورة الفرقان: ٥٩ .
﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾. سورة السجدة: ٤ .
﴿هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾. سورة الحديد: ٤ .
^١ والموضوع السابع هو قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾* له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾. سورة طه: ٥ - ٦ .
^٢ ذكر هذا الوجه أيضا الشيخ حمود التويجري رحمه الله في «إثبات علو الله ومباينته لخلقه» ، ص ١٦٠ .
فائدة: الترتيب والمهلة المستفاد من قوله تعالى في الآيات الست المتقدمة ﴿ثم استوى على العرش﴾ لا تعني أن الله لم يكن مستويا على خلقه قبلها ، بل ذلك ثابت له قطعا على كل ما كان مخلوقا في ذلك الحين ، ويعرف بالاستواء العام ، وأما استواؤه على العرش بعد خلق السماوات والأرض فاستواء خاص ، كما يشاء جل وعز.
أفادني بهذه الفائدة الشيخ الجليل عبد العزيز بن عبد الله الراجحي حفظه الله صباح الأربعاء ٢١/٤/١٤٣٣ هجري ، ثم وجدته في «شرح العقيدة الواسطية» (٣٨٥/١) لابن عثيمين رحمه الله.
^٣ ص ١١٦ - ١١٧ .

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية^١: إن قول الله عز وجل ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أنه استولى ومملك وقهر ، وأنه الله عز وجل في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه - كما قال أهل الحق - وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

ولو كان هذا كما ذكره ؛ كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش^٢ ، وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء - وهو عز وجل مستو على الأشياء كلها - لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقدار ، لأنه قادر على الأشياء ، مستولٍ عليها ، وإذا كان قادرا على الأشياء كلها - ولم يُجْزَ عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية - لم يُجْزَ أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواءً يختص العرش دون الأشياء كلها.^٣ انتهى.

قلت: وكذا قال صاحبه أبو الحسن علي بن مهدي الطبري في كتابه «مشكل الآيات»^٤.

الوجه السادس: ومن دلائل بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء ما ذكره الشيخ صالح بن فوزان الفوزان^٥ حفظه الله في «شرح العقيدة الواسطية»:

^١ الحرورية فرقة من فرق الخوارج ، سكنوا حروراء بالعراق فُنسبوا إليها.

^٢ الحشوش جمع حُش ، وهو مكان قضاء الحاجة.

^٣ يقصد رحمه الله أن لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء والمملك ؛ لما كان لتخصيص العرش بالاستواء من معنى ، لأن الله يملك العرش وغير العرش ، فالصواب هو أن الاستواء بمعنى العلو كما قال أهل الحق ، والله أعلم.

^٤ انظر كتاب «العرش» ص ١٢٢ .

^٥ هو الشيخ الفقيه الذاب عن دين الله ، العالم في العقيدة والفقه ، المقدم في علوم الشريعة ، طالما دافع عن العقيدة الإسلامية ورد على أهل البدع ، جمعت ردوده فوقعت في ثلاث مجلدات ، له مؤلفات كثيرة في فنون متنوعة ، أوصى بالرجوع إليه الشيخان الجليلان عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين قبيل وفاتهما ، حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين.

إن هذا اللفظ (استوى على العرش) قد اطرِد في الكتاب والسنة ، ولم يأت في لفظ واحد (استولى على العرش) حتى تفسر به بقية النصوص.^١
وصدق حفظه الله ؛ فلفظ الاستواء في الكتاب والسنة مطَّرد على لفظ واحد وهو الاستواء ، فليس ملدِّع أن يدعي أن معنى الاستواء في جميع الألفاظ هو الاستيلاء ، مع أنه لم يُستعمل ولا مرة واحدة ؛ فإن هذا من التكلف والتعسف والتحكم بنصوص الوحي.
وهكذا قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله.^٢

الوجه السابع: ومن دلائل بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء أن طريقة السلف الصالح في آيات الصفات هي إمرارها كما جاءت وعدم التعرض لمعانيها بتحريف أو غيره^٣ ، فمن حرّف معنى صفة الاستواء إلى الاستيلاء أو غيره من المعاني فقد سلك غير سبيلهم ، وتنكب طريقهم.
قال ابن تيمية رحمه الله: إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها ، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد إلى ساعتى هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ، بل عنهم من تقرير ذلك وتشبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله.^٤

^١ «شرح العقيدة الواسطية» ص ٧٧ .

^٢ «توضيح الكافية الشافية للشيخ عبد الرحمن بن سعدي» ، ص ٣٢٨ ، وتقع في «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله».

^٣ وقد تقدم تقرير هذا في فصل «مقدمة في الإيمان بأسماء الله وصفاته» ، وفي آخر الكتاب ملحق موسع ، نفع الله به.

^٤ «مجموع الفتاوى» (٦/٣٩٤).

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله في «الصارم المنكي»: ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة ، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه ، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر ، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه؟^١

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره في سورة الأعراف ، الآية ٥٤ :

وأما قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ ؛ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح ؛ مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمرارها كما جاءت ، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، لا يشبهه شيء من خلقه ، و﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

بل الأمر كما قال الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزازي ، شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهه.

فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص ؛ فقد سلك سبيل الهدى . اهـ.

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله:

فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستوٍ على عرشه ، لا نبدل كلام الله ، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية: (إنه استولى على عرشه ، لا استوى) ، فبدلوا قولاً غير

^١ ص ٣٢١ ، الناشر: دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

الذي قيل لهم ، كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا: حِطَّة ، فقالوا حنطة ، مخالفين لأمر الله جل وعلا ، كذلك الجهمية.^١

وقال ابن القيم: فالصحابة كلهم متفقون ، لا يختلفون في ذلك المعنى ولا التابعون وأئمة الإسلام ، ولم يقل أحد منهم أنه بمعنى استولى ، وإنه مجاز .

ولما سُئِلَ مالك وسفيان بن عيينة وقبلهما ربيعة بن عبد الرحمن عن الاستواء فقالوا: (الاستواء معلوم) ؛ تلقى ذلك عنهم جميع أئمة الإسلام ، ولم يقل أحد منهم: إنه يُحتاج إلى صرفه عن حقيقته إلى مجازهِ.^٢

وقال ابن عبد البر رحمه الله: وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى ؛ استولى ؛ فلا معنى له ، لأنه غير ظاهر في اللغة ، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة ، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد ، وهو الواحد الصمد ، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز ، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ، وإنما يُوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مُدَّعٍ ما ثبت شيء من العبارات ، وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطبتها مما يصح معناه عند السامعين ، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه.^٣

وقال أيضا: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يُكَيِّفون شيئا من ذلك ، ولا يَحُدُّون فيه

^١ «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» ، (ص ١٨٠).

^٢ «مختصر الصواعق» ص ٣٧٠ .

^٣ «كتاب التمهيد» (١٢٥/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٣١/٧) من ط المغربية.

صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ، ولا يَحْمِل شيئاً منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بما مُشَبَّه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله.^١ وهكذا قال قَوَّام السنة أبي القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة»^٢ . وقد أنكر هذا القول - أي القول بالمجاز في الاستواء - العلامة أبو بكر محمد بن موهب المالكي ، كما في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني.^٣ وقال القرطبي المالكي صاحب التفسير عند قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ (الأعراف: ٥٤): ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استوائه على عرشه حقيقة ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء^٤ ، فإنه لا يُعلم حقيقة كيفيته.^٥ وقد حصل إنكار تأويل الاستواء بالاستيلاء من غير العلماء المتقدم ذكرهم ؛ كالإمام أبي محمد البغوي^٦ ، وأبي الحسن الأشعري^٧ ، وعبد القادر الجيلاني^٨ ، وإسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني ،

^١ «التمهيد» (١٣٤/٦ - ١٣٥) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٤٥/٧) من ط المغربية.

^٢ (٤٨٢/١).

^٣ نقل كلامه الذهبي في كتاب «العلو» ص ٢٦٤ ، ونص فيه على أن الاستواء من الله تعالى على عرشه هو على الحقيقة لا على المجاز.

^٤ وليس ذلك نقصاً فيهم ، لأن كيفية الاستواء من الغيب الذي أخفاه الله عن الناس.

^٥ انتهى باختصار.

^٦ انظر كلامه عند تفسير قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ ، آية ٥٤ من سورة الأعراف. وقد وصف ابن القيم تفسير البغوي المسمى «معالم التنزيل» بأنه شجى في حلوق الجهمية والمعتزلة ، انظر «اجتماع الجيوش» ص ١٩٩ .

^٧ انظر كتابه «رسالة إلى أهل الثغر» ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

^٨ قال رحمه الله: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش. انظر «العلو» ص ٢٦٥.

كما في كتابه «الحجة في بيان المحجة»^١ ، والإمام سعد الزنجاني إمام الشافعية في وقته^٢ ، وغيرهم ممن جاء بعدهم ، كابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة النجدية ، كالشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^٣ وغيره رحمهم الله.

الوجه الثامن: ومن دلائل بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء أن هذا التفسير ظهر على يد الجعد بن درهم الذي أنكر صفات الرب جل وعلا ، وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ، فقتله والي العراق آنذاك وهو خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى ، ثم تلقاه عنه الجهم بن صفوان ، ثم انتشرت مقالاته هذه بين المسلمين ، ثم وصل الأمر إلى ابن أبي دؤاد ، في أوائل القرن الثالث ، وهو من ألد أعداء أهل السنة والجماعة ، وكان شديد العداوة للإمام أحمد بن حنبل ، وهو الذي أوقع به عند المأمون ، فسجنه وضربه ، وحصل بسببه بلاء كثير على المسلمين ، قال ابن الأعرابي العالم اللغوي المشهور:

أرادني ابن أبي دؤاد أن أطلب في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بمعنى: استولى ، فقلت: والله ما يكون هذا ولا أصيبه.^٤
وقال ابن القيم رحمه الله:

^١ انظر: فصل في بيان أن العرش فوق السماوات ، وأن الله سبحانه وتعالى فوق العرش (١١٣/٢).

^٢ انظر «اجتماع الجيوش» ص ١٩٧ .

^٣ انظر «الدرر السنية» (١/٥٠٣-٥٠٨).

^٤ رواه ابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٣/١٦٦-١٦٧) بلاغا عن محمد بن أحمد بن النضر ، قال سمعت ابن الأعرابي ، فذكره.

إن أئمة السنة متفقون على أن تفسير الاستواء بالاستيلاء إنما هو متلقى عن الجهمية والمعتزلة والخوارج ، وممن حكى ذلك أبو الحسن الأشعري في كتبه ، وحكاه ابن عبد البر والطمسكي عنهم خاصة.^١

فإذا تقرر أن أصل تحريف صفة الاستواء الى الاستيلاء أو غيرها من الصفات إنما جاء من طريق الفرق الضالة ، وليس له أصل عند السلف الصالح ؛ فإن الواجب إذن هو الحذر من ذلك القول ، لأن نبينا ﷺ أمرنا باتباع طريق الصحابة والمهديين ، وحذرنا ﷺ من اتباع أقوال الفرق والأهواء ، كما في قوله ﷺ : خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.^٢ وقوله ﷺ : وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة.

قالوا: ومن هي يا رسول الله؟

قال: ما أنا عليه وأصحابي.^٣

الوجه التاسع: ومن دلائل بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء أن الله كامل في صفاته كلها ، فله الكمال في صدقه وبلاغته وعلمه وإرادته لفهم الآخرين لكلامه ، فمن قال: (إن استوى بمعنى استولى) فقد طعن في هذه الصفات الأربعة ؛ طعن في صفة الصدق التي وصف الله نفسه بها في قوله تعالى ﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾ ، لأن الصدق يحصل إذا دل اللفظ على ظاهره المعروف المؤلف ، أما الإخبار بعبارات موهمة مخالفة لظاهرها فليس من الصدق في شيء ، لا سيما وأن المقصود من القرآن هداية الناس إلى الصراط المستقيم بأقرب طريق وأوضح حجة.

^١ انظر «مختصر الصواعق المرسله» ، ص ٣٦٥ .

^٢ رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٢) ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

^٣ رواه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وهو في «صحيح الترمذي» للألباني.

والقول بتأويل الاستواء بمعنى الاستيلاء طعن في بلاغة القرآن ، لكون النص لا يدل على الظاهر المراد ، وهو العلو ، بل على خلافه ، وهو الاستيلاء ، وليس هذا شأن من أراد البيان للناس ، والله منزه عن إرادة عدم البيان ، قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾. وتأويل الاستواء بمعنى الاستيلاء طعن في علم الله ، إذ لو كام ذلك حقا للزم منه أن الله لا يعلم أن الناس سيفهمون أمرا آخر غير الذي يريد ، إذ وصف نفسه بالاستواء الذي هو عندهم بمعنى العلو والارتفاع وهو يقصد أمرا آخر وهو الاستيلاء.

وتأويل الاستواء بمعنى الاستيلاء طعن في إرادة الله الهداية للناس ، لأنه يلزم من تأويله ذلك أن الله لم ينصب لعباده أسباب الهداية إلى معاني القرآن بل أسباب الحيرة والضلال والتلبيس ، لما أرسل لهم كتابا لا تدل ألفاظه على معناها الظاهر ، بل تدل على معان أخرى باطنة ، بعيداً ظاهر السياق عنها ، ولا يعرفها العرب ، وما عُرفت إلا من خلال عقول الناس القاصرة المتفاوتة في الفهم والإدراك.

قال ابن تيمية رحمه الله: لو حُمِلَ^١ على هذا المعنى^٢ لأدى إلى محذور يجب تنزيه بعض الأئمة عنه ، فضلا عن الصحابة ، فضلا عن الله ورسوله ، فلو كان الكلام في الكتاب والسنة كلاما نفهم منه معنى ويريدون به آخر لكان في ذلك تدليس وتلبيس ، ومعاذ الله أن يكون ذلك.

الوجه العاشر: ومن دلائل بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء أن هذا التأويل باطل بالنظر إلى ما يؤول إليه ؛ فإن تفسير الاستواء بالاستيلاء مؤداه أنه ليس فوق السماوات رب ، ولا على العرش

^١ أي تفسير الاستواء.

^٢ أي الاستيلاء.

إلا العدم المحض ، وليس هناك من ترفع إليه الأيدي ، ويصعد إليه الكلم الطيب ، وتعرج الملائكة والروح إليه ، وينزل الوحي من عنده ، ويقف العباد بين يديه .
ويترتب عليه أيضا أن الرسول ﷺ لم يعرج إليه ، لأنه ليس ثمة رب هناك يخاطبه ويناجيه ، بل كان عروجه للسماء عبثا ، وأنه لا يجوز أن يقال أين الله ، كما قال النبي ﷺ للجارية ، وأنه لا يجوز أن يقال: إن الله في السماء كما قالت الجارية ، وإنه لا يراه المؤمنون بأبصارهم عيانا فوقهم يوم القيامة في الجنة ، وكل هذا من أبطل الباطل ، بل هو رد وإنكار لما جاءت به الأنبياء والرسل ، عياذا بالله من ذلك.^١

الوجه الحادي عشر: إن تأويل استوى باستولى لا يستقيم في القرآن ، واستمع إلى قوله تعالى لنوح ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله﴾ ، فلا يقول عاقل إن معنى الآية (فإذا استوليت أنت ومن معك على الفلك)!
وكذا قوله ﴿لتستولوا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم إذا استويتم عليه﴾ ، فلا يقول عاقل إن معناها (لتستولوا على ظهوره)!
فإذا كان هذا التأويل غير مطرد في باقي الآيات ؛ تبين أنه تأويل باطل .

الوجه الثاني عشر: أن حمل معنى الاستواء على الاستيلاء يلزم منه تخطئة أئمة القرون الثلاثة ومن تبعهم الذين لهم مصنفات في الرد على من فسر الاستواء بالعلو والرد على من تأول ذلك ، وهذا باطل قطعا ، فإنه من المعلوم أنهم تلقوا فهمهم لجميع صفات الرب عن التابعين وتابعيهم ، الذين تلقوه عن الصحابة ، الذين تلقوه عن الرسول ﷺ ، فيكون التفسير المحدث بعده باطلا قطعا ، مردود من كل وجه .

^١ بتصرف يسير من «مختصر الصواعق» ، ص ٣٦٦ .

وقد بين ابن تيمية رحمه الله بطلان تأويل استوى بمعنى استولى من أحد عشر وجها ، فليراجعه من أراد الاستفادة والاستزادة.^١

الوجه الثالث عشر: أن وصف الله تعالى بالاستواء على عرشه أكمل وأشرف من وصفه بالاستيلاء عليه ، فوصف الله به أليق ، لاسيما وهو ظاهر النصوص ، وهو الذي تمدح الله به سبحانه وتعالى ، بينما الاستيلاء لم يصف به نفسه قط ، ولم يصفه به إلا البشر ، والله أعلم.^٢

الوجه الرابع عشر: ليت المؤولة - من الجهمية وغيرهم - حققوا مرادهم لما نفوا عن الله صفة الاستواء ، فنفوا عن الله التشبيه بالمخلوقات ، فإن وصفه بالاستيلاء من صفات المخلوقين ، فأين التنزيه الذي يرومونه؟!

وصدق ابن تيمية رحمه الله رحمه الله إذ قال:

والمقصود أنّ هؤلاء الجهمية لا يفترّون من شيء من الحق لما يظنونهم شبهة إلا وقعوا في أضعاف مضاعفة من الباطل التي يلزمها ذلك المحذور عندهم ، فهم دائماً متناقضون ، فإن كل من نفى عن الله أن يكون فوق العرش لا بد أن يحتج بحجة تقتضي السلب والنفي^٣ ، فلم يستفيدوا إلا التناقض في المقال ، وجحدوا الخالق ، وهذا من أعظم الضلال ، ونفس تناقض القولين يقتضي فساده ، فكيف بما زاد على ذلك؟^٤

^١ «مجموع الفتاوى» (٥/١٤٤-١٤٩).

^٢ قاله الشنقيطي رحمه الله بنحوه في خاتمة كتابه «منهج ودراسات لآيات الصفات».

^٣ أي سلب صفة عن الله تعالى ونفيها عنه ، كما هو الحال لما نفوا صفة الاستواء وأثبتوا الاستيلاء ، لأن إثبات الاستيلاء على العرش يلزم منه عدم استيلاءه على غيره ، وهذا من التنقص لله تعالى ، المالك لكل شيء.

^٤ «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٢/٥٢٤) ، باختصار يسير.

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: إن تفسير الاستواء بالاستيلاء قد ورد في البيت التالي:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيف أو دم مهراق!

والجواب عن هذه الشبهة من ستة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا البيت غير معروف قائله ، ولا تثبت نسبته إلى أحد من شعاع العرب المعروفين ، وليس في شيء من دواوين الشعر ، قال ابن تيمية رحمه الله: وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه ، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يُعرف في اللغة ، وقد عُلم أنه لو احتجَّ بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته ، فكيف ببيت من الشعر لا يُعرف إسناده ، وقد طعن فيه أئمة اللغة.^١ وقال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

والبيتان لا يُعرف قائلهما^٢ ، كذا قال ابن فارس اللغوي ، ولو صحا فلا حجة فيهما لما بيَّنا من استيلاء من لم يكن مستولياً ، نعوذ بالله من تعطيل الملاحدة ، وتشبيهه المُجسِّمة.^٣ قال مقيدده عفا الله عنه: قد نَسب بعضهم هذا البيت إلى شاعر نصراني مشهور يقال له الأخطل ، توفي سنة ٩٠ هجرية ، وهذا لا حجة فيه لسببين:

السبب الأول: ما قاله الحافظ ابن كثير الشافعي رحمه الله:

^١ «مجموع الفتاوى» (١٤٦/٥).

^٢ يشير إلى البيت المتقدم ، وإلى بيت آخر وهو:

هما استويا بفضلهما جميعا على عرش الملوك بغير زور

^٣ تفسير سورة الأعراف ، الآية: ٥٤ .

كان الأخطل من نصارى العرب المنتصرة ، قبحه الله ، وأبعد مثواه ، وهو الذي أنشد بشر بن مروان قصيدته التي يقول فيها:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيف ودمٍ مهراق

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية علوا كبيرا ، فإنه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصيا عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشرٍ على العراق ، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه ، وعرش الرب لم يكن ممتعا عليه نَفْسًا واحدا^١ حتى يقال استوى عليه أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية حتى أذاهم الإفلاس من الحُجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح ، وليس فيه حجة ، والله أعلم.^٢

وقال ابن تيمية في «لاميته»:

فُبحا لمن نبذ الكتاب وراءه وإذا استدل يقول: قال الأخطل

وقال ابن القيم في «نونيته»:

ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني

السبب الثاني: يقال: أفلا يمكن أن يكون قائل هذا البيت - على فرض صحة نسبته إليه - قاله بعد تغير اللسان؟ لأن كل قول يستدل به على اللغة العربية بعد تغير اللغة العربية فإنه ليس بدليل ،

^١ أي ولا برهة واحدة ، لأن النفس يقدر ببرهة.

^٢ «البداية والنهاية» (١٠/٩٩-١٠٠) ، وفيات سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية ، الناشر: دار ابن كثير - دمشق.

لأن العربية بدأت تتغير حين اتسعت الفتوح ، ودخل العجم مع العرب ، فاختلف اللسان ، وهذا فيه احتمال أنه بعد تغير اللسان.^١

الوجه الثاني: ما قاله ابن القيم: إن هذا البيت محرف ، وإنما هو هكذا:

بشرٌ قد استولى على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

هذا لو كان معروفاً من قائل معروف ، فكيف وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها.^٢

الوجه الثالث: إذا نظرنا إلى الناحية التاريخية فإن بشراً لم يأخذ العراق عن طريق المغالبة ؛ ولم ينازع في ملكها أصلاً ، ومن ثم فإنه لم يستول عليها ، بل كان والياً عليها من قبل أخيه سليمان بن عبد الملك ، ففي البيت خطأً تاريخي وخطأً لفظي ، فلا يصح الاحتجاج به بحال ، فضلاً عن أن يُفسر به كلام الرحمن جل وعلا.

الوجه الرابع: يمكن أن يفسر الاستواء الوارد في البيت بالعلو ، فينقلب الاستدلال عليهم ، وبيان ذلك أن العلو نوعان ؛ حسي ومعنوي ، فأما الحسي فمثل العلو على ظهر البيت ، وأما المعنوي فيعني الغلبة والسيطرة ، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، وقوله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَجَعْلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وعلى هذا يُفسر البيت بأن بشرٌ علا على العراق أي صارت له الغلبة والحكم والسيطرة.

فإذا تقرر أن تفسير العلو بالغلبة سائغ في اللغة العربية ؛ صحَّ تفسير البيت بتغلب بشرٌ على العراق ، واستوائه عليه استواء معنويًا ، وليس استواءً حسيًا.^٣

^١ انظر «شرح العقيدة الواسطية» (٣٧٨/١) لابن عثيمين ، بتصرف.

^٢ انظر «مختصر الصواعق» ، ص ٣٥٩ .

^٣ انظر «شرح العقيدة الواسطية» (٣٧٨-٣٧٩) لابن عثيمين.

الوجه الخامس: أن أشعار العرب الثابتة عنهم تُفيد أن معنى الاستواء عندهم هو العلو والارتفاع ؛ لا الاستيلاء ، قال الشاعر:

فأوردتهم ماءً بفيفاء^١ قفرة وقد حلقَّ النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد فيقول: إن معناه استولى ، لأن النجم لا يستولي!^٢ تنبيه: قال بعضهم: إن الاستواء المقصود في البيت هو الاستواء على سرير الإمارة بحذف المضاف ، وأن هذا أولى من تفسير الكلام بغير لغة العرب ، ولكن هذا القول ضعيف - وإن كان لا يخالف مذهب أهل الحق - لأنه لا يعرف في اللغة العربية البتة أن يقال لمن استولى على بلدة: إنه استوى عليها ، وهذه دواوين الشعراء وأشعارهم موجودة.^٣

قلت: وحذف المضاف سائغ في اللغة العربية كقوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ، أي: اسأل أهل القرية وأصحاب العير.

الوجه السادس: أن استشهادهم بهذا البيت فيه تشبيه لله ببشرٍ ، لأنهم بهذا الاستشهاد (قد شبهوا استيلاء الله على عرشه الذي زعموه باستيلاء بشر بن مروان على العراق ، فأبى تشبيهه بصفات المخلوقين أكبر من هذا؟!)^٤.

^١ فيفاء أي بر واسعة ، جمعها فيافي ، والقفر هي الأرض التي لا ماء فيها. «النهاية»

^٢ أشار لهذا ابن عبد البر رحمه الله في كتابه «التمهيد» (١٢٦/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٣١/٧) - (١٣٢) من ط المغربية.

^٣ بتصرف واختصار من «مختصر الصواعق» ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

^٤ قاله الشنقيطي رحمه الله في خاتمة كتابه «منهج ودراسات لآيات الصفات».

أقول: وهذا الوجه ينسف استشهادهم من أصله ، لأنهم ما أولوا الاستواء بالاستيلاء إلا ليفرّوا من التشبيه ، فوقعوا فيه من حيث لا يدرون ، ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: إن الاستواء منتف عن الله تعالى ، لأننا لو أثبتنا الاستواء للزم من هذا أن الله محتاج إلى العرش ، وهذا باطل.

هكذا قالوا ، والجواب عن هذه الشبهة العرجاء: أنه ليس بلازم من استواء الله على العرش أن يُقَلُّه ويحمّله ، لأن الاحتياج نقص بالنسبة إلى الله عز وجل ، وليس بلازم من الاستواء الحقيقي ، لأننا لسنا نقول إن معنى ﴿استوى على العرش﴾ أن العرش يُقَلُّه ويحمّله ، فالعرش محمول ، ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ ، والملائكة تحمله الآن ، لكنه ليس حاملا لله عز وجل لأن الله سبحانه وتعالى ليس محتاجا إليه ، ولا مفتقرا إليه^١.

فليس في إثبات العرش أن الله محتاج إليه لأن الله مستغن عن العرش وغير العرش ، كما قال تعالى ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ ، وكل ما سوى الله عالم ، والعرش من العالم ، فالله خلق العرش واستوى عليه لا حاجته له كحال المخلوقين ، وإنما لحكمة غيبية ومشیئة إلهية اقتضت ذلك ، الله سبحانه وتعالى أعلم بها ، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، قال الإمام الطحاوي الحنفي رحمه الله في «العقيدة الطحاوية»: «

(وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقة).

قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» شارحاً قول الطحاوي رحمه الله:

^١ قاله ابن عثيمين رحمه الله في «شرح العقيدة الواسطية» (١/٣٨٠) ، بتصرف يسير.

أما قوله (وهو مستغن عن العرش وما دونه) ؛ فقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ، وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ، وإنما قال الشيخ رحمه الله^١ هذا الكلام هنا لأنه لما ذكر العرش والكرسي ؛ ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش ، ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ، ليس لحاجته إليه ، بل له في ذلك حكمة اقتضته^٢.

وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي ، محيطاً به ، حاملاً له ، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه ، فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ... فهو فوق العرش ، مع حمله بقدرته للعرش وحملته ، وغناه عن العرش ، وفقر العرش إليه ، وإحاطته بالعرش ، وعدم إحاطة العرش به ، وحصره للعرش ، وعدم حصر العرش له. انتهى.

وقال ابن تيمية رحمه الله: وهو سبحانه فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وهو سبحانه غني عن العرش وعن سائر المخلوقات ، لا يفتقر إلى شيء من مخلوقاته ، بل هو الحامل بقدرته العرش وحمله العرش.

وقد جعل تعالى العالم طبقات ، ولم يجعل أعلاه مفتقراً إلى أسفله ، فالسماوات لا تفتقر إلى الهواء ، والهواء لا يفتقر إلى الأرض ، فالعلي الأعلى رب السماوات والأرض وما بينهما الذي وصف نفسه بقوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أجل وأعظم وأغنى وأعلى من أن يفتقر إلى شيء ، بحملٍ أو غير حملٍ ، بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، الذي كل ما سواه مفتقر إليه ، وهو مستغن عن كل ما سواه.^٣

^١ يعني أبا جعفر الطحاوي.

^٢ وهي التمجد والاستكبار والاستعظام ، وانظر «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٤٣٨).

^٣ «قاعدة جلية في التوسل والوسيلة» ، ص ٣٠٨ .

وقال أيضا:

وكذلك إذا ظن الظان أن صفات الرب كصفات خلقه ؛ فيظن أن الله سبحانه على عرشه كالمملك المخلوق على سريره ؛ فهذا تمثيل وضلال ، وذلك أن الملك مفتقر إلى سريره ولو زال سريره سقط ، والله غني عن العرش وعن كل شيء ، والعرش وكل ما سواه فقير إلى الله ، وهو حامل العرش وحملة العرش ، وعلوه عليه لا يوجب افتقاره إليه ، فإن الله قد جعل المخلوقات عاليا وسافلا ، وجعل العالي غني عن السافل ، كما جعل الهواء فوق الأرض وليس هو مفتقرا إليها ، وجعل السماوات فوق الهواء وليست محتاجة إليه ، فالعالي الأعلى رب السماوات والأرض وما بينهما أولى أن يكون غنيا عن العرش وسائر المخلوقات ، وإن كان عاليا عليها ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

والأصل في هذا الباب أن كل ما ثبت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك.^١

وقال أيضا: وهو سبحانه حامل بقدرته للعرش ولحملة العرش ، وهم إنما أطاقوا حمل العرش بقوته تعالى ، والله إذا جعل في مخلوق قوة ؛ أطاق المخلوق حمل ما شاء أن يحمله.^٢

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله:

ليس في إثبات الإستواء على العرش ما يوجب الحاجة إليه ، أو فقر الرب - تعالى وتقدس - إلى شيء من خلقه ، فإنه سبحانه هو الغني بذاته عما سواه ، وغناه من لوازم ذاته ، والمخلوقات بأسرها - العرش فما دونه - فقيرة محتاجة إليه تعالى في إيجادها وفي قيامها ، لأنه لا قيام لها إلا

^١ «الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل» ، ص ٢٢ .

^٢ «درء تعارض العقل والنقل» (٢٠/٧) ، باختصار.

بأمره ، قال تعالى ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾^١ ، والسماء اسم لما علا وارتفع ، فهو اسم جنس يقع على العرش ، قال تعالى ﴿أمّنتم من في السماء﴾^٢ الآية ، وبحوله وقوته حمل العرش ، وحمل حملة العرش ، وهو الذي ﴿يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾^٣ الآية ، وجميع المخلوقات مشتركون في الفقر والحاجة إلى بارئهم وفاطرهم.

وقد قرر سبحانه كمال غناه وفقر عباده إليه في مواضع من كتابه ، واستدل بكمال غناه - المستلزم لأحدِيَّتِهِ - في الرد على النصارى ، وإبطال ما قالوه من الإفك العظيم والشرك الوخيم ، قال تعالى ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني﴾^٤ الآية ، وكمال غناه يستلزم نفي الصاحبة والولد ، ونفي الحاجة إلى جميع المخلوقات.

ولا يظن أحد يعرف ربه أو شيئاً من عظمته وغناه ومجده أنه محتاج إلى العرش أو غيره ، وإنما يتوهم هذا من هو في غاية الجهالة والضلالة ، أو من لم يعرف شيئاً من آثار النبوة والرسالة ، أو من فسدت فطرته ومُسخ عقله ، بِنَظَرِهِ في كلام الجهمية وأشباههم ، حتى اجتالته الشياطين ، فلم يبق معه أثارة من علم ، ولا نصيب من فهم ، بل استواؤه على عرشه صفة كمال وعز وسلطان ، وهو من معنى اسمه (الظاهر) ، ومعناه: الذي ليس فوقه شيء.

والعلو - علو الذات وعلو القدر وعلو السلطان - كلها ثابتة لله ، وهي صفات كمال تدل على غناه ، وعلو فقر المخلوقات إليه.

^١ الروم: ٢٥ .

^٢ الملك: ١٦ .

^٣ فاطر: ٤١ .

^٤ يونس: ٦٨ .

^٥ أي الله تعالى .

^٦ أي بقية .

والذي ينبغي لأمثالنا ترك الخوض مع هؤلاء المبتدعة الضلال وترك مجالستهم ، قال تعالى ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾^١ . وأكثر المعطلة يزعمون أن تعطيلهم تنزيه للرب عما لا يليق به ، فساء ظنهم ، وعُلْظَ حجاجهم ، حتى توهوا أن إثبات ما في الكتاب والسنة ، على ما فهمه سلف الأمة ؛ مما يُنزهُ الربُّ تبارك وتعالى عنه.^٢

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي^٣ رحمه الله في «فتاواه»^٤ :

«ويجب أن يُعلم أن أن استواء الله على العرش ليس لحاجته إليه ، ولا لكون العرش حاملا له ، فإن السماء فوق الأرض ومحيطه بها ، ولم يلزم أن تكون السماء في قيامها وتماسكها محتاجة إلى الأرض ، ولا أن تكون الأرض حاملة لها ، فالله مستوٍ على عرشه وهو مستغنٍ عنه وعمّا فيه من الكائنات ، وهو فوق عبادة حقيقة...» اهـ.

فالحاصل أنه لا يجوز الاعتراض على صفات الله بمجرد عدم إدراك العقل لها ، فإن هذا من التكذيب لخبر الله وخبر نبيه ﷺ ، وهو فعل أهل الشرك قال تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى أتاهم بأسنا﴾.

^١ الأنعام: ٦٨ .

^٢ «الدرر السنية» (٣/٢٩٢ - ٢٩٤).

^٣ هو الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي النوبي المالكي ، كان بارعا في جميع العلوم ، ولذا عُيِّنَ عضوا في هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء ، ونائبا للمفتي العام بالمملكة العربية السعودية. تتلمذ على يده جم غفير من طلبة العلم ، صار بعضهم في مصاف العلماء. وقع بيده على ألوف الفتاوى الصادرة من لجنة الإفتاء وهيئة كبار العلماء ، وهناك دُونَ أكثر علمه ، وقد جمع بعض طلبة العلم بعض فتاواه ورسائله في مجموع وسموه بـ «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى» ، ونشرته دار الفضيلة بالرياض. توفي رحمه الله عام ١٤١٥ عن اثنين وتسعين عاما قضى شطرها في مصر وشطرها في السعودية. انظر ترجمته في الكتاب المذكور.

^٤ ص ٢٥٢ .

شبهة والجواب عنها

فإن قيل: إن إثبات معنى الاستواء يلزم منه التكييف ، أي ادعاء معرفة كيفية صفة استواء الرب عز وجل ، وعليه فلقائل أن يقول: إن استواء الله كاستواء الرجل على دابته والراكب على سفينته! فالجواب: أن هذا ليس بلازم ، فإن الجهل بكيفية الصفة لا يلزم منه انعدام الصفة ، ولو كان الأمر كذلك لبطلت جميع صفات الرب عز وجل ، لأن جميع صفات الله غيبية ، وكذلك لانعدم شيء من صفات المخلوقين ، كالروح مثلا ، فإن البشر لا يدرون كنهها ، وكل هذا باطل ، فتبين بهذا أن عدم العلم بكيفية الاستواء لا يلزم منه عدم الاستواء ، والله أعلم.

قال ابن عبد البر رحمه الله: فإن قال: إنه لا يكون مستويا على مكان إلا مقرونا بالتكييف ؛ قيل: قد يكون الاستواء واجبا والتكييف مرتفع^١ ، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء ... وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحا في أبداننا ، ولا نعلم كيفية ذلك ، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح ، وكذلك ليس جهلنا بكيفية استوائه على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه.^٢

فائدة

الإقرار باستواء الله على عرشه حقيقة لا يقول بها إلا سُني ، وأما غير أهل السنة فلا يشبتون الاستواء ، بل يؤولونه عن ظاهره ، فصار إثبات هذه الصفة كالفصل بين أهل السنة وغيرهم.^٣

^١ أي غير واجب.

^٢ باختصار مما قاله ابن عبد البر في «التمهيد» (١٢٩/٦ - ١٣٠) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٣٧/٧) من ط المغربية.

^٣ قاله الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله في كتابه «الآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» (٤٩٦/١).

شبهة أخرى والجواب عنها

روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الاستواء إلى السماء هو صعود الأمر فقال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محبوب ، أنا الحسين بن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ ؛ يعني صعد أمره إلى السماء ، ﴿فسواهن﴾ ، يعني خلق سبع سماوات.

والجواب عن هذه الشبهة أن هذا الأثر إسناده ضعيف جدا عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ فإن محمد بن مروان هو السُّدِّي الصغير ؛ كذاب ، والكلبي هو محمد بن السائب ؛ كذاب أيضا ، وأبو صالح هو مولى أم هانئ ؛ متروك وقد كُذِّب كما في «الميزان» ، وهذا الإسناد معروف عندهم بسلسلة الكذب كما في «تدريب الراوي»¹.

أقول: وقد تقدم بيان معنى الاستواء عند السلف رضوان الله عليهم وأئمة اللغة العربية في أول هذا الفصل في الرد على الشبهات المتعلقة بصفة الاستواء.

¹ نقلا من حاشية عبد الله الحاشدي على «الأسماء والصفات» للبيهقي (٣١١/٢).

شبهة والجواب عنها

روى البيهقي رحمه الله عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ ؛ يقول: استوى عنده الخلائق ، القريب والبعيد ، وصاروا عنده سواء.

والجواب عن هذه الشبهة ما قاله البيهقي عقبه: فهذه الرواية منكرة ، وفيه أيضا ركافة ، ومثله لا يليق بقول ابن عباس رضي الله عنهما ، إذا كان الاستواء بمعنى استواء الخلائق عنده ، فإيش المعنى في قوله ﴿على العرش﴾؟

ثم قال: وأبو صالح هذا والكلبي ومحمد بن مروان كلهم متروك عند أهل العلم بالحديث ، لا يحتجون بشيء من رواياتهم لكثرة المناكير فيها ، وظهر الكذب منهم في رواياتهم.^١
ثم قال رحمه الله: وكيف يجوز أن يكون مثل هذه الأقاويل صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ثم لا يرويهما ولا يعرفها أحد من أصحابه الثقات الأثبات ، مع شدة الحاجة إلى معرفتها؟^٢
قلت: ننكر هذا القول المنسوب لابن عباس رضي الله عنهما مع إيماننا باستواء الخلائق عند الله تعالى في إحاطته بهم الإحاطة السمعية والبصرية والعلمية ، أما استواؤه تعالى الخاص به فهو استواؤه على عرشه ، كما وصف بذلك نفسه ، لا يُجاوز القرآن.

^١ «الأسماء والصفات» للبيهقي (٣١٢/٢ - ٣١٣) ، باختصار.

^٢ «الأسماء والصفات» للبيهقي (٣١٣/٢).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

تنبيه إلى أن الكلام في الاستواء ليس بدعة

تنبيه إلى أن الكلام في الاستواء ليس بدعة

الكلام في الاستواء ليس بدعة ، فقد تكلم فيه الصحابة والتابعون ، وإنما البدعة الكلام في كلفيته^١. ولهذا لما جاء رجل إلى الإمام مالك فسأله عن كيفية استواء الله ؛ تعيَّظ رحمه الله ، ثم بيَّن له أن معنى الاستواء معلوم عند العرب ، وإنما أنكر عليه طلبه لمعرفة كيفية الاستواء ، لا طلب معنى الاستواء.

^١ قاله ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (١٣٥/٥).

خاتمة

وختاماً لفصل الشبهات الواردة في مسألة استواء الله على عرشه ، فهذه نتائج المناقشات العلمية لتلك الشبهات:

١ . ما قاله الإمام محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله:

وقد أشار تعالى في سورة الفرقان أن وصف الله بالاستواء صادر عن خير بالله وبصفاته ، عالم بما يليق به وبما لا يليق ، وذلك في قوله تعالى ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾.

فتأمل قوله ﴿فاسأل به خبيراً﴾ بعد قوله ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ تعلم أن من وصف الرحمن بالاستواء على العرش خبير بالرحمن بصفاته ، لا يخفى عليه اللائق من الصفات وغير اللائق ، فالذي نبأنا بأنه استوى على عرشه هو العليم الخبير الذي هو الرحمن ، وقد قال تعالى ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾.

وبذلك تعلم أن من يدعي أن الاستواء يستلزم التشبيه وأنه غير لائق ؛ غير خبير ، نعم والله هو غير خبير.^١

٢ . أن المقصود باستواء الله على عرشه هو علوه عليه.

٣ . أن إخراج صفة الاستواء أو غيرها من الصفات عن حقيقتها المعلومة إنما هو إنكار لتلك الصفة أصلاً ، ومن ثم تَنقُصُ الموصوف ، وفي هذا من الخطورة على دين قائل ذلك ما فيه.

٤ . أن تفسير استوى باستولى ، أو حصر نصوص العلو بالعلو المعنوي لا الذاتي يعد من تحريف كلام الله عن مواضعه ، والعدول بمعاني كلام الله عن وجهتها الحقيقية إلى وجهة أخرى ليست هي

^١ «أضواء البيان» (٧/٤٩٩-٥٠٠) ، تفسير سورة محمد..

المقصودة ، وهذا حرام بذاته ، ومحرم من جهة أن فيه مشابحة لليهود ، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته المسماة «الكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية»:

فأبوا وقالوا: حنطة لهوان	أمر اليهود بأن يقولوا: حطة
فأبى وزاد الحرف للنقصان	وكذلك الجهمي قيل له: استوى
لغةً وعقلاً ما هما سيان	قال: استوى استولى وذا من جهله
باستولى فلا تخرج عن القرآن	عشرون وجهاً تُبطل التأويل
تصنيف حبر عالم رباني	قد أفردت بمصنفٍ هو عندنا
قد أبطلت هذا بحسن بيان	ولقد ذكرنا أربعين طريقة
لا تختفي إلا على العميان	هي في «الصواعق» إن تُرد تحقيقها
في وحي رب العرش زائدتان	نونُ اليهود ^١ ولا مٌ جهمي ^٢ هما

^١ أي النون في كلمة: حنطة.

^٢ أي اللام في كلمة: استولى.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

خاتمة لفصل الشبهات الواردة في صفة الاستواء والجواب عنها

٥. أن تفسير الاستواء بالاستيلاء ليس إلا وصف لله بغير ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ ، وهذا من سوء الأدب مع الله ، ومن القول على الله بغير علم ، والقول على الله بغير علم من كبائر الذنوب قال تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾^١.

^١ سورة الأعراف: ٣٣ .

شبهة والجواب عنها

ومن المقولات التي تنافي عقيدة العلو ؛ مقولة (إن الله يُحَلُّ في كل مكان) ، والتي تقولها فرقة «الجهمية» ، ويُسمَّى من يقول ذلك من الطوائف أيضا بـ «الحُلُولية» ، لأنهم يقولون بحُلُول الله في كل مكان ، وهذه المقولة باطلة من عشرين وجها:

الأول: أنه من المُسلِّمات عند أهل السنة والجماعة أن أسماء الله وصفاته توقيفية ، أي متوقف ثبوتها على الدليل الشرعي من الكتاب والسنة الصحيحة ، ولا مجال للعقل أن يخوض فيها إثباتا أو نفيا ، لأن صفات الله من الغيب ، الذي لا يُعلم إلا من طريق الوحيين ، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ادعى الغيب ، ووصفهُ باطل ، فإذا تقرر هذا فوصف الله بأنه في كل مكان باطل ، لأنه ليس له مستند من الكتاب والسنة ، بل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم كلها تدل على نقيض ذلك ، وهو اتصاف الله تعالى بالعلو في السماء فوق العرش ، سبحانه وتعالى .

قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري^١ رحمه الله: وأما قرب ذاته منهم^٢ فليس عليه دليل ينص عليه لا من القرآن ولا من السنة ، وما ليس عليه دليل ينص عليه فليس عليه تعويل ، فيجب إثبات ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ وإمراره كما جاء ، وترك ما سوى ذلك من أقوال الناس وإن كانوا من الأكابر المرموقين ، قال الله تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ، وقال تعالى ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْاُمِّيَّ الَّذِي يَأْمُرُ بِاللَّهِ

^١ هو الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري ، نزيل الرياض ، من علماء القرن الرابع عشر الهجري ، له باع طويلة في العقيدة والفقه ، كما أن له جهد مشكور ومشهور في الرد على من زاغ عن الحق وشغب على السنة وأهلها ، توفي رحمه الله عام ١٤١٣ هـ .

^٢ أي: من الناس .

وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون^١ ، والكلام في الصفات بابه التوقيف ، ولا دخل للاجتهاد في ذلك ، وإذا علم هذا فليعلم أيضا أن من أثبت لله صفة لم ترد في القرآن ولا في السنة فقولته مردودٌ عليه كائنا من كان.^١

فقول: (إن الله في كل مكان) يلزم منه رد نصوص القرآن والسنة المثبتة لعلو الرب عز وجل ، والتي تقدم ذكر جملة كثيرة منها في أول هذا الكتاب ، وكذلك رد إجماع السلف الصالح ومن تبعهم على علو الله تعالى ، وهذا مناف لدين الإسلام.

الوجه الثاني: يقال لمن قال: (إن الله في كل مكان): هل كان النبي ﷺ يعلم هذه المقولة؟

فإن قال إنه لم يكن يعلمها ؛ فيقال له: فكيف علمتها أنت؟ ءأنزل عليك الوحي؟ أم ماذا؟

وإن قال إنه كان يعلمها ؛ فيقال له: هل بيَّنها للناس أم كتمها؟

فإن قال إنه كتمها فقد طعن في النبي ﷺ ، وكذب على الله ورسوله ، وكذب قول الله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

وإن قال إنه لم يكتمها ؛ فيقال له: أين قالها؟ فهذه كتب الحديث النبوي بين أيدينا ، أين الحديث

الصحيح الذي فيه أن النبي ﷺ قال إن الله في كل مكان؟

فعندئذ سيتبين له بطلان مقالته ، ويرجع إن شاء الله إلى ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الله فوق عرشه ، فوق السماء السابعة ، بائن من خلقه.

الوجه الثالث: ومن وجوه بطلان مقولة: (إن الله في كل مكان) إجماع علماء الأمة على بطلانها ،

وإجماع المسلمين حجة شرعية ، لأن النبي ﷺ أخبر أن أمته لا تجتمع على ضلالة ، وممن نُقل عنهم

^١ «إثبات علو الله ومباينته لخلقه»، ص ١٥١ ، باختصار.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

إنكار هذه المقولة إبراهيم النخعي^١ ، وأيوب السخيتاني^٢ ، وأبو حنيفة^٣ ، وسلام بن أبي مطيع^٤ ، وحماد بن زيد البصري^٥ ، وعبد الله بن المبارك^٦ ، وعباد بن العوام^٧ ، وجريير الضبي^٨ ، وعبد الله بن أبي جعفر الرازي^٩ ، وعلي بن عاصم محدث واسط^{١٠} ، ووهب بن جرير^{١١} ، وسعيد بن عامر

^١ هو الإمام الحافظ ، فقيه العراق ، أبو عمران ، إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني ثم الكوفي ، له رواية في الحديث ، مات سنة ٩٦ ، وقد نقل ابن القيم إنكاره مقولة: (إن الله بكل مكان) في حاشيته على سنن أبي داود ص ٢١٨٤ - ٢١٨٥ ، تحقيق د. إسماعيل بن غازي مرجبا ، (الناشر: مكتبة المعارف - الرياض). انظر ترجمته في «السير» (٥٢٠/٤).

^٢ هو الإمام الحافظ سيد العلماء ، أبو بكر بن أبي تيممة كيسان العنزي ، مولاهم ، البصري ، روى قريبا من ثمانمائة حديث ، توفي سنة ١٣١ ، انظر ترجمته في «السير» (١٥/٦).

^٣ تقدمت ترجمته.

^٤ هو الإمام الثقة القدوة ، أبو سعيد الخزازي ، مولاهم البصري ، له رواية في الحديث ، توفي سنة ١٦٤ ، انظر ترجمته في «السير» (١٦٠/٧).

^٥ هو العلامة الحافظ الثبت محدث الوقت ، أبو إسماعيل الأزدي ، توفي سنة ١٧٩ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٦/٧).

^٦ تقدمت ترجمته.

^٧ هو عبد الله بن العوام بن عمر ، الإمام المحدث الصدوق ، له رواية للحديث النبوي ، بل حدث عنه أحمد بن حنبل ، توفي سنة بضع وثمانين ومائة ، انظر ترجمته في «السير» (٥١١/٨).

^٨ هو جرير بن عبد الحميد بن يزيد ، الإمام الحافظ القاضي ، الضبي الكوفي ، له رواية للحديث النبوي ، توفي سنة ١٨٨ ، انظر ترجمته في «السير» (٩/٩).

^٩ روى له أبو داود ، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة الرازي ، توفي ما بين سنة ١٨١ - ١٩٠ كما ذكر الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٨٧٤/٤) ، وانظر كلامه في إنكار مقولة الجهمية في «العلو» ص ١٦١ .

^{١٠} هو علي بن عاصم بن صهيب ، الإمام العالم ، شيخ المحدثين ، مسند العراق ، أبو الحسن القرشي التيمي ، توفي سنة ٢٠١ ، وكلامه في إنكار مقولة الجهمية مثبت في «العلو» ص ١٥٧ ، انظر ترجمته في «السير» (٢٤٩/٩).

^{١١} هو الإمام الحافظ الصدوق ، وهب بن جرير بن حازم ، أبو العباس الأزدي البصري ، له رواية للحديث النبوي ، مات سنة ٢٠٦ ، وكلامه في إنكار مقولة الجهمية مثبت في كتاب «العرش» للذهبي ، ص ٨٣ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٤٢/٩).

الضبعي^١ ، وابن قتيبة الدينوري^٢ ، وعبد الله بن الزبير الحميدي شيخ البخاري أيضا^٣ ، وابنه عاصم بن علي شيخ البخاري^٤ ، ويحيى بن إبراهيم الطليطلي المالكي^٥ في كتابه «سير الفقهاء» ، وأبو معمر القطيعي^٦ ، وأبو جعفر بن أبي شيبة^٧ في كتابه «العرش» ، ونفطويه^٨ - شيخ العربية - وقد ألف كتابا في الرد على نفاة العلو والاستواء أسماه «الرد على الجهمية» ، والعلامة أبو بكر بن

^١ تقدمت ترجمته.

^٢ هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد الدينوري ، صاحب التصانيف الكثيرة ، نشأ في بغداد ، وتعلم فيها على يد مشاهير علمائها ، فأخذ الحديث عن أئمة المشهودين وفي مقدمتهم إسحاق بن راهويه ، أحد أصحاب الإمام الشافعي ، توفي رحمه الله سنة ٢١٣ ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٥٦٥/٦).

وكلام ابن قتيبة في إنكار مقولة (إن الله في كل مكان) مثبت في كتابه «تأويل مختلف الحديث» ص ١٨٢ - ١٨٣ .

^٣ هو الإمام الحافظ الفقيه ، شيخ الحرم ، صاحب «المسند» ، إمام في الحديث ، توفي رحمه الله سنة ٢١٩ ، وانظر كلامه في إنكار مقالة الجهمية في «العلو» ، و «اجتماع الجيوش» ص ٢٢٠ . انظر ترجمته في «السير» (٦١٦/١٠).

^٤ يكفي في ترجمته أن حدّث عنه البخاري وأبو داود ، وكان حافظا صدوقا ، مات سنة ٢٢١ ، انظر ترجمته في «السير» (٢٦٢/٩).

^٥ يحيى بن إبراهيم هو العلامة المحدث الفقيه المالكي ، العالم بالحديث ورجاله ، من أهل قرطبة ، وكان جده مولى لرملة بنت عثمان بن عفان ، له مصنفات منها: شرح الموطأ ، فضائل القرآن ، توفي سنة ٢٥٩ هجري ، انظر «الأعلام» للزركلي ، (١٣٤/٨).

^٦ هو الإمام الحافظ الكبير الثبت ، أبو معمر ، إسماعيل بن إبراهيم الهذلي الهروي ، توفي سنة ٢٦٣ ، انظر ترجمته في «السير» (٦٩/١١).

^٧ تقدمت ترجمته.

^٨ هو الإمام الحافظ النحوي العلامة الأخباري ، أبو عبد الله ، إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي الواسطي ، صاحب التصانيف ، كان ذا سنة ودين وفتوة ومروءة ، توفي سنة ٣٢٣ ، انظر ترجمته في «السير» (٧٥/١٥).

موهب المالكي^١ ، ويحيى بن عمار^٢ ، والإمام البيهقي^٣ ، وشيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري^٤ ،
، والإمام محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي^٥ في تفسيره «معالم التنزيل» ، وإسماعيل بن محمد
التيمي الأصبهاني^٦ ، والشيخ عبد القادر الجيلاني^٧ ، وغيرهم رحمهم الله جميعا.^٨

فصل في حكاية إجماع العلماء على إنكار القول بأن الله في كل مكان

وقد حكى إجماع العلماء على إنكار القول بأن الله في كل مكان ابن بطة رحمه الله حيث قال:
وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى
على عرشه ، فوق سماواته ، بائن من خلقه^٩ ، وعلمه محيط بجميع خلقه ، لا يأبى ذلك ولا ينكره
إلا من انتحل مذهب الحلولية ، وهم قوم زاغت قلوبهم ، واستهوتهم الشياطين ، فمرقوا من
الدين ، وقالوا: إن الله ذاته لا يخلو منه مكان ، فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء ، وهو

^١ تقدمت ترجمته ، وانظر كلامه في «العلو» ص ٢٦٤ .

^٢ تقدمت ترجمته .

^٣ انظر كتابه «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» ، باب القول في الاستواء .

^٤ تقدمت ترجمته ، وقد نقل كلامه ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ، ص ١٨٦ ، فنقل عنه قوله: ألعن من لم يعتقد أن الله في السماء .

^٥ هو الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة ، أبو محمد ، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي المفسر ، صاحب التصانيف كـ «شرح السنة» وغيره ، توفي سنة ٥١٠ ، وكلامه في إنكار مقولة الجهمية مثبت في «معالم التنزيل» عند تفسير قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ ، الأعراف: ٥٤ . انظر ترجمته في «السير» (٤٣٩/١٩) .

^٦ تقدمت ترجمته ، وكلامه في إنكار مقولة الجهمية مثبت في كتابه «الحجة في بيان المحجة» (١١٢/٢) وما بعده .

^٧ تقدمت ترجمته ، وانظر «العلو» ص ٢٦٥ ، حيث قال: ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال إنه في السماء على العرش ، كما قال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ .

^٨ انظر أقوالهم في كتاب «العلو» للذهبي رحمه الله ، وفي المصادر الخال عليها .

^٩ بائن من خلقه أي منفصل عنهم ، غير مخالط لهم ولا ممزوج ، ومنه بان المرأة من زوجها أي انفصلت عنه بالطلاق .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

بذاته حال في جميع الأشياء ، وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين.^١

وقال الشيخ أبو بكر الباقلاني في كتابه «الإبانة»:

فإن قيل: هل تقولون إنه في كل مكان؟

قيل: معاذ الله ، بل هو مستوٍ على عرشه ، كما أخبر في كتابه فقال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، وقال ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ، وقال ﴿أمنت من في السماء﴾. قال: ولو كان في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه ، وفي الحشوش ، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن ، ويصح أن يُرغب^٢ إليه إلى نحو الأرض ، وإلى خلفنا ويمينا وشمالنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.^٣

الوجه الرابع: ومن أدلة بطلان مقولة الجهمية القائلين: (إن الله في كل مكان) ؛ إجماع العلماء على تكفيرهم ، فقد كفر أئمة السلف الجهمية ، بل كفرهم خمسمائة عالم من علماء السلف ، كما قال ابن القيم رحمه الله في «نونيته»:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني

^١ «الإبانة» (٣/١٣٦).

^٢ أي يُدعى وتوجه الأيدي إليه.

^٣ أورده الذهبي في «العلو» ، ص ٢٣٨ .

وقد تقدم أن إجماع العلماء حجة شرعية ، لقول النبي ﷺ : إن الله لا يجمع أمتي - أو قال أمة محمد ﷺ - على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة.^١

وهذه بعض فتاوى علماء السلف في تكفير الجهمية:

قال يزيد بن هارون في الجهمية: هم كفار ، لا يعبدون شيئا.^٢

وقال ابن خزيمة رحمه الله: من لم يقر بأن الله على عرشه ، استوى فوق سبع سماواته ، بائن من خلقه ؛ فهو كافر ، يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وألقي على مزبلة لثلا يتأذى بريجه أهل القبلة والذمة.^٣

وهكذا أفتى الإمامان أحمد وأبو حنيفة بكفر من أنكر أن الله في السماء ، فقد سئل الإمام أحمد عن من يقول: إن الله تعالى ليس على العرش ، فقال: كلامهم كله يدور على الكفر.^٤

وقال الذهبي في كتاب «العلو»: بلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي - صاحب «الفقه الأكبر» - قال: سألت أبا حنيفة عن من يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض ، فقال: قد كفر ، لأن الله تعالى يقول ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وعرشه فوق سماواته.

فقلت: إنه يقول: أقول على العرش استوى ، ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض.

^١ تقدم تخريجه.

^٢ رواه عنه الخلال في «السنة» (١٦٩٧).

^٣ أخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله» وصحح إسناده ابن تيمية في «الفتاوى الحموية» ، ورواه أيضا الحاكم في «علوم الحديث» و «تاريخ نيسابور» ، وعنه الشيخ أبو إسماعيل الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص ٢٨ - ٢٩ .

^٤ انظر كتاب «العلل ومعرفة الرجال» ، رواية أبي الحسن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني.

قال: إذا أنكر أنه^١ في السماء فقد كفر.^٢

وروى الذهبي بإسناده عن الإمام موفق الدين بن قدامة ، عبد الله بن أحمد المقدسي قال: بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر.^٣
علق ابن تيمية رحمه الله فقال:

ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كَفَّرَ الواقف الذي يقول: (لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض) ، فكيف يكون الجاحد النافي ، الذي يقول (ليس في السماء) ، أو (ليس في السماء ولا في الأرض)؟^٤

ومن أفتى بكفر الجهمية أيضا حرب بن إسماعيل الكرماني^٥ ، من أصحاب أحمد ، حيث قال: الجهمية أعداء الله ، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق ، وأنه لا يعرف لله مكان ، وليس على عرش ، ولا كرسي ، وهم كفار فاحذروهم.^٦

وقال محمد بن الحسن - صاحب أبي حنيفة - : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف^٧ ولا تشبيه ، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق

^١ أي العرش.

^٢ «العلو» للذهبي ، ص ١٣٥-١٣٦ .

^٣ «العلو» ص ١٣٦ .

^٤ «مجموع الفتاوى» (٤٨/٥).

^٥ هو الإمام العلامة أبو محمد ، حرب بن إسماعيل الكرماني ، الفقيه ، تلميذ أحمد بن حنبل ، له رواية للحديث النبوي ، وله كتاب «المسائل» عن الإمام أحمد ، توفي سنة ٢٨٠ . انظر ترجمته في «السير» (٢٤٤/١٣) و «طبقات الحنابلة» (٣٨٨/١).

^٦ رواه ابن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية» كما في كتاب «العرش» للذهبي ، ص ١٠٤ .

^٧ يعني بالتفسير والوصف أي التكييف والتمثيل.

وفارق الجماعة ، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة ، لأنه قد وصفه بصفة لا شيء.^١

وروى الدارقطني في «الصفات»^٢ ، وعبد الله بن أحمد في «السنة»^٣ ، والخطيب في «تاريخ بغداد»^٤ ، عن محمد بن مصعب العابد^٥ قوله: أشهد أنك فوق العرش ، فوق سبع سماوات ، ليس ليس كما يقول أعداء الله الزنادقة.

وهكذا الأصمعي أفتى بكفر نفاة العلو.^٦

وقال خارجة بن مصعب^٧: الجهمية كفار ، أبلغ نساءهم أنهن طوالق لا يحملن لهم ، لا تعودوا مرضاهم ، ولا تشهدوا جنازتهم ، ثم تلا ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ إلى قوله عز وجل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.^٨

^١ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٤٨٠).

^٢ ص ٧٣ .

^٣ رقم (٢١٩).

^٤ (٤٥١/٤).

^٥ محمد بن مصعب ، أبو جعفر الدّعَاء ، كان أحد العباد المذكورين ، والقراء المعروفين ، أثنى عليه أحمد بن حنبل ووصفه بالسنة ، له له رواية للحديث النبوي ، توفي سنة ٢٢٨ . انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» (٤/٤٥١).

^٦ أورد الذهبي كلامه في كتاب «العلو» ص ١٥٩ .

^٧ هو خارجة بن مصعب بن خارجة ، الإمام العالم المحدث ، شيخ خراسان ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة ١٦٨ . انظر ترجمته في «السير» (٧/٣٢٦).

^٨ رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠) ، ومن طريقه الخلال في «السنة» (١٦٩١).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

وروى أبو داود^١ بسنده عن وكيع قال: كَفَرَ بشر بن المريسي في صفة هذه ، قال: هو في كل شيء^٢.

قيل له: وفي قَلَسُوتِكَ^٣ هذه؟

قال: نعم.

قيل له: وفي جوف حمار؟

قال: نعم.^٤

قلت: تعالى الله عما يقول الجهمية علوا كبيرا ، وصدق عبد الله بن المبارك رحمه الله: **إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ° ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِي كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ ٦ .**
وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن المبارك فقال:

^١ هو أبو داود السجستاني.

^٢ يعني الله تعالى وتقدس.

^٣ القَلَسُوتَةُ هي الطاقية ، وهي لباس معروف من ملابس الرؤوس ، وانظر «لسان العرب» ، مادة: قلس.

^٤ أورده ابن عبد البر في «التمهيد» (١٣٣/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٤٢/٧ - ١٤٣) من ط المغربية.

^٥ يعني مثل قولهم: (إن الله ثالث ثلاثة) ، وقول اليهود (عزير ابن الله) ، ونحو ذلك من الأقوال الباطلة ، كمجرد حكاية ونقل.

^٦ رواه الآجري في «الشرعة» (١٠/٢) ، والحلال في «السنة» (١٧١٦) ، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢٣).

فائدة:

قال ابن تيمية رحمه الله:

وكان أئمة المسلمين بالمشرك أعلم بحقيقة قوله (أي الجهم بن صفوان) من علماء الحجاز والشام والعراق ، ولهذا يوجد لعبدالله بن المبارك وغيره من علماء المسلمين بالمشرك من الكلام في الجهمية أكثر مما يوجد لغيرهم ، مع أن عامة أئمة المسلمين تكلموا فيهم ، ولكن لم يكونوا ظاهرين إلا بالمشرك ، لكن قوي أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرك ، وتلقى عن هؤلاء ما تلقاه. انتهى من «مجموع الفتاوى» (١٨٢/١٣ - ١٨٣) ، باختصار.

عجبت لشيطان أتى الناس داعيا إلى النار واشتق اسمه من جهنم^١

وقال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية»:

وجميع البدع كبدع الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية لها شبهة في نصوص الأنبياء ، بخلاف بدعة الجهمية النفاة ، فإنه ليس معهم فيها دليل سمعي أصلا ، ولهذا كانت آخر البدع حدوثا في الإسلام ، ولما أحدثت أطلق السلف والأئمة القول بتكفير أهلها ، لعلمهم بأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق ، ولهذا يصير محققوهم إلى مثل فرعون ، مُقَدَّم^٢ المعطلة ، بل وينتصرون له ويعظمونه .

والمبطلون يعارضون نصوص الكتاب والسنة بأقوالهم ، وبيان فسادها أحد ركني الحق وأحد المطلوبين^٣ ، فإن هؤلاء لو تركوا نصوص الأنبياء لَهَدَّتْ وَكَفَّتْ^٤ ، ولكن صالوا عليها صول المخارِبين^٥ المحارِبين لله ولرسوله ، فإذا دُفِعَ صيَاحُهم وبُيِّنَ ضلالُهم كان ذلك من أعظم الجهاد في سبيل الله .

وقال أيضا:

من له عناية بآثار السلف يعلم علما يقينيا أن قول النفاة إنما حدث فيهم في أثناء المائة الثانية ، وأن أول من ظهر ذلك عنه الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ، وقد قتلها المسلمون ، وكلام السلف والأئمة في ذم الجهمية أعظم وأكثر من أن يُذكر هنا ، حتى كان غير واحد من الأئمة يخرجهم عن

^١ أي أن اسمه «جهم» مشتق من كلمة «جهنم» ، والأثر ذكره اللالكائي عن ابن أبي حاتم تعليقا كما في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦٣٩).

^٢ أي إمامهم.

^٣ الركن الأول هو الدعوة إليه ، والثاني الدفاع عنه وجهاد من صال عليه .

^٤ أي هدت الناس إلى الحق وكفتهم.

^٥ «بيان تلبيس الجهمية» (٥٩٢/١) ، وانظر «الدرء» (٢٠٦/٤).

وقال في «بيان تلبيس الجهمية» (٥٥٦/١): وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص ، كالخوارج والشيعة والقدرية والرافضة والمرجئة وغيرهم ، إلا الجهمية فإنهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه من النفي .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

عِدَاد الأَمة ، وقال يوسف بن أسباط^١ وعبد الله بن المبارك: أصول الثنتين وسبعين فرقة أربع: الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية.

فقيل لابن المبارك: فالجهمية؟

فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد ﷺ.^٢

وقال أيضا: أطلق السلف من القول بتكفيرهم ما لم يطلقوه بتكفير أحد ، وقالوا: اتفقت المسلمون واليهود والنصارى على أن الله تعالى فوق العرش ، وقالت الجهمية: ليس فوق العرش.^٣

وقال البخاري: ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى ، ولا يُسَلَّم عليهم ولا يُعَادُون ولا يُنَاكحون ولا يُشْهَدون^٤ ولا تَوَكَّل ذبائِحهم.^٥

قال الذهبي رحمه الله: سائر أئمة السلف والخلف على نفي الخلقية عن القرآن^٦ ، وتكفيرهم الجهمية.^٧

وقال اللالكائي بعدما سرد أسماء الخمسمائة وخمسين عالما الذين أفتوا بكفر الجهمية:

^١ هو الشيخ الزاهد الواعظ ، من سادات المشايخ ، له رواية للحديث النبوي ، توفي ما بين ١٥١ - ١٦٠ . انظر ترجمته في

«السير» (١٦٩/٩) و «تاريخ الإسلام» (٤/١٢٥٥).

^٢ «درء تعارض العقل والنقل» (٧/١٠٩-١١٠).

^٣ «بيان تلبس الجهمية» (١/١٢٧) باختصار.

^٤ أي: لا تُطلب منهم الشهادة ، لأنهم فجارٌ ليسوا عدول.

^٥ «خلق أفعال العباد» ، ص ١١ .

^٦ أي نفي أن القرآن مخلوق ، بل هو كلام الله غير مخلوق كما قال تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾.

^٧ «السير» (١٢/٤٧٨).

فهؤلاء خمس مائة وخمسون نفسا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الخيِّرين ، على اختلاف الأعصار ، ومُضَيِّ السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم ، وتديَّنوا بمذاهبهم ، ولو اشتغلتُ بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفا كثيرة ، لكنني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار ، ونقلت عن هؤلاء عصرا بعد عصر ، لا يُنكَّر عليهم منكرٌ ، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه.^١

الوجه الخامس: ومن وجوه بطلان هذه المقولة المنكرة أن لازم هذه المقولة أن عباد الأصنام إنما يعبدون الله في الحقيقة ، لأن الله حلٌّ في ذلك الصنم - على حد قولهم - ، فمن عبد الصنم فقد عبد الله ، وهذا قول ظاهر البطلان ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

قال أبو سعيد الدارمي رحمه الله: ومن لم يعرف أن إلهه فوق عرشه ، فوق سماواته ؛ وإنما يعبد غير الله ، ويقصد بعبادته إلى إله في الأرض ، ومن قصد بعبادته إلى إله في الأرض كان كعابد وثن ، لأن الرحمن على العرش ، والأوثان في الأرض.^٢

الوجه السادس: ومن وجوه بطلان هذه المقولة المنكرة أن نفي العلو عن الله فيه تنقص لله سبحانه وتعالى ، إذ العلو صفة كمال ، وأما السفلى والانخفاض فصفة نقص ، فمن نفى عن الله العلو فقد تنقص الله ، وهذا مخالف لما يجب الإيمان به من أن الله تعالى له المثل الأعلى في كل الصفات ؛ قال تعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾.

قال الإمام أحمد رحمه الله في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» بعد ذكر بعض الآيات التي تقرر علو الله عز وجل:

^١ «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ، (٣٤٤/٢) ، وقد استغرق ذكر أولئك العلماء الصفحات من ٢٥٣ إلى ٣٤٤.

^٢ «الرد على بشر المريسي» (٤٨٩/١).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

فهذا خبر الله ، أخبرنا أنه في السماء ، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموما بقول الله جل ثناؤه ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ ، ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾.

قال ابن تيمية رحمه الله في تعليقه على كلام الإمام أحمد:

وهذه الحجة من باب قياس الأولى ، وهو أن السفلى مذموم في المخلوق ، حيث جعل الله أعداءه في أسفل السافلين ، وذلك مستقر في فطر العباد ، حتى إن أتباع المضلين طلبوا أن يجعلوهم تحت أقدامهم ليكونوا من الأسفلين ، وإذا كان هذا مما ينزه عنه المخلوق ويوصف به المذموم المعيب من المخلوق ؛ فالرب تعالى أحق أن ينزه ويقدم عن أن يكون في السفلى أو يكون موصوفا بالسفلى ، هو أو شيء منه ، أو يدخل ذلك في صفاته بوجه من الوجوه ، بل هو العلي الأعلى بكل وجه ، ولهذا يروى عن بشر المريسي أنه كان يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل.

وكذلك بلغني عن طائفة من أهل زماننا أن منهم من يقول: إن يونس عرج به إلى بطن الحوت كما عرج بمحمد إلى السماء ، وأنه قال: لا تفضلوني على يونس ، وأراد هذا المعنى!

وقال ابن بطلة رحمه الله:

ثم ذم ربنا تعالى ما سفلى ، ومدح ما علا ، فقال ﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ يعني السماء السابعة ، والله تعالى فيها ، وقال ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ يعني الأرض السفلى ، فزعم الجهمي والحلولي أن الله هناك ، حيث يكون كتاب الفجار الذي ذمه الله وسفله ، تعالى الله عما يزعم هؤلاء علوا.

¹ «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٥٤٣).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

وقال ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ فذم الأسفل ، وقال ﴿نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾.

وعاقب الله آدم وحواء حين عصيا بأن أهبطهما وأنزلهما.^١

الوجه السابع: ومن وجوه بطلان مقولة (إن الله في كل مكان) أنها باطلة من جهة ما يلزم منها ؛ وهو أن يكون الله سبحانه في الحشوش والأخيلية وحوانيت الخمر ودور البغاء وأجواف الخنازير وأماكن النجاسات وسائر الأمكنة القدرة ، - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - ، بل في النار مع أهل النار ، وفي ذات إبليس ، وهذا من أبطل الباطل ، لأن الحلول في تلك الأماكن وغيرها ينافي عظمة الله عز وجل وتقديسه وتنزيهه ، ولو قيل لذلك الحلولي: (إن أحدا ممن يُكْرَمُهُ ويُجَبُّهُ يحل في ذات إبليس) لنزهه عن ذلك ، فكيف بالله تعالى؟^٢

قال الإمام أحمد في معرض رده على الجهمية: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء.^٣

فقالوا: أي مكان؟

فقال: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القدرة ليس فيها من عظمة الرب شيء.^٣

قال ابن تيمية رحمه الله معلقا على كلام الإمام أحمد:

^١ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٤٢/٣-١٤٣).

^٢ انظر المصدر السابق (١٣٩/٣).

^٣ «الرد على الجهمية والزنادقة» ص ١٤٤ .

فهذا الذي ذكره متضمن إجماع المسلمين ، ويتضمن أن ذلك من المعروف في فطرتهم التي فطروا عليها.

وقوله^١: (من عظمة الرب)^٢ ، كلمة شديدة ، فإن اسمه العظيم يدل على العِظم الذي هو قدره. وذكر الأحشاش والأجواف ، لأن علم المسلمين بذلك ببديهة حسهم وعقلهم ، ولأن في ذلك ما يجب تنزيه الرب عنه ، إذ كان من أعظم كفر النصارى دعواهم ذلك في واحد من البشر^٣ ، فكيف من^٤ يدعيه في البشر كلهم؟

وكذلك ما ذكره من أجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة فإن هذا كما تقدم مما يعلم بالضرورة العقلية الفطرية أنه يجب تنزيه الرب وتقديسه أن يكون فيها أو ملاصقا لها أو مماسا. وتخصيص هذه الأجسام القذرة والأجواف بالذكر ؛ فيه اتباع لطريقة القرآن في الأمثال والأقيسة المستعملة في باب صفات الله سبحانه^٥.

وقال أيضا: وذلك أن النجاسات مما أمر الشارع باجتنابها والتنزه عنها ، وتوعد على ذلك بالعقاب ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: (تنزهوا عن البول ، فإن عامة عذاب القبر منه) ، وهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام ، وهي مما فُطرت القلوب على كراهتها والنفور عنها واستحسان مجانبتها لكونها خبيثة ، فإذا كان العبد المخلوق الموصوف بما شاء الله من النقص والعيب الذي يجب تنزيه الرب عنه لا يجوز أن يكون حيث تكون النجاسات ، ولا أن يباشرها

^١ أي الإمام أحمد رحمه الله.

^٢ في المطبوع: (من عَظَمَ الرب) ، والصواب ما أثبتته ، كما هو مذكور من كلام الإمام أحمد قبله بأسطر.

^٣ وهو عيسى عليه الصلاة والسلام.

^٤ لعل الأولى: بمن.

^٥ «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٥٣٥).

ويلاصقها لغير حاجة ، وإذا كان لحاجة يجب تطهيرها ، ثم إنه في حال صلاته لربه يجب عليه التطهير ، فإذا أوجب الرب على عبده في حال مناجاته أن يتطهر له ويتنزه عن النجاسة ؛ كان تنزيه الرب وتقديسه عن النجاسة أعظم وأكثر ، للعلم بأن الرب أحق بالتنزيه عن كل ما ينزه عنه غيره.^١

وقال أيضا:

فإذا كان^٢ ملعونا مبعدا مطرودا عن أن يجتمع بملائكة الله ، أو يسمع منهم ما يتكلمون به من الوحي ؛ فمن المعلوم أن بُعد الله أعظم ، فإذا كان كثير من الأمكنة مملوءا ، وكان تعالى في كل مكان ؛ كان الشياطين قريبين منه ، غير مُبعدين عنه ولا مطرودين ، بل كانوا متمكنين من سماع كلامه منه ، دع الملائكة ، وهذا يعلم بالاضطرار وجوب تنزه الله وتقديسه عنه أعظم من تنزيه الملائكة والأنبياء والصالحين.^٣

وقال ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء»:

ما قدر الله حق قدره من لم يصنه عن نتنٍ ولا حُشٍّ^٤ ، ولا مكان يُرغب عن ذكره ، بل جعله في كل مكان ، وصانه عن عرشه أن يكون مستويا عليه ، فصانه عن استوائه على سرير الملك ثم جعله في كل مكانٍ يأنف الإنسان ، بل غيره من الحيوان أن يكون فيه.^٥

قال مقيده عفا الله عنه:

^١ المصدر السابق (٢/٥٣٧).

^٢ أي الشيطان.

^٣ «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٥٤٥) ، باختصار.

^٤ الحش هو مكان قضاء الحاجة ، والذي يسمى في زماننا بالحمام.

^٥ «الداء والدواء» ، ص ٢١٤ ، باختصار.

ومن لوازم قولهم أيضا أن الشمس إذا طلعت فإنها تطلع على الله ، ويصيبه الريح والثلج والبرد.
ومن لوازم قولهم أيضا أنه لو أراد رجل أن يلقي قدرا لألقاه على ربه.
وهذا كله باطل ، والجهمية يقولون هذا كله ولا يستوحشون منه ، نسأل الله العافية ، وصدق فيهم قول عبد الله بن المبارك: إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى^١ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجُهْمِيَّةِ.
فعجبا لمن نزه الله عن علوه على عرشه ولم ينزهه عن الحشوش والأخلية!
ألا يشعر قائل تلك المقولة ويفكر بعقله أيهما أليق بجناب الرب عز وجل؟!
والله إن علو الرب تعالى وبينوته من خلقه لمعلومة بمقتضى العقل والفطرة ، ونفي ذلك مناف للأدلة السمعية وللعقل وللفطرة ، وصدق ابن تيمية رحمه الله إذ قال:
ونفاة الصفات كالجهمية وأشباههم لا يمكنهم النفي إلا إذا تركوا السمع والعقل ، وهذه حال أهل النار الذين قالوا ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾^٢.
فاللهم احفظ علينا عقولنا وفطرتنا التي فطرتنا علينا ، وأعدنا يا رحمن من الزيغ والضلال.
الوجه الثامن: ومن وجوه بطلان مقولة (إن الله في كل مكان) أن الله عز وجل لو كان في كل موضع كما يزعمون ، ومع كل بشر وخلق ؛ لكان متجليا لكل شيء ، وكذلك جميع ما في الأرض ؛ لو كان متجليا لجميع أرضه ؛ سهلها ووعرها ، وجبالها وبراريها ، ومفاوزها ومدنها وقراها وعمرائها وخرابها وجميع ما فيها من نبات وبناء ؛ لجعلها دكا كما جعل الله الجبل الذي تجلى له دكا ، قال الله تعالى ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾^٣.

^١ يعني مثل قولهم: (إن الله ثالث ثلاثة) ، وقول اليهود (عزير ابن الله) ، ونحو ذلك من الأقوال الباطلة ، كمجرد حكاية ونقل.

^٢ «بيان تلبس الجهمية» (٥٠٢/٢) ، بتصرف يسير.

^٣ قاله ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» ، ص ١٩٨ ، باب ذكر استواء خالقنا ، باختصار يسير.

قال الإمام أحمد رحمه الله:

وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان ، لا يخلو منه مكان: أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه ﴿فلما تجلّى ربه للجبل﴾ ؛ لِمَ يتجلّى للجبل إن كان فيه - بزعمهم - ؟ فلو كان فيه كما تزعمون ؛ لم يكن يتجلّى لشيء هو فيه ، ولكن الله جل ثناؤه على العرش ، وتجلّى لشيء لم يكن فيه ، ورأى الجبل شيئا لم يكن رآه قبل ذلك.

وقلنا للجهم: فالله نور؟

فقال: هو نور كله.

فقلنا: فالله قال ﴿وأشرفت الأرض بنور ربها﴾ ، فقد أخبر الله جل ثناؤه أن له نورا ، فقلنا: أخبرونا حين زعمتم أن الله في كل مكان وهو نور ، فَمَ لا يُضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه ، إن زعمتم أن الله في كل مكان؟

وما بال السراج إن أُدخِلَ البيت يضيء؟

فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى.

فرحم الله من عقل عن الله ، ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة ، وقال بقول العلماء ، وهو قول المهاجرين والأنصار ، وترك دين الشيطان ، ودين جهم وشيعته.^١ وبنحوه قال ابن بطة في «الإبانة»^٢.

قلت: ومن المعلوم أن الله تعالى حجاب به النور كما سيأتي تقريره ، فإذا كان الأمر كذلك ، فما بال المكان المظلم لا يضيء من هذا النور طالما أن الله قد حلّ فيه - حسب زعمهم؟

^١ «الرد على الجهمية والزندقة» ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، باختصار يسير.

^٢ (١٤٠/٣).

فعن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سُبحات^١ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.^٢
وعن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ : هل رأيت ربك؟

قال: نور ، أنى أراه؟^٣

والشاهد من الحديث: كيف يصح أن يقال بأن الله معنا في كل مكان ولا نرى من ذلك النور شيئا؟ لا سيما وأن هذا النور حالّ دون رؤية النبي ﷺ لذات الله سبحانه وتعالى لما عُرجَ به إلى السماء.
الوجه التاسع: ومن وجوه بطلان مقولة (إن الله في كل مكان) ما قاله الإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

واعلم أن ما يزعمه الجهمية من أن الله تعالى في كل مكان ضلال مبين ، وجهل بالله تعالى ، لأن جميع الأمكنة الموجودة أحقر وأصغر من أن يحل في شيء منها رب السماوات والأرض الذي هو أعظم من كل شيء ، وأعلى من كل شيء ، محيط بكل شيء ، ولا يُحيط به شيء ، فالسماوات والأرض في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل في يد أحدنا ، وله المثل الأعلى ، فلو كانت حبة خردل في يد رجل فهل يمكن أن يقال: إنه حالٌّ فيها ، أو في كل جزء من أجزائها؟ لا وكلا ، هي أصغر وأحقر من ذلك. فإذا علمت ذلك فاعلم أن رب السماوات والأرض أكبر من كل شيء ، وأعظم من كل شيء ، محيط بكل شيء ، ولا يحيط به شيء ، ولا يكون فوقه

^١ سبحات وجهه أي أنوار وجهه ، وقيل غير ذلك. انظر «النهاية».

^٢ رواه مسلم (١٧٩).

^٣ رواه مسلم (١٨٧).

^٤ تقدم تخريج هذا الحديث في فصل: أدلة علو الله على خلقه.

شيء ، ﴿ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ ، سبحانه وتعالى علوا كبيرا لا نحصي ثناء عليه ، وهو كما أتى على نفسه ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما﴾^١.

وهكذا قال أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني رحمهما الله. قلت: ومصدق ما تقدم حديث ابن مسعود قال: جاء حبر^٢ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد - أو يا أبا القاسم - ، إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك ، أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجبا مما قال الحبر ، تصديقا له ، ثم قرأ ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾^٣.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك ، أين ملوك الأرض؟^٤

قال ابن تيمية رحمه الله: فيجب أن يُعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق سبحانه وتعالى في غاية الصغر لقوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية^٥.

^١ «أضواء البيان» ، تفسير سورة الأنعام ، الآية ٣ ، باختصار يسير.

^٢ أي عالم من علماء اليهود.

^٣ رواه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦) واللفظ له.

^٤ رواه البخاري (٤٨١٢) ومسلم (٢٧٨٧).

^٥ «مجموع الفتاوى» (٦/٥٥٩ - ٦٠٠).

وقال أيضا: ففي هذه الآية والأحاديث الصحيحة المفسرة لها ، المستفيضة ، التي اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين أن السماوات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى عظمة الله تعالى أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا ، حتى يدحوها كما يدحو الكرة.^١

وقال الذهبي رحمه الله: ومما يدل على أن الباري تبارك وتعالى عالٍ على الأشياء ، فوق عرشه المجيد ، غير حالٍّ في الأمكنة ؛ قوله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾.^٢

والشاهد: إن كان الكرسي الذي هو موضع القدمين وسع السماوات والأرض ، فماذا بقي حتى يصح أن يقال: إن الله في كل مكان؟!!

الوجه العاشر: ومما يدل على بطلان مقولة: (إن الله في كل مكان) ما يلزم من إثباتها من تعدد ذات الله ، بحسب عدد الأمكنة ، وهذا شر من قول النصارى: إن الله ثالث ثلاثة ، والواجب تنزيه الله عن التعددية ، والإيمان بأنه واحد في ذاته كما قال تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾.

وقد سئل الشيخ حمد بن عتيق^٣ رحمه الله عن وجه تبديع وتكفير الجهمية ، فأجاب رحمه الله:

^١ «مجموع الفتاوى» (٥٦٢/٦).

^٢ «العلو» ص ١٠٦ .

^٣ هو الشيخ العالم العامل الورع الزاهد ، حمد بن علي بن محمد بن عتيق ، من علماء نجد في القرن الثالث عشر الهجري ، درس على الشيخ الكبير عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ، أخذ عنه العلم كثير من علماء نجد ، له مؤلفات نافعة ، من أشهرها شرحه على كتاب التوحيد لإمام الدعوة «إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد» ، توفي عام ١٣٠١ . باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتابه «التنديد» ، وهي للشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق ، الناشر: دار الكتاب والسنة - باكستان.

قال الله تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾^١ في موضعين ، وقال تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾^٢ ، وقال تعالى ﴿ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياؤمکم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾^٣.

فإذا كان الله قد كفر من قال إن الله هو المسيح بن مريم ، ومن قال إن الله ثالث ثلاثة ، ومن اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً ؛ فكيف لا يُكفّر من جعل جميع الخلق أرباباً ، وقال (إن كل مخلوق هو الله) ، حتى يسجد للشمس ، ويقول إن المشركين إنما عبدوا الله ، ويقول إن المخلوقات التي يُستحيا من ذكرها هي الله؟

يا لله العجب!

ولقد أحسن من قال من السلف: إنَّ كُفَرَ هؤلاء أغلظ من كفر اليهود والنصارى ، وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

حاشا النصارى أن يكونوا مثلهم وهم الحمير أئمة الكفران
هم خصصوه بالمسيح وأمه وألأء^٤ ما صانوه عن حيوان^٥

الوجه الحادي عشر: ومن وجوه بطلان مقولة (إن الله في كل مكان) أن النصوص الدالة على صعود الأشياء إليه ونزولها من عنده تأتي أن يكون الله في كل مكان ؛ إذ كيف يصعد إليه شيء وهو معه؟ أو يُرفع إليه عمل وهو عنده؟!

^١ المائة: ١٧ ، ٧٢ .

^٢ المائة: ٧٣ .

^٣ آل عمران: ٨٠ .

^٤ أي: وهؤلاء.

^٥ «الدرر السنية» (٣/٣٥٥-٣٥٦).

قال أبو سعيد الدارمي في رده على من أنكروا علو الرب على خلقه: فيلبي من تُرفع الأعمال ، والله - بزعمكم الكاذب - مع العامل بنفسه في بيته ومسجده ومنقلبه ومثواه؟! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.^١

وقال أيضا معلقا على حديث المعراج: ولو كان (أي الله) في كل مكان كما يزعم هؤلاء ، ما كان للإسراء والنزق والمعراج إذاً من معنى ، وإلى من يُعرج به إلى السماء وهو - بزعمكم الكاذب - معه في بيته في الأرض ليس بينه وبينه ستر؟ تبارك اسمه وتعالى عما تصفون!^٢

وقال الذهبي رحمه الله معلقا على حديث المعراج:

فهذا الحديث أيضا دال على أنه سبحانه وتعالى فوق السماوات ، وفوق جميع المخلوقات ، ولولا ذلك لكان معراج النبي ﷺ إلى فوق السماء السابعة إلى السدرة المنتهى^٣ ، وأن جبريل علا به ، حتى أتى به إلى الله تعالى ، وهذه المقتضيات كلها التي أفادتنا أنه فوق السماء ؛ باطلة لا تفيد شيئا على زعم من قال: إنه في كل مكان بذاته ، الذين يلزم من دعواهم أنه في الكنف والبطون والأرحام وغير ذلك مما طبع الله بني آدم على خلافه ، بل إنما فطرهم على أنه فوق العرش ، فوق السماء السابعة ، وأرسل رسله بتقرير ذلك ، ولم يرسلهم بأنه ليس على العرش ، ولا بأنه لا داخل العالم ولا خارجه.^٤

الوجه الثاني عشر: ومن وجوه بطلان مقولة: (إن الله في كل مكان) ما قاله الإمام أحمد رحمه الله:

^١ «الرد على الجهمية» ص ٦٤ .

^٢ «الرد على الجهمية» ص ٦٧ .

^٣ هكذا في المطبوع ، والأشبه بالسنة: سدرة المنتهى.

^٤ كتاب «العرش» ، ص ٢٧ - ٢٨ ، باختصار.

وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ؛ فقل: أليس الله كان ولا شيء؟
فيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال ، لا بد له من واحد منها:

إن زعم أن الله خَلَقَ الخلق في نفسه كفر ؛ حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.
وإن قال: خَلَقَهُم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم ؛ كان هذا كفرا أيضا ، حين زعم أنه دخل في كل مكان ، وحُشِّ قَدْرٍ رديءٍ.

وإن قال: خَلَقَهُم خارجا عن نفسه ثم لم يدخل فيهم ؛ رجع عن قوله كله أجمع ، وهو قول أهل السنة.^١

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قاعدة عظيمة في إثبات علوه تعالى ، وهو واجب بالعقل الصريح والفطرة الإنسانية الصحيحة ، وهو أن يقال: كان الله ولا شيء معه ، ثم خلق العالم ، فلا يخلو ؛ إما أن يكون خلقه في نفسه وانفصل عنه ، وهذا محال ، تعالى الله عن مماسة الأقدار وغيرها ، وإما أن يكون خلقه خارجا عنه ثم دخل فيه ، وهذا محال أيضا ، تعالى أن يحل في خلقه ، وهاتان لا نزاع فيهما بين أحد من المسلمين ، وإما أن يكون خلقه خارجا عن نفسه الكريمة ولم يحل فيه ، فهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره ، ولا يليق بالله إلا هو.^٢

^١ «الرد على الجهمية والزنادقة» ص ١٥٥-١٥٦ ، وبنحوه قال ابن بطة في «الإبانة» (١٤٠-١٤١).

^٢ «مجموع الفتاوى» (١٥٢/٥).

وهذه القاعدة ذكرها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وهي من حججه على الجهمية الذين ظهروا في وقته ، وعادوا أهل السنة.^١

الوجه الثالث عشر: لو أن الله يحل في ذوات المخلوقين من أولياء أو غيرهم لما أنكر الله على النصارى عبادتهم لعيسى عليه السلام ، لأنه باعتقادهم يحل في الأولياء ، وعيسى ابن مريم من سادات الأولياء ، بل من أولي العزم من الرسل.^٢

الوجه الرابع عشر: ومن دلائل بطلان مقولة (إن الله في كل مكان) أن في ذلك تشبه ببعض ملل الكفر ، القائلين باتحاد الخالق مع من يؤلهونهم من البشر ، فالنصارى يقولون إن الله حل في جسم عيسى عيسى عليه السلام ، وهو ما يعرف عندهم باتحاد اللاهوت والناسوت ، وغلاة الشيعة يقولون بحلول الله في جعفر الصادق ، والسبئية والنصيرية يقولون بحلول الله في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والإسماعيلية يقولون بحلول الله في شخص الحاكم بأمر الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

والذين يقولون إن الله في كل مكان شابهوا هؤلاء بل هم أسوأ منهم ، فإن بعض هؤلاء المعظمين ممن تقدم ذكرهم هم من خيرة الناس كعلي وجعفر الصادق ونحوهم ، أما الحلولية فيقولون إن عين الوجود هو الله بما فيه من نجاسات وقذارات ، فزادوا عليهم في الكفر بالله العظيم.^٣

^١ انظر كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» ، باب: بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش.

^٢ انظر «مجموع الفتاوى» (٣٧٣/٢ - ٣٧٦).

^٣ انظر «الموسوعة الميسرة في الأديان والأفكار والمذاهب والأحزاب المعاصرة» - قسم الحلول.

الوجه الخامس عشر: ومن وجوه بطلان الحلول أنه لو كان كذلك لأشبهه المخلوقات من جهة كون المخلوق على الأرض ، وتحيط به الأمكنة ، وهم قالوا ذلك في الله - تعالى الله عن ذلك - ، فشبهوا الخالق بالمخلوق ، شاؤوا أم أبوا.^١

الوجه السادس عشر: ومن وجوه بطلان هذه العقيدة الفاسدة ما ذكره ابن تيمية رحمه الله أن كل آية في القرآن تنص على أن الله ما في السماوات والأرض وما بينهما ونحو ذلك فإنها تبطل هذا القول ، فإنه إذا كانت السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما ملكه ومخلوقه ؛ امتنع أن يكون شيء من ذلك ذاته ، فإن المملوك ليس هو المالك ، والمربوب ليس هو الرب ، والمخلوق ليس هو الخالق.^٢

ثم قال: ولهذا كان حقيقة قول الاتحادية بعدهم أن المخلوق هو الخالق ، والمصنوع هو الصانع ، لا يفرقون بينهما ، حتى إنه يمتنع عندهم أنه يكون الله رب العالمين ، إذ ليست المخلوقات شيئا خارجا عن نفسه عندهم. انتهى بتصرف يسير.

الوجه السابع عشر: وما يدل على بطلان عقيدة أن الله بكل مكان ما استدل به الأشعري في «الإبانة»^٣ بقوله تعالى ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾^٤ ، وقال تعالى ﴿ولو ترى إذ وقفوا على

^١ بتصرف مما قاله الإمام الأندلسي أبي القاسم خلف بن عبد الله المقرئ رحمه الله ، ونقله ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ، ص ١٦٠ .

^٢ نقلا من «بيان تلبيس الجهمية» (٥٢٥/٢) ، بتصرف يسير .

^٣ ص ١٢١ ، الناشر: دار الدعوة السلفية - مصر .

^٤ سورة الأنعام: ٦٢ .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

ربهم^١ ، وقال ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾^٢ ، وقال تعالى ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾^٣ .

قال ابن تيمية رحمه الله معلقا:

فإنه لو كانت نسبتبه إلى جميع الأمكنة واحدة ولا يختص بالعلو ؛ لكان^٤ في المردود^٥ كما هو في المردود إليه ، وفي الواقف^٦ كما هو في الموقوف عليه ، وفي الناكس^٧ كما هو فيمن نكس رأسه عنده ، وفي المعروض^٨ كما هو في المعروض عليه ، فهذه النصوص تنفي مداخلته للخلق وتوجب مباينته لهم^٩ ، فلو أمكن وجود موجود لا مباين ولا محايث^{١٠} ؛ لكان نسبة ذاته إلى جميع المخلوقات المخلوقات نسبة واحدة ، وهو مناقض لما ذكر^{١١} .

الوجه الثامن عشر: والحلول باطل من جهة أن الحلول لا يكون إلا إذا كان الحال مفتقرا إلى المَحَل ، وهذا لا يقال في الله تعالى ، لأن الله هو الغني سبحانه^{١٢} .

^١ سورة الأنعام: ٣٠ .

^٢ سورة السجدة: ١٢ .

^٣ سورة الكهف: ٤٨ .

^٤ أي: الله تعالى .

^٥ يشير إلى قوله تعالى ﴿ثم ردوا﴾ .

^٦ يشير إلى قوله تعالى ﴿إذ وقفوا﴾ .

^٧ يشير إلى قوله تعالى ﴿ناكسوا﴾ .

^٨ يشير إلى قوله تعالى ﴿وعرضوا﴾ .

^٩ تقدم بيان معنى المباينة وهي الانفصال ، وضدها الاتحاد والاختلاط والتمازج ، من بان ييؤن فهو بائن .

^{١٠} المحايث هو المداخل والمجامع . انظر «مجموع الفتاوى» (٢٦٩/٥) .

^{١١} «درء تعارض العقل والنقل» (٢٠٢/٦ - ٢٠٣) .

^{١٢} انظر «درء تعارض العقل والنقل» (١٤٩/٦) .

الوجه التاسع عشر: ومن دلائل بطلان مقولة: (إن الله في كل مكان) ؛ معرفة مؤدى تلك المقولة ، فإن مؤدى مقولتهم أنه ليس في السماء إله يعبد ، فقد قال حماد بن زيد - وقد ذكرت عنده الجهمية - : إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء.^١

وقال عباد بن العوام^٢: كلمت بشرًا المريسي وأصحاب بشر ، فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا: ليس في السماء شيء.^٣

وقال وهب بن جرير الأزدي^٤: إياكم ورأي جهم ، فإنهم يجادلون أنه ليس في السماء شيء ، وما هو إلا من وحي إبليس ، وما هو إلا الكفر.^٥

^١ رواه الخلال عنه في «السنة» (١٦٩٥) ، و «الابانة» لابن بطة (١٩٤/٣) ، و عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٢) ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» كما قال الذهبي في «العلو» ولفظه: إنما يدورون على أن يقولوا... الخ ، ورواه الذهبي في «العلو» ص ١٢٩ ، وصححه ، وكذا في كتاب «العرش» ص ٦٨ .

^٢ هو الإمام المحدث الصدوق ، عباد بن العوام بن عمر بن المنذر ، أبو سهل الكلابي الواسطي ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة سنة بضع وثمانين ومائة ، انظر ترجمته في «السير» (٥١١/٨) .

^٣ رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٦٩) ، والخلال في «السنة» (١٧٥٣) .

^٤ هو الحافظ الإمام الصدوق ، روى عنه أحمد وإسحاق بن راهويه وخلق كثير ، توفي سنة ٢٠٦ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٢٢/٩) .

^٥ رواه الذهبي في كتاب «العرش» ص ٨٣ .

وكذا قال عبد الرحمن بن مهدي^١ ، وعاصم بن علي بن عاصم^٢ ، شيخ البخاري ، وأبو معمر إسماعيل القطيعي^٣ .

وعن يحيى بن إبراهيم قال: كنت أدعو على الجهمية فأكثر ، فذكرت ذلك لعبد الله بن المبارك ، ودخل قلبي من ذلك شيء فقال: لا يدخل قلبك ، فإنهم يجعلون ربك الذي تعبد لا شيء^٤ .
وقال جرير بن عبد الحميد الضبي^٥: كلام الجهمية أوله عسل^٦ ، وآخره سُم ، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله^٧ .

^١ هو الإمام الناقد سيد الحفاظ ، أبو سعيد ، عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ، مولاهم البصري ، من المكثرين من رواية الحديث النبوي ، توفي رحمه الله سنة ١٩٨ . انظر ترجمته في «السير» (١٩٢/٩) .

وكلامه مثبت في «الفتوى الحموية» لابن تيمية ، وهي في «مجموع الفتاوى» (٥٣/٥) ، وعزاه لعبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية» .

^٢ هو الحافظ الصدوق الذاب عن دين الله أيام الفتنة بخلق القرآن ، توفي سنة ٢٢١ ، وانظر كلامه في ذم رأي الجهمية في «العلو» ص ١٦٧ .

^٣ أبو معمر من شيوخ البخاري ومسلم ، وقد نقل كلامه ابن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية» ، كما في «العرش» للذهبي ، ص ٩٥ و «العلو» ص (١٧٤) .

^٤ رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٨) .

^٥ هو الإمام الحافظ القاضي ، روى عنه أحمد وابن المبارك وإسحاق وجماعة ، توفي سنة ١٨٨ ، انظر ترجمته في «السير» (٩/٩) .

^٦ لعله يقصد أن مبتدأ كلامهم يدور حول تنزيه الرب عن مماثلة خلقه ، وهذا متفق عليه كمبدأ ، ثم لما ضربوا تطبيقات هذه القاعدة القاعدة فإذا بهم يشطحون في تطبيقها بنفي الصفة تماما ، وسلب الخالق من صفاته ، تعالى الله عن ذلك .

^٧ رواه ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» ، كما في كتاب «العرش» ص ٧٥ ، و «العلو» ص ١٤٩ .

وروى البيهقي عن أبي معاذ البلخي^١ قال: قرأت على جهم القرآن - وكان على معبر الترمذ - ، وكان رجلا كوفي الأصل ، فصيح اللسان ، لم يكن له علم ولا مجالسة أهل العلم ، كان يتكلم مع المتكلمين ، فقالوا له: صف ربك الذي تعبده.

قال: فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا^٢ ، ثم خرج عليهم بعد أيام ذكرها فقال: هو هذا الهواء ، مع كل شيء ، وفي كل شيء ، ولا يخلو من شيء.

قال أبو معاذ: كذب عدو الله ، إن الله تعالى في السماء كما وصف نفسه.^٣

وأخرج ابن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية» عن يزيد بن هارون ، أنه سأله رجل من أهل بغداد فقال: سمعت المريسي يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل!

فقال يزيد: إن كنت صادقا ؛ إنه كافر بالله العظيم.^٤

وخلاصة القول: أن الجهمية لا يؤمنون أن في السماء رباً يُعبد كما قرر ذلك ابن تيمية رحمه الله حيث قال: كان الجهمية يدورون على ذلك ، ولم يكونوا يصرحون به لوفور السلف والأئمة وكثرة أهل السنة ، فلما بعد العهد وانقرض الأئمة صرح أتباعهم بما كان أولئك يشيرون إليه ويدورون حوله ، قال: هكذا ظهرت البدع ، كلما طال الأمر وبعد العهد اشتد أمرها وتغلظت ، قال: وأول

^١ هو خالد بن سليمان ، فقيه أهل بلخ. قاله الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١١٠١/٤) ، وبلخ من مدن خراسان والتي تعرف الآن بأفغانستان.

^٢ أي كذا وكذا من الأيام.

^٣ كتاب «الأسماء والصفات» (٣٣٧/٢) ، ورواه ابن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية» كما في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (برقم ٦٣٥) و «العرش» ص ٧٩ ، وصححه الذهبي هناك.

^٤ ذكره الذهبي في كتاب «العرش» ، ص ٩٥ .

بدعة ظهرت في الإسلام بدعة القدر والإرجاء ، ثم بدعة التشيع ، إلى أن انتهى الأمر إلى الاتحاد والحلول وأمثالهما.^١

قلت: وإنكار أن الله في السماء هو عقيدة فرعون لعنه الله ، ولهذا قصد أسباب السماء بحثا عن الله ، ليكذب موسى - بزعمه - الذي قال له إن الله في السماء ، ويثبت أن ليس هناك ربُّ في السماء يُعبد أصلا.

قال إمام المفسرين ابن جرير رحمه الله حكاية عن فرعون عند قوله تعالى ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا...﴾ الآية:

يقول^٢: وإني لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا.^٣

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكان فرعون جاحدا للرب ، فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم ؛ لَمَا قال ﴿أطلع إلى إله موسى﴾ ، ومحمد ﷺ لما عُرج به إلى ربه وَفَرَضَ عليه الصلوات الخمس ؛ ذكر أنه رجع إلى موسى ، وأن موسى قال له: (ارجع إلى ربك فَسَلِّهُ التخفيف على أمتك) ، كما تواتر هذا في أحاديث المعراج ، فموسى صدَّق محمدا في أن ربه فوق ، وفرعون كذب موسى في أن ربه فوق ، فالمُتَقِرُونَ بذلك متبعون لموسى ومحمد ، والمكذِبُونَ لذلك موافقون لفرعون.^٤

^١ نقلا من «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

^٢ أي فرعون.

^٣ تفسير سورة غافر ، آية ٣٧ .

^٤ «مجموع الفتاوى» (١٣/١٧٣-١٧٤) ، باختصار.

وقال أيضا رحمه الله: وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون ، وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه ، كما كان فرعون يفعل.^١

وقال ابن القيم رحمه الله: فكذب فرعون موسى في إخباره إياه بأن ربه فوق السماء ، وعند الجهمية لا فرق بين الإخبار بذلك وبين الإخبار بأنه يأكل ويشرب.

وعلى زعمهم يكون فرعون قد نزه الرب عما لا يليق به ، وكذب موسى في إخباره بذلك ، إذ من قال عندهم إن ربه فوق السماوات فهو كاذب ، فهم في هذا التكذيب موافقون لفرعون ، مخالفون لموسى ولجميع الأنبياء ، ولذلك سماهم أئمة السنة «فرعونية» ، قالوا: وهم شر من الجهمية ، فإن الجهمية يقولون: (إن الله في كل مكان بذاته) ، وهؤلاء عطلوه بالكلية ، وأوقعوا عليه الوصف المطابق للعدم المحض ، فأى طائفة من طوائف بني آدم أثبتت الصانع على أي وجه ؛ كان قولهم خيرا من قولهم.^٢

وقال موفق الدين بن قدامة رحمه الله: والمخالف في هذه المسألة قد أنكر هذا ، يزعم أن موسى كاذب في هذا بطريق القطع واليقين ، مع مخالفته لرب العالمين ، وتخطئته لنيبه الصادق الأمين ، وتركه منهج الصحابة والتابعين ، والأئمة السابقين ، وسائر الخلق أجمعين ، ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من البدع برحمته ، ويوفقنا لاتباع سنته.^٣

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في قوله تعالى ﴿ابن لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب﴾ * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾:

^١ «مجموع الفتاوى» (١٨٥/١٣).

^٢ «إعلام الموقعين» ٢/٢٧٠ ، الوجه السادس عشر من المثال الثاني عشر.

^٣ «إثبات صفة العلو» ص ٤٦ .

فهذا صريح في تكذيبه لموسى في قوله: إن الله فوق السماوات والخلق كلهم ، وتبع فرعون على قوله هذا جميع الجهمية الفرعونية ، وزموا ببلائهم أهل السنة والجماعة ، وقالوا (إن مذهبهم مذهب فرعون الذي اعتقد علو الله على خلقه) ، وهذا من العجائب وقلب الحقائق ؛ فإنه لا يشك أحد أن مقالة فرعون المذكورة تكذيب لموسى ورد لقوله ، وأن فرعون أراد أن يموه على قومه فيصعد السماء ليصل إلى إله موسى الذي دعاه موسى إلى عبادته ، وموسى إمام المثبتين لعلو رب العالمين ، وفرعون إمام كل معطل.^١

ثم قال رحمه الله بعد هذا بعدة أوراق:

ومن المعلوم أن الجهمية أولى بفرعون في هذه الحالة ، لأنه قالها إنكارا ، وهو نفس مذهب الجهمية ، فإنهم أنكروا كلام الله وعلوه على خلقه كما أنكر فرعون ذلك لتكذيبه لرسالة موسى ولعلو الله ، وليس بينهم فرق إلا أن فرعون صرح بالإنكار وهم مَوَّهوا العبارات وزخرفوا الألفاظ ، وقَبَّحوا الحسن وحسنوا القبيح ، وَسَمَّوا أنفسهم أهل الحق ، وَسَمَّوا غيرهم أهل الباطل ، فانخدعوا لهذه الزخارف وخدعوا غيرهم.^٢

وقال ابن خزيمة رحمه الله: وفي قوله ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ ؛ دلالة على أن موسى قد كان أعلمه أن ربه جل وعلا أعلى وفوق.^٣ اهـ.

^١ «توضيح الكافية الشافية» ص ٣٣٦ ، من «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله».

^٢ المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

^٣ كتاب «التوحيد» ، (ص ٢٠١).

وقال الذهبي رحمه الله: يعني: أظن موسى كاذبا أن إلهه في السماء ، ولو لم يكن موسى عليه السلام يدعوه إلى إله في السماء لما قال هذا ، إذ لو كان موسى قال له (إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء) ؛ لكان هذا القول من فرعون عبثا ، ولكان بناؤه القصر جنونا.^١ وهكذا قال الشيخ إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني ، في كتابه «الحجة في بيان المحجة»^٢ ، وغيرهم رحمهم الله .

قلت: وهذا الذي تعتقده الجهمية خبل وجنون ، وصدق ابن تيمية رحمه الله إذ قال: ونفاة الصفات كالجهمية وأشباههم لا يمكنهم النفي إلا إذا تركوا السمع والعقل ، وهذه حال أهل النار الذين قالوا ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾.^٣

الوجه العشرون: ومن أدلة بطلان مقولة: (إن الله بكل مكان) ؛ العلم بجهة صدورها ، فإنها ما صدرت عن أناس مشهود لهم بالخير والفضل والعلم ، بل صدرت عن حثالة الناس وجهالهم ، ومن المشهود لهم بالزندقة والجرأة على الأنبياء ، فالجهم بن صفوان هو صاحب تلك المقالة ، قال الذهبي في ترجمته: ضال مبتدع ، هلك في زمان صغار التابعين ، وما علمته روى شيئا ، لكنه زرع شراً عظيماً.^٤

وكان مقتل الجهم سنة ١٢٨ هـ.^٥

^١ كتاب «العرش» ، ص ١٤ .

^٢ انظر: فصل في بيان أن العرش فوق السماوات ، (١١٨/٢).

^٣ «بيان تلبيس الجهمية» (٥٠٢/٢) ، بتصرف يسير .

^٤ «ميزان الاعتدال» .

^٥ انظر «لسان الميزان» ، ترجمة الجهم بن صفوان .

وقال أيضا في الجهم: أُسُّ الضلالة ، ورأس الجهمية ، كان ينكر الصفات ، ويقول بخلق القرآن ، ويقول إن الله في الأمكنة كلها.^١

وذكر البخاري في «خلق أفعال العباد» أن عبد العزيز بن أبي سلمة^٢ قال: إن كلام جهم صفة بلا معنى ، وبناء بلا أساس ، ولم يُعد قط في أهل العلم ، ولقد سئل جهم عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها ، فقال (عليها العدة) ، فخالف كتاب الله بجمله ، وقال الله تعالى ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾.^٣

وقال يزيد بن هارون^٤: لعن الله الجهم ومن قال بقوله ، كان كافرا جاحدا ، ترك الصلاة أربعين يوما ، يزعم أنه يرتاد دينا ، وذلك أنه شك في الإسلام.

قال يزيد: قتله سلّم بن أحوز التميمي على هذا القول.^٥

وسلّم بن أحوز هو أمير الشرطة في آخر دولة بني أمية ، ونائبهم على «مرو» بخراسان.^٦

وروى البخاري في «خلق أفعال العباد» عن أبي نعيم البلخي قال:

كان رجل من أهل «مرو» صديقا لجهم^٧ ، ثم قطعه وجفاه فقيل له: لم جفوته؟

^١ «سير أعلام النبلاء» (٢٧/٦) ، باختصار.

^٢ هو الإمام المفتي الكبير ، عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون ، مولاهم المدني ، صاحب رواية للحديث النبوي ، قال ابن وهب: حججت سنة ثمان وأربعين ومئة ، وصائح يصيح: (لا يفتي الناس إلا مالك ، وعبد العزيز بن أبي سلمة). انظر ترجمته في «السير» (٣٠٩/٧).

^٣ ص ٨ .

^٤ تقدمت ترجمته في قسم التوطئة من هذا الكتاب.

^٥ رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (١٩٧) ، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٢٢/٣).

^٦ وانظر «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ١٢٨ هـ ، مقتل الجهم بن صفوان.

^٧ أي جهم بن صفوان ، مؤسس مذهب الجهمية الباطل ، واليه تُسبب هذا المذهب.

فقال: جاء منه ما لا يُحتمل ، قرأت يوما آية كذا وكذا - نسيها يحيى - فقال: ما كان أظرف محمدا ، فاحتملُتها.

ثم قرأ سورة طه ، فلما قال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، قال: أما والله لو وجدت سبيلا إلى حكها لحككتها من المصحف ، فاحتملُتها.^١

ثم قرأ سورة القصص ، فلما انتهى إلى ذكر موسى قال: (ما هذا؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها ، ثم ذكرها هاهنا فلم يتمها) ، ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه ، فوثبت عليه.^٢

فهذا كلام شيخ النافين لعلو الرب على عرشه ، ومباينته من خلقه ، نعوذ بالله من الخذلان .

وأما شيخ الجهم بن صفوان فهو الجعد بن درهم ، قال ابن كثير في «البداية والنهاية»^٣ عنه:

وكان يسأل وهبا عن صفات الله عز وجل ، فقال له وهب يوما: (ويلك يا جعد ، أقصر المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يدا ما قلنا ذلك ، وأن له عينا ما قلنا ذلك ، وأن له نفسا ما قلنا ذلك ، وأن له سمعا ما قلنا ذلك) ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك ، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل.

^١ قلت: ما استطاع الخبيث أن يحك آية الاستواء من المصحف ، ولكنه حكَّ معناها من قلوب أتباعه ، بتعطيل مدلول الآية ، وتحريفه إلى معنى آخر وهو الاستيلاء.

^٢ رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٥٥).

وكذا عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٩٨) ، وكذا ابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» عن يحيى بن أيوب به ، كما نقل ذلك عنه الذهبي في «العلو» ص ١٥٤-١٥٥ .

^٣ حوادث سنة ١٢٥ هـ.

^٤ أي وهب بن منبه ، وهو تابعي ثقة كما قال العجلي ، ولد في زمن عثمان سنة ٣٤ هـ ، وروايته للحديث قليلة ، منها صحيفته المشهورة عن أبي هريرة رضي الله عنه «صحيفة وهب بن منبه» ، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات ، ومن صحائف أهل الكتاب ، وانظر «السير» (٥٤٥/٤).

وقال الذهبي في ترجمة الجعد بن درهم: مبتدع ضال^١ ، ونقل عن أبي الحسن المدائني قوله: كان الجعد زنديقا^٢.

وقال ابن حجر: وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة^٣.

قال الذهبي رحمه الله قبل سرده لجملة من أقوال التابعين في إثبات العلو:

وهو^٤ أول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق العرش ، هو الجعد بن درهم^٥ ، وكذلك أنكر جميع الصفات لله تعالى ، من السمع والبصر والكلام واليد والوجه وغير ذلك ، فقتله خالد بن عبد الله القسري ، وقصته مشهورة.

وأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية ومنتسبهم ، فأظهرها ، واحتج لها بالشبهات العقلية ، وأول قوله الله تعالى أنه (استوى على العرش) بمعنى: استولى ، وكان ذلك في آخر عصر التابعين ، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى^٦. انتهى كلام الذهبي.

^١ «لسان الميزان» (١٠٥/٢).

^٢ «تاريخ الإسلام» (٢١٨/٣).

^٣ انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال».

^٤ أي وقت التابعين.

^٥ يقصد الذهبي: وهو أول وقت سمعت فيه مقالة من أنكر أن الله فوق العرش ، وقائلها هو الجعد بن درهم.. الخ.

^٦ كتاب «العرش» ، ص ٦٩ .

ثم خلف جهم في نشر عقيدته الضالة بِشْرُ المَرِّيْسِي ، قال ابن أبي حاتم: سمعت هشام بن عبيد الله^١ يقول: المريسي عندنا خليفة جهم بن صفوان الضال ، وهو ولي عهده ، ومثله عندنا مثل بلعم بن باعورا الذي قال الله فيه: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾^٢.

ومن اللطائف ما رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» عن أبي يعقوب ، إسحاق بن إبراهيم لؤلؤ قال: مررت في الطريق فإذا بشر المريسي والناس عليه مجتمعون ، فمر يهودي فأنا سمعته يقول: لا يُفسد عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة!

يعني أن أباه كان يهوديا.^٣

ثم وصل الأمر إلى أحمد بن أبي دؤاد ، في أوائل القرن الثالث ، وهو من ألد أعداء أهل السنة والجماعة ، وكان شديد العداوة للإمام أحمد بن حنبل ، وهو الذي أوقع به عند المأمون ، فسجنه وضربه ، وحصل بسببه بلاء كثير على المسلمين ، قال ابن الأعرابي العالم اللغوي المشهور: أرادني ابن أبي دؤاد أن أطلب في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بمعنى: استولى ، فقلت: والله ما يكون هذا ولا أصيبه.^٤

وقد وصل الحد بالضلال عند أبي دؤاد أن جعل الأنبياء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام مشبهة ، لأنهم أثبتوا صفات الله تعالى! قال قبحه الله:

^١ هو الفقيه ، أحد أئمة السنة ، له رواية للحديث النبوي ، وكان من مجور العلم ، مات سنة ٢٢١ ، انظر ترجمته في «السير» (٤٤٦/١٠).

^٢ قاله اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (برقم ٦٤٤).

^٣ «تاريخ بغداد» (٥٣٧/٧).

^٤ أورده ابن بطّة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٦٦/٣-١٦٧).

ثلاثة من الأنبياء مُشبهة: عيسى ابن مريم عليه السلام حيث يقول ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ ، وموسى عليه السلام حيث يقول ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ ، ومحمد ﷺ حيث قال: إنكم ترون ربكم.^١

وقال حنبل بن إسحاق ، ابن عم الإمام أحمد:

حججت في سنة إحدى وعشرين ، فرأيت في المسجد الحرام كسوة البيت من الديباج ، وهي تُخاط في صحن المسجد ، وقد كُتِب في الدَّارات^٢ ﴿ليس كمثل شيء وهو اللطيف الخبير﴾ ، فلما قدمت سألتني أبو عبد الله^٣ عن بعض الأخبار فأخبرته بذلك ، فقال أبو عبد الله: قاتله الله ، الخبيث عمد إلى كتاب الله فغيره^٤ - يعني ابن أبي دؤاد - يعني: أزال ﴿السميع البصير﴾.^٥

وأحمد بن أبي دؤاد القاضي هو رأس الجهمية في عصر الإمام أحمد بن حنبل ، ولي القضاء للمعتصم والوائق ، قال الدارقطني: (هو الذي كان يمتحن العلماء في زمانه) ، يعني في القول بخلق القرآن ، قال الذهبي: (جهمي بغض) ، هلك سنة ٢٤٠ من فالح أصابه ، انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» و «لسان الميزان».

^١ رواه ابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» عن ابن أبي دؤاد بلاغا ، كما في «العلو» للذهبي ، ص ١٩١ .

^٢ قال في «تاج العروس» ، مادة (دارة) ما محصله: الدارة هي ما يحيط بالوجه من جوانبه ، وكل موضع يدار به شيء يحجزه فاسمه دارة.

فلعلها في الكلام هنا تعني دوائر زخرفية في الكسوة يكتب فيها ما يكتب.

^٣ يعني الإمام أحمد.

^٤ أي أنه غيّر الآية من ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ ، لأن الجهمية لا يؤمنون بأن الله سميع بصير ، فضاقت صدره بما ، فحرف القرآن تحريفا لفظيا ، قاتله الله.

^٥ ذكره القاضي أبو يعلى في «طبقات الحنابلة» ، ترجمة حنبل بن إسحاق بن حنبل ، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» ، أحداث سنة ٢٢١ هجري عن الخلال تعليقا ، عن عصمة بن عصام ، عن حنبل بن إسحاق ، فذكره.

فصل في بيان أصل التعطيل وتطوره الزمني

اعلموا رحمي الله وإياكم أن أصل داء تعطيل صفات الرب عن معانيها كان منتشرا في الفلاسفة ، ثم سرى الداء إلى الصابئة ، إلى أن تلقاه الجعد بن درهم الذي استوطن حرّان بالعراق ، وهي بلاد الصابئة ، ثم نشرها بين المسلمين ، قبحه الله ، فأنكر صفات الرب جل وعلا ، وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يُكلّم موسى تكليما .

قال ابن تيمية رحمه الله: وقد قيل إن الجعد أخذ مقاله عن أبان بن سمعان ، وقد كان أخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ .

وكان الجعد بن درهم هذا - فيم قيل - من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ، بقايا أهل دين نمروذ والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم ، فكانت الصابئة إلا قليلا منهم إذ ذاك على الشرك ، وعلماؤهم هم الفلاسفة ، وكانوا يعبدون الكواكب وينون لها الهياكل ، وهؤلاء الصابئة هم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل ﷺ ، فيكون الجعد قد أخذ مقاله عن الصابئة الفلاسفة .

فإذا كان أصل هذه المقالة - أي مقالة التعطيل والتأويل - مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن - بل نفس عاقل - أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين؟^١ وقال أيضا رحمه الله:

^١ «الفتاوى الحموية الكبرى» لابن تيمية ، وهي مطبوعة مستقلة ، وتقع بطولها في أول المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى» ، والكلام مقتبس من المجلد المذكور من الصفحات ٢٠ - ٢٥ ، باختصار .

وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام^١ الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بـ «واسط»^٢ ، وكان قد أخذ هذا المذهب عنه الجهم بن صفوان ، فأظهره وناظر عليه ، وإليه أضيف قول الجهمية ، فقتله سلم بن أحوز ، أمير خراسان بها. ثم نقل ذلك إلى المعتزلة - أتباع عمرو بن عبيد - ، وظهر قولهم أثناء خلافة المأمون ، حتى امتحن أئمة الإسلام ، ودُعوا إلى الموافقة لهم على ذلك.

وأصل قولهم هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب ، الذين يزعمون أن الرب ليس له صفات ثبوتية أصلا ، وهؤلاء هم أعداء إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهم يعبدون الكواكب^٣ ، وبينون الهياكل للعقول والنجوم وغيرها ، وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلا وموسى كليما.^٤

قال ابن الأثير رحمه الله في كتابه «الكامل في التاريخ» في أحداث سنة أربعين ومائتين عن ابن أبي دؤاد:

وكان داعيةً إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة ، وأخذ ذلك عن بشر المريسي ، وأخذ بشر من الجهم بن صفوان ، وأخذه جهم من الجعد بن درهم ، وأخذه الجعد من أبان بن سمعان ، وأخذه أبان من طالوت بن أخت لبيد الأعصم وَخَتَّيْهِ^٥ ، وأخذه طالوت من لبيد بن الأعصم

^١ أي إنكار صفة المحبة لله تعالى .

^٢ واسط مدينة بناها الحجاج بين البصرة والكوفة.

^٣ أي: الصابئة والفلاسفة.

^٤ «مجموع الفتاوى» (١٠/٦٦-٦٧) ، باختصار.

^٥ ختنه أي زوج ابنته ، وقيل غير ذلك.

اليهودي ، الذي سحر النبي ﷺ ، وكان لبيد يقول بخلق التوراة^١ ، وأول من صنف في ذلك طالوت ، وكان زنديقا فأفشى الزندقة. انتهى.^٢

قلت: فتبا لمن كانت هذه سلسلة مشايخه.

وقال ابن تيمية رحمه الله في «الفتوى الحموية»^٣:

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون^٤ ؛ أعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصايح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما يبرزوا به على سائر أتباع الأنبياء ، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة؟

^١ في هذا تنبيه إلى مسألة التشبه باليهود ، والتي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ، شبرا بشبر وذراعا بذراع.

فقيل: يا رسول الله ، كفارس والروم؟

فقال: ومن الناس إلا أولئك؟

رواه مسلم (٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٢ (٥٤٧/٥) ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، الناشر: دار المعرفة - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ.

^٣ تقدم الكلام أنما مطبوعة مستقلة ، وتقع بطولها في أول المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى» ، والكلام مقتبس من المجلد المذكور من الصفحات ١١-١٢ .

^٤ التهوؤك هو التحير ، انظر «مختار الصحاح» ، مادة هَوَّك.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الأصاغر بالنسبة اليهم ، أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة ، وأتباع الهند واليونان ، وورثة الجوس والمشركين ، وضلّال اليهود والنصارى والصابئين ، وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء ، وأهل القرآن والايمان؟!!

وإنما قدّمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده ؛ عرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره ، وعلم أن الضلال والتهوؤك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمدا من البيئات والهدى ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين ، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله ، بإقراره على نفسه ، وبشهادة الأمة على ذلك ، وبدلالات كثيرة ، وليس غرضي واحدا معينا ، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء.

وإذا كان كذلك ؛ فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة ؛ مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى ، وهو فوق كل شيء ، وعليّ على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء. انتهى.

فصل

ولما استفحل شر الجهمية وتناولوا على الشريعة ؛ كان أهل السنة لهم بالمرصاد ، فردوا عليهم بردود كثيرة ، وذبوا عن حياض العقيدة ، وألفت الأئمة كُتُبًا عدة باسم «الرد على الجهمية» ، انطلاقا من مبدأ الدفاع عن دين الله من عدوان أهل الأهواء والبدع ، وحملات التشويه والتحريف ، ومن تلکم المصنفات:

١. الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله ، للإمام أحمد بن حنبل.
٢. كتاب السنة والرد على الجهمية ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل.
٣. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، لمحمد بن إسماعيل البخاري.
٤. وقد عقد البخاري أيضا في آخر كتابه المعروف بـ «صحيح البخاري» كتابا أسماه: «كتاب التوحيد والرد على الجهمية» ، بهذه الزيادة «الرد على الجهمية» كما في بعض النسخ.
٥. الرد على الجهمية ، لعثمان بن سعيد الدارمي.
٦. الرد على الجهمية ، لعبيد الله بن بطة العكبري ، ويقع ضمن كتاب «الإبانة» له.
٧. «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، وقد أورد آثارا كثيرة في تقرير العلو عن الصحابة والتابعين في الرد على الجهمية ، كما روى عن أكثر من خمسمائة عالم من علماء السلف فتواهم بتكفير الجهمية.
٨. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
٩. الرد على الجهمية ، لمحمد بن إسحاق بن منددة.
١٠. الرد على الجهمية ، لعبد الرحمن بن أبي حاتم.^١
١١. وقد أشار ابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» إلى رسالة لعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون في «الرد على الجهمية» ، انظر (٥٣/٦).

^١ قد أشار إليه الذهبي في كتابيه «العلو» و «العرش» ، وقد سألت أحد المتخصصين عن هذا الكتاب فأفاد أنه لا يعلمه مطبوعا ولا مخطوطا ، فهو في حكم المفقود.

١٢. وقد أفرد أبو عوانة في «مسنده» (١١٨/١) أبوابا في الرد على الجهمية.
١٣. كما أفرد أبو داود في «سننه» بابا سماه «الرد على الجهمية».
١٤. كتاب الرد على الجهمية ، للإمام أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة النحوي ، المسمى نفظويه ، وقد أشار إليه الذهبي في كتابه «العلو» ، ص ٢١٦ .
١٥. كتاب «الرد على الجهمية» لعبد العزيز بن يحيى الكناني (٢٤٠ هـ) ، صاحب الشافعي ، وقد ذكر الذهبي كتابه في «العرش» ، ص ٩١ .
١٦. ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اليد الطولى في الرد على الجهمية ، فلشيخ الإسلام ردود عدة ، منها كتاب «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» ، وهو مطبوع في عشر مجلدات.
١٧. ولتلميذه ابن القيم كتاب «الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة» ، وكذا كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية».
١٨. وللقاضي أبي يعلى ، محمد بن الحسين بن الفراء كتاب «الرد على الجهمية» ، أشار إليه الذهبي في «السير»^١.
- وهكذا غيرهم من العلماء ، قاموا بواجب الدفاع عن العقيدة الإسلامية من صولة الجهمية ، وكشفوا خطأ منهجهم في فهم أسماء الله تعالى وصفاته ، فرحمهم الله وعفا عنهم.
- ولم يقف دفاع أهل السنة عن دينهم من صولة الجهمية بالردود العلمية فحسب ، بل قد دَوَّن التاريخ الإسلامي قتل رموزهم من قبيل ولادة الحق ، عقوبة لهم على تنقُّصهم لله تعالى ، وليسلم

^١ (٩١/١٨).

الناس من شرهم ، كما شهد التاريخ تعزيرهم كما سيأتي ، قال نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله في الجهمية: أرى أن جهادهم عندي أفضل من جهاد الروم ، وأرى أن أقتلهم بلا استتابة.^١ ونعيم بن حماد هو شيخ البخاري رحمهما الله ، توفي سنة ٢٢٨ هجري محبوسا في فتنة خلق القرآن ، وأوصى بأن يُدفن في قيوده ، وقال: إني مخاصم. فمن ذلك ما قام به سلّم بن أحوز أمير الشرطة في آخر دولة بني أمية سنة ١٢٨ هـ من قتل الجهم بن صفوان ، وقد تقدم ذكر ذلك.

ومن ذلك أيضا ما قام به خالد بن عبد الله القسري بالكوفة والي العراق آنذاك حين خطب الناس يوم عيد الأضحى في خلافة أيام هشام بن عبد الملك ، سنة ١٢٤ هـ ، فقال: (أيها الناس ، ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم ، فإني مُضَحَّ بالجد بن درهم ، فإنه زعم أن الله عز وجل لم يكلم موسى تكليما ، ولم يتخذ إبراهيم خليلا ، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم) ، ثم نزل إليه فذبحه.^٢

قال ابن تيمية رحمه الله: وشكر له علماء المسلمين ما فعله ، كالحسن البصري وغيره.^٣ وقال الذهبي رحمه الله: هذه من حسناته ، هي وقتل مغيرة الكذاب.^٤

^١ رواه حرب بن إسماعيل الكرماني عنه كما في «مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه» ، ص ٤٢٧ ، تحقيق ناصر بن سعود السلامة ، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.

^٢ انظر «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ١٢٤ هـ (٢٠٥/١٠) ، وأحداث سنة ١٢٦ (٢٣٤/١٠) ، الناشر: دار ابن كثير - دمشق.

وقد روى القصة الخلال في «السنة» برقم (١٦٩٠) ، والذهبي في «العلو» ص ١٣١ .

^٣ انظر «مجموع الفتاوى» (١٧٧/١٣).

^٤ انظر «السير» (٤٢٥/٥) ، وانظر قصة قتله لمغيرة في صفحة ٤٢٦ من المجلد نفسه.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

ولم يُعلم أن أحداً من العلماء أنكر ذلك عليه ، بل ذكر ابن القيم إجماعهم على استحسانه ، فقال^١:

شكر الضحية كلُّ صاحبِ سنةٍ لله دُرُّك من أخي قريان^٢

وقال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي^٣ رحمه الله:

وأما قضية الجعد فإن أهل العلم والدين شكروا خالدا عليها ، ولا يزالون شاكرين له إلى يوم القيامة.^٤

^١ أي في «نونيته».

^٢ انظر «مختصر سيرة الرسول ﷺ» ص ٥٥ ، الدليل الخامس: ما وقع في زمن التابعين ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

^٣ هو الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي ، تولى رئاسة القضاة بجزان بالمملكة العربية السعودية ، ولقب بشيخ الإسلام ، ثم سافر إلى الهند حوالي سنة ١٣٤٥ هـ وعمل في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد مصححا كتب الحديث والتاريخ ، وبقي هناك زهاء ربع قرن ، ثم عاد إلى مكة وقد تمكن من علم الحديث والرجال سنة ١٣٧١ هـ فعين أمينا لمكتبة الحرم المكي سنة ١٣٧٢ هـ ، وبقي فيها إلى أن توفي رحمه الله عام ١٣٨٦ هـ.

له تصانيف منها «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» ، وكتاب «الأنوار الكاشفة في الرد على كتاب «أضواء على السنة»» لمحمود أبي رية ، وكتاب «العبادة» ، وكتاب «القائد إلى تصحيح العقائد» ، وحقق كثيرا من كتب الأمهات ، منها أربع مجلدات من كتاب «الإكمال» لابن ماكولا ، وأربع مجلدات من «الأنساب» للسمعاني وكتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ، و «تذكرة الحفاظ» و ثلاث مجلدات من «التاريخ الكبير».

أثنى عليه علماء عصره كالشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ محمد حامد الفقي والشيخ أحمد شاکر ومحمد ناصر الدين الألباني رحمهم الله جميعا. انظر ترجمته في كتاب «الأعلام» لخير الدين زركلي رحمه الله ، وكتاب «تذكير الناهجين بسير أسلافهم حفاظ الحديث السابقين واللاحقين» للشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

^٤ انظر «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» (٢٤٧/١) ، تعليق الألباني ، ط ٢ ، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

وللعلم ، فقد قوي أمر الجهمية لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق ، فتلقى عن الجهمية ما تلقاه ، وكتب وهو بالثغر إلى نائبه ببغداد كتابا يدعو الناس فيه إلى بعض مقولات الجهمية.^١

ولما تولى المتوكل أظهر السنة ، وزجر عن تلك المقولات ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، واستقدم المحدثين إلى سامراء ، وأجزل صلاتهم ، ورَوَّأ أحاديث الرؤية والصفات.^٢

وقد أفتى عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور باستتابة نفاة العلو وإلا ضُربت أعناقهم.^٣ وبالرغم من جهل الجهم وفُحش مقالته ؛ فقد تلقف الناس مقالته عبر القرون ، فلكل قوم وارث ، ففي عصرنا هذا وُجِدَ من حَمَلَ مقالته الخبيثة (إن الله في كل مكان) ، إما تقليدا أو معاندة ومكابرة ، فإلى الله المشتكى .

وأما التعزير فقد روى ابن أبي حاتم بإسناده عن بشار بن موسى الخفاف في كتابه «الرد على الجهمية» أنه جاء بشر بن الوليد^٤ إلى أبي يوسف فقال له: تنهاني عن الكلام ، وبشر المريسي وعلي الأحول وفلان يتكلمون؟

فقال: وما يقولون؟

قال: يقولون: إن الله في كل مكان.

^١ انظر «مجموع الفتاوى» (١٨٣/١٣).

^٢ قاله الذهبي في «السير» (٣٤/١٢).

^٣ رواه عبد الله بن أحمد بإسناده عنه في كتاب «السنة» (٥٠) ، وصححه الذهبي في «العلو» ص ١٥٩ .

^٤ هو بشر بن خالد بن الوليد ، الإمام العلامة المحدث الصادق ، قاضي العراق ، أبو الوليد الكندي الحنفي ، سمع من مالك والقاضي أبي يوسف ، وتفقه عليه ، مات سنة ٢٣٨ . انظر ترجمته في «السير» (٦٧٣/١٠).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها

فبعث أبو يوسف فقال: عليّ بهم ، فانتهاوا إليه ، وقد قام بشر ، فجيء بِعَلِيِّ الأحول والشيخ –
يعني الآخر – فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك^١ ، فأمر به إلى
الحبس ، وضرب عليا الأحول وطوّفَ به.^٢
وكذا فعل هشام بن عبيد الله الرازي^٣ ، فقد جيء إليه برجل حبس في التجهُّم فتاب ، فامتحنه
قائلا: أتشهد أن الله على عرشه ، بائن من خلقه؟
قال: لا أدري ما بائن من خلقه.
فقال: ردُّوه ، فإنه لم يتب بعد.
وهشام هذا من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة ، أخذ عن محمد بن الحسن وغيره ، وهو معروف
عند الفقهاء.^٤

^١ لأنه شيخ كبير لا يحتمل التأديب بالضرب.

^٢ نقل القصة بإسنادها الذهبي في كتاب «العرش» ص ٨٠ ، و «العلو» ص ١٥١ .

^٣ تقدمت ترجمته.

^٤ روى القصة بإسناده ابن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية» ، كما في كتاب «العرش» للذهبي ، ص ٩٤ .

تنبيه هام

قال بعضهم: أنا أؤمن بأن الله فوق العالم بذاته ، ولكني لا أنكر على من قال: إن الله في كل مكان!

والجواب: أن إنكار المنكر من مقتضيات الإيمان ، كما قال النبي ﷺ : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان.^١
فعدم إنكار الأقوال المبتدعة كهذه المقولة دليل على ضعف الدين ، عيادا بالله ، ومن العجيب أنك تجد أحدهم يزعم أنه يجب الله تعالى ، وإذا سمع مقالة لا يرضاها الله تعالى – كهذه المقالة – لا يتمر وجهه ولا يستبجها ، وهذا دليل على وجود الخلل في محبة الله ، وعدم الغيرة على العقيدة ، عيادا بالله من الخذلان.

^١ رواه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

فصل في ذكر أحاديث مكذوبة تقرر حلول الله في الأرض ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، والجواب عنها

استند بعض من يعتقد عقيدة الخُلول (خُلول الله بكل مكان) إلى أحاديث ليس لها مستند صحيح ، إما ضعيفة أو موضوعة على النبي ﷺ ، ومن تلك الأحاديث:

● الحديث الذي رواه الترمذي^١ رحمه الله فقال:

حدثنا عبد بن حميد ، وغير واحد - المعنى واحد - قالوا: حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة قال: حدث الحسن عن أبي هريرة قال:

بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب ، فقال نبي الله ﷺ :

هل تدرون ما هذا؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا العنان^٢ ، هذه رَوَايا^٣ الأرض ، يسوقه الله تبارك وتعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه.

قال: هل تدرون ما فوقكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنها الرقيع^٤ ، سقفٌ محفوظ ، وموجٌ مكفوف^٥.

^١ رقم (٣٢٩٨).

^٢ العنان هو السحاب ، واحدها عنانة أي سحابة. انظر «النهاية» مادة: عنن.

^٣ روايا الأرض أي حوامل الماء لتروي الأرض. انظر «النهاية» مادة: روى.

^٤ الرقيع هي السماء ، جمعها أرقعة. انظر «النهاية» مادة: رقع.

^٥ قال المباركفوري في «تحفة الأحوذى» (١٨٦/٩) (الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة) في شرح قوله (موج مكفوف): أي ممنوع من الاسترسال ، حفظها الله أن تقع على الأرض ، وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها
ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

ثم قال: هل تدرون كم بينكم وبينها؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: بينكم وبينها مسيرة خمس مئة سنة.

ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإن فوق ذلك سماءين ، ما بينهما مسيرة خمس مئة سنة ، - حتى عدَّ سبع سماوات - ، ما

بين كل سماءين كما بين السماء والأرض.

ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإن فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين.

ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتمكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنها الأرض.

ثم قال: هل تدرون ما الذي تحت ذلك؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإن تحتها أرضا أخرى ، بينهما مسيرة خمس مئة سنة ، - حتى عد سبع أرضين - ، بين كل

أرضين مسيرة خمس مئة سنة.

ثم قال: والذي نفس محمد بيده ؛ لو أنكم دلّيتم رجلا بجبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله.

ثم قرأ ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها
ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» عن شيبان عن قتادة به.^١

وأخرجه أحمد في «المسند» عن الحكم بن عبد الملك عن قتادة به.^٢

وكذا ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية».^٣

وأخرجه البزار عن أبي جعفر الرازي عن قتادة به.^٤

وابن جرير في «تفسيره» عن قتادة معضلاً!^٥

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي ذر فقال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ؛ ثنا

أحمد بن عبد الجبار ؛ ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي نصر عن أبي ذر قال: قال رسول الله

ﷺ :

ما بين الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة سنة ، وغلط السماء الدنيا مسيرة خمسمائة سنة ، وما

بين كل سماء إلى السماء التي تليها مسيرة خمسمائة سنة ، والأرضين مثل ذلك ، وما بين السماء

السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك ، ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله عز وجل ثم.

قال البيهقي: تابعه أبو حمزة السكري وغيره عن الأعمش في المقدار.^٦

ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» عن البيهقي به.^٧

^١ (٢٨٧/٢) ، (٨٤٩).

^٢ (٣٧٠/٢).

^٣ (٢٧/١) ، (رقم ٨).

^٤ ج ١٧ ، رقم ٩٥٥٧ ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة.

^٥ سورة الحديد: ٣ .

^٦ (٢٨٩/٢) ، (رقم ٨٥٠).

^٧ (٢٦/١) (رقم ٧).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها
ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» عن الأعمش به.^١
والجواب عن هذا الحديث أنه ضعيف بطريقه ، فأما رواية أبي هريرة فقد قال أبو عيسى الترمذي:
هذا حديث غريب من هذا الوجه.
قال: ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد ، قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة.
وضعفه البيهقي بعدما روى الحديث.^٢
وقال محققو «المسند»:
إسناده ضعيف ، الحكم بن عبد الملك مجمع على تضعيفه ، وقتادة مدلس ولم يصرح بسماعه من
الحسن البصري ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.
وضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع الصغير».^٣
وأما الرواية الأخرى عن أبي ذر فقد قال محقق كتاب «الأسماء والصفات» عبد الله بن محمد
الحاشدي: إسناده ضعيف ومتمنه منكر ، وأعله بأحمد بن عبد الجبار وهو العطاردي ، ضعيف ،
وكذا بأبي نصر فقال: مجهول لا يعرف.
وأعله البيهقي بالانقطاع.^٤
وقال الذهبي: وأبو نصر عن أبي ذر لا يدرى من هو.^٥
وقال في «العلو»: خبر منكر.^٦

^١ ص ٨١ .

^٢ (٢٨٧/٢) ، رقم (٨٤٩) .

^٣ رقم (٦٠٩٤) .

^٤ (٢٨٧/٢) ، رقم (٨٤٩) .

^٥ «ميزان الاعتدال» ، ترجمة أبي نصر ، وقاله أيضا في «العلو» ص ١١٤ .

^٦ «العلو» ص ١١٤ .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها
ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

وقال ابن كثير في رواية البزار والبيهقي: في إسناده نظر ، وفي متنه غرابة ونكارة.^١
وقال ابن الجوزي: (هذا حديث منكر) ، وذكر عِلَّتِيهِ.^٢

^١ «تفسير القرآن العظيم» ، سورة الحديد ، آية ٣ .

^٢ (٢٦/١) ، رقم (٧) .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

● حديث آخر: قال الله تعالى: ما وسعني سمائي ولا أرضي ، بل وسعني قلب عبدي المؤمن .
والجواب أن هذا الحديث ليس ثابتاً عن النبي ﷺ ، فقد رواه أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه
قال: إن الله عز وجل فتح السماوات لحزقيل^١ حتى نظر إلى العرش - أو كما قال - ، فقال
حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب ، فقال الله: إن السماوات والأرض لم تُطَق أن تحملي ،
وضيقن من أن تسعني ، ووسعني قلب المؤمن الوداع اللين.^٢
والحديث كما يرى القارئ الكريم ليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، وإنما هو من كلام وهب بن منبه^٣ ،
ولذا قال الزركشي: قال بعض الحفاظ: هذا مذكور في الإسرائيليات ، وليس له إسناد معروف عن
النبي ﷺ .^٤

وذكره العراقي في كتاب «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» وقال: لم أر له أصلاً.^٥
وكذا ذكره العلامة عبد الرحمن الشيباني الشافعي في كتابه «تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على
اللسنة الناس من الحديث».^٦
بل حكم عليه الهندي في «تذكرة الموضوعات» بأنه موضوع.^٧

^١ حزقيل نبي من أنبياء بني إسرائيل .

^٢ كتاب «الزهد» للإمام أحمد ، زهد يوسف عليه السلام .

^٣ هو الإمام العلامة الإخباري القصصي الثقة ، أبو عبد الله ، وهب بن منبه بن كامل ، الأبنواوي اليماني الذماري الصنعاني ، روايته
للحديث النبوي قليلة ، وإنما كان غزير العلم في الإسرائيليات ، توفي سنة ١١٤ ، وقيل غير ذلك قريباً منها . انظر ترجمته في
«السير» (٥٤٤/٤) .

^٤ «الآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة» ، ص ٨٩ ، رقم (١١١) .

^٥ «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» (٣٣١) ، نقلاً من «موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة» .

^٦ ص ١٥٠ .

^٧ انظر ص ٣٠ .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

- ومن الأحاديث الباطلة في هذا الباب حديث: القلب بيت الرب .
قال الزركشي والسخاوي والسيوطي: لا أصل له.^١
وقال العجلوني في «كشف الخفاء»: ليس له أصل في المرفوع.^٢
وذكره الشيخ مرعي الكرمي^٣ في كتابه «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة» وقال: لا أصل له ، ونقل عن ابن تيمية قوله: ليس هو من كلام النبي ﷺ .^٤
- ومن الأحاديث المكذوبة أيضا في هذا الباب حديث: قلب المؤمن عرش الله .
قال الصغاني: موضوع.^٥
- ومن الأحاديث المكذوبة في هذا الباب حديث فيه أن رسول الله ﷺ قيل له: يا رسول الله ، أين الله؟
قال: في قلوب عباده المؤمنين .
وهذا الحديث لا أصل له كما قال العراقي.^٦
- ومن الأحاديث الواردة أيضا في هذا الباب حديث: أنا من الله ، والمؤمنون مني .

^١ «إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن» (٣٩٥/١) برقم (١٢٥٦) ، و «كشف الخفاء» (١٢٩/٢) برقم (١٨٨٤) .

^٢ (١٢٩/٢) برقم (١٨٨٥) .

^٣ هو الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الحنبلي ، محدث فقيه مؤرخ أديب ، كان أحد أكابر علماء الحنابلة بالقاهرة ، له مصنفات كثيرة ، من أهمها «دليل الطالب لنيل المطالب» في فروع الفقه الحنبلي ، و «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات» ، وغيرها ، توفي بمصر سنة ١٠٣٣ ، رحمه الله رحمة واسعة . باختصار من «معجم المؤلفين» .

^٤ ص ١٠٢ برقم (٨٤) .

^٥ انظر «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» للعجلوني ، برقم (١٨٨٦) .

^٦ انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» (٣٣١) .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

والجواب ما قاله ابن حجر رحمه الله إنه كذب مختلق. نقله عنه تلميذه السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»^١.

ثم قال: وقال بعض الحفاظ: (لا يعرف هذا اللفظ مرفوعا) ، لكن ثبت في الكتاب والسنة أن المؤمنين بعضهم من بعض ، وفي السنة قوله ﷺ لحي الأشعرين: (هم مني وأنا منهم) ، وقوله لعلي: (أنت مني وأنا منك) ، وقوله للحسن: (هذا مني وأنا منه) ، وكله صحيح.

بل عند الديلمي بلا إسناد عن عبد الله بن جراد: أنا من الله عز وجل ، والمؤمنون مني ، فمن آذى مؤمنا فقد آذاني... الحديث. اهـ.

وقد ذكر الشوكاني هذا الحديث في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»^٢ ، كما ذكره غيره من صنف في الأحاديث الضعيفة.^٣

وقال ابن تيمية: قوله: (أنا من الله والمؤمنون مني) ؛ فلا يُحفظ هذا اللفظ عن رسول الله ﷺ ، لكن قال النبي ﷺ لعلي: (أنت مني وأنا منك) ، كما قال الله سبحانه ﴿بعضكم من بعض﴾ ، أي أنتم نوع واحد ، متفقون في القصد والهدى ، كالروحين اللتين تتفقان في صفاتهما ، وهي الجنود المجندة التي قال النبي ﷺ : الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف.

وأما أن يكون الخلق جزءا من الخالق تعالى فهذا كفر صريح ، يقوله أعداء الله النصارى ، ومن غلا من الرافضة وجهال المتصوفة ، ومن اعتقده فهو كافر ، والرب رب ، والعبد عبد ، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته ، وليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات ولا اتحاده به.

^١ حديث رقم (١٩٠).

^٢ ص ٣٢٦ .

^٣ انظر للتوسع «موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة» ، برقم (٦٢٥٩) ، (٦٢٦٠) ، (٦٢٦١).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

وإن سُمع شيء من ذلك منقول عن أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب ، اختلقه الأفاكون من الاتحادية ، الذين أضلهم الشيطان ، وألحقهم بالطائفة النصرانية^١.
وقال أيضا رحمه الله كما في «مختصر الفتاوى المصرية»^٢ لمحمد بن علي البعلبي:
وكذلك من يقول إنه ﷺ قال: (أنا من الله والمؤمنون مني) فكذب على قائله أو مفتربه لعنه الله وليتوباً مقعده من النار ، بل من اعتقد صحة مجموع هذه الأحاديث ، وجبت استنابته فإن تاب وإلا قُتِل ، وهذا كله واضح عند من عرف الله وكان مؤمناً حنيفاً ، وإنما يقع في هذه الجهالات من نقص علمه واستكبر على الحق حتى صار بمنزلة فرعون ، والله علينا وعليهم شهيد ووكيل وحسيب .
اهد .

● ومن الأحاديث المكذوبة التي تروى في هذا الباب ؛ الحديث الذي يُروى في الصخرة التي ببيت المقدس أنها عرشُ الله الأَدنى ، يريد من افتري هذا الحديث تقرير أن الله على عرشه في الأرض ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
والجواب عن هذا الحديث ما قاله ابن القيم رحمه الله في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف»
وقد ذكر فيه جملة من الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ :
ومن ذلك: الحديث الذي يروى في الصخرة أنها عرش الله الأَدنى ، تعالى الله عن كذب المفترين .
ولما سمع عروة بن الزبير هذا قال: سبحان الله! يقول الله تعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾
وتكون الصخرة عرشه الأَدنى؟^٣

^١ «مجموع الفتاوى» (٧٣/١١ - ٧٤) ، باختصار يسير .

^٢ ص ٣١٦ ، تحقيق: عبد المجيد سليم ، الناشر: دار الكتب العلمية .

^٣ روى نحوه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (ص ١٩١-١٩٢) عن عروة بن الزبير قال: قدمت على عبد الملك ، فذكرت عنده الصخرة التي ببيت المقدس ، فقال عبد الملك: هذه صخرة الرحمن التي وضع عليها رحله .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

وكل حديث في الصخرة فهو كذب مفترى ، والقدم الذي فيها كذب موضوع مما عمله المُزورون الذين يُروّجون لها ليكثرُ سواد الزائرين^١.

وأرفع شيء في الصخرة أنها كانت قبلة اليهود ، وهي في المكان كيوم السبت في الزمان ، أبدل الله بها الأمة المحمدية الكعبة ، البيت الحرام.

هذا ما قرره العلامة ابن القيم ، ونقله عنه الملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»^٢.

وللفائدة ؛ فقد ورد في الصخرة أنها من الجنة ، وهذا الخبر ضعيف ، ذكره ابن القيم أيضا في «المنار المنيف»^٣.

● ومن الأحاديث التي استند عليها بعض من قال (بأن الله في كل مكان): الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه: يا أيها الناس ، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إن الذي تدعونه بينكم وبين أعناق ركابكم^٤.
ولفظ الترمذي: بينكم وبين رؤوس رجالكم.

والجواب: أن هذا لفظ ضعيف ، فقد ذكر الشيخ الألباني رحمه الله أن الحديث متفق عليه عند البخاري ومسلم ، دون قوله: (إن الذي تدعونه بينكم وبين أعناق ركابكم) ، فتكون هذه اللفظة

فقلت: سبحان الله! يقول الله تبارك وتعالى ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ ، وتقول: وضع رجله على هذه؟ يا سبحان الله!
إنما هذه جبل ، قد أخبرنا الله أنه يُنسف نسفا ، فيذرها قاعا صفصفا.

^١ قلت: فيجمعون من وراءها أموال السُّحت الطائلة!

^٢ ص ٤٣٥ .

^٣ ص ١٥٢ .

^٤ رواه أبو داود (١٥٢٦) والترمذي (٣٣٧٤).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الخُلوية والجواب عنها

منكرة^١ ، لأن البخاريَّ ومسلماً أضبط من أبي داود والترمذي ، ولفظهما: يا أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا قريبا ، وهو معكم.^٢

• وربما اعتمد بعضهم لتصحيح مقولة (إن الله في كل مكان) بما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: على جميع بريته ، فلا يخلو منه مكان!

والجواب: أن هذا الأثر منكر الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قاله ابن عبد البر رحمه الله ، ثم قال: ونَقَلْتُهُ مجهولون ضعفاء ، فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان ، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يُعرف.^٣

^١ انظر «صحيح أبي داود».

^٢ رواه البخاري (٦٣٨٤) ومسلم (٦٨٦٢) ، وقوله: وهو معكم: أي بعلمه وإحاطته.

^٣ «التمهيد» لابن عبد البر (١٢٦/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٣٢/٧) من ط المغربية.

فصل

ذكر ابن تيمية رحمه الله في «الوصية الكبرى» أحاديث رواها بعض أهل البدع ، مما يُعلم باليقين القاطع أنها كذب وبهتان ، بل كفر ، كما عبر الشيخ رحمه الله فقال:
وقد يقولون من أنواع الكفر ما يروون فيه حديثا ، مثل حديث يروونه: (إن الله ينزل عشية عرفة على جمل أورك^١ ، يصفح الركبان ويعانق المشاة)^٢ ، وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله

^١ الجمل الأورك هو الأبيض المائل للسواد.

^٢ روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩٦/٢٧) (الناشر: دار الفكر) بإسناده عن أبي علي الأهوازي قال: حدثنا أحمد بن علي بن الحسن بن أبي السنديان بأطرابلس ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن الحسن بن غالب بن الهيثم القاضي بعرفة ، حدثنا عبد الله بن محمد البغوي قال: حدثنا هدية بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة عن وكيع عن أبي رزين بن لقيط بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت ربي بمنى عند النفر على جمل أورك ، عليه حبة صوف أمام الناس.
قال ابن عساكر: كتبه أبو بكر الخطيب الحافظ عن الأهوازي متعجبا من نكارتة ، وهو حديث موضوع لا أصل له ... وأبو محمد هذا وابن أبي السنديان غير معروفين العدالة ، والأهوازي متهم. انتهى.

وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» في ترجمة الحسن بن علي بن إبراهيم ، المعروف بأبي علي الأهوازي:
هذا كذب على الله ورسوله ، قد اتهم ابن عساكر أبا علي الأهوازي كما ترى ، وهو عندي آثم ظالم لروايته مثل هذا الباطل.
ثم قال: وأطم ما للأهوازي في كتاب «الصفات» له حديث (إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت ، ثم خلق نفسه من ذلك العرق) ، وهذا خبر مقطوع بوضعه ، لعن الله واضعه ومعتقده ، مع أنه شيء مستحيل في العقول بالبدئية. انتهى.

ونقل الذهبي عن ابن عساكر قوله في كتابه «تبيين كذب المفتري» (ص ٤١٥):
لا يُستبعدُ جاهل كذب الأهوازي فيما أورده من تلك الحكايات ، فقد كان من أكذب الناس فيما يدعي من الروايات في القراءات.

انظر «تاريخ الإسلام» (٦٧٨/٩-٦٨٠) ، الناشر: دار الغرب الإسلامي.
قلت: وقد ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ، ص ١٤٩ .
كما نبه الملا علي القاري إلى وضعه في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» (٢٠٩) ، والكناني في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (ص ١٤٦) ، وكذا الألباني في «الضعيفة» (٦٣٣٠).

ﷺ ، وقائله من أعظم القائلين على الله غير الحق ، ولم يرو هذا الحديث أحد من علماء المسلمين أصلا ، بل أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة بالحديث على أنه مكذوب على رسول الله ﷺ ، وقال أهل العلم كابن قتيبة وغيره ؛ (هذا وأمثاله إنما وضعه الزنادقة الكفار ليشينوا به على أهل الحديث ، ويقولون: إنهم يروون مثل هذا).

وكذلك حديث آخر فيه أنه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجيج وعليه جُبَّةٌ صوفٌ^١ ، أو ما يشبه هذا البهتان والافتراء على الله الذي لا يقوله من عرف الله ورسوله ﷺ . وهكذا حديث فيه أن الله يمشي على الأرض ، فإذا كان موضع خُضرة قالوا: (هذا موضع قدميه) ، ويقرءون قوله تعالى ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ ، هذا أيضا كذب باتفاق العلماء ، ولم يقل الله (فانظر إلى آثار خُطى الله) ، وإنما قال ﴿آثار رحمة الله﴾ ، ورحمته هنا النبات.

وهكذا أحاديث في بعضها أن محمدا ﷺ رأى ربه في الطواف ، وفي بعضها أنه رآه وهو خارج من مكة ، وفي بعضها أنه رآه في بعض سكك المدينة ، إلى أنواع أخر . وكل حديث فيه أن محمدا ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم ، هذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ، ولا رواه أحد منهم ، وإنما كان النزاع بين الصحابة في أن محمدا ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج ، فكان ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر علماء السنة يقولون إن محمدا ﷺ رأى ربه ليلة المعراج ، وكانت عائشة رضي الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ،

وانظر ما قاله ابن تيمية في هذا الباب في «درء تعارض العقل والنقل» (٧/٩٢-٩٣).

^١ الجبة ؛ ثوب ساخن ، واسع الكُمين ، مشقوق المقدم ، يلبس فوق الثياب. «المعجم الوسيط».

^٢ روى ابن الجوزي حديثين قريبين منه في كتابه «الموضوعات» ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ، باب نزول الله يوم عرفة وركوبه جملا أحمر ، الأول عن أبي أمامة الباهلي والثاني عن أسماء ، وكلاهما مكذوبان على النبي ﷺ ، قال ابن الجوزي عقب ذكره حديث أسماء: هذا حديث لا يشك أحد في أنه موضوع.

ولم ترو عائشة رضي الله عنها في ذلك عن النبي ﷺ شيئاً ولا سألته عن ذلك ، ولا نُقل في ذلك عن الصديق رضي الله عنه ، كما يروونه ناس من الجهال أن أباهما سأل النبي ﷺ فقال: (نعم) ، وقال لعائشة: (لا) ، فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء.

وكذلك الحديث الذي رواه أهل العلم أنه قال: (رأيت ربي في صورة كذا وكذا) ، يُروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما ، وفيه: (أنه وضع يده بين كتفَي حتى وجدت برد أنامله على صدري)^١ ، هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج ، فإن هذا الحديث كان بالمدينة^٢ ، وفي الحديث أن النبي نام عن صلاة الصبح ، ثم خرج إليهم وقال: (رأيت كذا وكذا) ، وهو من رواية من لم يُصلِّ خلفه إلا بالمدينة ، كأُم الطفيل وغيرها^٣ ، والمعراج إنما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة ، كما قال الله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾.

فعلم أن هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة ، كما جاء مفسراً في كثير من طرقه أنه كان رؤيا منام ، مع أن رؤيا الأنبياء وحي ، لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج. وقد اتفق المسلمون على أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينه في الأرض ، وأن الله لم ينزل له إلى الأرض ، وليس عن النبي ﷺ قط حديث فيه أن الله نزل له إلى الأرض ، بل الأحاديث الصحيحة (إن الله يدنو عشية عرفة)^٤ ، وفي رواية: (إلى سماء الدنيا ، كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول: من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفري فأغفر له؟)

^١ الحديث في «جامع الترمذي» (٣٢٣٣) ، وصححه الألباني رحمه الله.

^٢ أي أن النبي ﷺ قاله بالمدينة ، بعد حادثة الإسراء والمعراج بكثير ، وعلى هذا فيكون المقصود رؤيا منامية ، كما سيأتي تقريره.

^٣ رؤية النبي ﷺ ربه في المنام رواها ابن أبي عاصم في «الأحاد والمثاني» (٣٣٨٥) عن أم الطفيل ، امرأة أبي بن كعب ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: رأيت ربي عز وجل في المنام في أحسن صورة.

^٤ سيأتي تحريجه.

وثبت في الصحيح أن الله يدنو عشية عرفة ، وفي رواية: إلى سماء الدنيا ، فيباهي الملائكة بأهل عرفة ، فيقول: انظروا إلى عبادي ، أتوني شعثا غبرا ، ما أراد هؤلاء؟^١
وقد روي أن الله ينزل ليلة النصف من شعبان إن صح الحديث ، فإن هذا مما تكلم فيه أهل العلم.^٢
وكذلك ما روى بعضهم أن النبي ﷺ لما نزل من حراء تبدى له ربه على كرسي بين السماء والأرض ؛ غلط باتفاق أهل العلم^٣ ، بل الذي في الصحاح أن الذي تبدى له الملك الذي جاءه بحراء في أول مرة ، وقال له: (اقرأ) ، فقلت: (لست بقارئ) ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد^٤ ثم أرسلني ، فقال: (اقرأ) ، فقلت: (لست بقارئ) ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

فهذا أول ما نزل على النبي ﷺ .^٥

ثم جعل النبي يُحدِّث عن فترة الوحي^٦ ، قال: فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض.

^١ انظر صحيح مسلم (١٣٤٨) عن عائشة رضي الله عنها ، وصحيح ابن حبان (١٦٣/٩) عن جابر رضي الله عنه.

^٢ حديث النزول ليلة النصف من شعبان - إن صح - فإنه يفهم كما فهم غيره من الأحاديث ، كحديث النزول إلى السماء الدنيا والدنو من عباده ، وهو نزول كما يليق بجلالته وعظمته ، ولكن لا يقال إنه نزول إلى الأرض قطعا.

^٣ انظر للفائدة ما قاله ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٢٢٥/٥ - ٢٢٦).

^٤ الجهد أي التعب.

^٥ انظر القصة في صحيح البخاري (٤) ومسلم (١٦١) ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

^٦ فترة الوحي هي المدة التي تأخر فيها نزول القرآن على النبي ﷺ ، ومع هذا فقد كان جبريل ينزل عليه ، قال الحافظ في «الفتح» شرح الحديث رقم (٤): (وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين - وهي ما بين نزول "اقرأ" و "يا أيها المُدَّثِّر" - عدم مجيء جبريل إليه ، بل تأخر نزول القرآن فقط. انتهى).

رواه جابر رضي الله عنه في الصحيحين.^١

فأخبر أن الملك الذي جاءه بحراء رآه بين السماء والأرض ، وذكر أنه رُعب منه ، فوقع في بعض الروايات الملك ، فظن القارئ أنه الملك ، وأنه الله ، وهذا غلط وباطل.

وبالجملة أن كل حديث فيه أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض ، وفيه أنه نزل له إلى الأرض ، وفيه أن رياض الجنة من خطوات الحق ، وفيه أنه وطئ على صخرة بيت المقدس ؛ كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم.

وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة ، لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحدا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت ، وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه لما ذكر الدجال قال: واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت.^٢

وكذلك زُوي هذا عن النبي ﷺ من وجوه أخر يحذر أمته فتنة الدجال ، وبَيِّن لهم أن أحدا منهم لن يرى ربه حتى يموت ، فلا يظن أحد أن هذا الدجال الذي رآه هو ربه.

ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله و يقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة ، قال النبي ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان ؛ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.^٣

ثم قال:

^١ رواه البخاري (٦) ومسلم (١٦١).

^٢ هو في صحيح مسلم في كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد ، عن بعض أصحاب النبي ﷺ ، وليس عن النواس بن سمعان رضي الله عنه ، فقد وهم الشيخ رحمه الله.

ورواه أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما في نفس الكتاب والباب.

^٣ رواه مسلم (٨) ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

ذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة يتمسك بها بعض الحُلُولية والجواب عنها

نعم ، رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة ، وهي أيضا للناس في عرصات القيامة ، كما تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ ، حيث قال: إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب ، وكما ترون القمر ليلة البدر صحوا ليس دونه سحاب.^١ وقال: جنات الفردوس أربع ؛ اثنتان من ذهب ، حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وثنتان من فضة ، حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن.^٢ وقال ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة ؛ نادى منادٍ: يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدا يريد أن يُنجزكموه.

^١ الأحاديث المثبتة لرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة متواترة عن النبي ﷺ ، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة. قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فهل تمارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك. رواه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢).

قال ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل» (٣٠/٧): وأهل العلم بالحديث يعلمون أن أحاديث الرؤية متواترة أعظم من تواتر كثير مما يظنونونه متواترا ، وقد احتج (هكذا في المطبوع ، ولعل الصواب: أخرج) أصحاب الصحيح منها أكثر مما خَرَّجوه في الشُّفْعة والطلاق والفرائض وسجود السهو ومناقب عثمان وعلي وتحريم المرأة على عمتهما وخالتها والمسح على الخفين والإجماع وخبر الواحد والقياس ، وغير ذلك من الأبواب الذين يقولون إن أحاديثها متواترة.

فأحاديث الرؤية أعظم من حديث كل نوع من هذه الأنواع ، وفي الصحاح منها أكثر مما فيها من هذه الأنواع. انتهى كلامه.

^٢ رواه الدارمي في سننه ، كتاب الرقاق ، باب: في جنات الفردوس ، وابن منده في «الإيمان» (٧٨١) ، ومسلم (١٨٠) بنحوه ، عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه.

فيقولون: ما هو؟ ألم يُبَيِّضْ وجوهنا ، ويُثَقِّلْ موازيننا ، ويُدخلنا الجنة ، ويُجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة.^١ وهذه الأحاديث وغيرها في الصحاح ، وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول ، واتفق عليها أهل السنة والجماعة ، وإنما يُكذَّبُ بها أو يُحَرِّفُها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم ، الذين يُكذِّبون بصفات الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك ، وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة. ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله ﷺ في الآخرة ، وبين تصديق الغالية بأنه يُرى بالعيون في الدنيا ، وكلاهما باطل.

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم أنه يراه بعيني رأسه في الدنيا هم ضلال كما تقدم ، فإن ضَمُّوا إلى ذلك أنهم يرونه في بعض الأشخاص ، إما بعض الصالحين أو بعض المُردان^٢ أو بعض الملوك أو غيرهم ؛ عَظُمُ ضلالهم وكفرهم ، وكانوا حينئذ أضل من النصارى الذين يزعمون أنهم رأوه في صورة عيسى ابن مريم ، بل هم أضل من أتباع الدجال الذي يكون في آخر الزمان ، ويقول للناس: (أنا ربكم) ، ويأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبث ، ويقول للخربة^٣: (أخرجني كنوزك) ، فتتبعه كنوزها.^٤

^١ أي الزيادة المذكورة في قول الله تعالى فقال ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ، والحديث رواه الترمذي (٢٥٥٢) ، والنسائي في «الكبرى» ، (تفسير سورة يونس) ، وأحمد (١٥/٦) ، وابن حبان (٤٧١/١٦) ، عن صهيب رضي الله عنه ، وصححه الألباني ومحققو «المسند».

^٢ المراد جمع أمرد وهو الشاب الذي بدا شاربه وبلغ خروج لحيته ولم تبد. انظر «لسان العرب».

^٣ الخربة هي موضع الخراب. انظر «المعجم الوسيط».

^٤ انظر صحيح مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

وهذا هو الذي حدّر منه النبي ﷺ أمته ، وقال: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال.^١

وقال: إذا تشهد أحدكم فليستعد بالله من أربع ، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال.^٢
فهذا ادّعى الربوبية ، وأتى بشبهاتٍ فتن بها الخلق ، حتى قال فيه النبي ﷺ: (إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور)^٣ ، (تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت).^٤
فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس ، لعلمه ﷺ بأن من الناس من يضل ، فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر ، كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك ، وهؤلاء قد يُسمّون الحُلُولية والاتحادية. انتهى كلامه رحمه الله.^٥

^١ رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٤/٢٢) ، وفي رواية: (أكبر من الدجال) ، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٦/٧) ، عن هشام بن عامر رضي الله عنه.

^٢ رواه مسلم (٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٣ رواه البخاري (٧١٣١) ، ومسلم (٢٩٣٣) عن أنس رضي الله عنه.

^٤ تقدم تخريجه قريبا.

^٥ انتهى النقل عن الشيخ رحمه الله ، وهو مثبت في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٨٥ - ٣٩٢) ، باختصار وتصرف يسير.

شبهة والجواب عنها

أخطأ بعض الناس في فهم بعض الأحاديث الصحيحة ، ففهموا منها خلل الله في ذات عبده المؤمن - تعالى الله عن ذلك وتقدس - منها حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته.^١

فظنوا أن قوله (كنت سمعه الذي يسمع به... إلخ) تفيد أن الله جزء من المخلوق أو يحل به!

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١. أن الله تعالى قال في الحديث: (من عادى لي وليا) ، ففيه تفریق بين الله وبين وليه وبين عدوه ، فدل ذلك على مباينة كل واحد منهم للآخر.
٢. أنه ذكر في الحديث عبدا ومعبودا ، ومتقربا ومتقربا إليه ، ومحبا ومحبوبا ، وسائلا ومستولا ، ومُعطيًا ومُعطى ، ومستعيذا ومُستعاذا به ، ومُعيدا ومُعادا ، فالحديث يدل على اثنين ، مباين كل واحد منهما للآخر ، فإذا كان الأمر كذلك لم يدل الحديث على أن الخالق جزء من المخلوق أو يحل في المخلوق.

^١ رواه البخاري (٦٥٠٢).

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

٣. أنه قال: (إذا أحببته كنت سمعه... إلخ) ، ولم يقل كنت إياه ، فدل ذلك أيضا على مباينة الخالق للمخلوق.

قال ابن تيمية رحمه الله:

وقوله: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به.. إلى آخره) ، فلم يقل كنت إياه ، ولا فيه أن فعل أحدهما هو فعل الآخر ، ولكن أخبر أن إحساس العبد وفعله يقع بالله ، لأن العبد إذا صار لله فيما يحبه ويرضاه ، ويجب ما يجب ، ويغض ما يغض ، ويرضى بما يرضى ، ويأمر بما يأمر ، وينهى بما ينهى ؛ صار الإيمان به ومعرفته وتوحيده في قلبه ، وإحساسه وأفعاله تقع به. وهذا الأمر الذي يقع في القلب نظير قوله تعالى فيما للسان: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه)^١ ، فقال: (تحركت بي) ، وإنما تتحرك باسمه ، كذلك قوله: (بي يسمع وي يصر وي يبطش وي يمشي) ، أي بما في قلبه من الإيمان بي ، وقد يسمى هذا المثال العلمي ، وهذا كثير في الكلام ، كقول القائل:

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره

وقال آخر:

ومن عجيبي أي أحنُّ إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

^١ حديث أبي هريرة رضي الله عنه لفظه: أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه. رواه البخاري معلقا مجزوما به ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ ، ورواه ابن ماجه (٣٧٩٢) وأحمد (٥٤٠/٢) ، وقال محققو «المسند»: حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن. والشاهد أن الباء للمصاحبة ، وليس المقصود أن الله يجلس في شفتي من ذكره - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

وقد يسمى هذا حلولا ، لحلول معرفته ومحبته في العارف المحب ، وقد غلط بعض الناس فظن أن ذات المعلوم المحبوب محل ، وهذا غلط ، كما غلط من قال بحلول ذات الرب في بعض عبيده ، كالنصارى ، ومن ضاهاهم من غلاة الشيعة ، وجهال الصوفية.^١

قال مقيده عفا الله عنه: المخلوق إذا أحب مخلوقا آخر محبة تامة حصل بينهما نحو من هذا ، فيحب ما أحبه أخوه ، ويغض ما أبغضه ، ويتألم بألمه ، ويلتذ بلذته ، يدل لذلك حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.^٢

فهذا الاتحاد المعنوي بين المؤمنين لا يُفِيد حلول بعضهم في أجساد بعض ، أو أن ذات أحدهم هي بعينها ذات الآخر ، فمن باب أولى ألا يفيد ذلك حلول الخالق في ذات المخلوق.

٤ . أن الله رَبَّ هذه الأمور (كنت سمعه وبصره ويده ورجله) بعد محبته للعبد ، ولو كان الله يحل في المخلوقين - كما يقولون - لكان ذلك قبل المحبة وبعدها.^٣

فإن قيل: وما معنى الحديث إذا؟

فالجواب: أن المعنى أن الله تعالى يُسَدِّد عبده الكثير التقرب بالنوافل في حواسه وجوارحه ، أي في سمعه وبصره ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، فيكون ذلك لله إخلاصا ، وبالله استعانة ، وفي الله شرعا واتباعا.^٤

وقال ابن تيمية رحمه الله:

^١ بتصرف من «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢١٨/١ - ٢٢٠).

^٢ رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

^٣ بتصرف من «مجموع الفتاوى» (٣٧٢/٢).

^٤ بتصرف من «إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المختار» ، ص ١٦ ، للشيخ الراحل محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله.

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

والعبد العارف بالله تتحد إرادته بإرادة الله ، بحيث لا يريد إلا ما يريد الله ، أمراً به ورضاً ، ولا يحب إلا ما يحبه الله ، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله ، ولا يلتفت إلى عدل^١ العاذلين ، ولوم اللائمين ، كما قال سبحانه ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾^٢.

فالخاصل أن المعنى الصحيح لهذا الحديث وما شابهه من الأحاديث ؛ أن ولي الله يُسَدِّده الله في سمعه وبصره ومشيه ، فيبقى إدراكه لله وبالله ، وعمله له وبه ، بل وحياته كلها لله ، كما قال تعالى لنبيه ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ ، فلم يبق في سمعه نصيب لغير الله ، ولا في بصره نصيب لغيره ، ولا في سائر أعضائه كذلك ، فما أحب الله سماعه سمعه ، وما كره الله سماعه تجنب سماعه ، وما أحب الله رؤيته رآه ، وما كره الله رؤيته لم ينظر إليه ، فيكون في سمعه وبصره نوراً يُميز به الحق من الباطل ، والبر من الإثم ، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعائه: اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، واجعل لي نوراً^٣.

^١ العذل هو اللوم. انظر «المعجم الوسيط».

^٢ «مجموع الفتاوى» (٧٧/١١).

^٣ رواه البخاري (٦٣١٦) واللفظ له ، ومسلم (٧٦٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

شبهة والجواب عنها

ومن الأحاديث التي أُسيء فهمها أيضاً واستند عليها بعض الجهَّال ممن يقول بحلول الله في خلقه ؛ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تُعُدني .

قال: يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تُعده؟ أما علمت أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده؟
يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تُطعمني .

قال: يا رب ، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تُطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟

يا ابن آدم ، استسقيتك فلم تسقني .

قال: يا رب ، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟

قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي.^١

وفي لفظ آخر أنه قال: مرضت فلم يُعُدني ابن آدم ، وطمِئت فلم يسقني ابن آدم .

فقلت: أتمررض يا رب؟

قال: يَمرُض العبد من عبادي ممن في الأرض فلا يُعاد ، فلو عادَه كان ما يعودُه لي ، ويظمأ في

الأرض فلا يُسقى ، فلو سُقي كان ما سقاه لي.^٢

^١ رواه مسلم (٢٥٦٩).

^٢ رواه أحمد (٤٠٤/٢) ، وصححه محققو «المسند».

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

وقد ظن بعض الناس أن قوله تعالى: (أما علمت أنك لو عُدتَّه لوجدتني عنده؟) وقوله: (أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟) ؛ يفيد حلول ذات الله في العبد أو في الأرض أو في كل مكان!

وهذا الزعم باطل من خمسة وجوه:

١. أنه قال: (لو عدته لوجدتني عنده) ، ولم يقل: (لوجدتني إياه) ، وقال: (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي) ، ولم يقل: (لوجدتني أكلته).

ففي الحديث تفريق بين الله وبين عبده المريض وكذا الجائع ، فدل ذلك على أن الرب ليس هو العبد ولا يحل فيه ، ولا صفتة صفتة ، ولا فعله فعله.

٢. أن الخطاب غير متوجه للرب مطلقا ، بل متردد بين الرب والعبد ، فالرب يقول: (يا ابن آدم...) ، وابن آدم يقول: (يا رب...) ، فدل ذلك على أن الخطاب ليس صادرا عن ذات واحدة ، بل عن ذاتين متباينتين ، ذات الرب وذات العبد ، وعليه فأحدهما لا يحل في الآخر ، بل مباين له ، مغاير.

٣. لو كان الله يحل في المريض لقال الله: نعم ، جوابا لقول العبد (أمرض يا رب؟) ، بل قال: يمرض العبد من عبادي ممن في الأرض فلا يُعاد ، فدل ذلك على أن الله في السماء ، وأنه لا يحل في المريض ولا في الأرض.

٤. أنه عبر في أول الحديث بلفظ (مرضت) ، ثم فسره في تمامه بأن (عبدي فلانا مرض ، فلو عدته لوجدتني عنده) ، فميز بين العبد والرب.

٥. أيضاً فقد علم المُخاطَبُ أن الرب لا يمرض ، لأن هذه صفة نقص ، ينزه الله عنها ، فالمقصود هو العبد قطعاً لا الرب ، فلم يكن هناك تلبيس من جهة السمع ولا من جهة العقل.

فإن قيل: فما المقصود من الحديث إذًا؟

فالجواب: أن المقصود من الحديث إظهار شرف عيادة المريض ، وإطعام الفقير ، وبيان عظيم أجرهما ، وكبير فضلهما ، واستمع إلى قوله تعالى: فلو عاده كان ما يعود له لي ، ويظماً في الأرض فلا يُسقى ، فلو سُقي كان ما سقاه لي .

قال النووي رحمه الله في شرحه على «صحيح مسلم»:

قالوا: ومعنى (وجدتني عنده) أي وجدت ثوابي وكرامتي ، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث: (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ،... ، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي) ، أي ثوابه . والله أعلم.^١

وقال أبو يعلى الفراء في كتابه «إبطال التأويلات لأخبار الصفات»:

اعلم أن هذا الخبر قد اقترن به تفسير من النبي ﷺ في بعضه ، فوجب الرجوع إلى تفسيره ؛ وذلك أنه فسّر قوله: (مرضتُ) و(استطعمتُ) و(استسقيتُ) ، على أنه إشارة إلى مرض وَلِيِّهِ واستسقاؤه واستطعامه ، وأضاف ذلك إلى نفسه إكراماً لوليه ورفعة لقدره ، وهذه طريقة معتادة في الخطاب ، يخبر السيد عن نفسه ويريد عبده إكراماً له وتعظيماً .

وأما قوله: (لو عدته لوجدتني عنده) ، معناه: وجدت رحمتي وفضلي وثوابي وكرامتي في عيادتك له.^٢ ونظير هذا الحديث القدسي حديث قدسي آخر ، وهو قوله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به.^٣

^١ (٦ / ١٢٥ - ١٢٦).

^٢ (١ / ٢٢٤ - ٢٢٥) باختصار.

^٣ رواه البخاري (٥٩٢٧) ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

فدل قوله: «فإنه لي» على عظيم شرف الصوم ، وإلا فإن كل عمل ابن آدم لله ، ولكن هذه الإضافة لله تفيد خصوصية شرف وفضل لعبادة الصوم ، فكذلك عيادة المريض وإطعام الجائع ، أضافها الله إلى نفسه لإظهار فضلها وشرفها ، والله أعلم.

ونظير هذا أيضا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يريها لصاحبه كما يري أحدكم فُلُوهُ^١ حتى تكون مثل الجبل.^٢

فقوله: (يتقبلها بيمينه) يعني قبول الله لتلك الصدقة وتنميتها لها ، لا أن الله حلَّ في ذات المُتصدِّق عليه لما تُصدَّق عليه.

وقل مثل ذلك أيضا في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ ، فبيعة الصحابة للرسول ﷺ يوم الحديبية - والتي تسمى بيعة الرضوان - أضافها الله لنفسه إضافة تشريف لعظمتها ، وليس المقصود أن الله حلَّ في ذات الرسول ﷺ لما بايعه الصحابة بيعة الرضوان وصافحوه بأيديهم ، بل المقصود إظهار شرف تلك البيعة لما أضافها الله إلى نفسه فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ ، والله أعلم.

^١ الفُلُو هو المُهر الصغير ، صغير الحصان.

^٢ رواه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه مالك في كتاب الصدقة ، باب الترغيب في الصدقة ، عن سعيد بن يسار رضي الله عنه.

فائدة

فإن قيل: ما معنى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى بُصاقاً في جدار القبلة فحكَّه ثم أقبل على الناس فقال: إذا كان أحدكم يُصلي فلا يبصق قِبَلَ وجهه ، فإن الله قِبَلَ وجهه إذا صلى.^١

فالجواب من ثلاثة وجوه:

أولاً: أن هذا الحديث حقٌّ على ظاهره ، فالله سبحانه فوق العرش ، وهو قِبَلَ وجه المصلي ، والمصلي يناجي ربه مع كونه فوقه ، فليس كل ما كان قِبَلَ وجه الإنسان كان حالاً معه على الأرض ، فالسما والشمس والقمر قِبَلَ وجه المصلي مع كونها فوقه ، فإذا كان هذا الوصف جائز في حق المخلوقات ، فمن باب أولى هو جائز في حق الله تعالى ، لأن الله أعلى من كل المخلوقات.^٢

ثانياً: أن القرائن والنظائر لهذا الحديث تبين أن مقصوده ﷺ في قوله: (إن الله قِبَلَ وجه المصلي) ؛ أنه بين يدي الله.

فأما القرائن فحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إذا قام أحدكم يصلي فلا يبصق في قبلته ، فإنما يناجي ربه تبارك وتعالى.^٣

^١ رواه البخاري (٤٠٦) واللفظ له ، ومسلم (٥٤٧).

^٢ انظر «الفتوى الحموية» ، كما في «مجموع الفتاوى» (١٠٧/٥) ، وينحوه قال ابن عثيمين رحمه الله في «شرح العقيدة الواسطية»

(٤٦/٢) ، وانظر «مختصر الصواعق» لابن القيم رحمه الله ، ص ٤٦٤ .

^٣ رواه أحمد (٣٢/٢) ، وصححه محققو «المسند».

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه وإنما يناجي الله ما دام في مصلاه ، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا ، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها.^١

وفي لفظ أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان أحدكم في صلاته فلا يبصق أمامه ، فإن ربه أمامه ، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه.^٢

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربه عز وجل ، فلا يبزقن ... الحديث.^٣

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعجبه العراجين^٤ أن يمسكها بيده ، فدخل المسجد ذات يوم وفي يده واحد منها ، فرأى نخامات في قبلة المسجد فحتهن به حتى أنقاهن ، ثم أقبل على الناس مُغضبا فقال: أوجب أحدكم أن يستقبله رجل فيبصق في وجهه؟ إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه عز وجل ، والملك عن يمينه ، فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه ، وليبصق تحت قدمه اليسرى أو عن يساره ، فإن عجلت به بادرة فليقل هكذا ، وردَّ بعضه على بعض ، وتفل يحيى في ثوبه ، وذلكه.^٥

^١ رواه البخاري (٤١٦).

^٢ رواه أحمد (٦٥/٣) ، وصححه محققو «المسند».

^٣ رواه أحمد (٢٧٣/٣) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

^٤ العراجين ؛ جمع عُرجون ، وهو العود الذي فيه شماريح العذق «النهاية في غريب الحديث».

^٥ رواه أحمد (٢٤/٣) ، وقال محققو «المسند»: إسناده قوي.

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

وفي لفظ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى في قبلة المسجد نخامة فحكَّها بالعرجون ثم أقبل عليهم فقال: أيكم يجب أن يُعرض الله عنه؟ قال: فخشعنا ، ثم قال: أيكم يجب أن يعرض الله عنه؟ قال: فخشعنا ، ثم قال: أيكم يجب أن يعرض الله عنه؟ قلنا: لا ، أيُّنا يا رسول الله؟

قال: فإن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قِبَل وجهه ، فلا يبصقن قِبَل وجهه ولا عن يمينه ، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى ، فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هكذا - ثم طوى ثوبه بعضه على بعض -^١

فالأحاديث كلها تدل على شيء واحد وهو: أن الإنسان في الصلاة بين يدي ربه ، فليس من اللائق أن يبصق بين يديه ، بل يبصق عن شماله تحت قدمه اليسرى ، تعظيماً لله عز وجل ، وإكباراً لحقه سبحانه وتعالى.

وللفائدة ؛ فليس من اللائق أيضاً أن يرفع المصلي بصره ، بل يقف بذل بين يدي العزيز وقد خفض بصره ، إما تلقاء وجهه أو إلى موضع سجوده.^٢

وأما النظائر ففي يوم القيامة يناجي المؤمن ربه مع أنه فوقه ، كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ... ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، ثم ليقولن له: ألم أُوتِكَ مالا.^٣

^١ رواه مسلم (٣٠١٤) واللفظ له ، وأبو داود (٤٨٥).

^٢ انظر ما قاله ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى في وصف المؤمنين في صلاتهم ﴿والذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (سورة المؤمنون: ٢).

^٣ رواه البخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦).

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

فالشاهد قوله: (ليقفن أحدكم بين يدي الله) ، فهذه اللفظة نظيرة قوله ﷺ في الحديث المتقدم: (فإن الله قبيل وجهه) ، وقوله (فإن ربه أمامه) ، وقوله (فإنما يستقبل ربه عز وجل) ، والحمد لله. فإن قيل: وما معنى قول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (احفظ الله تجده أمامك) ، وفي رواية (تجده تُجاهك)؟

فالجواب ما قاله ابن رجب رحمه الله تعالى:

معناه أن من حفظ حدود الله ، وراعى حقوقه ؛ وجد الله معه في جميع الأحوال ، يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده ، فإنه قائم على كل نفس بما كسبت ، وهو تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال قتادة رحمه الله: من يتق الله يكن معه ، ومن يكن الله معه فَمَعَهُ الفئدة التي لا تُغلب ، والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل.

كتب بعض السلف إلى أخ له: أما بعد ، فإن كان الله معك فَمِمَّنْ تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟ والسلام.

فمن حفظ الله وراعى حقوقه وجده أمامه وتُجاهه على كل حال ، فاستأنس به واستغنى به عن خلقه.^١

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾^٢ ، ألا يفهم منه أن الله في كل مكان؟

فالجواب من وجوه:

^١ باختصار من «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس» ، ص ٦٦ - ٦٨ .

^٢ سورة البقرة: ١١٥ .

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

الأول: أنها نزلت قبل أن تفرض القبلة إلى المسجد الحرام ، لتعلمهم أن لهم التوجه إلى أي جهة شاؤوا في الشرق أو الغرب ، لأن الله له المشرق والمغرب ، ثم نسخ بالتوجه إلى القبلة ، روى ذلك ابن جرير عن قتادة.

وقال آخرون: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ إذنا منه بأن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب ، روى ذلك ابن جرير عن ابن عمر.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا على أنحاء مختلفة فقال الله لهم: لي المشرق والمغرب ، فأئى ولئيم وجوهكم فهي قبلة ، روى ذلك ابن جرير عن عامر بن ربيعة^١.

وقال آخرون: بل نزلت الآية في النجاشي ، حيث أنه مات قبل أن يصلي إلى القبلة ، فتنزع الصحابة في أمره ، وحال صلاته ، حيث أنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله هذه الآية إيذانا بقبول صلاته سواء كانت إلى المشرق أو المغرب ، طالما أنه يريد وجه الله ، روى ذلك ابن جرير عن قتادة.

وقيل: فأينما تولوا من أرض الله فثم قبلة الله التي توجهون وجوهكم إليها ، لأن الكعبة ممكن لكم التوجه إليها منها ، روى ذلك ابن جرير عن مجاهد.

وقيل: فأينما تولوا وجوهكم في دعائي فهناك وجهي ، أستجيب لكم دعاءكم ، روى ذلك ابن جرير عن مجاهد.

هذه هي وجوه التفسير المسندة عن الصحابة والتابعين في تفسير الآية ، وكلها تدور على التوجه للقبلة ، وليس فيها أدنى متمسك لمن قال غير ذلك.

^١ هو الصحابي عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك ، من السابقين الأولين ، وهاجر المجرتين ، وشهد بدرا ، انظر ترجمته في «السير» (٣٣٣/٢).

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

قال ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾:

أَحْبَرَ أَنَّ الْعَبْدَ حَيْثُ اسْتَقْبَلَ فَقَدْ اسْتَقْبَلَ قِبْلَةَ اللَّهِ ، لِيَبِينُ أَنَّهُ حَيْثُ أُمِرَ الْعَبْدَ الْاسْتِقْبَالَ وَالتَّوَلِيَةَ فَقَدْ اسْتَقْبَلَ وَوَلَّى قِبْلَةَ اللَّهِ وَوَجْهَتَهُ ، وَلِهَذَا ذَكَرُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيْمَا لَا يَتَعَيَّنُ فِيهِ اسْتِقْبَالَ الْكَعْبَةِ ، كَالْمَطْوُوعِ الرَّكَّابِ فِي السَّفَرِ ، فَإِنَّهُ يَصَلِّي حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، وَالْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ جِهَةَ الْكَعْبَةِ ، أَوْ لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ ، فَإِنَّهُ يَصَلِّي بِحَسَبِ إِمْكَانِهِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَمْكَنُ^١.

شبهة والجواب عنها

استشهد بعض الناس بقوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ؛ على أن الله حل في ذات الرسول ﷺ لما رمى المشركين يوم بدر.

والجواب من ثلاث وجوه:

١. أن تفسير الآية لا يقتضي ذلك لا من جهة اللغة ولا من جهة الواقع ؛ (فإن الله تعالى قال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ لأن النبي ﷺ أخذ حفنة من تراب وغيره ، فرمى بها المشركين فأصابته عيونهم ، وهزمهم الله بها ، ولم يكن في قدرة النبي ﷺ ذلك ، بل الله تعالى أوصل ذلك إليهم ، والرمي له طرفان ؛ حذف بالرمي ، ووصول إلى العدو ونكاية فيهم ، والنبي ﷺ فعل الأول ، والله فعل الثاني ، والمعنى: ما أوصلت الرمي إذا حذفته ، ولكن الله أوصله وهزمهم به ، فالذي أثبتته الله لنبيه غير الذي نفاه عنه ، وقد أثبت له رميا بقوله ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ ، ونفى عنه رميا

^١ «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٤٥٩-٤٦٠) ، بتصرف يسير.

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

بقوله ﴿وما رميت﴾ ، فأثبت لرسوله المبدأ ، ولنفسه المنتهى ، فكان هذا غير هذا ، لئلا يتناقض الكلام.^١

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى ﴿وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى﴾: فأضاف الرمي إلى نبي الله ثم نفاه عنه ، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي ، إذ كان - جل ثناؤه - هو الموصول المرمي به^٢ إلى الذين رُموا به من المشركين ، والمسبب الرمية لرسوله. انتهى. وروى ابن جرير في «تاريخه» أن المحاصرين لعثمان - رضي الله عنه - كانوا يرمونه بالحجارة ، فسألهم: ألا تتقون الله؟ ألا تعلمون أن في الدار غيري؟ فقالوا: لا والله ما رميناك.

قال: فمن رمانا؟

قالوا: الله.

قال: كذبتهم ، إن الله عز وجل لو رمانا لم يخطئنا ، وأنتم تُخطئوننا.^٣ قال ابن تيمية رحمه الله: هو صادق في ذلك ، فإن الله لما رمى قوم لوط وأصحاب الفيل أصابهم ، ولكنهم هم رَمَوْا عثمان وليس الله ، ولم يصيبوه.^٤

٢. أن هذا غير مطَّرد في باقي أفعال العباد ، فلو كان المراد هو حلول الله في خلقه لساغ أن يقال مثل هذا في جميع أفعال العباد عموماً والنبي ﷺ خصوصاً ، فيقال: ما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب ، وما طفت إذ طفت ولكن الله طاف ، وما أكلت إذ أكلت ولكن الله أكل ، ولكان يقال

^١ «الاستغاثة في الرد على البكري» (١٩٨/١ - ١٩٩) ، بتصرف.

^٢ أي هو الذي أوصل ما رُمي به ، وهو التراب.

^٣ «تاريخ الأمم والملوك» ، أحداث سنة خمس وثلاثين للهجرة ، ذكر الخبر عن قتل عثمان رضي الله عنه.

^٤ «الاستغاثة في الرد على البكري» (١٩٨/١).

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

لكل من رمى بقوسٍ: ما رميت إذا رميت ولكن الله رمى ، ويقال للكفار إذا رموا المسلمين: ما رميتم ولكن الله رمى ، وأشبهه هذا مما لا يقوله مسلم ولا عاقل ، وإنما الله تعالى ذكر هذه الآية لبيان نعمته على نبيه وعلى المؤمنين يوم بدر ، وما أيدهم به من النصر.^١

٣. ما قاله ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» بأن ذلك خرقٌ للعادة من الله سبحانه وتعالى ، فرمية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصابت من لم يكن في قدرته أن يصيبه ، فكان ما حصل من القتل وإصابة الرمية خارجا عن قدرتهم المعهودة ، وقال: وهكذا كل ما فعله الله من الأفعال الخارجة عن القدرة المعتادة بسبب ضعيف ، كإنباع الماء وغيره من خوارق العادات ، أو الأمور الخارجة عن قدرة الفاعل^٢ ، وهذا ظاهر.^٣

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: ألا يعنى قول الله تعالى ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ أن الله مختلط بمخلوقاته؟ الجواب: لا ، لأن المقصودين بالقرب هم الملائكة وليس الله ، ولكن الله أضاف القرب إلى نفسه ولم يضيفه إلى ملائكته كعادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها. قال ابن كثير رحمه الله: فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد ، وإنما قال ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ، كما قال في المحتضر ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ ، يعني ملائكته ، وكما قال تبارك وتعالى ﴿إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون﴾ ، فالملائكة نزلت بالذكر.^٤

^١ نقلا من «الاستغاثة في الرد على البكري» (١/٢٠٠ - ٢٠١) ، بتصرف.

^٢ أي فهذا من خرق العادات ، إكراما له ، وإظهارا لشرفه.

^٣ (٤٠/١٥).

^٤ «تفسير ابن كثير» ، سورة ق: ١٦ .

قلت: وهو أيضا كقول القائل: بنى الأمير البلد ، فهذا لا يعني أن الأمير باشر البناء بنفسه ، بوضع الحصى والطوب ، ولكن أُضيف فعل البناء إلى الأمير تعظيما له .
فإضافة فعل العباد إلى الله سائغ في اللغة العربية - لغة القرآن - ولا إشكال فيه .

شبهة والجواب عنها

فإن قيل: ألا يعني قول الله تعالى ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم﴾ ؛ أن الله في كل مكان وليس في السماء؟
فالجواب: أن الله تعالى يخبر في الآية الأولى عن ألوهيته ، وأنه إله أهل السماء وإله أهل الأرض ، وليس يخبر عن المكان ، ونظير ذلك أن يقال: إن فلاناً أمير في مكة وأمير في المدينة ، بمعنى أن إمارته ثابتة على مكة وعلى المدينة ، وليس مكانه في مكة وفي المدينة .
قال قتادة: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ قال: إله يعبد في السماء وإله يعبد في الأرض.^١

وقال ابن عبد البر رحمه الله: وَجَبَ حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه ، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء ، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض ، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير ، فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش ، والاختلاف في ذلك بيننا فقط ، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر .

^١ رواه الآجري في «الشرعية» (٧٢١) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٤٣/٢) ، وصححه محققه عبد الله الحاشدي ، وهكذا قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٤٣/٢) ، وعلي بن مهدي الطبري صاحب أبي الحسن الأشعري في كتابه «مشكل الآيات» ، كما في كتاب «العرش» للذهبي ص ١٣٣ .

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

وأما قوله في الآية الأخرى ﴿وفي الأرض إله﴾ ؛ فالإجماع والاتفاق قد بين المراد ، بأنه معبود من أهل الأرض ، فتدبر هذا ، فإنه قاطع إن شاء الله.^١
وقال الآجري رحمه الله: ومما يُلبَّسون به على من لا علم معه ؛ احتجوا بقوله عز وجل ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ ، ويقولون عز وجل ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ، وهذا كله إنما يطلبون به الفتنة ، كما قال الله تعالى ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ ، وعند أهل العلم من أهل الحق ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سرهم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ ، فهو كما قال أهل العلم ، مما جاءت به السنن ، أن الله عز وجل على عرشه ، وعلمه محيط بجميع خلقه ، يعلم ما يسرون وما يعلنون ، يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون.
وقوله عز وجل ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ؛ فمعناه أنه جل ذكره إله من في السماوات ، وإله من في الأرض ، إله يعبد في السماوات ، وإله يعبد في الأرض ، هكذا فسره العلماء.^٢

شبهة والجواب عنها

قال بعضهم: ألا يعني قوله تعالى ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾^٣ أن الله في كل مكان وليس في السماء؟

والجواب عن هذه الشبهة:

قال الإمام أحمد رحمه الله في تفسير هذه الآية:

^١ «التمهيد» (١٢٧/٦) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (١٣٤/٧) من ط المغربية.

^٢ «الشرعة» (٨٢/٢).

^٣ سورة الأنعام ، الآية ٣ .

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

وإنما معنى قول الله جل ثناؤه ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ يقول:
هو إله مَنْ في السماوات وإله مَنْ في الأرض ، وهو على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون
العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان ، فذلك قوله
﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله أحاط بكل شيء علماً﴾.

ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلاً كان في يديه قرح من قوارير صاف ، وفيه شراب صاف ، كان
بصر ابن آدم قد أحاط بالقرح من غير أن يكون ابن آدم في القرح ، فالله - وله المثل الأعلى -
قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى^١: لو أن رجلاً بنى له داراً بجميع مرافقها ، ثم أغلق بابها وخرج منها ؛ كان ابن آدم لا
يخفى عليه كم بيت في داره ، وكم سعة كل بيت ، من غير أن يكون صاحب الدار في جوف
الدار.

فالله - وله المثل الأعلى - قد أحاط بجميع خلقه ، وعلم كيف هو ، وما هو ، من غير أن يكون
في شيء مما خلق^٢.

وهكذا قال الإمام البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» في تفسير الآية الكريمة.
وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه للعلماء من
التفسير ، وكل واحد منها له مصداق في كتاب الله تعالى:

الأول: أن المعنى: ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ ، أي: وهو الإله المعبود في السماوات
والأرض ، لأنه جل وعلا هو المعبود وحده بحق في الأرض والسما ، وعلى هذا فجملة (يعلم)
حال ، أو خبره ، وهذا المعنى يبينه ويشهد له قوله تعالى ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض

^١ أي مثال آخر.

^٢ «الرد على الجهمية والزنادقة» ، (١٤٨ - ١٥٠) ، وانظر تعليق ابن تيمية عليه في «بيان تلبيس الجهمية» (٥٤٦/٢-٥٤٧).

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

إله ﴿أَيُّ: وهو المعبود في السماء والأرض بحق ، ولاعبرة بعبادة الكافرين غيره ، لأنها وبال عليهم يخلدون بها في النار الخلود الأبدي ...

وهذا القول في الآية أظهر الأقوال ، واختاره القرطبي.^١

الوجه الثاني: أن قوله ﴿في السماوات وفي الأرض﴾ يتعلق بقوله ﴿يعلم سرهم﴾ أي وهو الله يعلم سرهم في السماوات وفي الأرض ، ويبين هذا القول ويشهد له قوله تعالى ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض﴾ الآية.

قال النحاس: وهذا القول من أحسن ما قيل في الآية ، نقله عنه القرطبي.

الوجه الثالث: وهو اختيار ابن جرير ، أن الوقف تام على قوله ﴿في السماوات﴾ ، وقوله ﴿وفي الأرض﴾ يتعلق بما بعده ، أي يعلم سرهم وجهركم في الأرض^٢ ، ومعنى هذا القول أنه جل وعلا مستو على عرشه فوق جميع خلقه ، مع أنه يعلم سر أهل الأرض وجهركم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

ويبين هذا القول ويشهد له قوله تعالى ﴿أمأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أمأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ الآية ، وقوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، مع قوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ، وقوله ﴿فلننقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾. انتهى كلامه رحمه الله.^٣

^١ واختاره ابن بطه أيضا في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٤٣/٣-١٤٤٤).

^٢ وذكره البيهقي أيضا في «الأسماء والصفات» (٣٤٣/٢).

^٣ «أضواء البيان» ، تفسير الآية ٣ من سورة الأنعام ، قلت: وإلى المعنى الأخير أشار علي بن مهدي الأشعري ، صاحب أبي الحسن الأشعري ، رحمهما الله تعالى ، انظر كتاب «العرش» ، ص ١٣٣ .

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

قلت: وإلى المعنى الأخير أشار علي بن مهدي الأشعري ، صاحب أبي الحسن الأشعري ، رحمهما الله تعالى .

ورجح العلامة ابن عثيمين رحمه الله الوجه الأول وضعف الثالث ، فقال: وهذا المعنى^١ فيه شيء من الضعف ، لأنه يقتضي تفكيك الآية ، وعدم ارتباط بعضها ببعض ، والصواب الأول ؛ أن نقول ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ ، يعني أن ألوهيته ثابتة في السماوات وفي الأرض ، فتطابق الآية الأخرى^٢ .
ومهما يكن من قول ؛ فليس في شيء من أقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة أن الله حال في الأرض بذاته.

شبهة والجواب عنها

احتج بعضهم بقوله تعالى ﴿والله بكل شيء محيط﴾ ؛ على أن الله في كل مكان!
وقد أجاب عن هذه الشبهة ابن بطة العكبري رحمه الله فقال:
وأما قوله ﴿بكل شيء محيط﴾ ؛ فقد فسر ذلك في كتابه فقال:
﴿وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ ، فبيّن تلك الإحاطة إنما هي بالعلم لا بالمشاهدة بذاته^٤ ،
فبين تعالى أنه ليس كعلمه علم ، لأنه لا يعلم الغيب غيره^٥.

^١ أي الوقف التام على قوله ﴿وهو الله في السماوات﴾ ، ثم الابتداء من قوله ﴿وفي الأرض يعلم سرهم﴾ .

^٢ «شرح العقيدة الواسطية» (١/٤٠٠) .

^٣ يعني قوله تعالى ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ .

^٤ أي ليست إحاطته العلمية حاصله بحضوره بذاته ، وإنما هو فوق عرشه ويعلم كل شيء في الأرض والسماء ، سبحانه وتعالى .

^٥ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٣/١٤٥) .

ولكن لما لم تفهم الجهمية صفة علم الغيب لله تعالى كما ينبغي ؛ جعلوها تدل على الحلول الذاتي لا على العلم الغيبي ، ثم اضطروا لنفي صفة علم الغيب عن الله سبحانه وتعالى لما زعموا أن الله يعلم الأشياء بمشاهدته لها ليستقيم كلامهم ، قال ابن بطة:

ولو كان معنى قوله ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ أنه إنما علم ذلك بالمشاهدة ؛ لم يكن له فضل على علم الخلائق ، وبطل فضل علمه بعلم الغيب ، لأن كل من شاهد شيئاً وعاینه وحله بذاته فقد علمه ، فلا يقال لمن علم ما شاهده وأحصى ما عاینه إنه يعلم الغيب ، لأن من شأن المخلوق أن لا يعلم الشيء حتى يراه بعينه ويسمعه بأذنه ، فإن غاب عنه جهله ، إلا أن يعلمه غيره فيكون معلماً لا عالماً ، والله تعالى يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما بين ذلك ، وهو بكل شيء محيط بعلمه ﴿أحصى كل شيء عدداً﴾ و ﴿أحاط بكل شيء علماً﴾^١.

وقال أيضاً: وإنك لتجد في الصغير من خلق الله إنه ليرى الشيء وليس هو فيه ، وبينه وبينه حائل ، فالله تعالى بعظمته وقدرته على خلقه أعظم.

ألا ترى أنه يأخذ الرجل القدح بيده وفيه الشراب أو الطعام فينظر إليه الناظر فيعلم ما في القدح؟ والله على عرشه ، وهو محيط بخلق بعلمه فيهم ، ورؤيته إياهم ، وقدرته عليهم^٢.

شبهة والجواب عنها

فإن قيل: إن لفظة (بائن) التي وردت في كلام بعض العلماء - والتي تعني أن الله غير مخالط ولا ممازج لخلقه - غير واردة في الكتاب والسنة ، فلم يستعملها علماء المسلمين؟

^١ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٤٤/٣-١٤٥).

^٢ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١٤٧/٣).

فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ بعض الناس في فهمها وبيان الفهم الصحيح لها

قيل: قد أجاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتابه «مختصر العلو» عن هذا بما حصله أن هذه اللفظة (بائن) لا بأس من ذكرها للتوضيح ، وقد كثر ورودها في عقيدة السلف ، وقال بها جماعة ، وإن لم تكن معروفة في عصر الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان ؛ اقتضت ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأعلام بلفظ (بائن) دون أن ينكره أحد منهم ، وهذا تماماً كقولهم في القرآن إنه غير مخلوق ، فإن هذه الكلمة لا تعرفها الصحابة أيضاً ، وإنما كانوا يقولون (كلام الله تبارك وتعالى) ، لا يزيدون عن ذلك ، وكان ينبغي الوقوف فيه عند هذا الحد لولا قول جهم وأشياعه من المعتزلة إنه مخلوق ، فإذا نطق هؤلاء بالباطل وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفة من قبل .

وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى عندما سُئل عن (الواقفة) الذين لا يقولون في القرآن إنه مخلوق أو غير مخلوق ، هل لهم رخصة أن يقول الرجل (كلام الله) ثم يسكت؟ قال: وَلِمَ يسكت؟ لو لا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ، ولكن حيث تكلموا ، لأبي شيء لا يتكلمون؟!

سمعه أبو داود منه كما في «مسائله» ، (ص ٢٦٣-٢٦٤).^١

وقال ابن عثيمين رحمه الله ما حصله: الأصل أن كل شيء أضافه الله إلى نفسه فهو له نفسه ، ولا حاجة لنا أن نضيف عليها (بذاته) ، ألا ترى إلى قول الله تعالى ﴿وجاء ربك﴾ ، هل يحتاج إلى أن نقول: جاء بذاته؟ الجواب: لا ، اللهم إلا عند مجادلة من حرّف المقصود ، فقال: (جاء أمره) ، فهنا نقول جاء بذاته لرد تحريفه.^٢

^١ «مختصر العلو» ، ص ١٧ - ١٨ .

^٢ «شرح العقيدة الواسطية» (٨٣/٢-٨٤) ، بتصرف.

قلت: وقد جاءت هذه اللفظة (بائن من خلقه) عن جمع من السلف ، كإسحاق بن راهويه ، وابن المبارك ، وأبي زرعة الرازي ، وأبي حاتم الرازي ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، وأبي جعفر بن أبي شيبه ، والمزني صاحب الشافعي ، وكل هؤلاء من القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية ، وكذا قالها ابن خزيمة ، وأبو القاسم الطبراني ، وابن بطة ، وأبو نعيم الأصبهاني ، وغيرهم ، ونقلها عنهم الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار».

فالحاصل أنه لا حاجة بنا أن نقول: (استوى على العرش بذاته) ، و (ينزل إلى السماء بذاته) ، كما لا نحتاج أن نقول (خَلَقَ بذاته) ، و (قَدَرَ بذاته) ، و (سَمِعَ وتكلم بذاته) ، وإنما قال أئمة السنة ذلك إبطالا لقول المعطلة ، الذين عطّلوا صفات الرب عز وجل ، أي فرّغوها عما دلت عليه من معاني ، ومنها صفة العلو .

نبذة عن مذهب الاتحادية ، القائلين بوحدة الوجود

الاتحاد هو التمازج بين شيئين ليكون شيئاً واحداً ، والاتحادية هم القائلون بنظرية اتحاد الخالق بجميع المخلوقات ، والمعروفة بـ «وحدة الوجود» ، أي أن الوجود كله هو الإله المعبود ، أي أن الله سبحانه حقيقة كل موجود من جسم وعرض ومُخَيَّل وموهوم ، فليس هناك فرق عندهم بين الله وبين خلقه ، بل الكل شيء واحد وذات واحدة ، وهو الله ، ولذا سموها بـ «الاتحادية» ، تجلّى بصور الأشياء وأسمائها ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

وبناء على معتقدتهم فكل ما عُبد من دون الله فعبادته صحيحة وحق عندهم ، لأنه الله في الحقيقة عندهم ، تعالى الله عن ذلك ، ولهذا فهم يقولون إن دعوى فرعون للألوهية حق وصواب في قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ، وقد صرح بذلك ابن عربي^١ إمام الاتحادية ، ويُحطِّطون الأنبياء في محاربتهم للأوثان ، لأنها - بزعمهم - جزء من الله كغيرها من الموجودات ، كما صرح ابن عربي في كتابه «الفصوص» ص ١٩٤ - ١٩٥ عبادة بني إسرائيل للعجل ، وعبادة كل شيء مخلوق ، فماذا بعد هذا الكفر من كفر؟^٢

(وعقيدة «وحدة الوجود» أو «الاتحاد بين الخالق والمخلوق» أو «حلول الرب فيه» ؛ قول شيطاني قديم ، تسرب للمنتسبين للتصوف من مصادر دخيلة على الإسلام ، كالأفلاطونية والزرادشتية والمجوسية والهندوسية والجينية والبوذية ، وأخيراً النصرانية!

وقد ترتب على هذه العقيدة الفاسدة عند المتصوفة وأتباعهم نتائج سيئة ، وانحرافات خطيرة ، منها: أن لا فرق بين الخالق والمخلوق ، ولا الرب والعبد ، وإنما الكل شيء واحد ، وذات واحدة!!

^١ سيأتي التعريف به .

^٢ انظر «بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الاتحاد» ، من القائلين بالحلول والاتحاد» لابن تيمية ، ص ٤٧٧ ،

و ص ٥١٨ .

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

نبذة عن رموز مذهب الاتحادية

وأن كل ما عُبد من دون الله تعالى فهو حق ، لأنه الله في الحقيقة!! وبالتالي فلا إنكار على المشركين وعبدة الأوثان الذين امتلأ المصحف بالرد عليهم ، وإنكار أفعالهم وشركياتهم).^١

والتوحيد الذي يعتقده الاتحادية هو توحيد الرب مع العبد في الذات ، بل إن الكون كله متحد مع الرب في ذات واحدة ، ولهذا يسمون الاتحادية ، ولهذا يرون أن السجود للأصنام إنما هو سجود لله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وهؤلاء الاتحادية أكفر من النصارى ، فإن النصارى يرون اتحاد الله مع عيسى ابن مريم فحسب ، وهؤلاء الاتحادية يرون اتحاد الله مع الكون كله في ذات واحدة ، بما في ذلك أماكن الخلاء وأجواف الكلاب والقردة والخنازير ، عياذا بالله ، ولهذا كفرهم علماء الإسلام.

قال الشيخ الألباني رحمه الله:

وأما قول العامة وكثير من الخاصة: (الله موجود في كل مكان) ، أو في كل الوجود ، ويعنون: بذاته ؛ فهو ضلال ، بل هو مأخوذ من القول بوحدة الوجود الذي يقول به غلاة الصوفية الذين لا يُفرقون بين الخالق والمخلوق ، ويقول كبيرهم (كل ما تراه بعينك فهو الله) ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.^٢ اهـ.

ذكر أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في صنفى الاتحادية

قال ابن تيمية رحمه الله في أصناف الحلولية والاتحادية:

هم صنفان:

^١ قاله الشيخ محمد بن حمود النجدي في مقدمة تحقيقه لكتاب «إبطال وحدة الوجود والرد على القائلين بها» ، ابن تيمية ، ص ٦ ، الناشر: مكتبة الإمام الذهبي - الكويت.

^٢ «الصحيحة» (٣/٣٨).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

نبذة عن رموز مذهب الاتحادية

قوم يخصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الأشياء ، كما يقوله النصارى في المسيح عليه السلام ، والغالية في علي رضي الله عنه ونحوه ، وقوم في أنواع من المشائخ^١ ، وقوم في بعض الملوك ، وقوم في بعض الصور الجميلة ، إلى غير ذلك من الأقوال التي هي شر من مقالة النصارى .

وصنف يُعَمَّمون ، فيقولون بحلوله أو اتحاده في جميع الموجودات ، حتى الكلاب والخنازير والنجاسات وغيرها ، كما يقول ذلك قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية ، كأصحاب ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني والبلباني وغيرهم.^٢

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب أن الله سبحانه خالق العالمين ورب السماوات والأرض وما بينهما ، ورب العرش العظيم والخلق جميعهم عباده ، وهم فقراء إليه ، وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه ، ومع هذا فهو معهم أينما كانوا^٣ ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾.

فهؤلاء الضلال الكفار الذين يزعم أحدهم أنه يرى ربه بعينه ، وربما زعم أنه جالس وحادثه أو ضاجعه ، وربما يعين أحدهم آدميا ، إما شخصا أو صبيا أو غير ذلك ، ويزعم أنه كَلَّمهم ؛ يستتابون ، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم وكانوا كفارا ، إذ هم أكفر من اليهود والنصارى الذين قالوا: (إن الله هو المسيح ابن مريم) ، فإن المسيح رسول كريم ، وجيه عند الله في الدنيا والآخرة ،

^١ لعل الصواب: المشايخ ، جمع شيخ. انظر «لسان العرب» ، مادة: شيخ.

^٢ سيأتي التعريف إن شاء الله تعالى برموز الاتحادية في بحث: نبذة عن رموز مذهب الاتحادية.

^٣ أي معهم بعلمه وإحاطته سبحانه وتعالى.

^٤ أي الله تعالى.

ومن المقربين ، فإذا كان الذين قالوا إنه هو الله ، وإنه اتحد به ، أو حل فيه ؛ قد كفّرهم^١ وعظّم كفّرهم ، بل الذين قالوا إنه اتحد ولدا ، حتى قال ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا إذا * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ ، فكيف بمن يزعم في شخص من الأشخاص أنه هو؟ هذا أكفر من الغالية الذين يزعمون أن عليا رضي الله عنه أو غيره من أهل البيت هو الله ، وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرّقهم علي رضي الله عنه بالنار ، وأمر بأخايد^٢ خدت لهم عند باب كندة وقذفهم فيها بعد أن أجّلهم ثلاثا ليتوبوا ، فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار ، واتفقت الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم ، لكن ابن عباس رضي الله عنهما كان مذهبه أن يُقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول أكثر العلماء ، وقصبتهم معروفة عند العلماء.^٣ انتهى كلامه رحمه الله.

وقال أيضا رحمه الله:

الحلولية على وجهين ؛ أحدهما: أهل الحلول الخاص كالنصارى ، والغالية من هذه الأمة الذين يقولون بالحلول إما في علي وإما في غيره.

والثاني: القائلون بالحلول العام الذين يقولون في جميع المخلوقات^٤ ، نحو مما قالته النصارى في المسيح عليه السلام أو ما هو شر منه ، ويقولون: (النصارى إنما كفّروا لأنهم خصّصوا^٥) ، كما يقول

^١ أي الله تعالى .

^٢ أخايد جمع أخدود ، وهو الشق المستطيل في الأرض .

^٣ «مجموع الفتاوى» (٣/٣٨٥-٣٩٤) ، باختصار وتصرف يسير .

^٤ أي: يقولون إنه حلّ في جميع المخلوقات .

^٥ أي كفّروا لأنهم خصّصوا حلول الله في ذوات المخلوقين بالمسيح عليه السلام ولم يعمموا الحلول في جميع المخلوقات!

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

نبذة عن رموز مذهب الاتحادية

ذلك الاتحادية ، أصحاب صاحب «الفصوص»^١ وأمثاله ، وهم كثيرون في الجهمية ، بل عامة عباد الجهمية وفقهائهم وعامة الذين ينتسبون إلى التحقيق من الجهمية هم من هؤلاء ، كابن الفارض وابن سبعين والقونوي والتلمساني وأمثالهم.^٢

قلت: فانظر إلى هؤلاء الذين يسمون بالاتحادية ، يرون أن القول بالحلل العام هو الإيمان ، وأن الحلل في الخواص ، كعيسى وغيره ، هو الكفر ، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وقال أيضا رحمه الله:

ولهذا كان غير واحد من العلماء كعبد العزيز المكي^٣ وغيره يردون عليهم^٤ ، ويقولون إذا كان المسلمون كفروا من يقول إن الله حلّ في المسيح وحده ، فمن قال بالحلل في جميع الموجودات أعظم كفرا من النصارى بكثير.^٥

وقال أيضا رحمه الله:

فهؤلاء الذين يقولون بالاتحاد المطلق في المخلوقات جميعها من الجهمية ؛ قولهم ذلك شر من مقالة النصارى في الاتحاد^٦ ، فإن قولهم من جنس قول المشركين والمعطلين ، وهم شرُّ حالٍ من النصارى ، وذلك من وجهين:

^١ وهو ابن عربي ، الزنديق الهالك.

^٢ «درء تعارض العقل والنقل» (١٥١/٦ - ١٥٢) ، باختصار.

^٣ هو الفقيه المناظر ، عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي ، من تلاميذ الإمام الشافعي ، قدم بغداد في أيام المأمون ، فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة مشهورة في القرآن ، له كتاب «الحيدة» في مناظرته له لإثبات أن القرآن كلام الله وليس مخلوقا كما يزعمون ، توفي سنة ٢٤٠ . انظر ترجمته في «الأعلام» (٢٩/٤) للزركلي.

^٤ أي على الاتحادية.

^٥ انظر «درء تعارض العقل والنقل» (١٥٥/٦ - ١٥٦) ، باختصار يسير.

^٦ أي اتحاد الله بعيسى ، تعالى الله عن قولهم وكفرهم علوا كبيرا.

أحدهما أن النصارى قالوا بالاتحاد والحلول في شخص واحد ، وهؤلاء قالوا: إنه في العالم كله ، حتى ذكروا عن صاحب «الفصوص»^١: أنه قال: (النصارى ما كفروا إلا لأنهم خصصوا)^٢ ، وقال ذلك التلمساني وغيره من شيوخهم ، وقد صرح في غير موضع بأن المشركين عباد الأوثان إنما أخطئوا من حيث عبادة بعض الأشياء دون البعض ، والمحقق عندهم من يعبد كل شيء ويرى كل شيء عابدا للحق ومعبودا له ، وكل من عبد شيئا غير الله عنده فما عبد إلا الله ، وهذا يجمع كل شرك في العالم مع قوله إن الشريك هو الله ، كما زعمت النصارى إن الله هو المسيح بن مريم ، ولهذا كثيرا ما يصرح شيوخ الجهمية بأن الله في العالم كالزبد في اللبن ، وهذا قول اليعقوبية^٣ في المسيح ، وقد قالوا في مجموع الوجود ما يقوله النصارى في المسيح.

الوجه الثاني: إن النصارى يقولون بأن الاتحاد والحلول فعل من أفعال الرب ، وإن اللاهوت اتحد بالناسوت مرة وانفصل عنه أخرى ، وهؤلاء عندهم ما يُتصور أن يتميز وجود الحق عن المخلوقات ولا يباينها ولا ينفصل عنها ، وهؤلاء الاتحادية هم أكفر وأضل ممن يقول إن الله تعالى بذاته في كل مكان ونحو ذلك من المقالات الشنيعة المتقدمة ، ولكنهم مشاركون لهم في أصل المقالة وزائدون عليهم في الضلالة.^٤

قال مقيده عفا الله عنه:

^١ صاحب كتاب الفصوص ، أي فصوص الحكم ، هو ابن عربي.

^٢ أي خصصوا الحلول بعيسى ابن مريم ، ولو أنهم عمموا حلول الله بجميع الخليفة لما كفروا حسب زعمه ، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا.

^٣ اليعقوبية فرقة من فرق النصارى ، ينتسبون إلى يعقوب عليه السلام ، وهم ممن يقول إن المسيح هو الله نفسه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. انظر «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (١/٦٥) ، (تحقيق أحمد شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت) ، وكذا «الملل والنحل» للشهرستاني (١/٥٤١) ، (تحقيق: محمد بدران ، الناشر: أضواء السلف - الرياض).

^٤ «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٥٢٢-٥٢٣).

اعلم أخي المسلم عصمني الله وإياك من الغواية والردي أن معتقد النصارى هو الغلو جدا في المسيح عليه الصلاة والسلام ، حتى قالوا باتحاد الخالق به ، تعالى الله عن ذلك ، وهكذا قال السبئية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأما أصحاب القول بالاتحاد العام ، وهم أصحاب عقيدة «وحدة الوجود» ، فزادوا على النصارى وعلى السبئية ، فإن معتقدهم هو أن الموجودات هي عين الله وذاته! وأن كل شيء منها فهو جزء من الله ، وأن الموجودات تمثل - بمجموعها - الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، والذي تبني هذا القول ابن عربي وابن سبعين وأمثالهم ، وقد كفرهم علماء المسلمين ، وانظر ما قاله ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/١٤٠-١٤١).

وأما الجهمية فيقولون إن الله في كل مكان ، وهم في هذا يختلفون مع الاتحادية في أن الاتحادية يقولون إن كل مخلوق من المخلوقات فهو جزء من الله ، أما الجهمية فلا يقولون ذلك ، بل يقولون إن الله حلّ في المخلوقات ، وكلاهما كفر ، ولكن كفر الاتحادية الوجودية أعظم.

ومنطلق الجهمية في قولهم - بأن الله في كل مكان - ليس الغلو بشخص معين ، وإنما آل بهم التأويل الفاسد لآيات الصفات إلى هذا ، تأثرا بالأمم الوثنية الأخرى ، وهم منابذون للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة ، مع أنهم ينتسبون للإسلام ، وقد كفرهم أهل السنة ، بل كفرهم خمسمائة عالم من علماء السلف كما قاله ابن القيم في «نونيته» ، لأن قولهم فيه نفي لصفة الغلو التي وصف الله بها نفسه ، وافتراء الكذب على الله بقولهم إنه يحل في كل مكان ، وهذا فيه سبّ لله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وأما أهل الحق ، المتبعين للكتاب والسنة ، جعلنا الله وإياك منهم وفيهم ، فيعتقدون أن الله في السماء فوق جميع خلقه على عرشه ، لا يختلط بخلقه ولا يمازجهم ، وهو مع هذا معهم بعلمه وسمعه وبصره ، لا يعزب عنه شيء من حالهم ومقالمهم.

فصل في بيان رموز الاتحادية

دعاة فرقة الاتحادية كثيرون ، وفيما يلي ذكر أبرز دعاة هذه الفرقة:

١. ابن عربي ، وهو أبو بكر محمد بن علي الأندلسي المرسي ، الملقب بمحيي الدين ، والحق أنه لم يحيي الدين ، وليته ترك الدين وشأنه ، واشتهر بابن عربي تمييزاً له عن القاضي المالكي ابن العربي^١ ، ولد في مدينة مرسية بالأندلس سنة ٥٦٠ هـ ، وتنقل في البلدان بين المشرق والمغرب ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨ هجري ، له عدة تصانيف ، أشهرها «الفتوحات المكية» و «فصوص الحكم».

وابن عربي هو المُنظّر لعقيدة «وحدة الوجود» ، وإمام القائلين بها ، قال ابن كثير رحمه الله في «البدية والنهاية»^٢ في ابن عربي إنه صنف كتاب «الفتوحات المكية» في نحو عشرين مجلداً ، فيها ما يعقل وما لا يعقل ، وما ينكر وما لا ينكر ، وما يعرف وما لا يعرف ، وله كتابه المسمى بـ «فصوص الحكم» ، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح.

وانظر ما قاله الذهبي في كتابه «فصوص الحكم» في ترجمته في «ميزان الاعتدال» و «السير»^٣.

٢. ومن رموزهم أيضاً التلمساني ، سليمان بن علي بن عبد الله ، وقد نُسب إلى هذا الرجل عظام في الأقوال والاعتقاد ، في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض ، انظر ما قاله عنه ابن كثير في «البدية والنهاية» ، أحداث سنة ٦٩٠ هـ ، وقال عنه الذهبي في «العبر» (٣٦٧/٥): أحد زنادقة الصوفية.

^١ هو الإمام العلامة الحافظ القاضي ، أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد ، ابن العربي الأندلسي الأشبيلي المالكي ، صاحب التصانيف ، مثل «عارضة الأحوذى في شرح جامع أبي عيسى الترمذي» ، وله مؤلفات عدة في التفسير والفقه والنحو ، توفي بفاس سنة ٥٤٣ هـ . انظر ترجمته في «السير» (١٩٧/٢٠).

^٢ أحداث سنة ثمان وثلاثين وستمئة.

^٣ (٤٨/٢٣).

وقد آل الأمر به إلى القول بأن نكاح الزوجة والأم والأجنبية والأخت واحد ، لأن هذا من لوازم وحدة الوجود ، ذكره ابن العماد في «شذرات الذهب» (٤١٢/٥).

٣. ومن رموزهم الاتحادية ابن سبعين ، وهو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد المقدسي الرقوتي نسبة إلى رقوطة ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة ، فتولد له من ذلك نوع من الاتحاد وصنف فيه ، وجاور في بعض الأوقات بغار حراء ، يَرَبِّحِي - فيما ينقل عنه - أن يأتيه فيه وحي كما أتى النبي ﷺ ، بناء على ما يعتقد من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة ، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا ، وقد كان إذا رأى الطائفتين حول البيت يقول عنهم (كأنهم الحمير حول المدار) ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت ، وقد نُقِلت عنه عظام من الأقوال والأفعال ، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة سنة ٦٦٩ هـ.^١

قال ابن حجر: واشتهر عنه مقالة ردية ، وهي قوله: لقد كذب ابن أبي كبشة^٢ على نفسه حيث قال: لا نبي بعدي.^٣

وقال ابن تيمية في «منهاج السنة» إن ابن سبعين جاء من المغرب إلى مكة ، وكان يطلب أن يصير نبيا ، وكان يقول: لقد زرت ابن آمنة الذي يقول: (لا نبي بعدي).^٤ ولا بن سبعين كتاب «لوح الإصابة».

^١ نقلا من «البداية والنهاية» ، بتصرف واختصار يسير.

^٢ يعني النبي ﷺ .

^٣ انظر ترجمته في «لسان الميزان».

^٤ (٢٥/٨).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

نبذة عن رموز مذهب الاتحادية

٤. ومن رموزهم ابن الفارض ، عمر بن علي الحموي ثم المصري ، وقد كان شاعر تلك الطائفة ، ومعاصرا لابن عربي ، وله «تائيّة» تحكي عقيدتهم ، قال الذهبي في «السير»: فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد فما في العالم زندقة ولا ضلال. انتهى مختصرا.^١

٥. والفتاح لباب عقيدة وحدة الوجود هو الحسين بن منصور الحلاج ، فقد قال إنه هو الله ، لكون الخالق متحد مع المخلوق بزعمه ، ولكن لم ينتشر كلامه ، لأنه كان في عصره بقية خير وحمية على الدين فقطعوا أوصاله الخبيثة وقتلوه مصلوبا أربعة أيام ، إلى أن أحيها ابن عربي قبحه الله وإياه.

قال الذهبي رحمه الله في «الميزان»: الحسين بن منصور الحلاج ، المقتول على الزندقة ، ما روى والله الحمد شيئا من العلم ، وكانت له بداية جيدة ، وتأله وتصوف^٢ ، ثم انسلخ من الدين وتعلم السحر ، وأراهم المخاريق ، أباح العلماء دمه ، فقتل سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. وروى الخطيب في «تاريخ بغداد» في ترجمة الحلاج أن جده كان مجوسيا ، وكان يتكلم على أسرار الناس وما في قلوبهم ويخبر عنها فسمي بذلك حلاج الاسرار فصار الحلاج لقبه.^٣

وروى بإسناده عن أبي بكر بن حمشاذ أنهم وجدوا معه كتابا فيه: (من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان) ، فوجّه إلى بغداد فأحضر وعُرض عليه فقال: (هذا خطي ، وأنا كتبتة).

فقالوا: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية.

^١ (٣٦٨/٢٢).

^٢ أي كان ذو عبادة وزهد.

^٣ (٦٨٨/٨ ، ٦٩٠).

فقال: ما ادعي الربوبية ، ولكن هذا عين الجمع عندنا ، هل الكاتب إلا الله وأنا واليد فيه آله^١.
وقد أفتى علماء عصره بقتله ، فقتل مصلوبا عام ٣٠٩ هـ ، قبحه الله من زنديق.
وانظر ما قاله ابن تيمية عن الحلاج في «مجموع الفتاوى» (٢/٤٨٠-٤٨٨).

فصل في تكفير علماء الإسلام للاتحادية^٢

أنكر مقالة الاتحادية وكفّر القائلين بها جمع من علماء المسلمين ، كبدر الدين بن جماعة^٣ ، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ ، فقد كفّر ابن عربي وذكر نص كلامه في اتحاد الخالق بالمخلوق في كتاب «فصوص الحكم».

وكذا القاضي سعد الدين الحارثي قاضي الحنابلة بالقاهرة ، المتوفى سنة ٧١١ هـ.
وكذا خطيب القلعة الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الجزري الشافعي ، المتوفى سنة ٧١١ هـ ،
والقاضي زين الدين الكتاني الشافعي ، المتوفى سنة ٧٣٨ هـ ، والشيخ نور الدين البكري الشافعي ،
المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ، والشيخ شرف الدين عيسى الزواوي المالكي ، المتوفى سنة ٧٤٣ هـ ، و
الشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، فقد سئل عن ابن عربي فقال: هو كافر.

^١ (٧٠٦/٨).

^٢ جميع النقول الآتية إلى موضع نقل الكلام عن أبي زرعة نقلتها من كتاب «جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته» ، للشيخ علي بن حسن بن عبد الحميد وهو منتقى من كتاب «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للشيخ تقي الدين الفاسي ، المتوفى سنة ٨٣٢ هـ ، والكتاب من منشورات دار ابن الجوزي - الدمام.

^٣ هو بدر الدين بن جماعة ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، الكتاني الحموي ثم المصري الشافعي ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة بمصر والشام ، من العلماء بالحديث وغيره ، له عدة مصنفات ، مثل «المنهل الزوي في الحديث النبوي» ، و «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» ، وغيرها ، توفي سنة ٧٣٣ هـ . انظر ترجمته في «الأعلام» (٢٩٧/٥) للزركلي و «ذيل طبقات الحفاظ» (٧٣/٥) لأبي الفضل المكي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

نبذة عن رموز مذهب الاتحادية

وكذا ابن خلدون المالكي^١ ، المؤرخ المعروف ، المتوفى سنة ٨٠٣ هـ ، فقد قال إن كتب ابن عربي وابن سبعين وابن برجان ومن سلك سبيلهم مشحونة بصريح الكفر ، والتأويل على أبعد الوجوه وأقبحها ، وأما ثناء من أثنى عليهم فليس معتبر ، وأمر باتلاف كتبهم حرقاً بالنار أو غسلاً بالماء لما في ذلك من المصلحة العامة ، وقال إن ذلك متعين على ولاية الأمور.

وكذا الشيخ الإمام عز الدين ابن عبد السلام^٢ ، فقد قال عن ابن عربي: (شيخ سوء كذاب ، يقول بقدوم العالم ، ولا يحرم فرجا)^٣ ، أي أنه لا يرى تحريم وطء المحارم ، لأن الجميع عنده واحد ، الفرج الحلال والحرام.

كما وصفهم الشيخ تقي الدين السبكي^٤ ، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، بأنهم ضلال جهال ، خارجون عن طريقة الإسلام.

^١ هو العلامة ولي الدين ، عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن خلدون ، العالم الاجتماعي البحاثة ، ولد في تونس ونشأ بها وتعلم ، له مؤلفات كثيرة ، أشهرها «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» ، توفي رحمه الله سنة ٨٠٨ . انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي .

^٢ هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السُّلَميّ الدمشقي ، عز الدين ، الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ، له مؤلفات عديدة في أصول الفقه وغيره ، توفي سنة ٦٦٠ . انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٢١/٤) .

^٣ نقله عنه الذهبي في «السير» (٤٩/٢٣) .

^٤ هو الشيخ تقي الدين ، أبو الحسن ، علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي ، المصري ثم الدمشقي ، الشافعي ، وهو والد التاج السبكي صاحب كتاب «طبقات الشافعية» ، مات سنة ٧٥٦ . انظر ترجمته في «ذيل تذكرة الحفاظ» (٢٥/٥) لأبي المحاسن الحسيني ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

وأما الحافظ أبو زرعة^١ فقال: لا شك في اشتمال «الفصوص» المشهورة على الكفر الصريح الذي لا يشك فيه ، وكذلك «فتوحاته المكية» ، فإن صح صدور ذلك عنه واستمر عليه إلى وفاته ؛ فهو كافر مخلد في النار بلا شك.^٢

وألف العلامة إسماعيل بن المقرئ^٣ كتابا في الرد على ابن عربي ، سماه «الذريعة إلى نصرة الشريعة». وقد بين شيخ الإسلام حقيقة مذهب الاتحاديين في «مجموع الفتاوى» (٢/١٣٤-٢٨٥) ، و«١١/٢٣٩-٢٤٢» ، وفي (٢/١٢١-١٣٣) نقد كتاب «فصوص الحكم». وله رسالة بعنوان «إبطال وحدة الوجود والرد على القائلين بها» ، تحقيق الشيخ محمد الحمود النجدي.

كما ألف ابن تيمية كتابا في الرد عليهم وهو «بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الاتحاد ، من القائلين بالحلل والاتحاد». وقد قال رحمه الله إن كفر هذه الطائفة أعظم من كفر اليهود والنصارى ، وهم من جنس القرامطة الباطنية الإسماعيلية الذين كانوا أكفر من اليهود والنصارى.^٤

^١ هو قاضي الديار المصرية ، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري ، أبو زرعة ، ولي الدين ، ابن العراقي ، له كتب عدة في علوم الحديث ، توفي سنة ٨٢٦ . انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (١/١٤٨) و «البدر الطالع» للشوكاني .

^٢ ذكرها في المسألة الحادية والعشرين من فتاويه المكية ، نقل ذلك عنه الشوكاني في كتابه «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب مقالات أرباب الاتحاد» ، ص ١٦٢-١٦٣ ، تحقيق د. محمد بن ربيع بن هادي ، الناشر: مكتبة أبي عبد المصور: محمد عبد الله - القاهرة.

^٣ هو الشيخ إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله اليماني الشافعي ، المعروف بالمقرئ، الزبيدي ، قرأ في عدة فنون وبرز فيها ، ثم ذاع صيته ، له كتاب «الإرشاد» في الفقه الشافعي ، قال الشوكاني: (كان ينكر نحلة ابن عربي وأتباعه ، وبينه وبين متبعيه معارك ، وله في ذلك رسالتان وقصائد كثيرة) ، توفي رحمه الله ٨٣٧ . انظر ترجمته في «البدر الطالع» للشوكاني .

^٤ انظر «مجموع الفتاوى» (٢/١٣٠).

المبحث السابع: شبهات في عقيدة العلو والجواب عنها

نبذة عن رموز مذهب الاتحادية

كما نبه البرهان البقاعي^١ إلى كفر ابن عربي وذلك في كتابه «تنبيه الغي إلى تكفير ابن عربي»، وذلك من خلال استقراءه لكتاب «فصوص الحكم»، تتبع مواضع الإلحاد وقوله بوحدة الوجود، وكذا كتابه «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد»، وكلاهما بتحقيق عبد الرحمن الوكيل. وللشيخ علي القاري^٢ رسالة بعنوان «الرد على من قال بوحدة الوجود»، رد فيها على ابن عربي. ولما كان هذا هو معتقد الاتحادية؛ قال ابن تيمية رحمه الله إن الاتحادية والحلولية هم أولى الناس باتباع الدجال، لأنه - أي الدجال - يقول إنه هو الله، وهذه الدعوى لا تصطدم مع عقيدتهم، بل توافقها.^٣

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين^٤ رحمه الله: وقد أجمع علماء السنة والجماعة على تكفير الاتحادية الذين يقولون (الخالق هو المخلوق)، وكذلك أجمعوا على تكفير الحلولية، الذين

^١ هو الإمام الكبير برهان الدين، إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرُّباط، من علماء الشام، مؤرخ أديب، له كتاب «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، وكتاب «مصراع التصوف»، دافع فيه عن دين الإسلام الصافي ورد على خرافات الصوفية وخزعبلاتها. توفي رحمه الله ٨٨٥. انظر ترجمته في «الأعلام» (٥٦/١) للزركلي، و «البدر الطالع» للشوكاني.

^٢ هو الشيخ ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي، له مصنفات كثيرة، مثل «شرح مشكاة المصابيح»، و «تذكرة الموضوعات»، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ١٠١٤. انظر ترجمته في «البدر الطالع» للشوكاني و «الأعلام» للزركلي (١٢/٥).

^٣ انظر «بغية المرئاد»، ص ٥١٤.

^٤ هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين، ولد سنة ١١٩٤ هـ في روضة سدير، تتلمذ على بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تولى القضاء والافتاء، وصار من أكابر علماء نجد، حتى لُقِّب بـ «مفتي الديار النجدية»، برع في الفقه، ودرّس في بلاد كثيرة، وله تلامذة كثر، منهم أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٣٢٩ هـ)، شارح نونية ابن القيم، وعثمان بن عبد الله بن بشر (١٢٩٠ هـ)، المؤرخ المعروف، له عدة كتب في الذب عن العقيدة الإسلامية، منها «الانتصار لحزب الله الموحدين، والرد على المجادل عن المشركين»، وكتاب «الرد على البردة»، وكتاب «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس»، وله

يقولون (إن الله بذاته في كل مكان) ، وهاتان الطائفتان منتشرتان في أمصار المسلمين.^١

رسائل وردود بعضها مثبت في كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ، وبعضها مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، توفي في شقراء سنة ١٢٨٢ هجرية ، رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار وزيادة من ترجمته في مقدمة كتابه «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وهي من إعداد د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله ، وانظر للتوسع في ترجمته كتاب «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين ، مفتي الديار النجدية» ، تأليف د. علي بن محمد العجلان ، الناشر: دار الصميعة - الرياض.

^١ «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٦٨٣/١).

المبحث الثامن: كلمات جامعة في عقيدة العلو من أقوال الأئمة: ابن تيمية ، الذهبي ، ابن القيم ،
رحمهم الله جميعا

خلاصة من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وشمس الدين الذهبي رحمها الله في باب افتراق الناس في عقيدة علو الرب عز وجل

قال ابن تيمية رحمه الله: ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه ؛ افترق الناس في
هذا الباب على أربعة أقوال:

فالسلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سماواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، كما دل على
ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وكما عُلِمَ^١ المباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق
للمنقول الصحيح ، وكما فطر الله على ذلك خلقه من إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى.^٢
والقول الثاني قول معطلة الجهمية ونفاتهم ، وهم الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه ،
ولا مباين له ولا محايث له ، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما ، كما
يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم.

والقول الثالث قول حلولية الجهمية الذين يقولون: (إنه بذاته في كل مكان) ، كما يقول ذلك
النجارية^٣ وغيرهم من الجهمية ، وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء ، فإن الحلول

^١ هكذا ، ولعل الصواب: عُلِمَت.

^٢ قال في «مجموع الفتاوى» (١٢٦/٥): وهم بهذا أثبتوا وأمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة ، من غير تحريف للكلم عن
مواضعه ، أثبتوا أن الله فوق سماواته على عرشه ، بائن من خلقه ، وهم بائون منه.
وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية ، وهو أيضا قريب مجيب ، ففي آية النجوى دلالة
على أنه عالم بهم. اهـ.

^٣ النجارية هم أتباع الحسين بن محمد النجار ، وهم من نفاة الصفات ، ومن قولهم أن الله بكل مكان ، وقد عقد الشهرستاني فصلا
في كتابه «الملل والنحل» في التعريف بهم ، وكذا البغدادي في كتاب «الفرق بين الفرق».

المبحث الثامن: كلمات جامعة في عقيدة العلو من أقوال الأئمة: ابن تيمية ، الذهبي ، ابن القيم ،
رحمهم الله جميعاً

أغلب على عباد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم ، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم ،
كما قيل: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء^١...
والقول الرابع قول من يقول: إن الله بذاته فوق العالم ، وهو بذاته في كل مكان.
وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من متأخري الصوفية.
انتهى مختصراً.^٢

وقال أيضاً رحمه الله:

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف: أهل الحلول والاتحاد ، وأهل النفي والجحود ، وأهل الإيمان
والتوحيد والسنة.

فأهل الحلول يقولون إنه بذاته في كل مكان ، وقد يقولون بالاتحاد والوحدة ، فيقولون وجود
المخلوقات وجود الخالق ، كما هو مذهب ابن عربي صاحب الفصوص وابن سبعين ونحوهما.
وأما أهل النفي والجحود فيقولون لا هو داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ، ولا حال فيه ولا
فوق العالم ولا فيه ، ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب إليه ولا يدنو منه شيء ،
ولا يتجلى لشيء ولا يراه أحد ، ونحو ذلك ، وهذا قول متكلمة الجهمية المعطلة ، كما أن الأول
قول عباد الجهمية ، فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء ،
وكلاهما مرجعه إلى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون.

^١ وعندهم أخذ متأخرو الأشاعرة هذا القول ، فخالفوا - أي هؤلاء المتأخرين - متقدميهم ، كأبي الحسن الأشعري وعلي بن مهدي
الطبري والباقلاني وغيرهم ، فإحتم لم يكونوا يقولون بأن الله في كل مكان ، بل كانوا يشبّهون العلو كما تقدم من كلامهم ، وهكذا
أهل الكلام كل يوم لهم قول جديدٌ مبتدعٌ في دين الإسلام!

^٢ «مجموع الفتاوى» (٢/٢٩٦ - ٢٩٩) ، وانظر (١٠٠/١٦).

المبحث الثامن: كلمات جامعة في عقيدة العلو من أقوال الأئمة: ابن تيمية ، الذهبي ، ابن القيم ،
رحمهم الله جميعا

وقد عُلم أن الله سبحانه وتعالى كان قبل أن يخلق السماوات والأرض ، ثم خلقهما ، فإما أن يكون دخل فيهما وهذا حلول باطل ، وإما أن يكونا دخلا فيه وهو أبطل وأبطل ، وإما أن يكون الله بائنا عنهما لم يدخل فيهما ولم يدخل فيهما ، وهذا قول أهل الحق والتوحيد والسنة.^١

وقال في «بيان تلبيس الجهمية»:

وقد افترق الناس في هذا المقام أربع فرق ؛ فالجهمية النفاة الذين يقولون ليس داخل العالم ولا خارج العالم ولا فوق ولا تحت ، لا يقولون بعلوه ولا بفوقيته ، بل الجميع عندهم متأول أو مفوض . وقسم ثان يقولون إنه بذاته في كل مكان ، كما يقوله النجارية وكثير من الجهمية ، عُبادهم وصوفيتهم وعوامهم ، يقولون إنه عين وجود المخلوقات ، كما يقوله أهل الوحدة القائلون بأن الوجود واحد ، ومن يكون قوله مركبا من الحلول والاتحاد .

والقسم الثالث من يقول هو فوق العرش وهو في كل مكان ، ويقول أنا أقر بهذه النصوص ، وهذه لا أصرف واحدا فيها عن ظاهره ، وهذا قول طوائف ذكرهم الأشعري في «المقالات الإسلامية» ، وهو موجود في كلام طائفة من السالمية والصوفية ، لكنه غلط أيضا .

وأما القسم الرابع فهم سلف الأمة وأئمتها ، أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة ، فإنهم أثبتوا أن الله تعالى فوق سماواته ، وأنه على عرشه ، بائن من خلقه ، وهم منه بائون ، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية ، وهو أيضا قريب مجيب.^٢

وقال الذهبي رحمه الله:

^١ «الجواب الفاصل» ، ص ٢٧ - ٢٨ .

^٢ «بيان تلبيس الجهمية» (١/٥٥٥-٥٥٦) ، باختصار ، وانظر ما قاله في «مجموع الفتاوى» (١٢٢/٥).

المبحث الثامن: كلمات جامعة في عقيدة العلو من أقوال الأئمة: ابن تيمية ، الذهبي ، ابن القيم ،
رحمهم الله جميعا

مقالة السلف وأئمة السنة بل الصحابة والله ورسوله والمؤمنون: إن الله عز وجل في السماء ،
وأن الله على العرش ، وأن الله فوق سماواته ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وحجتهم على ذلك
النصوص والآثار.

ومقالة الجهمية: إن الله تبارك وتعالى في جميع الأمكنة ، تعالى الله عن قولهم ، بل هو معنا أينما
كنا بعلمه.

ومقالة متأخري المتكلمين من المعتزلة والماتريدية والأشعرية: إن الله تعالى ليس في السماء ،
ولا على العرش ، ولا على السماوات ، ولا في الأرض ، ولا داخل العالم ، ولا خارج العالم ، ولا
هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم.

وقالوا: جميع هذه الأشياء صفات للأجسام ، والله تعالى منزه عن الجسم^١!
قال لهم أهل السنة والأثر: نحن لا نخوض في ذلك ، ونقول ما ذكرناه اتباعا للنصوص ، ولا نقول
بقولكم ، فإن هذه السُّلُوب نعوت المعدم^٢ ، تعالى الله جل جلاله عن العدم ، بل هو موجود
متميز عن خلقه ، موصوف بما وصف به نفسه من أنه فوق العرش بلا كيف^٣.

^١ تقدمت الإجابة عن هذه الشبهة بالتفصيل ، والحمد لله.

^٢ النعوت هي الأوصاف ، جمع نعت أي وصف ، والسُّلُوب هي الصفات السلبية التي وصفوا الله بها ، والشيخ يعني بكلامه أن ما
نفوه عن الله من الصفات التي أثبتها الله لنفسه ، مثل العلو والاستواء والوقية ، وأثبتوا غيرها كقولهم إنه لا داخل العالم ولا خارجه
... الخ ، فهذه نعوت المعدم ، أي أوصاف من ليس بموجود أصلا ، تعالى الله عن ذلك.

^٣ «العلو» ص ١٤٣ ، باختصار يسير.

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة علو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

هذه أبيات لابن القيم رحمه الله في تقرير علو الرب عز وجل ، ذكرها في قصيدته المطولة في اعتقاد أهل السنة والجماعة ، والموسومة بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» ، قال فيها:
ولقد أتانا عشرُ أنواعٍ من المنقول في فويقة الرحمـن

مع مثلها أيضاً تزيد بواحدٍ ها نحن نسردها بلا كتمان

منها استواء الرب فوق العرش في سبع أتت في محكم القرآن

هذا وثانيها صريح علوه وله بحكم صريحه لفظان

لفظ العلي ولفظة الأعلى مُعرِّفة أتت فيه لقصد بيان

إن العلو له بمطلقه على التعميم والإطلاق بالبرهان

وله العلو من الوجوه جميعها ذاتاً وقهراً مع علو الشان

وعلوه فوق الخليقة كلها فطرت عليه الخلق والثقلان

كلُّ إذا ما نابَه أمرٌ يُرى متوجهاً بضرورة الإنسان

نحو العلو فليس يطلُّب خلفه وأمامه أو جانب الإنسان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

هذا وثالثها صريح الفوق مصحوباً بـ "من" وبدونها نوعان
والفوق وصفٌ ثابتٌ بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكوان
لكن نفاة الفوق ما وفَّوا به جحدوا كمال الفوق للديان
بل فسروه بأن قدر الله أعلى لا بفوق الذات للرحمن
والفوق أنواع ثلاثٌ كلها لله ثابتة بلا نكران
هذا الذي قالوا وفوق القهر والفوقية العليا على الأكوان
هذا ورابعها عروج الروح والأملاك صاعدة إلى الرحمن
هذا وخامسها صعود كلامنا بالطيبات إليه والإحسان
وكذا صعود الباقيات الصالحات إليه من أعمال ذي الإيمان
وكذا صعود تصدُّقٍ من طيبٍ أيضاً إليه عند كل أوان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

وكذا عروج ملائِكٍ قد وُكِّلوا منا بأعمال وهمُ بدلان
فإليه تعرج بكرة وعشوية والصبح يجمعهم على القرآن
كي يشهدوه ، ويعرجون إليه بالأعمال سبحان العظيم الشان
وكذاك سعي الليل يرفعه إلى الرحمن من قبل النهار الثاني
وكذاك سعي اليوم يرفعه له من قبل ليل حافظ الإنسان
وكذاك معراج الرسول إليه حقاً ثابتاً ما فيه من نكران
بل جاوز السبع الطباق وقد دنا منه إلى أن قُدرت قوسان
بل عاد من موسى إليه صاعداً خمساً عداد الفرض في الحسابان
وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى حقاً إليه جاء في القرآن

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

وكذاك تصعد روح كل مصدق
لما تفوز بفرقة الأبدان
حقاً إليه كي تفوز بقربه
وتعود يوم العرض للجثمان
وكذا دُعا المضطر أيضاً صاعداً
أبدأً إليه عند كل أوان
وكذا دُعا المظلوم أيضاً صاعداً
حقاً إليه قاطع الأنوان
هـذا وسادسها وسابعها النزول كذلك التنزيل للقرآن
والله أخبرنا بأن كتابه
تنزيله بالحق والبرهان
وكذا نزول الرب جل جلاله
في النصف من ليلٍ وذاك الثاني
فيقول لست بسائلٍ غيري بأحوال العباد وأنا العظيم الشأن
ذا شأنه سبحانه وبحمده
حتى يكون الفجر فجرًا ثاني

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

هذا وثامنها بسورة غافرٍ هو رفعة الدرجات للرحمن
درجائُته مرفوعة كمعارجٍ أيضاً له وكلاهما رفعان
والروح والأملاك تصعد في معارجِه إليه جلّ ذو السلطان
هذا وتاسعها النصوص بأنه فوق السماء وذا بلا حسابان
هذا وعاشرها اختصاص البعض من أملاكه بالعند للرحمن
وكذا اختصاص كتابِ رحمته بعند الله فوق العرش ذو تبيان
لو لم يكن سبحانه فوق الورى كانوا جميعا عند ذي السلطان
ويكون عند الله إبليسٌ وجبريلٌ هما في العند مستويان
هذا وحادي عشرهن إشارةٌ نحو العلو بإصبع وبنان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

لله جل جلاله لا غيره

إذ ذاك إشراك من الإنسان

ولقد أشار رسوله في مجمع الحج العظيم بموقف الغفران

نحو السماء بإصبع قد كُرمت

مستشهداً للواحد الرحمن

يارب فاشهد أنني بلغتهم

ويشير نحوهم لقصد بيان

هذا وثاني عشرها وصف الظهور له كما قد جاء في القرآن

والظاهر العالي الذي ما فوقه

شيء كما قد قال ذو البرهان

هذا وثالث عشرها إخباره

أنا نراه بجنة الحيوان

وتصير أبصار العباد نواظراً

حقاً إليه رؤية بعيان

هذا ورابع عشرها إقرار سائله بلفظ الأيمن للرحمن

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

لفظٌ صريحٌ جاء عن خير الورى
قولاً وإقراراً هما نوعان
هذا وخامس عشرها الإجماع من
رسل الإله الواحد المنان
فالمرسلون جميعهم مع كتبهم
قد صرحوا بالفوق للرحمن
وحكى لنا إجماعهم شيخ الورى
والدين عبد القادر الكيلاني
وأبو الوليد المالكي أيضاً حكى
إجماعهم أعني ابن رشد الثاني
وكذا أبو العباس أيضاً قد حكى
إجماعهم علم الهدى الحراني
وله اطلاع لم يكن من قبله
لسواه من متكلم ولسان
هذا ونقطع نحن أيضاً أنه
إجماعهم قطعاً على البرهان
فالرسل متفقون قطعاً في أصول الدين دون شرائع الإيمان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

دين الإله اختاره لعباده ولنفسه هو قيم الأديان
فمن المحال بأن يكون لرسله في وصفه خيران مختلفان
هذا وسادس عشرها إجماع أهل العلم أعني حجة الأزمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن
لا عبرةً بمخالفٍ لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران
أن الذي فوق السماوات العلى والعرش وهو مبين الأكوان
هو ربنا سبحانه وبحمده حقاً على العرش استوى الرحمن
فاسمع إذا أقوالهم وأشهد عليهم ببعدها بالكفر والإيمان
واقراً تفاسير الأئمة ذاكري الإسناد فهني هداية الحيران

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

فجميعها قد صرحت بعلوه
وبالاستوا والفوق للرحمن
فانظر إلى تقريرهم لعلوه
بالنقل والمعقول والبرهان
عقلان عقلٌ بالنصوص مؤيد
ومؤيد بالمنطق اليوناني
والله ما استويا ولن يتلاقيا
حتى تشيب مفارق الغريان
هذا وسابع عشرها إخباره
سبحانه في محكم القرآن
عن عبده موسى الكليم وحربه
فرعون ذي التكذيب والطغيان
تكذيبه موسى الكليم بقوله
الله ربي في السما نبياني
فإمام كل معطل في نفيه
فرعون مع نمrod مع هامان
طلب الصعود إلى السماء مكذباً
موسى ورام الصرح بالبيان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

بل قال: موسى كاذب في زعمه فوق السماء الرب ذو السلطان
فابنوا لي الصرح الرفيع لعلني أرقى إليه بحيلة الإنسان
وأظن موسى كاذباً في قوله الله فوق العرش ذو سلطان
وكذاك كذبه بأن إليه ناداه بالتكليم دون عيان
هو أنكر التكليم والفوقية العلياً كقول الجهم ذي صفوان
فمن الذي أولى بفرعون إذاً منا ومنكم بعد ذا التبيان
يا قومنا والله إن لقولنا مائة تدل عليه بل مائتان
عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة الأولى وذوق حلاوة القرآن
كلُّ يدل بأنه سبحانه فوق السماء مباين الأكوان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

هذا وثامن عشرها تنزيهه
سبحانه عن موجب النقصان
لكن مقالة كونه فوق الورى
والعرش وهو مبين الأكوان
قد طبقت شرق البلاد وغربها
وغدت مُقررة لدى الأذهان
فلاي شيء لم يُنَزّه نفسه
سبحانه في محكم القرآن
عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها
وظهورها في سائر الأديان
بل دائماً يدي لنا إثباتها
ويعيده بأدلة التبيان
هذا وتاسع عشرها إلزام ذي التعطيل أفسد لازم ببيان
فسل المعطل عن ثلاث مسائل
تقضي على التعطيل بالبطلان
ماذا تقول أكان يعرف ربه
هذا الرسول حقيقة العرفان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

أم لا؟ وهل كانت نصيحته لنا كل النصيحة ليس بالحوآن

أم لا؟ وهل حاز البلاغة كلها فاللفظ والمعنى له طوعان

فإذا انتهت هذي الثلاثة فيه كاملةً مبرأهً من النقصان

فلأي شيءٍ عاش فينا كاتمًا للنفي والتعطيل في الأزمان

بل مفصلاً بالضد منه حقيقة الإفصاح مُوضحةً بكل بيان

ولأي شيءٍ لم يصرح بالذي صرحتم في ربنا الرحمن

العجزه عن ذاك أم تقصيره في النصح أم لخباء هذا الشأن

حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التعطيل لا المبعوث بالقرآن

هذا وخاتم هذه العشرين وجهها وهو أقربها إلى الأذهان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

سرُّدُ النصوص فإنها قد نَوَّعت
طَرُقُ الأدلة في أتم بيان
والنظم يمنعني من استيفائها
وسياقة الألفاظ بالميزان
فاذكر نصوص الاستواء فإنها
في سبع آيات من القرآن
واذكر نصوص الفوق أيضًا في ثلاثٍ قد غدت معلومة التبيان
واذكر نصوص علوه في خمسة
معلومة برئت من النقصان
واذكر نصوصًا في الكتاب تضمنت
تنزيله من ربنا الرحمن
فتضمنت أصلين قام عليهما الإسلام والإيمان كالبيان
كونَ الكتاب كلامه سبحانه
وعلوه من فوق كل مكان
وعِدادها سبعون حين تُعَدُّ أو زادت
على السبعين في الحسابان

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

وذكر نصوصاً ضُمَّت رفَعاً ومعراجاً وإصعاعاً إلى الدِّيَان

هي خمسة معلومة بالعدِّ والحسبان فاطلبها من القرآن

ولقد أتى في سورة الملك التي تُنجي لقارئها من النيران

نصان: أن الله فوق سمائه عند المحرف ما هما نصان^١

هذا وحاديها وعشرون الذي قد جاء في الأخبار والقرآن

إتيان رب العرش جل جلاله ومجيئه للفصل بالميزان

من أين يأتي يا أولي العقول إن كنتم ذوي عقل مع العرفان

من فوقنا أو تحتنا أو خلفنا أو عن شمائلنا وعن أيمن

^١ النصان هما قوله تعالى ﴿ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾.

المبحث التاسع: أبيات جامعة في تقرير عقيدة العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته:
«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

والله لا يأتهم إلا من العلو الذي هو فوق كل مكان

خلاصة القول في مسألة علو الرب عز وجل على عرشه فوق سماواته سبعة أمور:

١. أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى عال بنفسه فوق سماواته ، مستو على عرشه ، لا يجل في خلقه ولا يخالطهم ، خلافا لمن قال من المعتزلة: إن المقصود بالعلو هو الاستيلاء والغلبة ، أو من قال من الأشاعرة: إن معناه علو الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة ، وخلافا لمن قال من الكرامية والمجسمة إنه يقتضي الجلوس على العرش والتماسة له ، أو غير ذلك من الأقوال الضالة ، بل هو عال فوق عرشه كما يشاء سبحانه.

٢. أن إنكار علو الله على خلقه ، ومباينته للعالم ، واستواءه على عرشه ؛ كفر ، لأن هذا يستلزم تكذيب القرآن العظيم والأحاديث النبوية وإجماع علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ، بل وتكذيب ما قرره الأنبياء جميعهم^١.

٣. يجب على المؤمن أن ينهج منهج السلف الصالح - الذين هم خير الناس ، وأفضل القرون وأقربها إلى عهد النبوة - فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وغيرها ، وقد كانوا يُمرّون آيات وأحاديث الصفات كما جاءت ، فلا يحرّفونها عن معناها المراد ، ولا يشبهونها بصفات المخلوقين ، بل يعتقدون أن لله صفات تليق به ، كما أن للمخلوق صفاتٍ تليق به ، فكما أن لله ذاتا لا تشبه الذوات ؛ فكذلك له صفات لا تشبه الصفات.

فيؤمنون بأن الله سميع بصير قدير عليم خبير ، عال بذاته على عرشه ، فوق السماء السابعة ، وينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة ، ويدنو من عباده عشية عرفة ، ويحيي يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده كما يليق بجلاله وعظمته ، وكذا غيرها من الصفات التي أخبر الله عنها ورسوله ﷺ ، ولم يشكل عليهم فهمها ، ولو أشكل لسألوا رسول الله ﷺ .

^١ وانظر ما قاله ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٠٦/٥).

٤. أن من أدلة الحق تناقض الأقوال المخالفة له تناقضا تاما!

فانظر إلى هؤلاء وهم يقولون: إنه في كل مكان!
وأولئك يقولون: إن الله حالٍ من الجهات الست ، فلا هو فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام
ولا خلف!!!

٥. أن من واجب المؤمن الإعراض عن أقوال البشر المبتدعة التي لم يشهد لها الله ورسوله بالصحة ،
والإقبال على قول الجارية - راعية الغنم - التي شهد لها الصادق المصدوق بالصدق والإيمان لما قال
لها: أين الله؟ فقالت: في السماء.

فإنك إن أحببت بمثل إجابتها كنت من الموافقين للحق بإذن الله ، وبشهادة رسول الله ﷺ ، وكنت
متبعا لطريق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين ، الذين أثنى الله عليهم في قوله
﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه
وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ ، نسأل الله أن
يجمعنا بهم ، ويحشرنا تحت لوائهم ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

وإن اعتقدت اعتقادا آخر فانظر بم تجيب ربك يوم القيامة إذا نادى الناس وقال لهم ﴿ماذا أحببتم
المرسلين﴾ ، فأعد للسؤال جوابا ، فإن الإيمان بصفات الله على الوجه الصحيح من أعمال
القلوب ، وأعمال القلوب سيُسأل عنها العبد يوم القيامة ، سواء كانت موافقة للشريعة أو مخالفة
له ، كما قال تعالى ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾.

٦. مما ينبغي التمسك بمحكم الكتاب والسنة والحذر منه الوقوع في الشبهات العقلية والأحاديث
الضعيفة والمكذوبة التي تنافي عقيدة العلو ، فقد ضل أناس في هذا الباب بسبب ذلك ، كالنصارى
الذين قالوا بحلول الله في عيسى ابن مريم فعبدوه ، والغلاة الذين غلوا في علي بن أبي طالب وطائفة

من أهل بيته حتى قالوا: أنت الله ، فأحرقهم بالنار ، والحاكمية الذين قالوا ذلك في الحاكم ، والحلاجية الذين قالوا ذلك في الحلاج ، واليونسية الذين قالوا ذلك في يونس ، وأمثال هؤلاء ممن يقولون بإلهية بعض البشر ، وحلول الله فيهم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.^١

٧. ومن اشتبه عليه الحق أو أشكل عليه فهمه ، فلا يتفرد بفهم لم يفهمه السلف الصالح ، أو يقول قولاً لم يقوله ، أو يقلد من هب ودب ؛ بل يدعُ ربه أن يهديه للحق ، كما كان يفعل النبي ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق يا ذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.^٢

فإن فعل ذلك بإخلاص وتجرد ؛ وفقه الله - إن شاء الله - لمعرفة الحق ، مصداقاً لقول النبي ﷺ فيما رواه عن الله تبارك وتعالى:

يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم.^٣

اللهم إنا نشهد أنك قد بينت غاية البيان ، وأن رسولك قد بلغ البلاغ المبين ، وأن صحابة رسولك وأتباعهم قد بلغوا دينك ، رحمهم الله ورضي عنهم جميعاً.

تم بحمد الله كتاب «الأدلة الجامعة على علو الله بذاته على عرشه على السماء السابعة».

^١ انظر «مجموع الفتاوى» (٢/٣٦٧ - ٣٦٨).

^٢ صحيح مسلم (٧٧٠).

^٣ رواه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

والله أعلم وأحكم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.
وكتبه الفقير إلى عفو ربه الغني: أبو سليمان / ماجد بن سليمان الرسي

ثبت مراجع الكتاب

● تفسير

- تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، الناشر: دار السلام - الرياض
- أضواء البيان ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة
- معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد النمر ورفاقه ، الناشر: دار طيبة - الرياض

● عقيدة

- الشريعة ، الإمام أبي بكر الآجري ، تحقيق الوليد بن محمد بن نبيه سيف النصر ، توزيع المكتبة المكية - مكة
- كتاب الأسماء والصفات ، الحافظ أبي بكر البيهقي ، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي ، الناشر: مكتبة السوادى - الرياض
- كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، أبي بكر البيهقي ، تحقيق أحمد أبي العينين ، الناشر: دار الفضيلة - الرياض
- الإيمان ، محمد بن إسحاق بن منده ، تحقيق د. ناصر بن علي فقيهي ، الناشر: دار الفضيلة - الرياض
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق أحمد بن علي الرداعي ، الناشر: دار الآثار - صنعاء

- كتاب النزول ، كتاب الصفات ، علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق د. علي بن محمد فقيهي ، الناشر: المؤلف
- الرد على الجهمية ، محمد بن إسحاق بن منده ، تحقيق د. علي بن محمد فقيهي ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة
- كتاب السنة والرد على الجهمية ، عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق أحمد بن علي الرياشي ، الناشر: مكتبة الإمام البخاري - اليمن
- السنة ، أبي بكر أحمد بن محمد الخلال ، تحقيق د. عطية بن عتيق الزهراني ، الناشر: دار الراهة - الرياض
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، ابن بطة العكبري ، الناشر: دار الراهة - الرياض
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، أبي القاسم هبة الله اللالكائي ، تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي ، الناشر: دار طيبة - الرياض
- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق أسامة محمد الجمال ، الناشر: مكتبة أبو بكر الصديق - مصر
- الرد على الجهمية ، لإمام أبي سعيد الدارمي ، تحقيق بدر البدر ، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت
- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد ، تحقيق د. رشيد بن حسن الأملعي ، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض

- الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله ، أحمد بن حنبل ، تحقيق صبري بن سلامة شاهين ، الناشر: دار الثبات - الرياض
- الاختلاف في اللفظ ، والرد على الجهمية والمشبهة ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ط ١ ، ١٤٠٥ ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- العظمة ، أبي الشيخ الأصبهاني ، تحقيق محمد فارس ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر المروزي ، تحقيق كمال بن السيد سالم ، الناشر: مكتبة العلم - مصر
- العلو للعلي الغفار ، شمس الدين الذهبي ، تخريج أشرف عبد المقصود ، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض
- مختصر العلو للعلي الغفار ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٢ ، ١٤١٢ ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت
- مجموع فيه إثبات صفة العلو ، وملعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، وذم التأويل ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، عناية بدر بن عبد الله البدر ، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت
- إثبات علو الله ومباينته لخلقه ، الشيخ حمود التويجري ، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض
- علو الله على خلقه ، الدكتور موسى الدويش ، الناشر: عالم الكتب - لبنان
- أدلة علو الله تعالى على خلقه من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة (وهو شرح لكلام ابن القيم في العلو المذكور في نونيته) ، تعليق محمد بن أحمد السيد أحمد ، الناشر: مكتبة السوادي - جدة

- إثبات علو الله على خلقه والرد على المخالفين ، أسامة بن توفيق القصاص ، الناشر: دار الهجره - الثقبة
- رسالة في إثبات الاستواء والفقوية ، أبو المعالي الجويني ، تحقيق د. أحمد معاذ حقي ، ١٤١٩ هجري ، الناشر: دار طويق - الرياض
- كتاب العرش ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- بغية المتأسي في إثبات الكرسي ، د. علي بن محمد الشهراني ، الناشر: بيت الأفكار الدولية - الرياض
- الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتقع في «مجموع الفتاوى» (٥/٥ - ١٢١) ، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد
- شرح العقيدة الواسطية ، الشيخ محمد بن عثيمين ، ط ٦ ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام
- شرح العقيدة الواسطية ، الشيخ صالح الفوزان ، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، تحقيق د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى ، الناشر: دار الفضيلة - الرياض
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ابن تيمية ، تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي ، ط ١٤١٢ هـ ، الناشر: مكتبة لينة - مصر
- الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل ، ابن تيمية ، تحقيق د. عواد بن عبد الله المعتق ، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض

- الاستغاثة في الرد على البكري ، ابن تيمية ، تحقيق عبد الله بن دجين السهلي ، مكتبة دار المنهاج - الرياض
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، ابن القيم ، تحقيق زائد بن أحمد النشيري ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، تحقيق عثمان جمعة ضميرية ، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة
- اجتماع الجيوش الإسلامية ، ابن القيم ، تحقيق د. عواد بن عبد الله المعتق ، الناشر: مكتبة الرشد
- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة ، ابن القيم ، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر: دار العاصمة - الرياض
- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة لابن القيم ، اختصار محمد بن الموصلبي ، تحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث - القاهرة
- شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط ، ط ١٣ ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت
- الإبانة عن أصول الديانة ، أبي الحسن الأشعري ، ، ط ١ ، ١٤١٣ ، الناشر: دار الدعوة السلفية - مصر
- الرسالة الوافية ، الإمام أبو عمرو الداني ، تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام
- عقيدة السلف أصحاب الحديث ، عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني ، تحقيق بدر البدر ، الناشر: دار الفتح - الإمارات

- شرح السنة ، إسماعيل بن يحيى المزني ، تحقيق جمال عزون ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، الشيخ حافظ بن أحمد للحكمي ، الناشر: دار ابن القيم - الدمام
- مجموعة التوحيد تحقيق بشير عيون ، الناشر: مكتبة المؤيد - الرياض
- الدرر السنية من الفتاوى النجدية ، أئمة الدعوة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، الناشر: دار القاسم - الرياض
- توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، الناشر: مركز بن صالح الثقافي - عنيزة
- القول المفيد شرح كتاب التوحيد ، الشيخ محمد بن عثيمين ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام
- الاقتصاد في الاعتقاد ، عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، تحقيق د. أحمد بن عطية الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة
- الأربعين في دلائل التوحيد ، أبو إسماعيل الهروي ، تحقيق د. محمد علي الفقيهي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ ، نشر المؤلف

● كتب الحديث والمصنفات

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر النمري ، تحقيق أسامة بن إبراهيم ، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر

- مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود الطيالسي ، تحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر - مصر
- مصنف ابن أبي شيبة ، أبي بكر بن أبي شيبة ، تحقيق محمد بن عبد السلام بن شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- مصنف عبد الرزاق ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- السنة ، أبي بكر أحمد بن أبي عاصم ، تحقيق د. باسم الجوابرة ، الناشر: دار الصمعي - الرياض
- ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة ، محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت
- الزهد ، أحمد بن حنبل ، تحقيق يحيى بن محمد الأزهري ، الناشر: دار ابن رجب - مصر
- فتح الباري ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق جماعة من المحققين ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة
- تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة الدينوري ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت
- جامع بيان العلم وفضله ، يوسف بن عبد البر النمري ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام
- سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد زمري وخالد السبع ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت

- شرح مشكل الآثار ، أبي جعفر ، أحمد بن محمد الطحاوي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ٢ ، سنة ١٤٢٧ هـ ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

● كتب الأحاديث الضعيفة

- كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات ، ابن الجوزي ، تحقيق د. نور الدين بن شكري ، الناشر: أضواء السلف - الرياض
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، علي بن محمد الكناني ، عناية عبد الوهاب عبد اللطيف وغيره ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، الملا علي القاري ، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، ابن الجوزي ، عناية خليل الميس ، الناشر: دار الكتب العلمية
- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة ، محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت
- موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ، جمع علي حسن الحلبي وغيره ، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض
- تذكرة الموضوعات ، محمد بن طاهر الهندي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، نجم الدين محمد بن محمد الغزي ، تحقيق خليل بن محمد العربي ، الفاروق الحديثة - مصر

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما ورد على ألسنة كثير من الناس ، إسماعيل بن محمد العجلوني ، عناية أحمد القلاش ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت
- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، عبد الرحمن بن علي الشيباني الشافعي ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ الناشر: دار الوراق - الرياض
- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، أو المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ابن القيم ، تحقيق حسن السماحي سويدان ، دار القادري - بيروت

● كتب الرجال

- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- طبقات الحنابلة ، أبي يعلى الفراء ، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض
- المغني في الضعفاء ، شمس الدين الذهبي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- أحوال الرجال ، أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، تحقيق السيد صبحي السامرائي ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

● كتب الأذكار

- عمل اليوم واليلة ، أحمد بن شعيب النسائي ، الناشر: دار الكلم الطيب - دمشق
- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، الإمام محمد بن علي الشوكاني ، الناشر: مكتبة دار التراث - القاهرة

• كتب الأصول

- إعلام الموقعين ، ابن القيم ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت

• كتب الفقه

- كتاب الأم ، محمد بن إدريس الشافعي ، الناشر: دار الوفاء - مصر
- الاستذكار ، ابن عبر البر النميري ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

• الرفائق والآداب

- الداء والدواء ، ابن القيم ، تحقيق علي حسن الحلبي ، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والريادة ، ابن القيم ، عناية علي حسن الحلبي ، الناشر: دار ابن عفان - الخبر
- مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل ، الناشر: دار طيبة - الرياض
- نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد بن ناصر العجمي ، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت

• تاريخ وتراجم

- البداية والنهاية ، عماد الدين ابن كثير ، الناشر: دار ابن كثير - دمشق
- تاريخ الإسلام ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت
- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت

- تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، الناشر: بيت الأفكار الدولية - الرياض
- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت
- تذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- مناقب الشافعي ، الحافظ أبي بكر البيهقي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، الناشر: مكتبة دار التراث - مصر
- آداب الشافعي ومناقبه ، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة
٥	المبحث الأول: توطئة
٧	• أسباب دخول البدع في مجتمعات المسلمين
٧	• الأول: ترجمة كتب الفلاسفة واليونان إلى اللغة العربية
٨	• الثاني: دخول كثير من العجم إلى الإسلام على مر القرون الثلاثة
٨	• الثالث هو احتكاك الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى الكافرة
٨	• الرابع هو اندساس بعض المنافقين بين المسلمين
٨	• فصل في بيان أشهر الفرق التي ضلت في فهم أسماء الله وصفاته
١٣	• فصل في بيان حال رؤوس مدرسة تعطيل صفات الرب التي تلقى عنها الجهم بن صفوان بدعته الكلامية

الصفحة	الموضوع
١٦	• فصل في كفر الجهمية
١٨	المبحث الثاني: تأصيلات لفهم أسماء الله وصفاته
١٨	• مدخل
٢١	• فصل في بيان الواجب الأول في أسماء الله وصفاته
٢٢	• فصل في ذكر بعض الآثار عن السلف في فهم الصفات
٢٨	• فصل في ذكر تفسيرات بعض أئمة المذاهب في فهم الأسماء والصفات
٢٨	• أقوال الحنفية
٢٩	• أقوال الشافعية
٣٣	• أقوال الحنابلة

الصفحة	الموضوع
٣٧	• أقوال المالكية
٤١	• فصل في بيان الواجب الثاني في أسماء الله وصفاته
٤٤	• فصل في بيان ما ينافي الإيمان بأسماء الله وصفاته
٤٤	• مقدمة
٤٨	• شرح أنواع الإلحاد الثمانية
٤٨	١. التعطيل
٤٩	٢. التمثيل
٥١	فصل في ذكر بعض ما جاء عن السلف في ذم تشبيه الله بخلقه
٥٥	٣. التكيف
٥٦	تعريف التكيف وبيان حكمه

الصفحة	الموضوع
٥٨	تبديع السلف لمن طلب علم الكيفية
٦٨	٤ . التحريف
٧٠	فصل في بيان ارتباط التحريف بالتعطيل
٧١	فصل في بيان وجوه بطلان التأويل
٧٨	كلام جامع لابن القيم رحمه الله في ذم التأويل
٨٣	فصل في توبة بعض مشاهير مؤولة الصفات ، ورجوعهم إلى طريقة أهل السنة في فهم صفات الرب عز وجل
٨٤	ذكر كلام بعض من أوّل الصفات ثم تراجع عنه
٨٨	فصل في بيان فضل الرد على المؤولة
٨٩	٥ . التفويض

الصفحة	الموضوع
٩١	٦. تسمية الله بما لم يُسَمَّ به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ ، أو وصفه بما لم يصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ
٩١	٧. إنكار أن يكون لله أسماء
٩١	٨. اشتقاق أسماء منها للمعبودات الباطلة
٩٢	• تنبيهات وفوائد
٩٧	• خاتمة
٩٩	المبحث الثالث: ذكر أدلة علو الله على خلقه
١٠٠	١. أول الأدلة على علو الرب عز وجل ؛ أسماء الله الحسنى
١٠١	٢. دلالة صفات الله العليا

الصفحة	الموضوع
١٠١	٣. تصریح بعض الآيات والأحاديث بالفوقية لله سبحانه وتعالى فوق سماواته
١٠٣	٤. دلالة بعض الآيات بأن الله في السماء
١١٤	٥. التصريح بأن السماء بين الله وبين عباده ، وأن العرش فوق ذلك
١١٥	٦. تصریحه عز وجل بفوقيته على عرشه واستوائه عليه ، ومن المعلوم أن العرش فوق السماء السابعة
١١٧	● فصل في بيان معاني الاستواء
١٢١	٧. من أدلة علو الرب عز وجل على السماء: صعود الأشياء إليه ونزولها من عنده
١٢٤	● شبهة والجواب عنها
١٢٦	● فائدة
١٢٦	٨. نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل

الصفحة	الموضوع
١٢٧	● شبهات والجواب عنها
١٣١	٩. رفع الأيدي إلى العلو حين الدعاء
١٣٣	● شبهات والجواب عنها
١٣٥	١٠. دلالة العقل على علو الرب عز وجل
١٣٧	١١. دلالة الفطرة السليمة على علو الرب عز وجل
١٤١	● فصل في إقرار البهائم بعلو الله تعالى
١٤٢	١٢. إخباره تعالى باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده
١٤٥	١٣. إخباره تعالى بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة كما يرون القمر
١٤٦	١٤. تشقق السماء عند نزوله يوم القيامة
١٤٧	١٥. أمر المصلي بخفض بصره إذا وقف بين يدي الله تعالى في الصلاة

الصفحة	الموضوع
١٤٨	١٦. إجماع الأمة من السلف والخلف على علو الله تعالى
١٤٩	• فصل في ذكر أقوال الصحابة رضي الله عنهم.
١٥٥	• فصل في ذكر أقوال التابعين ومن بعدهم
١٦٠	• فصل في بيان أن القول بعلو الله على خلقه هو قول علماء القرون الثلاثة المفضلة الأولى
١٦٥	• فصل في بيان إجماع سلف الأمة على علو الله بذاته على عرشه فوق السماء السابعة ، وإجماع المسلمين حجة ، لأن أمة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة
١٧٣	• فصل في ذكر أقوال علماء أهل السنة بعد القرون الثلاثة
١٧٨	١٧. من أدلة العلو إجماع الأديان السماوية السابقة عليه
١٨٥	١٨. من أدلة العلو إقرار بعض المخالفين لأهل السنة به
١٨٦	١٩. من أدلة العلو أن أهل الجاهلية كانوا يُقرّون به

الصفحة	الموضوع
١٨٧	٢٠. من أدلة العلو أنه لو كان باطلا لنزه الله نفسه عنه
١٨٨	٢١. من أدلة العلو كثرتها وتنوعها
١٩٠	٢٢. من أدلة العلو تصريح الله تعالى بعلوه المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرًا وقهرا
١٩١	• خلاصة
١٩٢	المبحث الرابع: مبحث في بيان معنى معية الله تعالى لخلقه ، وقربه منهم
٢٠١	• فصل في بيان أنه ليس بين المعية والعلو تناقض
٢٠٢	• فصل في ذكر بعض الآيات الواردة في تقرير معنى المعية
٢٢١	• إشكالان والجواب عنهما

الصفحة	الموضوع
٢٢٤	● فصل في بيان ثمرات الإيمان بمعية الله لخلقه
٢٢٥	المبحث الخامس: مبحث في العرش ، وذكر أصح ما ورد فيه من أخبار
٢٢٦	● فصل في صفة العرش
٢٣١	● تنبيه
٢٣٤	● فصل في ذكر بعض ما ورد في العرش من أخبار
٢٣٧	● شبهات والجواب عنها
٢٤١	● تنبيه على خطأ مقولة (إن الله استوى من غير مماسة للعرش) ، وبيان أن الواجب الوقوف عند إثبات الاستواء فحسب
٢٤٣	● تنبيه على خطأ وصف الله تعالى بالاستواء على غير العرش

الصفحة	الموضوع
٢٤٦	المبحث السادس: مبحث في الكرسي ، وذكر أصح ما ورد فيه من أخبار
٢٤٩	● فصل في بيان أحاديث ضعيفة وردت في الكرسي
٢٥٨	● تنبيه
٢٥٩	● شبهات والجواب عنها
٢٦٧	● فائدة
٢٧١	● خلاصة
٢٧٢	المبحث السابع: شبهات في العلو والجواب عنها
	● الرد على مقولة إن الفوقية المذكورة في القرآن مجازية ليست حقيقية

الصفحة	الموضوع
٢٨٦	● كلمة جامعة في بطلان القول بالمجاز في صفات الرب عز وجل
٢٨٨	● تنبيه على حديث ضعيف
٢٨٩	● لوازم باطلة من إثبات العلو والجواب عنها
٢٩٦	● فائدة من كلام ابن تيمية رحمه الله
٣٠١	● زجر العقلاء عن تأويل الاستواء بالاستيلاء
٣٢٦	● فائدة
٣٢٧	● بطلان تفسير استواء الله بصعود أمره
٣٢٨	● بطلان تفسير الاستواء بتساوي الخليقة
٣٢٩	● تنبيه إلى أن الكلام في الاستواء ليس بدعة
٣٣٠	● خاتمة لفصل الشبهات الواردة في صفة الاستواء والجواب عنها

الصفحة	الموضوع
۳۳۳	• بطلان مقولة إن الله في كل مكان من عشرين وجها
۳۷۲	• فصل في بيان أصل التعطيل وتطوره الزمني
۳۸۲	• وجوب الإنكار على من قال إن الله في كل مكان
۳۸۳	• فصل في ذكر أحاديث مكذوبة تقرر حلول الله في الأرض ، والجواب عنها
۴۰۲	• فصل في ذكر آيات وأحاديث أخطأ أناس في فهمها وبيان معناها الصحيح
۴۰۲	• معنى حديث: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب
۴۰۶	• معنى حديث: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني
۴۱۳	• معنى حديث: احفظ الله تجده أمامك
۴۱۳	• معنى قول الله تعالى ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾

الصفحة	الموضوع
٤١٥	● معنى قول الله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾
٤١٧	● معنى قول الله تعالى ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾
٤١٨	● معنى قول الله تعالى ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾
٤١٩	● معنى قول الله تعالى ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾
٤٢٢	● معنى قول الله تعالى ﴿والله بكل شيء محيط﴾
٤٢٣	● معنى لفظة (بائن) التي وردت في كلام بعض العلماء
٤٢٦	● نبذة عن مذهب الاتحادية ، القائلين بوحدة الوجود
٤٢٧	● ذكر أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في صنفى الاتحادية

الصفحة	الموضوع
٤٤١	المبحث الثامن: كلمات جامعة في عقيدة العلو (ابن تيمية - الذهبي - ابن القيم) • خلاصة من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وشمس الدين الذهبي رحمها الله في باب افتراق الناس في عقيدة علو الرب عز وجل
٤٤٥	• أبيات جامعة في تقرير العلو لابن القيم رحمه الله من منظومته «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»
٤٦٠	خلاصة البحث
٤٦٤	ثبت مراجع الكتاب